شَرح
الصَّحيفة السَّجاديَّة
الجزء الأول



شَرْح
الصَّحيفة السَّجاديَّة

للإمام عليّ بن الحسين ابن أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب عليهم السلام

تأليف

العلّامة السيد مُحمّد حسين الجلالي

تحقيق

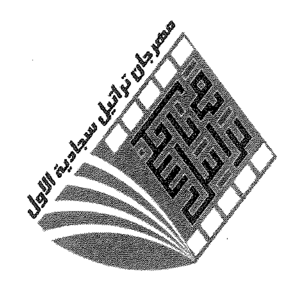
السيِّد رحيم الحسيني

الجزء الأول

الناشر

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

قسم العلاقات العامة





هوية الكتاب

الكتاب : شرح الصحيفة السجادية – الجزء الأول

تأليف : العلامة السيد محمد حسين الجلالي

تحقيق : السيد رحيم الحسيني

الطبعة: الأولى ١٤٣٦هـ

الناشر: الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة/ قسم العلاقات العامة

الكمية المطبوعة: ١٠٠٠ نسخة

صف الحروف والإخراج الفني: فاطمة ابي عباس

تمهيد

عاش الإمام السجّاد عليه السلام في ظروف قاسية، حيث كانت محاصرة بني اميّة للإمام قد حددت نشاط الإمام في تبليغ شريعة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فاختار عليه السلام في إرشاده للأمة أسلوباً فريداً من خلال تعليم المسلمين كميّة كبيرة من الأدعية المشحونة بمختلف المعارف الإلهية، التي كانت مناراً لتحصيل الغاية المتوخاة من الدين الإسلامي، وفيها ما يلزم القيام به للأُمّة من الاجتماع والتضامن، وحفظ الحقوق، ومعرفة خالق الكون والحياة.

حتى أُطلق على مجموعة أدعيته: «زبور آل محمد»، وقد أشاد العلامة الأصفهاني بهذا الكتاب ضمن أرجوزة قال فيها:

هو الكتاب الناطق الربوبي	ومخزن الأسرار والغيوب
يفصح عن مقام سرّ الذات	يعرب عن حقائق الصفات
زَبُورُهُ نورُ رواقِ العظمة	يَفَوقُ كلّ الزبر المعظمة
زبوره في الحمد والتمجيد	زينة عرش ربّه المجيد
فيه من الاخلاص والتوحيد	ما لا ترى عليه من مزيد
لسانه في موقع التلاوة	عين الحياة معدن الحلاوة
وكيف لا؟! وإنّما لسانه	مهبط وحي الله جلّ شأنه[1]

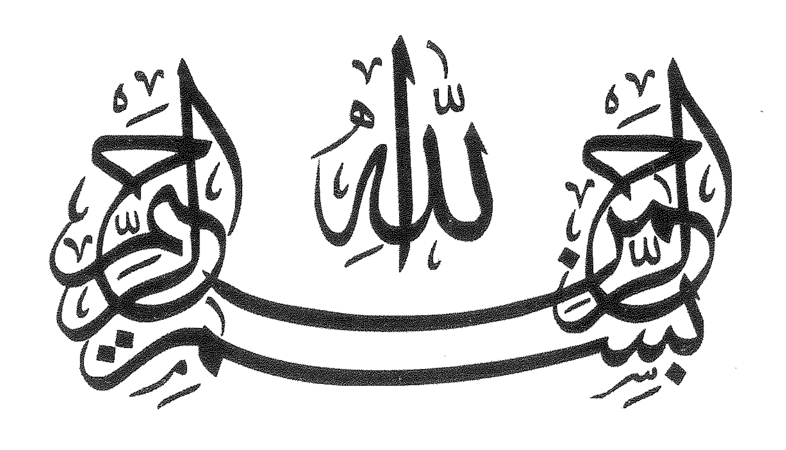
الصحيفة السجادية؟[2]

إنّ الصحيفة السجادية بمجموعها إضمامة عبقة ينفح طيبُها قارءَها بجوامع

---

(١) نقل هذه القصيدة بتمامها، السيد المقرم في كتابه: «الإمام زين العابدين»: ٤١٨.

(٢) أخذنا هذا المطلب من مقدمة السيد مهدي الخرسان لكتاب: «حاشية ابن إدريس على الصحيفة السجادية»، ص٣٦ ـ ٣٨.


بسم الله الرحمن الرحيم

الكلم ودرر الحكم، وهي بحق تعتبر مدرسة لتهذيب النفس من أدران الخطايا، كما أنّها رسالة تربوية إلى الأجيال، تدعو الداعي إلى الالتزام بخط التهذيب الإسلامي الصحيح الّذي جاءت به شرعة المصطفى ﷺ، من دون تشويه أو تمويه ممّا أذاعه المغرضون وأشاعه المفسدون من الحاكمين باسم الدين وتسمّوا بأُمراء المؤمنين ! ! الّذي نهق أحدهم فقال وقد سمع صوت المؤذّن يقول: (أشهد أنّ محمّداً رسول الله): ألا دفناً دفناً[١]. ولم يقصر عنه نغله حين قال: (لا خبرٌ جاء ولا وحي نزل). هذا والمسلمون قد سمعوا ذلك فلم ينبس أحد منهم ببنت شفة في الردّ عليه، فكادت الشرعة يقضى عليها حين كاد لها بنو أُمية، ولم يقف بوجه ذلك المخطط الرهيب سوى أهل البيت عليهم السلام، فضحّى منهم من ضحّى، وجرى لهم القضاء بما كان لهم فيه حسن المثوبة. وجاء دور الإمام زين العابدين عليه السلام الّذي عاش أيّام تلك المحن، وقد رأى توالي الفتن، وكادت أن تموت السنن، فرأى خير وسيلة لصدّ عادية المفسدين، ودرء الخطر عن شريعة جدّه سيد المرسلين، هو الدعاء، والدعاء سلاح المؤمن، فاتخذه وسيلة نافعة ناجعة، وسلاحاً ماضياً يكفل له البلاغ والأداء، دونما إثارة سخط الحاكمين. ومن هذا المنطلق صار يؤكّد بأدعيته أصالة أهل البيت عليهم السلام لقيادة الأُمة أخلاقياً وعملياً، وأنّهم الحماة للشريعة، والذادة عنها، والقادة للمسلمين، واستطاع أن يبلّغ الأُمة مفاهيم تلك القيم الأخلاقية العالية من خلال تلك الأدعية التي قال عنها المحامي الشيخ أحمد فهمي محمّد المصري: (وبعد، فهذه صحيفة كاملة من الأدعية المأثورة، والابتهالات المبرورة، يتنزّه في رياضها ويجنى من يوانع ثمرها، كل من أراد أن يبتهل لربّه، ويسأله من فضله وكرمه، أثرت عن سيد الساجدين، وزين العابدين عليّ بن الحسين رضي الله عنه، وهي بحمد الله تعالى قد حوت ما ينفع المرء في دنياه وأخراه إذ إنّ قائلها لم يترك خصلة من الخصال الحميدة، ولا خلّة من الخلال السعيدة، إلّا طلبها من الله الوهاب المنّان، إئتساءً واقتداءً بجدّه المصطفى ﷺ في اتجاهه لربّه، ودعائه إياه، مخلصاً له الدين، وهي غنيمة كبرى، ونعمة عظمى، وجميعها مجرّب، فيما قيلت فيه، وبخاصة لمن أخلص لله في

---

(١) مروج الذهب: ٤ : ٤٠ أواخر «أخبار المأمون»، تحقيق محمّد محيي الدين عبد الحميد، وشرح نهج البلاغة: ٢: ١٧٦ وكشف الغمة، للإربلي: ١ : ٥٥٦.

ذكرها، والدعاء بها)[١]. لذلك هفت النفوس إليها، وأقبلت على روايتها، وتعاملوا معها كتراث إسلامي خالد، فيه مصدر إشعاع ينير القلوب، ويربط المسلم بالعقيدة الحقة، بدءاً من توحيد ربّه وتصديق نبيّه في شريعته وما جاء به من المبدأ إلى المعاد وما بينهما كما تمرّنه على مواجهة أخطار الأحداث بما يدفع عنه في كلّ مرحلة ما لا حيلة له في دفعه إلّا من خلال الاستعانة بالله تعالى. وحسبه دعاؤه في مكارم الأخلاق وسائر أدعيته لأبويه ولولده ولجيرانه وأوليائه ولأهل الثغور، ودعاؤه في دفع كيد الأعداء وردّ بأسهم إلى آخر ما هنالك من أدعية يعجز القلم عن وصفها.

نقاط هامّة:

تحتوي أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام على نقاط هامّة كثيرة قد تناولها العلماء والشراح بالبحث والتنقيب، والذي وددنا التركيز عليه في هذا التمهيد بعضا منها:

١ ـ التاريخ الإسلامي:

وممّا يلوح من الصحيفة الصحيفة السجادية، هو جعل مبدأ التأريخ الإسلامي هجرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله من مكّة إلى المدينة المنوّرة، ويظهر ذلك من سند الصحيفة التي يقول فيها الإمام الصادق عليه السلام ـ في ضمن حديثه للمتوكل بن هارون: «يرحم الله يحيى، إنّ أبي حدثني، عن أبيه، عن جده علي عليه السلام: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخذته نعسة، وهو على منبره، فرأى في منامه رجالاً ينزون[٢] على منبره نزو القردة، يردُّون الناس على أعقابهم القهقرى، فاستوى رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً والحزن يعرف في وجهه، فأتاه جبرئيل عليه السلام بهذه الآية: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾[٣] يعني بني أُميّة.

---

(١) الصحيفة السجادية راجعها وكتب مقدمتها: الأُستاذ الشيخ أحمد فهمي محمّد المحامي الشرعي بالجيزة، ومن علماء مدرسة القضاء الشرعي، طبع بمطبعة حجازي بمصر سنة ١٣٧٣هـ.

(٢) ينزون: يثبون.

(٣) القرآن الكريم، سورة الإسراء ١٧: ٦٠.

فقال: يا جبرئيل أعلى عهدي يكونون، وفي زمني؟

قال: لا، ولكن تدور رحى الإسلام من مهاجرك، فتلبث بذلك عشراً، ثم تدور رحى الإسلام على رأس خمس وثلاثين من مهاجرك، فتلبث بذلك خمساً، ثمّ لا بُدّ من رحى ضلالة هي قائمة على قُطبها، ثمّ ملك الفراعنة.

قال: وأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ * وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ * لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾[١] يملكها بنوأُميّة ليس فيها ليلة القدر[٢].

قال: فأطلع الله عزّ وجل نبيّه عليه السلام أنّ بني أُميّة تملك سلطان هذه الأُمّة، وملكها طول هذه المدّة، فلو طاولتهم الجبال لطالوا عليها حتى يأذن الله تعالى بزوال مُلكهم، وهم في ذلك يستشعرون عداوتنا أهل البيت وبغضنا، أخبر الله نبيّه بما يلقى أهل بيت محمد وأهل مودَّتهم وشيعتهم منهم في أيّامهم ومُلكهم»[٣].

هذا وقد ورد تأكيد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على جعل مبدأ التأريخ الإسلامي الهجرة النبويّة في أحاديث اخرى نذكر منها ما رواه العلامة المجلسي في البحار بإسناده قال: جمع عمر بن الخطاب الناس يسألهم: أي يوم يكتب؟ فقال علي عليه السلام: «من يوم هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله؛ وترك أرض الشرك»، فكأنّه عليه السلام أشار إليهم أن لا تتبدعوا بدعة وأرخّوا كما كان في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله لأنه صلى الله عليه وآله لمّا قدم المدينة في شهر ربيع الأوّل أمر بالتأريخ[٤].

وروى المتقي الهندي في كنز العمّال أحاديث عديدة عن ابن المسيب:

---

(١) القرآن الكريم، سورة القدر ٩٧: ١ ـ ٣.

(٢) في هامش (م) ما نصه: «وتوضيح ذلك أن ألف شهر ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر، وكان أول استقلال بني امية بالأمر وانفرادها من بيعة الحسن عليه السلام لمعاوية وذلك في سنة أربعين للهجرة، وكان انقضاء دولتهم على يد أبي مسلم الخراساني في سنة اثنين وثلاثين ومائة، وذلك اثنان وتسعون سنة، يسقط منها مدة خلافة عبد الله ابن الزبير، وهي ثمان سنين وثمانية أشهر، فيبقى ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر».

(٣) راجع سند الصحيفة في النسخ المتداولة.

(٤) بحار الأنوار٤٠: ٢١٨، الحديث ١.

منها: أنّه قال عمر: متى نكتب التأريخ؟ فجمع المهاجرين، فقال له علي: «من يوم هاجر النبي وترك أرض الشرك». ففعله عمر.

ومنها: قول ابن المسيب: «أوّل من كتب التأريخ عمر لسنتين ونصف من خلافته فكتب لست عشرة من الهجرة بمشورة علي بن أبي طالب»[١].

٢ ـ بيان الحقائق العلمية:

بالرغم من أنّ الإمام وظّف أدعيته لتربية الإنسان وترشيد حركته الفردية والاجتماعية، ولكنّه ضمّنها بيان جملة من الحقائق العلمية التي تنبئ عن إحاطة الإمام بالحقائق العلمية، وشموخ مقامه العلمي ـ كما تضمّنت خطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ودعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام قسما كبيراً من العلوم والمعارف ـ فيما يرتبط بتركيبة الإنسان الجسمية وكيفية خلقه، وكيفية خلق أنواع الكائنات الأُخرى الأرضية والسماوية.

منها قوله عليه السلام: «سُبْحَانَكَ تَعْلَمُ وَزْنَ السَّمَاوَاتِ. سُبْحَانَكَ تَعْلَمُ وَزْنَ الْأَرَضِينَ. سُبْحَانَكَ تَعْلَمُ وَزْنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ. سُبْحَانَكَ تَعْلَمُ وَزْنَ الظُّلْمَةِ وَالنُّورِ. سُبْحَانَكَ تَعْلَمُ وَزْنَ الْفَيْءِ وَالْهَوَاءِ. سُبْحَانَكَ تَعْلَمُ وَزْنَ الرِّيحِ، كَمْ هِيَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّة»[٢].

مع أنه عليه السلام بيّن ذلك في عصر لم تكن مثل هذه المفاهيم مطروحة في الأوساط العلمية في دنيا الإسلام أو غيرها.

ومنها قوله عليه السلام: «الحَمْدُ للّهِ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ والنَّهارَ بِقُوَّتِهِ، وَمَيَّزَ بَيْنَهُمَا بِقُدْرَتِهِ، وَجَعَلَ لِكُلِّ وَاحِد مِنْهُمَا حَدّاً مَحْدُوداً، وَأَمَداً مَمدُوداً، يُولِجُ كُلّ واحد مِنْهُمَا فِي صَاحِبِهِ، وَيُولِجُ صَاحِبَهُ فِيْهِ، بِتَقْدِير مِنْهُ لِلعِبَادِ فَيْمَا يَغْذُوهُمْ بِهِ وَيُنْشِئُهُمْ عَلَيْهِ»[٣].

---

(١) أنظر كنز العمّال، الأحاديث: ٢٩٥٥٢ ـ ٢٩٥٥٦ و٢٩٥٦٥.

(٢) الصحيفة السجادية، (ط/ مهرجان تراتيل سجادية)، الدعاء رقم (٥٥)، المقطع الاوّل، وفي الصحيفة السجّادية (الصحيفة الجامعة) للأبطحي: ٢٤.

(٣) الصحيفة السجادية، (ط/ مهرجان تراتيل سجادية)، الدعاء رقم (٦)، المقطع الاوّل.

قال السيد الاستاذ: الليل والنهار ظاهرتان طبيعيتان يتأثر بهما كل ذي حياة على الكرة الأرضية صباحاً ومساءً، وشأن كل الظواهر المتكررة أن يغفل الإنسان عن مبدئها ودورها والمسؤولية المرتبطة بها في كل دور من الأدوار.

والظاهر أنّ كلام الإمام عليه السلام ناظر إلى مرحلتين من التحول، أولاً: التحول من الليل إلى النهار، ثم من النهار إلى الليل، ولذلك أتى بالجملتين معا فقال: (يولج كل واحد منها في صاحبه) ثم قال: (ويولج صاحبه فيه). وقد نقل السيد (قدّس سرّه) في الشرح أقوالاً ختمها بقوله: «والله أعلم بمقاصد أوليائه»[1].

وقد استفاد سيدنا الأستاذ الخوئي رحمه الله من هذا المقطع من الدعاء: كروية الأرض، وحيث ان هذا فكر بكر لم يسبقه اليه أحد، أورد نصّ كلامه رحمه الله، وان كنت قد وعدت الايجاز في الشرح، قال رحمه الله: «ومن ذلك ما ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه عند الصباح والمساء: (وجعل لكل واحد منهما حدا محدودا، وأمدا ممدودا، يولج كل واحد منهما في صاحبه، ويولج صاحبه فيه بتقدير منه للعباد). أراد صلوات الله عليه بهذا البيان البديع التعريف بما لم تدركه العقول في تلك العصور، وهو كرويّة الأرض، وحيث أن هذا المعنى كان بعيدا عن أفهام الناس؛ لانصراف العقول عن إدراك ذلك، تلطّف ـ وهو الإمام العالم بأساليب البيان ـ بالاشارة إلى ذلك على وجه بليغ، فإنه عليه السلام لو كان بصدد بيان ما يشاهده عامة الناس من أن الليل ينقص تارة فتضاف من ساعاته إلى النهار، وينقص النهار تارة اخرى فتضاف من ساعاته إلى الليل، لاقتصر على الجملة الأولى: (يولج كل واحد منهما في صاحبه) ولما احتاج إلى ذكر الجملة الثانية: (ويولج صاحبه فيه)، إذن فذكر الجملة الثانية إنما هو للدلالة على أن إيلاج كل من الليل والنهار في صاحبه يكون في حال إيلاج صاحبه فيه، لأن ظاهر الكلام أن الجملة الثانية حالية، ففي هذا دلالة على كرويّة الأرض، وأن إيلاج الليل في النهار ـ مثلاً ـ عندنا يلازم إيلاج النهار في الليل عند

---

(١) رياض السالكين ٢: ١٩٠.

قوم آخرين. ولو لم تكن مهمة الإمام عليه السلام الإشارة إلى هذه النكتة العظيمة، لم تكن لهذه الجملة الأخيرة فائدة، ولكانت تكراراً معنوياً للجملة الأولى»[١].

ومنها قوله عليه السلام: «اللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ إِذا ذُكِرَ الأَبْرارُ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ ما اخْتَلَفَ اللَّيلُ والنَّهارُ، صَلاةً لا يَنْقَطِعُ مَدَدُهَا، وَلَا يُحْصَى عَدَدُها، صَلاةً تَشْحَنُ الهَواء، وَتَمْلأُ الأَرْضَ والسَّماءَ. صَلّى الله عَلَيْهِ حَتَّى يَرْضَى، وَصَلى الله عَلَيْهِ وآله بَعْدَ الرِّضَا صَلاةً لَا حَدَّ لَهَا وَلَا مُنْتَهَى، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ»[٢].

مما يدل على إمكان شحن الهواء، بل شحن الارض والسماء.

وقد قال عليه السلام كلّ هذه الحقائق العلمية في عصر لم تكن مثل هذه المفاهيم مطروحة في الأوساط العلمية آنذاك.

كما أشار عليه السلام إلى إمكانية وجود الجراثيم في المياه والأطعمة في دعائه لأهل الثغور، داعياً على الأعداء: «اللّهُمَّ وَامْزُجْ مِياهَهُمْ بالوَبَاءِ، وَأَطْعِمَتَهُمْ بالأَدْوَاءِ»[٣].

ونجد في كثير من أدعيته عليه السلام إشاراتٍ واضحةً إلى أمثال هذه الحقائق العلمية.

٣ ـ مسألة استغفار المعصومين عليهم السلام:

لا ريب في عصمة المعصومين قاطبة عن كلّ ذنب ومعصية منذ أوّل ولادتهم إلى آخر لحظة من حياتهم، والذي يتراءى في أدعيتهم من الإقرار بالتقصير والذنب وطلب المغفرة من الله سبحانه له تأويل وتفسير كما ورد عن النبي قوله صلى الله عليه وآله: «إنّه ليران على قلبي وإنّي لأستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرّة»[٤].

---

(١) البيان في تفسير القرآن: ٧٦.

(٢) الصحيفة السجادية، (ط/مهرجان تراتيل سجادية)، الدعاء رقم (٣٢)، المقطع السابع عشر.

(٣) الصحيفة السجادية، (ط/مهرجان تراتيل سجادية)، الدعاء رقم (٢٧)، المقطع ١٣، وفي الصحيفة السجّادية (الصحيفة الجامعة) للأبطحي: ١٣٥.

(٤) بحار الانوار ١٧: ٤٤.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في الدعاء الذي علّمه لكميل بن زياد: «اللّهم اغفر لي كلّ ذنب أذنبته وكلّ خطيئة أخطأتها»[١].

وقول الإمام السجاد في الدعاء: «اللّهم إنني يحجبني عن مسألتك خلال ثلاثٌ ويحدوني عليها خلّة واحدة، يحجبني أمر أمرتني به وأبطأت عنه، ونهي نهيتني عنه فأسرعت إليه، ونعمة أسديتها إليّ فقصّرتُ عن شكرها»[٢].

وعن الإمام الكاظم عليه السلام في سجدة الشكر من صلاة الليل: «رب عصيتك بلساني ولوشئت ـ وعزّتك لأخرستني ... إلى آخر الدعاء»[٣].

فلهذه العبارات وامثالها تفسير وبيان تعرّض لها علماؤنا الأبرار، في كتبهم منهم: العلامة المجلسي في البحار، باب عصمة النّبى صلى الله عليه وآله وتأويل بعض ما يوهم خلاف ذلك[٤]، والشيخ البهائي في شرح الأربعين حديثاً عند شرحه الحديث ٢٢[٥]، والسيد علي خان في شرح الصحيفة عند شرحه للدعاء ١٢[٦]، والشيخ أحمد بن الشيخ صالح آل طعان البحراني القطيفي في رسالة: «شرح فقرة: «فهبني»، من دعاء كميل»[٧]، وغيرهم.

منها: ما ذكر الشيخ الأربلي المتوفى (ت / ٦٨٧هـ) في كشف الغمّة، ومحصّله: إنّ المعصومين عليهم السلام أوقاتهم مشغولة بالله تعالى وقلوبهم متوجّهة إليه سبحانه وهم أبداً في المراقبة، كما ورد في حديث أمير المؤمنين عليه السلام «أعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك»، فإنّهم يعدّون ـ والحال هذه ـ اشتغالهم بالأكل والشرب وغيرها من المباحات حطّاً عن تلك المرتبة العالية والمنزلة الرفيعة، ويرونه ذنباً وتقصيراً عمّا يراد منهم، كما أنّ المقرّب إلى الملك لو اشتغل بمجالسة غيره من الناس، لعدّ ذلك تقصيراً واستغفر منه كثيرا، فكيف بالمقرّبين

---

(١) الدعاء المعروف بدعاء كميل بن زياد، راجع مفاتيح الجنان.

(٢) الصحيفة الكاملة: الدعاء ١٢.

(٣) كشف الغمة ٢: ٢٥٤.

(٤) بحار الانوار ١٧: ٢٣٢.

(٥) الأربعون حديثاً: ١١٥.

(٦) راجع: رياض السالكين ٢: ٤٧١.

(٧) طبعت هذه الرسالة ضمن «الرسائل الأحمدية» بالرقم ٣٣، في ج٣ ص٣٣٥ ـ ٤٠٠ .

إلى الله سبحانه وتعالى؟!، وإلى هذه أشاروا فيما ورد عنهم عليهم السلام: «حسنات الأبرار سيّئات المقربين»[١].

وقال الفيض الكاشاني في الوافي في بيان قوله عليه السلام: «لأكمهتني»، ما نصه: إن قيل: كيف يصدر عن المعصوم مثل هذا الدعاء؟ قلنا: إن الأنبياء والأئمة عليهم السلام لما كانت أوقاتهم مستغرقة في ذكر الله وقلوبهم مشغولة به جل شأنه وخواطرهم متعلقة بالملأ الأعلى، وهم أبداً في المراقبة، فكانوا إذا اشتغلوا بلوازم البشرية من الأكل والشرب والنكاح وسائر المباحات عدّوا ذلك ذنباً وتقصيراً، كما أن الذين يجالسون الملوك لو اشتغلوا وقت مجالسته وملاحظته بالالتفات إلى غيره لعدّوا ذلك تقصيراً واعتذروا منه. وعلى هذا يحمل ما رواه ثقة الإسلام في الكافي عن الصادق عليه السلام: أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يتوب إلى الله عز وجل في كل يوم سبعين مرة. وكذا ما رواه العامة في صحاحهم: أنه صلى الله عليه وآله قال: إنه ليغان ـ أو ليران ـ على قلبي وأني لأستغفر بالنهار سبعين مرة. ونقل البيضاوي في شرح المصابيح: أنه سُئل الأصمعي عن معنى قوله صلى الله عليه وآله: « ليغان على قلبي». فقال: هذا قلب مَن؟ فقالوا: قلب رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال: لو كان قلب غيره لفسّرته، وأما قلبه صلى الله عليه وآله فلا أجترئ على تفسيره[٢].

ومما قال الشيخ احمد آل طعان البحراني رحمه الله فبان ذلك: أنّهم عليهم السلام قد تحمّلوا ذنوب شيعتهم ومحبّيهم وأنصارهم ومواليهم، لكمال لطفهم بهم، وتمام رحمتهم لهم، وشدّة الاعتناء بشأنهم. ويدلّ عليه ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[٣]، فعن الصادق عليه السلام، أنّه سئل عن هذه الآية، فقال: «ما كان له ذنب ولا همَّ بذنب، ولكن الله حمّله ذنوب شيعته، ثم غفرها له»[٤].

---

(١) كشف الغمة ٢: ٢٥٤، وقال السيد عبد الرزاق المقرّم: ونقل العامّة في توجيه إستغفار النبي صلى الله عليه وآله وجوهاً كما في شرح المصابيح للبيضاوي وعمدة القاري ١٠: ٥٢١، وشرح مشارق الأزهار ١: ١٨٦ لابن أبي الملك، وغيرهم. انظر الإمام زين العابدين: ١١٧ و١١٨.

(٢) الوافي، للفيض الكاشاني ٨: ٨٢٢ ـ ٨٢٣.

(٣) القرآن الكريم، سورة الفتح ٤٨: ٢.

(٤) تفسير القمّي ٢: ٣٢١، مجمع البيان ٩: ١٤٣، البحار ١٧: ٨٩، ح١٩.

وعنه عليه السلام أنّه سئل عنها، فقال: «واللّه ما كان له ذنب، ولكن الله سبحانه ضمن له أن يغفر ذنوب شيعة عليّ عليه السلام ما تقدّم من ذنبهم وما تأخّر»[١] إلى غير ذلك من الأخبار الواردة في هذا المضمار.

ولعلّ السرَّ فيه أنّهم خلقوا من فاضل طينتهم، وإنّما لحقتهم الذنوب والمعاصي من لطخ[٢] أعدائهم، كما تكثّرت به أخبارهم[٣]، فلمّا كانوا منهم ومنسوبين إليهم في الذوات والصفات والأعمال والاعتقادات، حتّى إنّ أعداءهم عادوا شيعتهم وسعوا بكلّ مكروه إليهم، وما المسبِّبُ لذلك إلّا متابعتهم لأئمّتهم وانتسابهم لهم في فرعهم وأصلهم وقلّهم[٤] وجلّهم، لا جرم تكرّموا عليهم بحمل أثقالهم وما أصابهم من لطخ أعدائهم.

ولهذا جعلوا عليهم السلام بغض الشيعة معيار الناصب والميزان الفارق بين الصادق والكاذب، كما رواه الصدوق في (العلل) عن ابن سنان، و(المعاني) عن ابن خنيس كلاهما عن الصادق عليه السلام قال: «ليس الناصب من نصب لنا أهل البيت، لأنّك لا تجد أحدا يقول: إنّي أبغض محمداً وآل محمّداً ولكن الناصب من نصب لكم، وهو يعلم أنّكم تتولّوننا[٥] وتتبرّؤون من أعدائنا»[٦].

ومنها: أنّهم عليهم السلام عرفوا الله حقّ معرفته، إمّا بالنسبة إلى غيرهم من خليقته ولو كانوا من أقرب ملائكته، أو باعتبار إقرارهم مع عظم شأنهم بالعجز عن إدراك كنه هويّته؛ لأنّ العجز عن درك الإدراك إدراك، فإذا نظروا إلى علو مقامه وسوابغ إنعامه، صغر عندهم كلّ كبير في جنب نعمه، وقلّ عندهم كلّ كثير بالنسبة إلى جوده عليهم وكرمه؛ لأنّ توفيقه إيّاهم لخدمته نعمة تستوجب شكرا، وهكذا نعمة بعد اخرى.

ولهذا قال زين العابدين وسيّد الساجدين في دعاء التحميد: «والحمد للّه

---

(١) مجمع البيان ٩: ١٤٢، البحار ١٧: ٧٦.
(٢) تلطّخ فلان بأمر قبيح: تدنّس. (لسان العرب ١٢: ٢٨٠ ـ لطخ).
(٣) انظر: علل الشرائع ١: ١١٦، ح٢، البحار ٥: ٢٤٢، ح ٢٩.
(٤) القلُّ: خلاف الكثر. (لسان العرب ١١: ٢٨٧ ـ قلل).
(٥) علل الشرائع ٢: ٣٢٧، ح٦٠.
(٦) معاني الأخبار: ٣٦٥، ح ١.

الذي لو حبس عن عباده معرفة حمده على ما أبلاهم من مننه المتتابعة، وأسبغ عليهم من نعمه المتظاهرة لتصرّفوا في مننه فلم يحمدوه، وتوسّعوا في رزقه فلم يشكروه»[١].

وورد في مناجاة داود عليه السلام: «إلهي كيف أشكرك والشكر نعمة أخرى تستدعي شكراً»[٢].

وفي رواية: «وشكري لك نعمة اخرى توجب عليّ الشكر لك».

وفي أخرى: «وأنا لا أستطيع أن أشكرك إلّا بنعمة ثانية من نعمك، فأوحى الله تعالى إليه: إذا عرفت هذا فقد شكرتني»[٣].

ومنها: أنّه من قبيل قول الشاعر:

وقلت وما ذنبي؟ فقالت مجيبةً وجودك ذنبٌ لا يقاس به ذنب

وتقريره على وجهين:

الأوّل: إنّهم لمّا كانوا في غاية الفقر إلى الله تعالى وكمال الانقطاع إليه، كانوا لا يجعلون لأنفسهم وجودا من الوجودات، ولا حقيقة من الحقائق، كما أشاروا إليه عليهم السلام في كثير من أدعيتهم وأخبارهم، فمن كلام الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة على ما في الاقبال: «الهي، أنا الفقير في غنائي، فكيف لا أكون فقيرا في فقري!!، إلهي، أنا الجاهل في علمي، فكيف لا أكون جهولا في جهلي!!، إلهي، من كانت محاسنه مساوي، فكيف لا تكون مساويه مساوي؟، ومن كانت حقائقه دعاوي، فكيف لا تكون دعاويه دعاوي؟!!»[٤].

وقال زين العابدين عليه السلام: «فما أنا يا ربِّ وما خطري»[٥] ... إلى غير ذلك.

---

(١) الصحيفة السجادية، (ط/مهرجان تراتيل سجادية): (دعاؤه عليه السلام إذا ابتدأ بالدعاء بدأ بالتحميد).

(٢) عدة الداعي: ٢٢٥، الجواهر السنيّة في الأحاديث القدسية: ٧٤.

(٣) البحار ٦٨: ٣٦.

(٤) إقبال الأعمال: ٣٤٨، والبحار ٩٥: ٢٢٧.

(٥) من دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم عرفة، راجع مفاتيح الجنان.

ولهذا ورد عنهم عليهم السلام نهي سائر العوام عن قول: (أنا)؛ لإيهامه الاستقلال والاستغناء عن مدد ذي الجلال.

الثاني: إنّه لما كان العملُ طريق الخلق للحقّ، وهو متوقّف على وجود العامل الذي هو حجاب بينه وبين ربّه، ولا ينفك عنه المخلوق حال وجوده، فهو محجوب بوجوده، والمحجوب مقصّرٌ، فهم عليهم السلام وإن لم يلحظوا أنفسهم في وجدانهم ـ كما مرّ ـ لكنّهم موجودون ظاهرا، فهم يستغفرون من نسبة هذا الوجود المتوهّم اليهم، الذي هو مضمحل بالنسبة إلى وجود ربّهم[١].

عدد الأدعية في الصحيفة السجادية:

ويستفاد من إسناد الصحيفة السجّادية أنّ عدد أدعيتها كانت خمسة وسبعين دعاءً، إلّا أنّ عدد الأدعية الموجودة في النسخ المتداولة هي أقل من هذا الرقم، ففي نسخة الصحيفة المتداولة برواية ابن الأعلم والمطهري هي أربعة وخمسين دعاءً، وهذا يعني أنّ إحدى وعشرين دعاءً لم تذكر في النسخة المتداولة.

وقد صرّح المتوكل بن هارون ـ راوي الصحيفة ـ بسقوط عدة أبواب من نسخته بقوله: «ثمّ أملى عَلَي أبو عبد الله عليه السلام الأدعية، وهي خمس وسبعون باباً سقط عنّي منها أحد وعشرون باباً، وحفظت منها نيفاً وخمسين باباً»[٢].

وعلى ضوء هذا، فإنّ هناك عشرون بابا أُخر صرّح المتوكل بسقوطها ممّا أملاه عليه الإمام الصادق عليه السلام، والملاحظ ان الروايات الأخرى للصحيفة لاتحتوي على العدد المذكور أيضا، ففي نسخة علي بن مالك المتوفى سنة ٢٧٩هـ، والتي تمتاز برواية فريدة عن طريقه، تنقص عدد الأدعية عمّا عليه النسخ المتداولة أيضا، لتكون عدد الأدعية الواردة فيها هي «٣٨» دعاء فقط، على أن بعض روايات الأدعية المتعدّدة وردت في عنوان واحد فيها، بنما وردت في رواية ابن المطهر بعناوين مستقلة وأرقام خاصة، ووردت في تلك النسخ بدون عنوان وملحقة بدعاء آخر.

---

(١) الرسائل الاحمدية ٣: ٣٦٣ ـ ٣٦٦.

(٢) راجع: الصفحة ٧٠ في طبعتنا هذه.

جمع الصحيفة السجادية:

والتصريح بسقوط بعض الادعية في سند الصحيفة هو الذي دعى العلماء إلى البحث والتنقيب عنها في سائر ما ورد عن الإمام السجاد عليه السلام لغرض الوقوف على الأدعية المفقودة، وضمّها إلى نسخة الصحيفة المتداولة، وكانت النتيجة عرض الصحيفة السجادية بعدة مسميات، نذكر منها:

١ ـ نسخة الصحيفة المرويّة المشهورة:

اعتبرت نسخة الصحيفة المرويّة المشهورة هي الأُولى. وهي النسخة التي رواها هبة الله بن حامد بن أحمد بن أيوب بن علي بن أيوب اللّغوي المشهور، كما استظهره المحقق الدماد في شرح الصحيفة. أو ابن السكون، وهو الشيخ أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمد بن محمد بن السكون الحلّي، النحوي الشاعر، المتوفى حدود سنة ٦٠٦هـ، كما في بغية الوعاة، والذي يروي عنهما السيد فخار بن معد الموسوي.

وهناك نسخة لإبن إدريس الحلّي بخطه، فرغ منها سنة ٥٧٠هـ، كما أنّ السديدي علي بن أحمد فرغ من كتابة نسخة الصحيفة عن نسخة ابن السكون وقابلها معها في سنة ٦٤٣هـ، ثم قابلها مع نسخة ابن ادريس في سنة ٦٥٤هـ.

وكتب الشهيد الأوّل عن خط السديدي نسختين الأولى ٧٧٢هـ والثانية ٧٧٦هـ.

وكتب الجبعي عن خط الشهيد الأوّل وقابله بالثاني أيضاً كما في إجازات البحار[١].

٢ ـ جمع العلامة الشيخ محمد بن علي الحرفوشي، المعاصر للحر العاملي، والمتوفى قبله بأكثر من أربعين عاماً صحيفة اخرى، وتعد صحيفة سجّادية ثانية[٢].

---

(١) انظر الذريعة ١٥: ١٨ ـ ١٩.

(٢) ذكرها الشيخ آقا بزرگ الطهراني في الذريعة ١٥: ١٩.

٣ ـ وجمع المحدّث محمد بن الحسن «الحر العاملي» صاحب الوسائل، المتوفى سنة ١١٠٤هـ صحيفة ثالثة استخرجها من الأصول المعتمدة عنده ـ والتي ذكرها في هامش النسخة ـ وكتب في آخرها: «يقول العبد محمد بن الحسن بن علي بن محمد الحرّ العاملي عفا الله عنه: هذا ما وصل إليّ من أدعية مولانا زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام مما خرج عن الصحيفة الكاملة ـ إلى أن قال: ـ وفرغت من جمعها في شهر رمضان ١٠٥٣»[١] وسمّاها «اخت الصحيفة»، واشتهرت بالصحيفة الثانية أيضاً.

٤ ـ وجمع الفاضل المتبحّر الميرزا عبد الله الأفندي ابن الميرزا عيسى بن محمد صالح التبريزي، صاحب رياض العلماء، (المتوفى حدود ١١٣٠) صحيفة أخرى، استقصى فيها ما ورد من أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام، وأضاف على ما أورده الحرّ العاملي، وسمّاها «الدرر المنظومة المأثورة»، وعرفت بالصحيفة السجّادية الثالثة.

٥ ـ وجمع المحدّث الميرزا حسين بن المولى محمد بن تقي بن الميرزا محمد النوري، المتوفى سنة ١٣٢٠هـ، سبعة وسبعين دعاءً من أدعية الإمام السجّاد عليه السلام، وتمزت بذلك عن الصحف السابقة، وعرفت بالصحيفة السجّادية الرابعة.

٦ ـ وجمع العلامة السيد محسن بن عبد الكريم بن علي العاملي المتوفى ١٣٧١هـ، صحيفة أُخرى احتوت على الصحيفة الثالثة والرابعة وزيادة، فرغ منها سنة ١٣٢٣هـ، ومجموع أدعيتها (١٨٢) دعاءً، انفرد منها بإثنين وخمسين دعاءً، وعرفت هذه الصحيفة بالصحيفة السجّادية الخامسة.

٧ ـ وجمع العلامة الشيخ محمد صالح بن الميرزا فضل الله المازندراني الحائري، (المعاصر للشيخ آقا بزرگ) صحيفة أُخرى، عرّفها الشيخ آقا بزرگ بالصحيفة السجّادية السادسة[٢].

٨ ـ وجمع العلامة السيد محمد باقر الأبطحي رحمه الله جميع أدعية الإمام زين العابدين في الموارد والمناسبات المختلفة، وضمنّها أدعية الصحف السجّادية

---

(١) في الذريعة (١٥: ٢٠): أنّها طبعت سنة ١٣٦٤ ضمن الصحيفة الخامسة.

(٢) الذريعة: ١٥: ٢١.

السابقة، فبلغ مجموع الأدعية الواردة فيها حسب ترقيمه «٢٧٠» دعاء، وسمّاها الصحيفة الجامعة، طبعت سنة ١٤١٨هـ في قم.

٩ ـ وجمع سيدنا الاستاذ العلامة السيد محمد حسين الجلالي ادام الله ظله الوارف أدعية الإمام زين العابدين في الصحف السجّادية المتداولة، مع ضم ما ورد فيها بعنوان الملحقات، فبلغ مجموع الأدعية الواردة فيها حسب ترقيمه «٨٦» دعاء، وسنذكر تفاصيل جمعه بعد قليل.

١٠ ـ وقد قمنا بالتلفيق بين عدة روايات معتبرة من الصحيفة السجادية في محاولة جديدة لاخراج نص موحد من مجموع روايات الصحيفة التي وقفنا عليها لحد الآن، على الترتيب الذي سلكه أستاذنا العلامة السيد محمد حسين الجلالي في الصحيفة السجادية، بالاعتماد على المشهورة الجامعة بين رواية المطهري وابن الاعلم ومقارنتها برواية علي بن مالك والحسين بن اشكيب وعبيد الله بن الفضل الهاشمي. إضافة إلى ما ورد في ملحقات الصحف السجادية المذكورة اعلاه، في خطة عمل جديدة، يمكن الاطلاع على تفاصيلها بمراجعة «منهج التحقيق» في نهاية هذه المقدمة. وجعلناه متنا لهذا الشرح الذي بين يديك.

تفاصيل جمع سيدنا الاستاذ لأدعية الصحيفة:

جمع سيدنا الاستاذ العلامة السيد محمد حسين الجلالي ادام الله ظله الوارف أدعية الإمام زين العابدين في الصحف السجّادية المتداولة البالغة (٥٤) دعاء، ثم ضم إليها ما ورد في تلك الصحف بعنوان «الملحقات»، معتمداً في ذلك كونها ملحقة ببعض نسخ الصحيفة أو واردة في إحدى الروايات المعتمدة، وصدّر ما ألحقه بتفصيل المميزات والدواعي الباعثة على الإلحاق، ومما قال السيد الأستاذ في أول الملحقات وهو «دُعاؤه عليه السلام في الأيام السبعة»، ما نصه:

وتتضمّن أدعية خاصة لكل يوم من أيام الأُسبوع، مبتدءاً بيوم الأحد ومنتهياً بيوم السبت، وتمتاز هذه الادعية بأمور، هي:

الأوّل: ان كلا من الدعاء الأوّل والأخير يتضمّن البسملة في متن الدعاء، دون غيرهما من الأدعية، وربما يكشف ذلك عن ان الدعاء الأخير كتب وأنشئ في مجلس يختلف عن مجلس انشاء الأدعية الأُخرى.

الثاني: أنّ الأدعية الأُخرى ـ ماعدا الأوّل والأخير ـ تتضمّن الحمد للّه سبحانه في مفتتحها في متن الدعاء، ممّا قد يكشف عن انها أُنشئت في مجلس واحد بعد الدعاء الأول.

الثالث: إنّ الادعية الستة من الدعاء الأوّل إلى السادس تتضمن مقطعاً مشيراً إلى اليوم الذي أُنشئ الدعاء لاجله، دون اليوم الأخير، وهو يوم السبت، ممّا قد يكشف عن أنّه دعاء مستقل إنشاءً، وانه أُنشئ في وقت متأخّر عن إنشاء الأدعية الّتي سبقته، والله العالم.

ثم قال: وبها هنا انتهت النسخة الّتي اعتمد عليها السيد المشكاة في طبعتة المؤرخة سنة هو ١٣٦١ والتي اعتمد فيها على نسخة المولى محمد تقي المجلسي، المؤرخة ١٠٥٨، وقد جاء في آخرها مانصّه: «قد تمّ استنساخ هذه النسخة الشريفة في طهران، عاصمة ايران، باهتمام العبد محمد بن احمد الآخوندي، وكتابته بيد العبد المحتاج الحاج احمد الزنجاني النجفي، في ضحوة يوم الجمعة رابع صفر الخير، سنة إحدى وستين وثلاثماءة بعد الإلف من الهجرة النبويّة».

وقال الأستاذ في ما اروود من الملحقات من «المناجاة الخمسة عشر» للإمام عليه السلام وتبدأ بالدعاء ٦٩ إلى ٨٣، قال في أولها في بيان «المناجاة»، ما نصه:

النجوى ـ لغة ـ السرّ، والمناجاة: المسارة بما في قلب الإنسان حيث لا يكون إلّا لمن يوثق به وثوقاً كاملاً، والنجوى ـ كما تقتضيه العناوين ـ يستلزم ان تتلى هذه المناجاة الخمسة عشر سراً؛ لكي تكون مسارّة بين الإنسان وربّه.

ثم قال: وأنّ هذه المناجاة الخمسة عشر لم ترد في المعتمدة المطبوعة عام ١٣٦١هـ، والتي طبعها السيد المشكاة إعتماداً على نسخة العلامة محمد تقي المجلسي المؤرخة ١٠٥٨هـ.

ولكن هذه المناجاة الخمسة عشر بأكملها وردت في نسخة أُخرى في مكتبة السيد المشكاة بخط غلام علي الشهير بـ «محمد أمين» بتاريخ ١٠٧٩، كما هي أيضاً مذكورة في بعض الطبعات.

وقد أوردها الأستاذ بالتسلسل اعتماداً على نسخة محمد أمين المؤرخة ١٠٧٩، والتي وصفها بتفصيل في «الدراسة المنيفة»، فليراجع[١].

وقال أيضاً: ولا يخفى ان عناوين المناجاة الخمسة عشر جاءت في النسخة المعتمدة مع حرف الجر، فعنوان المناجاة الأولى هو: «المناجاة الأولى للتائبين»، وهكذا إلى آخر «المناجاة الخامسة عشر للزاهدين»، وليست على سبيل الإضافة؛ وذلك يكشف عن أنّها كتبت خاصة لكل طائفة من التائبين والزاهدين بالخصوص، باعتبارها دروساً عملية للسير على خطى التابئين، ومن أراد ان يتوب فعليه ان يقرأ هذا الدعاء ويتّخذه درساً عمليا للتوبة، ومن يروم الزهد كذلك يقرأ المناجاة الخاصة التي أُعدّت للزاهدين.

هذا، وقد جاء في مقدمة المناجاة، الورقة ١٤١ الف، في اسنادها، ما نصّه: «بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم يا من يسمع أصوات الدّاعين، وجيب دعوات المضطرين، ويا من يرى من وقف بين يديه ويقبل توبة من أناب اليه، أحمدك على تتابع نعمائك، وتواتر الآئك، واسألك أن تصلّي على سيد المرسلين خير خلقك محمّد وآله أجمعين. وبعد، فلما كان الله سبحانه قريباً من عباده الذين تخشع له قلوبهم عند توجههم إليه، ودانياً من محبيه الذين يخضع له أبدانهم حين وقفوا بين ده، وحاضراً عند مخلصيه الذين عشت أعينهم من البكاء لديه، حيث روي عن المفضّل بن عمر، قال: سمعت مولاي الصادق عليه السلام، قال له: يا بن عمران، كذب من زعم أنّه يحبّني، فإذا جنّه الليل نام عنّي، أليس كلّ محبّ يحب خلوة حبيبه؟ ها أنذا ـ يابن عمران ـ مطّلع على أحبّائي. إذا جنّهم الليل حوّلت أبصارهم إليّ من قلوبهم، ومثلتُ عقوبتي بين أعينهم، يخاطبونني عن المشاهدة، ويكلمونني عن الحضور. يابن عمران، هب لي من قلبك الخشوع، ومن بدنك الخضوع، ومن عينيك الدموع في ظلم الليل، فإنك تجدني قريباً»[٢].

وكانت الادعية الّتي نقلت عن سيد العابدين زين الموحّدين أبي الائمة الطاهرين عليّ بن الحسين عليه وعلى آبائه صلوات الله ربّ العالمين ممّا يجعل

---

(١) راجع: دراسة حول الصحيفة السجادية: ص٤٥، ط/ قم، ١٤٢٢هـ.

(٢) أمالي الشيخ الصدوق: ٤٣٨، الحديث ٥٧٧.

ذريعة لحصول الصفات المذكورة في الحديث، المطلوبة للحبيب، ناسب للراجين المناجين ربهم، المحبين المريدين خلوة حبيبهم، أن يدعوا الله سبحانه بها، ويداوموا على ذلك بكلّ واحدة منها، وهو وليّ التوفيق وبيده أزمّة التحقيق، وهي خمس عشرة مناجاة. ثم اوردها بتمامها.

ثم قال: إلى هنا انتهت المناجاة الخمسة عشر؛ اعتماداً على نسخة محمد أمين المؤرخة ١٠٧٩، وقد جاء بعدها أدعية أُخرى كلّها بخطه وانتخبت منها الدعاءين الآتيين، وحيث أنهما كانا غير معنونين بعنوان خاص، استخرجت لكل منهما عنواناً من مضمون كل واحد منهما.

وقد ابتدأ الدعاء الأوّل بعد البسملة بقوله: (إلهي اسألك أن تعصمني حتى لا أعصيك) إلى آخره، فبدا لي أن أعنونه بعنوان: «دعاء العصمة» بأمل العصمة بالله، وابتدأ الدعاء الثاني بقوله أيضاً: «عن زين العابدين صلوات الرحمن وسلامة وبركاته عليه: (إلهي لو سألتني حسناتي. . .) إلى آخره، وهو على قصره يستعرض لوازم الأوامر الإلهيّة للإنسان، وحيث أنه عليه السلام ختمها بالعتق من النار، بدا لي أن أعنونه: «دعاء العتق» عسى أن يجعلنا الله من عتقائه من النار، آمين رب العالمين. ثم ذكر نصّ الدعاءين، بالرقمين: (٨٤) و(٨٥).

كما اورد السيد الأستاذ الدعاء ٣٧ الذي انفردت نسخة ابن مالك بايراده، في آخر مجموعته بعنوان «دُعاء الاستجابة» للإمام عليه السلام، وأثبته بالرقم (٨٦)[1].

---

(١) لم يرد هذا الدعاء في المشهورة، وورد في نسخة ابن مالك برقم (٣٧) وعنوانه فيها: «وَمِنْ دُعائِهِ عليه السلام فِي اسْتِجَابَةِ دُعَائِهِ»، كما ورد في النسخة الرضوية من الصحيفة برقم (٢٩) وعنوانه فيها: «ومن دعائه (عليه السلام) في الشكوى»، وورَدَ أيضاً في الصحيفة الثالثة، وقال صاحب الصحيفة الثالثة ما نصّه: «وهذا الدُّعاء قد وقعَ في صحيفة الزّهني المذكور في نسخة صحيفة الفقيه ابن شاذان ـ المعاصر للمفيد ـ باختلاف شديد بينهما وبين السابق، وألفاظ الدُّعاء؛ بحيث قد يظنُّ كون هذا الدُّعاء دعاءً على حده، فلذلِكَ نحنُ أوردناهُ هنا مرّة أُخرى بروايتهما رضوان الله عليهما، وعنوانهُ هكذا: في استجابتِهِ وقبولِهِ إياهُ بالإسعافِ».
هذا، وقد أورد السيِّد الأبطحي نسختين من هذا الدعاء في الصحيفة الجامعة بالرقم (٢٢٠) بعنوان: «في الشكوى»، وبالرقم (٢٢١) بعنوان: «عندَ استجابة دعائِهِ»، وقال: أثبت العنوان كما في دعوات الراوندي وكما في بعضِ النسخ الّتي اشار إليها في الصحيفة الثالثة.

ثم قال السيد الأستاذ بعد ايراده الدعاء ما نصه: واكتفي بشرح هذا الدعاء من الصحيفة من رواية ابن مالك، وقد وصفتها في الدراسة المنيفة بتفصيل، فليراجع، على ان يوفقني الله أو من يجد في نفسه القدرة والكفاءة لتحقيق الصحيفة برواياتها الثلاث، وهي رواية ابن المطهر وابن مالك وابن الاعلم في نصوص موحدة محققة مشروحة؛ فانها تلتقي في الخطوط العريضة ماعدى بعض الزيادات كالدعاء المذكور هنا، وقد بلغ مجموع أدعية الصحيفة والملحقات (٨٦) دعاءً.

وأسأل الله سبحانه أن يهدينا إلى الصراط المستقيم والتسنن بسنة رسوله الكريم، والاقتداء بنهج أهل بيته القويم، إنّه الوهاب التوّاب الرحيم، وكتب بخطه: الفقير إلى الله «محمد حسين بن محسن بن علي الحسيني الجلالي»، المنتهي نسبه إلى سيد العابدين وسيد الساجدين على بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) اجمعين، آمين رب العالمين.

ولخص الأستاذ عمله في كلمة الختام بما نصه:

إلى هنا انتهى ما نقلته من نسخة محمد أمين المؤرخة ١٠٧٩. ولا يخفى أنه هناك بعض الاختلاف بين النسخة التي اعتمد عليها السيد المشكاة المطبوعة وبين النسخة الّتي كتبت بخط غلام علي الشهير بمحمد أمين المؤرخة ١٠٧٩. والتي تفضل السيد المشكاة بتصويرها لي، وقد وصفتها في الدراسة المنيفة، ويجب أن تحقيق الصحيفة اعتماداً على النسخ القديمة الّتي ذكرتها. وأيضاً أنّ النسخة تسلسل وصف النسخ المنقول عنها طبقة بعد طبقة، وقلّما يحصل ذلك في المخطوطات، والاختلاف بين النسختين من جهات أُشير إلى بعضها:

أولاً ـ الترتيب:

فهذه النسخة تحتوي على الرواية المشهورة من الدعاء الأوّل إلى الدعاء رقم ٥٦.

ثم: نصوص المقابلات والعرض والقراءة، في ص ١٢٣ الف وب.

ثم: دعاء السمات مسنداً، من ص ١٢٤ الف إلى ١٢٩ الف.

ثم: صفة شكل خاتم النبوّة، في ص ١٢٩ ب.

ثم: عنوان (ممّا أُلحق ببعض نسخ الصحيفة)، في ص ١٣٠ ألف.

أولها: سبحانك اللهم وحنانيك، وآخرها: دعاؤه فيما يخافه ويحذره، في ص١٣٠ ب، الص ١٣٥ ألف.

ثم: ادعية الأيام السبعة، من ص ١٣٥ ب، أوّلها: دعاؤه في يوم الاحد، وآخرها: دعاء يوم السبت، في ص ١٤٠ الف.

ثم: المناجاة الخمسة عشر مسندة في ص ١٤٠ ب، أولها: المناجاة الأولى للتائبين، وآخرها: المناجاة الخامسة عشر للزاهدين، في ص١٥٩ ألف.

ثم: دعاء غير معنون، أوّله: إلهي أسألك ان تعصمنى حتى لا أعصيك... الخ.

ثم: دعاء معنون بما يلي: «أيضاً عن زين العابدين صلوات الرحمن وسلامه وبركاته عليه»: إلهي لو سألتني حسناتي لوهبتك اياها... الخ، في ١٦٣ ألف.

ثم: دعاء بعنوان: «عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام»، في ص ١٦٦ كيف ادعوك وقد عصيتك... الخ».

ثم: دعاء الصباح، وعنوانه: (هذا الدعاء وجد بخط مولانا أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه مع مقدمة في فضله، في الصفحة ١٦٨، وبالصفحة ١٧٢ تنتهي النسخة.

وقد شرحت نصّ دعاء الصباح اعتماداً على نصّ النسخة الّتي بالخط الكوفي المنسوب إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام المؤرخة ١١ / ذي الحجة / ٢٥هـ، والمحفوظة في الخزانة الشريفة في استانبول تركيا، مع المقارنة بنسختي المجلسي (ت / ١١١٠هـ) التي أوردها في بحار الانوار ٨٧: ٣٣٩ و٩٤: ٢٤٢، مع شرح بعض الجمل والمفردات في الموضعين، وشرح الملّا هادي السبزواري (ت / ١٢٨٩هـ) المطبوع بعنوان «مصباح الفلاح» عام ١٢٦٧هـ، وقد لخّصت كلامهما أعلى الله مقامهما، فليرجع اليه الطالب.

ثانياً ـ الدقة في الضبط:

تحتوي هذه النسخة على دقّة كاملة بضبط اختلافات النسخ، وقد قال في المقابلة المؤرخة في ذي القعدة سنة ٦٥٤هـ مانصّه: «وكلّ ما على هامشها من حكاية (سين) ونسخة؛ فإنّه عن ابن ادريس، وكذلك جميع ما يوجد بين السطور وعليه (سين) فإنه حكاية خطه، وأمّا ما كان نسخة بلا سين فمنها ما هو بخط ابن السكون، ومنها ما هو بخط ادريس رحمه الله.

ثالثاً ـ القراءآت والإجازات والبلاغات:

بعد الدعاء رقم (٥٤) ذكر الناسخ نصوص القراءآت والإجازات والبلاغات التي كانت على النسخ المنقول عنها، وأقدمها:

قراءة عميد الرؤساء هبة الله حامد بن أحمد بن أيّوب، في شهر ربيع الآخر في سنة ثلاث وستمئة. نقلها بخطّه محمّد بن ادريس الحلي (ت / ٥٩٨).

وقابلها على خطه عليّ بن السكون، في ذي الحجة ٦٤٣.

ونقلها عن خطّه علي بن أحمد السديد في شعبان ٦٧٢.

وعارضها بأصلها محمد بن مكى الشهيد الأوّل (ت/ ٧٨٩هـ).

ونقلها عن خطّه غلام علي الشهير محمد أمين في ١٠/ ذي الحجة/ ١٠٧٩هـ.

وقابلها الفقير إلى الله محمد حسين الجلالي عن خطه في سنة ١٣٩٤.

مقارنة بين أدعية الصحيفة السجادية في النسخ المعتمدة:

نورد هنا جدولاً في المقارنة بين الأدعية وأرقامها في النسخ المعتمدة:

ملاحظة: الرقم بين معقوفتين، هو لتسلسل الأدعية في هذا الكتاب.

والعمود الأول: لعنوان الدعاء.

والعمود الثاني: لأوّل الدعاء.

والعمود الثالث: لرقم الدعاء في رواية علي بن مالك (نسخة المكتبة

الرضوية)، وإذا أضيف إليه حرف الميم، هكذا [م٢٣] فإنه يعني أنه مطبوع ضمن ملحق النسخة في الطبعة الحديثة.

والعمود الرابع: لرقم الدعاء في رواية علي بن مالك (نسخة مكتبة المرعشي)، وإذا أضيف إليه حرف الميم، هكذا [م٢٣] فإنه يعني أنه مطبوع ضمن ملحق النسخة في الطبعة الحديثة.

والعمود الخامس: لرقم الدعاء في رواية حسين بن أشكيب، وإذا إضيف إليه حرف الميم، هكذا [م٢٣] فإنه يعني أنه مطبوع ضمن ملحق النسخة في الطبعة الحديثة.

[١]	التحميد لله عز وجل	الحمد لله الأوّل بلا أوّل	١/١	١/١	١
[٢]	الصلاة على محمد وآله	الحمد لله الذي منَّ علينا بنبيّه	١/٢	١/٢	٢
[٣]	الصلاة على حملة العرش	اللَّهمّ وحملة عرشك	م٣	م٤٠	م٣
[٤]	الصلاة على مصدّقي الرسل	اللهمّ واتباع الرسل	م٤	م٤١	م٤
[٥]	دعاؤه لنفسه وخاصته	يا من لا تنقضي عجائب	م٢/٥٢؟	٢/٢	٤
[٦]	دعاؤه عند الصباح والمساء	الحمد لله الذي خلق الليل	٢٥	٢٥	٢٩
[٧]	دعاؤه في المهمّات	يا من تحلّ به عُقد المكاره	٢٦	٢٦	٣٠
[٨]	دعاؤه في الاستعاذة	اللهم إني أعوذ بك من هيجان الحرص	٣	٣	٥
[٩]	دعاؤه في الاشتياق	اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد وصيرنا إلى	٤	٤	٦
[١٠]	دعاؤه في اللجأ إلى الله تعالى	اللهمّ إن تشأ تعف	٥	٥	٧
[١١]	دعاؤه بخواتم الخير	يا من ذكره شرف	٦	٦	٨
[١٢]	دعاؤه في الاعتراف	اللهمّ انه يحجبني	٧	٧	٩
[١٣]	دعاؤه في طلب الحوائج	اللهمّ يا منتهى مطلب	٢٢	٢٢	٢٦
[١٤]	دعاؤه في الظلامات	يا من لا يخفى عليه أنباء	٢٣	٢٣	٢٧
[١٥]	دعاؤه عند المرض	اللهمّ لك الحمد على ما لم أزل	٣١	٣٠	٣٣
[١٦]	دعاؤه في الاستقالة	يا من برحمته يستغيث	٢٤	٢٤	٢٨
[١٧]	دعاؤه على الشيطان	اللهمّ إنّا نعوذ بك من نزغات	٣٠	٢٩	٣٢

[١٨] دعاؤه في المحذورات	اللهمّ لك الحمد على حسن	٣٢	٣١	٣٤
[١٩] دعاؤه في الاستسقاء	اللهمّ اسقنا الغيث	م١٩	م٤٢	م١٩
[٢٠] دعاؤه في مكارم الأخلاق	اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد وبلغ	٣٧	٣٦	٣٨
[٢١] دعاؤه إذا أحزنه أمر	اللهمّ يا كافي الفرد	م٢١	م٤٣	٣٩
[٢٢] دعاؤه عند الشدّة	اللهمّ إنك كلفتني	م٢٢	م٤٤	٤٠
[٢٣] دعاؤه بالعافية	اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد وألبسني	م٢٣	م٤٥	٤١
[٢٤] دعاؤه لأبويه	اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد واخصص والدي	١٦	١٦	١٧
[٢٥] دعاؤه لولده	اللهمّ ومنّ عليّ ببقاء وُلدي	م٢٥	م٤٦	٤٢
[٢٦] دعاؤه لجيرانه	اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد وتولّني في جيراني	١٧	١٨	و١٩
[٢٧] دعاؤه لأهل الثغور	اللهمّ ألهم أهل الثغور ما لنا	١٨	١٨	٢٠
[٢٨] دعاؤه في التفزع	اللهمّ أخلصت بانقطاعي اليك	١٠	١٠	١١
[٢٩] دعاؤه إذا قتّر عليه	اللهمّ إنك ابتليتنا في أرزاقنا	١٢	١٢	١٣
[٣٠] دعاؤه في قضاءالدين	اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد وهب لي العافية	١٤	١٤	١٥
[٣١] دعاؤه بالتوبة	يا من لا يصفه نعت الواصفين	٢١	٢١	٢٥
[٣٢] دعاؤه في صلاة الليل	اللهمّ يا ذا الملك المتايد	١٥	١٥	١٦
[٣٣] دعاؤه في الاستخارة	اللهمّ اني استخيرك	٣٥	٣٤	م٣٣
[٣٤] دعاؤه إذا ابتلى بفضيحة بذنب	اللهمّ لك الحمد على سترك	٣٤	٣٣	٣٦
[٣٥] دعاؤه في الرضا بالقضاء	الحمد لله رضى بحكم الله	٢٧	٢٧	٣١
[٣٦] دعاؤه عند سماع الرعد	اللهمّ ان هذان آيتان من	٣٣	٣٢	٣٥
[٣٧] دعاؤه في الشكر	اللهمّ ان احدا لا يبلغ من شكرك	٢	٢/١	٣
[٣٨] دعاؤه في الاعتذار	اللهمّ اني اعتذر اليك من مظلوم	٨	٨	١٠

[٣٩] دعاؤه في طلب العفو	اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد واكسر شهوتي	٩	٩	م٣٩
[٤٠] دعاؤه عند ذكر الموت	اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد واكفنا طول	١٣	١٣	١٤
[٤١] دعاؤه في الستر والوقاية	اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد وافرش لي	١١	١١	١٢
[٤٢] دعاؤه عند ختمه القرآن	اللهمّ انك اعنتني على ختم	م٤٢	م٤٧	٢٣
[٤٣] دعاؤه إذا نظر إلى الهلال	أيها الخلق المطيع	٢٨	٢٨	٢٤
[٤٤] دعاؤه لدخول شهر رمضان	الحمد لله الذي هدانا لحمده	١٩	١٩	٢١
[٤٥] دعاؤه لوداع شهر رمضان	اللهمّ يا من لا يرغب في الجزاء	٢٠	٢٠	٢٢
[٤٦] دعاؤه في يوم الفطر والجمعة	يا من يرحم من لا يرحمه العباد	٣٦	٣٥	٣٧
[٤٧] دعاؤه لعرفة	الحمد لله رب العالمين اللهم لك الحمد	م٤٧	م٤٨	م٤٧
[٤٨] دعاؤه للأضحى والجمعة	اللهمّ أن هذا يوم مبارك	م٤٨	م٤٩	م٤٨
[٤٩] دعاؤه في دفع كيد الأعداء	إلهي هديتني فلهوت	م٤٩	م٥٠	٤٣
[٥٠] دعاؤه في الرهبة	اللهمّ انك خلقتني سويا	م٥٠	م٥١	م٥٠
[٥١] دعاؤه في التضرع والاستكانة	اللهمّ أحمدك وأنت للحمد اهل	٣٨	م٥٢	
[٥٢] دعاؤه في الإلحاح	يا الله الذي لا يخفى عليه	م٥٢	م٥٢	م٥٢
[٥٣] دعاؤه في التذلل	رب أفحمتني ذنوبي	م٥٣	م٥٣	م٥٣
[٥٤] دعاؤه في استكشاف الهموم	يا فارج الهم وكاشف الغم	م٥٤	م٥٤	م٥٤

ومن ملحقات الصحيفة:

[٥٥] تسبيح الإمام عليه السلام — اللهمّ سبحانك وحنانيك

[٥٦] دُعاءٌ وتَمجِيدٌ لَهُ عليه السلام — الحمد لله الذي تجلى للقلوب

[٥٧] ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام في التذلّلِ — مولاي مولاي انت المولى وأنا العبد

[٥٨] دُعاؤهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ في ذكر آل محمد اللهمّ يا من خص محمدا وآله بالكرامة م ٣٩

[٥٩] في الصلاة على آدم اللهمّ صلّ على آدم بديع فطرتك فقط من (ش) برقم ٤٤

ثم أورد سائر الأدعية الموجودة في ملحقات النسخة المشهورة، كما يلي:

[٦٠] ومِنْ دُعائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ في الكرب والإقالة إلهي لا تشمت بي عدوي

[٦١] وكان مِنْ دُعائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مما يخافه ويحذره إلهي أنه لا يرد غضبك إلّا حلمك

ثم أورد «أدعية الأسبوع»، كما يلي:

[٦٢] دعاء يوم الأحد

[٦٣] دعاء يوم الاثنين

[٦٤] دُعاء يوم الثلاثاء

[٦٥] دُعاء يوم الأربعاء

[٦٦] دُعاء يوم الخميس

[٦٧] دُعاء يوم الجمعة

[٦٨] دُعاء يوم السبت

ثم أورد «المناجاة الخمسة عشر»، كما يلي:

[٦٩] المناجاة الأولى للتائبين

[٧٠] المناجاة الثانية للشاكين

[٧١] المناجاة الثالثة للخائفين

[٧٢] المناجاة الرابعة للرّاجين

[٧٣] المناجاة الخامسة للراغبين

[٧٤] المناجاة السادسة للشاكرين

[٧٥] المناجاة السابعة للمطيعين

[٧٦] المناجاة الثامنة للمريدين

[٧٧] المناجاة التاسعة للمحبين

[٧٨] المناجاة العاشرة للمتوسلين

[٧٩] المناجاة الحادية عشر للمفتقرين

[٨٠] المناجاة الثانية عشر للعارفين

ثم الأدعية الأخرى، كما يلي:

الإسناد إلى الإمام زين العابدين عليه السلام:

أروي هذه النسخ من الصحيفة بعدّة طرق، أذكر منها:

ألف ـ ما أرويه بالإجازة عن المؤلف العلّامة الكبير السيد محمد حسين الحسيني الجلالي دام ظلّه الوارف، عن سماحة آية الله السيد محسن الحسيني الجلالي (قدّس سرّه)، المولود في سامراء يوم الجمعة الحادي والعشرين من محرم سنة ١٣١٣هـ، والمتوفى في كربلاء يوم العشرين من صفر ـ الأربعين الحسيني ـ سنة ١٣٩٦هـ، بطرقه المتعدّدة التي ذكر شطراً منها في إجازته المفصّلة لي بتأريخ شهر رمضان سنة ١٤٠٢هـ، وطُبعتْ تحت عنوان (إجازة الحديث) في دار المنار بالقاهرة، في أكثر من مئتي صفحة.

ب ـ ما أرويه عن سماحة العلّامة الحجّة السيد محمد صادق بحر العلوم (قدّس سرّه)، المولود في النجف الأشرف في ١٠ ذي القعدة سنة ١٣١٥هـ، والمتوفى ٢١ رجب سنة ١٣٩٩هـ، بطرقه العديدة التي فصّل عنها في إجازته، التي سمّاها (سلك اللآلي) كتبها في ٢٣ شوّال ١٣٩٧هـ، وهي في ١٢ صفحة.

ج ـ ما أرويه عن سماحة آية الله السيد شهاب الدين النجفي المرعشي (قدّس سرّه)، المولود في النجف الأشرف في العشرين من صفر سنة ١٣١٥هـ، والمتوفى في مدينة قم المقدّسة في ٧ صفر سنة ١٤١١هـ، بطرقه العديدة المدوّنة في (الطرق والأسانيد إلى مرويات أهل البيت عليهم السلام) المؤرخة أصيل يوم الجمعة لعشر مضين من ذي الحجّة سنة ١٤١٠هـ، وهي في ٢٩ صفحة.

فأقول وبالله التوفيق:

أروي إجازةً عن العلّامة السيد محمد حسين الجلالي أدام الله ظلّه، عن سماحة آية الله السيد محسن الجلالي (قدّس سرّه)، وعن العلّامة السيد محمد صادق بحر العلوم (قدّس سرّه)، وعن سماحة آية الله السيد المرعشي (قدّس سرّه).

٣ ـ جميعاً، عن سماحة آية الله العظمى السيد محمد هادي الخراساني (قدّس سرّه)، المولود في كربلاء يوم الجمعة غرّة ذي الحجة الحرام سنة ١٢٩٧هـ، والمتوفى فيها ليلة الأربعاء ثاني عشر ربيع الأوّل سنة ١٣٦٨هـ.

٤ ـ عن جماعة، منهم: الشيخ آقا بزرك الطهراني، المولود ليلة الخميس ١٢٣٩هـ، والمتوفى في النجف يوم الجمعة ١٣ ذى الحجة ١٣٨٩هـ.

٥ ـ عن الميرزا حسين النوري، المولود سنة ١٢٥٤، والمتوفى سنة ١٣٢٠هـ.

٦ ـ عن الشيخ مرتضى الأنصاري، المولود سنة ١٢١٤هـ، والمتوفى سنة ١٢٨١هـ.

٧ ـ عن المولى أحمد النراقي، المولود سنة ١١٨٥هـ، والمتوفى سنة ١٢٤٥هـ.

٨ ـ عن السيد مهدي بحر العلوم، المولود سنة ١١٥٥هـ، والمتوفى سنة ١٢١٢هـ.

٩ ـ عن الوحيد البهبهاني، المولود سنة ١١١٨هـ، والمتوفى سنة ١٢٠٨هـ.

١٠ ـ عن والده محمد أكمل.

١١ ـ عن المولى محمد باقر المجلسي، المولود سنة ١٠٣٧هـ، والمتوفى ١١١١هـ.

١٢ ـ عن والده المولى محمد تقي المجلسي، المولود سنة ١٠٠٢هـ، والمتوفى سنة ١٠٧٠هـ.

١٣ ـ عن الشيخ بهاء الدين محمد، المعروف بالشيخ البهائي، المولود سنة ٩٥٤هـ، والمتوفى سنة ١٠٣١هـ.

١٤ ـ عن والده الشيخ حسين بن عبد الصمد، المتوفى سنة ٩٨٤هـ.

١٥ ـ عن الشيخ زين الدين الشهيد الثاني، المستشهد سنة ٩٦٦هـ.

١٦ ـ عن المحقق الميسي، المتوفى سنة ٩٣٨هـ.

١٧ ـ عن شمس الدين محمد بن داود الجزيني، المعروف بابن المؤذن.

١٨ ـ عن الشيخين الجليلين محمد وعلي، ابني الشهيد الأوّل محمد بن مكي.

١٩ ـ عن والدهما محمد بن مكي الشهيد الأوّل، المستشهد سنة ٧٨٦هـ.

٢٠ ـ عن فخر المحقّقين محمد بن العلامة الحلّي، المتوفى سنة ٧٧١هـ.

٢١ ـ عن والده آية الله العلّامة الحلي، المتوفى سنة ٧٢٦هـ.

٢٢ ـ عن والده سديد الدين يوسف بن المطهر الحلّي.

٢٣ ـ عن المحقق الحلي صاحب الشرائع، المتوفى سنة ٦٧٦هـ.

٢٤ ـ عن فخار بن معد الموسوي، المتوفى سنة ٦٣٠هـ.

٢٥ ـ عن محمد بن إدريس الحلي، المتوفى سنة ٥٩٨هـ.

٢٦ ـ عن بهاء الشرف محمد بن الحسن بن أحمد العلوي.

٢٧ ـ عن محمد بن أحمد بن شهريار الخازن (صهر الشيخ الطوسي، ت/ ٤٦٠هـ).

٢٨ ـ عن أبي منصور محمد بن محمد بن أحمد بن عبد العزيز العكبرى المعدل.

٢٩ ـ عن أبي المفضل محمد بن عبد الله الشيباني (راوي الصحيفة عن المطهري ـ محمد بن أحمد بن مسلم ـ بواسطة).

٣٠ ـ عن جعفر بن محمد بن جعفر بن المطلّب.

٣١ ـ عن عبد الله بن عمر بن خطاب الزيّات.

٣٢ ـ عن علي بن النعمان الأعلم المصري، ابن الاعلم (راوي الصحيفة).

٣٣ ـ عن عمير بن المتوكل.

٣٤ ـ عن أبيه المتوكل، عمر بن هارون البلخي.

٣٥ ـ عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، والشهيد يحيى بن زيد.

٣٦ ـ عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام، والشهيد زيد بن علي.

٣٧ ـ عن الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام)، زين العابدين وسيّد الساجدين.

التعريف بالمتن المحقق في هذه النسخة:

اعتمدنا في المتن الموجود في هذه النسخة على ما حققناه مؤخرا من الصحيفة وهو اصدار جديد للصحيفة السجادية من إنشاء الإمام زين العابدين عليه السلام، قوبل على أربع روايات، هي: الرواية المشهورة الملفّقة من روايتي المطهري وابن الأعلم، ورواية علي بن مالك، ورواية الحسين بن أشكيب، ورواية عبيد الله بن الفضل الهاشمي.

وكان سيدنا الاستاذ قد اعتمد في شرحه هذا، على الجمع بين الرواية المشهورة أصلا ورواية ابن مالك فرعاً مع الإشارة إلى الخلاف.

كما أنا قمنا بتحقيق وطبع رواية علي بن مالك بإسناده عن الإمام زين العابدين، بصورة مستقلة، مع مقدمة ضافية في التعريف بها والبحث عن جوانب عديدة تتعلق بالصحيفة السجّاديّة، لسيدنا الأستاذ، قبل سنوات[1].

وأرسل إلينا مؤخراً سيدنا الأستاذ نسخة فريدة من رواية عبيد الله بن الفضل الهاشمي، كما حصلنا من جانبنا على طبعة من رواية الحسين بن أشكيب بإسناده عن الإمام زين العابدين مطبوعة بصورة مستقلة، في مركز التحقيقات الكومبيوترية للحوزة العلمية بأصفهان، سنة ١٣٨٣ش، مع مقدمة إضافية في التعريف بها للسيد أحمد سجادي.

فآثرنا الاعتماد في المتن على النسخة الجديدة المقابلة على الروايات الأربع بل الخمس من الصحيفة السجادية، عسى أن تكون معبّرة عن نصّ صحيح يقرب ممّا أملاه الإمام زين العابدين عليه السلام.

وقد بحث سماحة العلّامة السيد محمد حسين الجلالي في مقدمته لطبعتنا لرواية علي بن مالك، عمّا يجب معرفته عن الصحيفة، في «الدراسة المنيفة»[2]، يمكن الرجوع إليها للباحثين الكرام.

---

(١) طبع بعنوان «الصحيفة السجادية، برواية علي بن مالك»، في مؤسسة دليل ما في قم، سنة١٤٢٢هـ.

(٢) طبع هذا الكتاب بعنوان «دراسة حول الصحيفة السجادية»، في مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ـ بيروت؛ لبنان، سنة١٤٢٠هـ.

وعليه، فالمتن الموجود في هذا الشرح هو المتن المحقّق المقابل على نسخ معتمدة من الصحيفة، وقد يختلف في بعض العبارات عمّا اعتمده السيد الأستاذ دام ظله، وللتمييز بين المتنين وضعنا الزيادات بين معقوفتين، وعليه فالعبارات التي تكون بين معقوفتين هي ممّا لم يتعرّض لشرحها سيدنا الأستاذ، لأنها لم تكن في نسخته التي قام بشرحها.

ونقدم بياناً للرموز التي وضعناها في الهوامش، ليكون القارئ على بصيرة من المصدر الذي اعتمدنا عليه في هذه المحاولة الجديدة في عرض هذا الكتاب الكريم.

منهج التحقيق:

قمنا بالعمل على هذا الشرح الشريف لغرض إخراجه بصورة لائقة، بعدما وضعنا منهجاً جديداً في عرض المتن المحقّق يتضمّن النقاط التالية:

١ ـ أثبتنا عناوين الأدعية في النسخة المعتمدة بين معقوفتين متميّزتين في الشكل؛ لأغراض فنيّة لا تخفى على ذوي الاختصاص.

٢ ـ قمنا بوضع أرقام متسلسلة تشير إلى رقم الدعاء إضافة إلى رقم الفقرة من الدعاء، للتمييز بين الفقرات الواردة في الكتاب، وهي تعين الباحث على التعرّف على محتوى الفقرات بصورة إجمالية.

٣ ـ كما قمنا بمقابلة رواية ابن مالك المقابلة مع المشهورة، الذي رمزنا له بالحرف (ك)، ومع رواية ابن أشكيب، الذي رمزنا له بالحرف (ش)، ومع نسخة الجباعي، الذي رمزنا له بالحرف (ج)، وراجعنا نسخ معتمدة عند العلماء ومنها: نسخة الشهيد رحمه الله، فتحصل المتن من مقابلة عدّة روايات للصحيفة، وهي: رواية المشهورة ورواية ابن مالك ورواية ابن أشكيب، ورواية عبيد الله بن الفضل، مع عدّة نسخ معتمدة من الصحيفة، كما أشرنا إلى موارد الاختلاف في الهوامش.

٤ ـ حوّلنا رسم كتابة بعض الكلمات إلى الرسم المتداول، وهي قليلة، وقد أشرنا في الهامش إلى صورة ما كانت عليه في الأصل.

٥ ـ حاولنا تفسير بعض الكلمات الغريبة الواردة في المتن بالاستعانة

بهوامش النسخ المعتمدة وكتب اللغة. وذكرنا توضيح ما يحتاج إلى بيان من الفقرات والكلمات في هوامش الكتاب.

٦ـ وقمنا باستخراج الآيات الكريمة، والإشارة إلى مواقعها في القرآن الكريم، وكذلك الأحاديث الشريفة.

٧ ـ كما حاولنا الرجوع إلى بعض شروح العلماء كالسيد المدني والسيد الداماد والسيد الجزائي وغيرهم لتوضيح بعض الفقرات عند الضرورة، وحصرنا الاستظهار بين معقوفتين، هكذا: [].

الإصطلاحات والرموز المستخدمة في الهوامش

الرواية المشهورة الملفقة من روايتي المطهري وابن الأعلم= ط.

رواية علي بن مالك، نسخة المكتبة الرضوية = ر.

رواية علي بن مالك، نسخة مكتبة المرعشي = ك.

رواية الحسين بن أشكيب = ش.

رواية عبيد الله بن الفضل الهاشمي، م/ ايا صوفيا، برقم ٢٨١٩ = ف.

حاشية ابن ادريس الحلي (ت/ ٥٩٨) = س.

نسخة الشهيد الأوّل (ت/ ٧٨٦) = د.

نسخة الجباعي العاملي، جد الشيخ البهائي (ت/ ٨٨٦) = ج.

النسخة التركية، المؤرخة بسنة ٦٩٧هـ، م/ ايا صوفيا، برقم ١٩٤٦= ت.

النسخة الزيدية، المستنسخة في ١٤/ ١١/ ١١٤٥هـ، م/ الجامع الكبير بصنعاء = ز.

نسخة مركز إحياء التراث ـ قم، برقم: ٢٦٦٤ = ي.

نسخة مكتبة إحياء التراث ـ قم، برقم: ١١٧٠= م.

نسخ متفرقة بتواريخ متأخرة نشير إليها بـ (بعض النسخ).

كما نقصد بـ (نسخة الأصل) في «ملحقات الصحيفة»: النسخة المعتمدة في إدراج الدعاء، وهي مذكورة ومعرّفة في أوّل الدعاء المعني.

شرح الصحيفة للسيد محمد باقر الداماد (ت/ ١٠٤١) = الداماد.

شرح السيد علي خان المدني (ت/ ١١٢٠) = رياض السالكين.

هذا، ونأمل أنْ نكون قد وُفِّقنا لإبداء خدمة متواضعة في تعريف القارىء بالعمل على تحقيق هذا الشرح الفريد للصحيفة السجادية للإمام السجاد عليه السلام، وان يكون الكتاب ناجعاً في التعرف على التراث الغني الذي تركه الإمام السجاد للأمة الإسلامية، والذي له الأثر البالغ في اتخاذ المواقف الصحيحة تجاه ما يلزمنا القيام به من أداء الحقوق اللازم رعايتها في حياتنا؛ لنتوفق في نيل رضى الله سبحانه والعيش في الحياة الكريمة التي أرادها الله للإنسان على الأرض والفوز بالجنة في الآخرة عند لقاء الله سبحانه.

والله هو المسؤول في ان يجعل هذا العمل من الباقيات الصالحات ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم.

وفي الختام: نشكر الله سبحانه على التوفيق لإتمام هذا العمل، ونسأله بفضله أن يتقبّل ذلك، وأن يديم التوفيق لسماحة العلّامة المجاهد السيد محمد حسين الجلالي الذي اهتمّ بإحياء هذا الأثر للإمام السجّاد عليه السلام، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم بمنّه وكرمه، إنّه وليّ التوفيق.

كربلاء المقدسة:

رحيم الحسيني

في ١٠ جمادى الأولى ١٤٣٥هـ



نماذج مصوّرة
من النسخ المخطوطة المعتمدة
في تحقيق المتن

بسم الله الرحمن الرحيم
حدثنا ابو علي بن همام بن سهيل الاسكاف
ببغداد قال حدثنا علي بن مالك عن احمد
بن عبد الله قال حدثنا محمد بن صالح عن عمير بن
المتوكل بن هرون قال حدثني ابي المتوكل
قال لقيت يحيى بن زيد بعد قتل ابيه وهو متوجه
الى خراسان فسلمت عليه فقال من اين اقبلت فقلت
من الحج فسألني عن اهله وبني عمه فاخبرته
بخبرهم وحزنهم على ابيه فقال كان عمي

صورة الصفحة الأولى من الصحيفة برواية علي بن مالك

وأسعد بهم يا إله العالمين ومن دعائه
عليه السلام لأهل الثغور والحصون
اللهم المفهم أهل الثغور علم ما لنا من الحق
في خمس الغنائم الذي يغنمونه فإن ذلك
عوض مما حرمته علينا على لسان نبيك
من الصدقة التي هي غسالات الذنوب
التي تنزهها منك لنبيك وآله وذريته
وولده وعترته وما على ما نصا اباه من
الذنوب ومن عظيم الحوب وانتقامك
ممن ظلمنا عاجلا وآجلا اللهم حصن
ثغور المسلمين بعزتك وأيد حماتها بقوتك

صورة من الدعاء رقم (٢٧) من رواية ابن مالك مما لا يوجد المقطع الأول منه في النسخ المتداولة

تنطفئون وهذا دعاؤه عليه السلام في
ذكر الموت اللهم اكفنا طول الأمل
وقصّره عنا بصدق العمل حتى لا نؤمل استتمام
ساعة بعد ساعة ولا استيفاء يوم بعد يوم
ولا اتصال نفس بنفس ولا لحوق قدم بقدم
سلّمنا من غروره وآمنّا من شروره وانصب
الموت بين أعيننا نصبا ولا تجعل ذكرنا إياه
غبّا واجعل لنا من صالح الأعمال عملا
نستبطئ معه المصير إليك ونحرص له على
وشك اللحاق بك حتى يكون الموت مأنسنا
الذي نأنس به ومألفنا الذي نشتاق إليه

بلاغ في أعلى الصفحة، ونصّه: «بلغ عند مستجمع العلوم شيخ الإسلام والمسلمين زين الملّة والدين مدّ ظله، أيّده الله تعالى»

كأفضل ما صلّيت على أحد قبله وأنت مصلٍّ
على أحد بعده وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة
حسنة وقنا عذاب النار وهذا دعاؤه
عليه السلام في استجابة دعائه
اللهم قد أكدى الطلب وأعيت الحيل
إلا عندك وضاقت المذاهب وامتنعت المطالب
وعسرت الرغائب وانقطعت الطرق إلا إليك
وتصرّمت الآمال وانقطع الرجاء إلا منك وخابت
الثقة وأخلف الظن إلا بك اللهم إني أجد
سبل المطالب إليك منهجة ومناهل الرجاء
لديك مترعة وأبواب الدعاء إليك مفتّحة واعلم

صورة الدعاء رقم (٣٧) من رواية ابن مالك، لا يوجد في المشهورة وأوردناه في هذا الكتاب برقم (٨٦)

صورة الصفحة الأولى من النسخة الرضوية

صورة الصفحة الأخيرة من رواية ابن مالك

صورة الصفحتين الأخيرتين من النسخة الرضوية

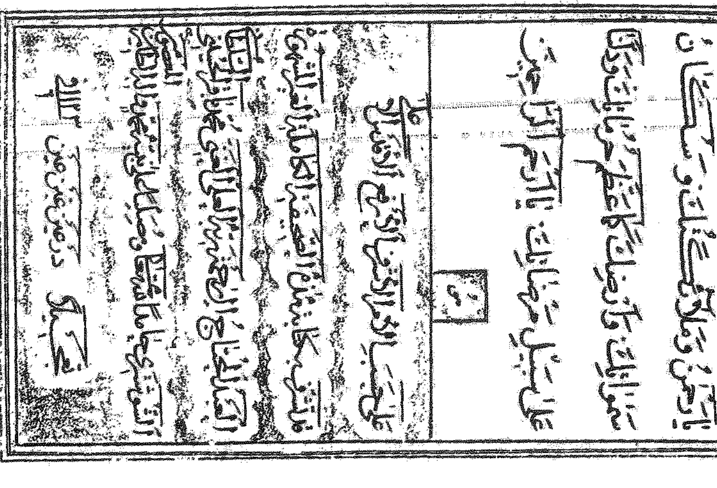


بسم الله الرحمن الرحيم
قال حدثني محمد بن الوارث قال حدثنا
الحسين بن اشكيب عن عمير بن هرون بن
المتوكل البلخي قال حدثني ابي قال لقيت
يحيى بن زيد بعد قتل ابيه وهو متوجه الى
خراسان فسلمت عليه فقال لي من اين اقبلت



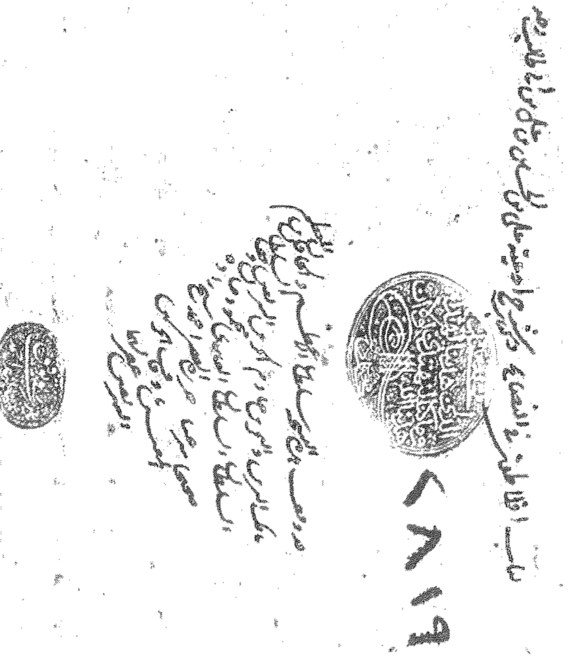
قلت من الحج فسألني عن اهله فاخبرته بخبرهم
على ابيه فقال لي قد كان عمي عليه السلام
يعني محمد بن علي الباقر اشار عليه بترك الخروج
وعرفه ما صار اليه امره فهل لقيت ابن عمي
جعفر بن محمد عليهما السلام قلت نعم قال فهل
سمعته يذكر من امري شيئا قلت جعلني
الله فداك ما احب ان استقبلك بما سمعت
منه فتبسم ثم قال ابالموت تخوفني هات ما
سمعت منه قلت سمعته يقول انك تقتل

صورة الصفحتين الأوّلتين من نسخة ابن اشكيب



صورة الصفحتين الأخيرتين من نسخة ابن الشكيب

صورة الصفحة الأولى من نسخة عبيدالله بن الفضل

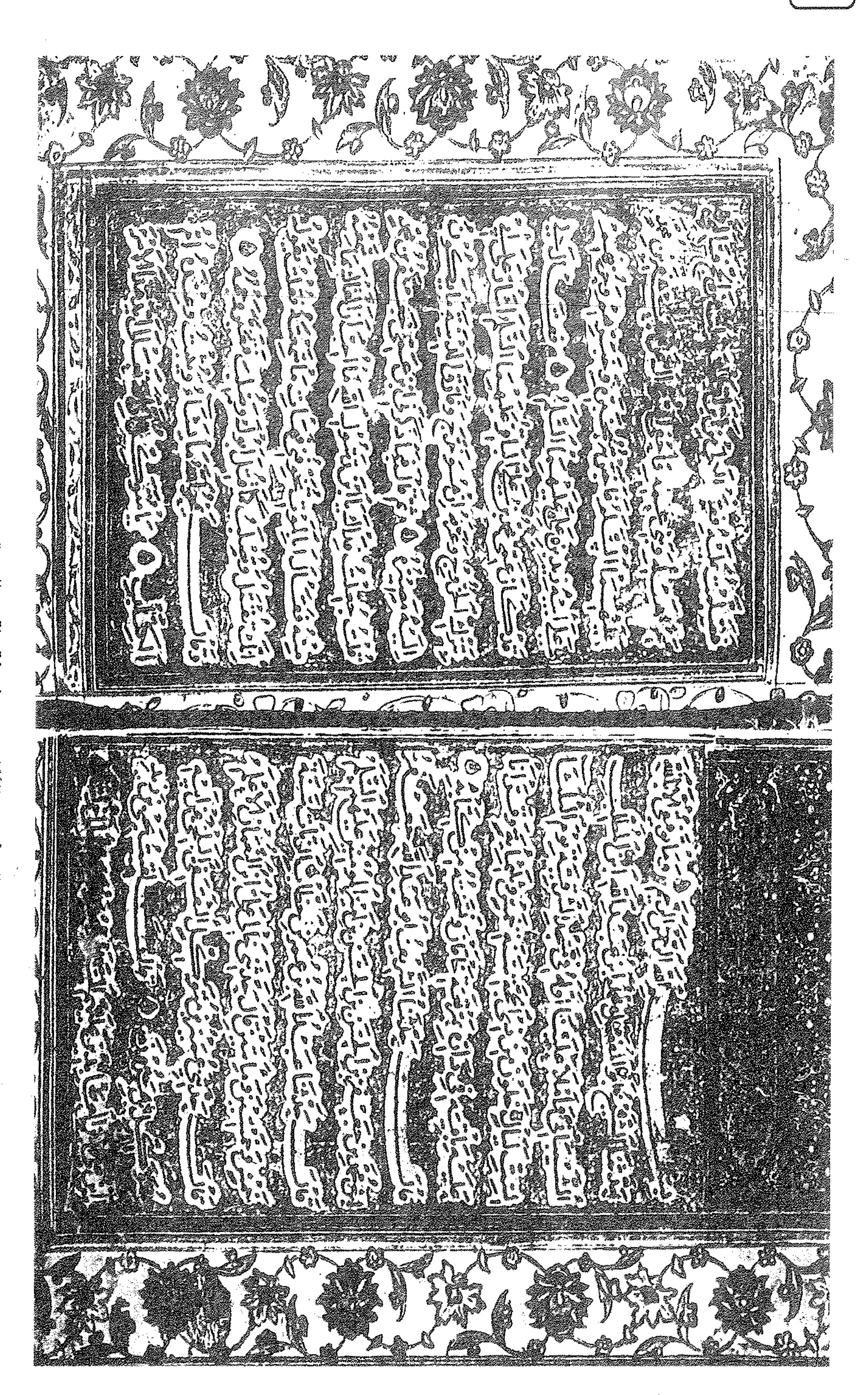


صورة غلاف نسخة عبيدالله بن الفضل

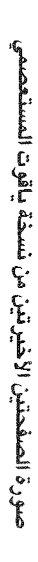
عليه فقد أظهرت الحجج وأبنت الأعذار وقد
تقدمت بالوعيد وتلطفت بالترغيب وضربت
الأمثال وأطلت الإمهال وأخرت وأنت مستطيع
للمعاجلة وتأنيت وأنت مليء بالمبادرة ولم يكن
أناتك عجزا ولا إمهالك وهنا ولا إمساكك غفلة
ولا انتظارك مداراة بل لتكون حجتك الأبلغ و
كرمك الأكمل وإحسانك الأوفى ونعمتك
الأتم كل ذلك كان ولم تزل وهو كائن ولا تزال
نعمتك أجل من أن توصف بكلها ومجدك أرفع
من أن تحد بكنهه وإحسانك أكثر من أن تشكر
عليه على أقله فقد قصر بي السكوت عن تحميدك
وفههني الإمساك عن تمجيدك لا رغبة عنك يا إلهي بل
عجزا فها أنا ذا أؤمك بالوفادة وأسألك الرفادة فاسمع
نجواي ولا تختم بخيبتي ولا تجبهني بالرد في مسألتي
وأكرم من عندك منصرفي إنك غير ضائق عما تريد ولا

عاجز عما تشاء وأنت على كل شيء قدير
تمت الصحيفة الكاملة عن الإمام بن الإمام علي
بن الحسين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأجداده
الطاهرين والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله

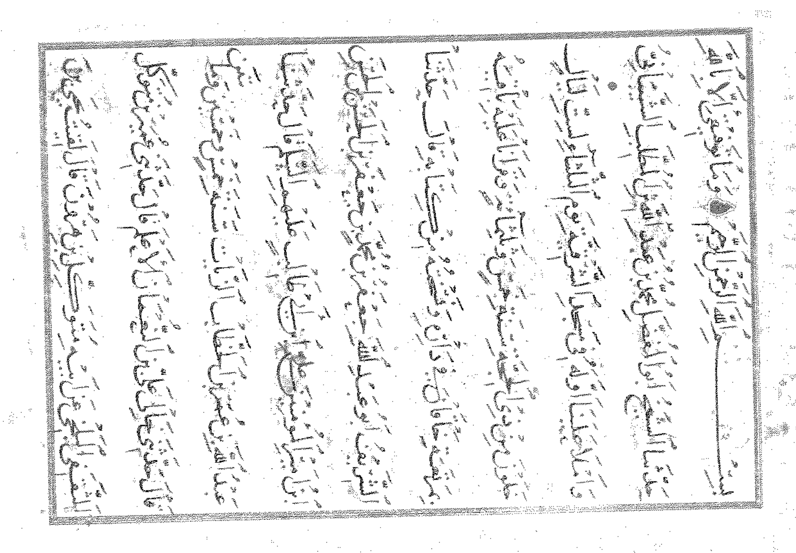
صورة الصفحتين الأخيرتين من نسخة عبيدالله بن الفضل



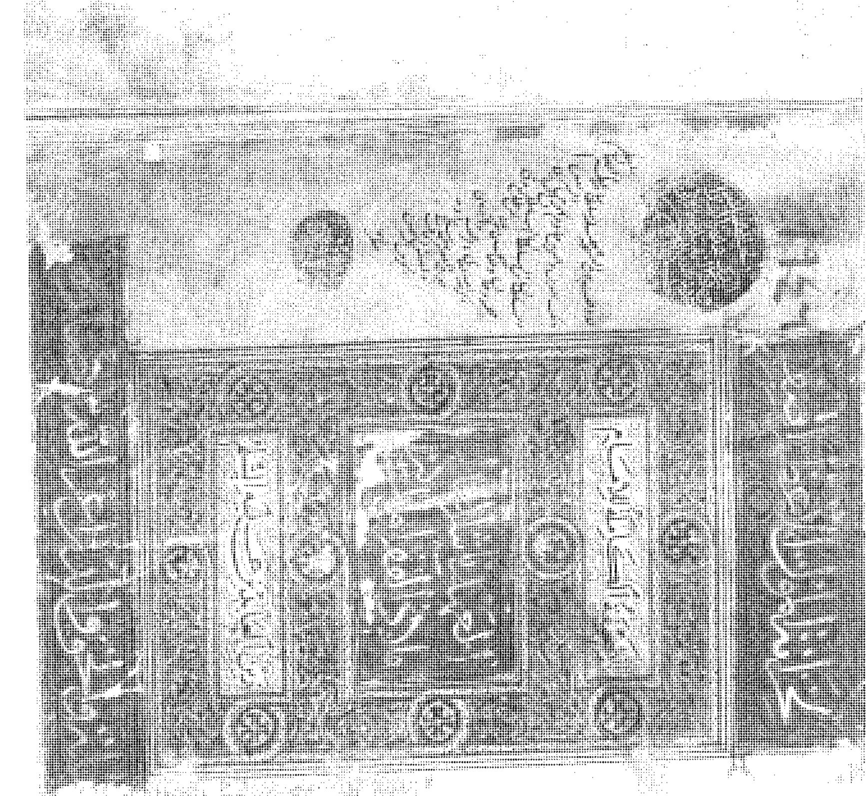
صورة الصفحتين الأوليين من نسخة ياقوت المستعصمي



صورة الصفحتين الأخيرتين من نسخة ياقوت المستعصمي

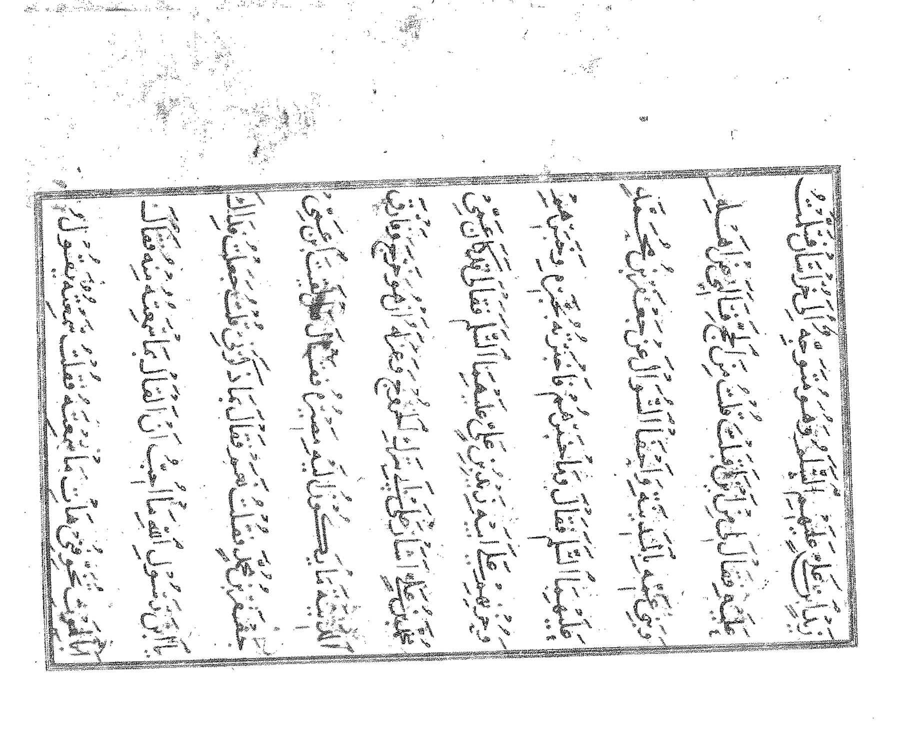


صورة الصفحة الأولى من النسخة التركية



صورة الغلاف من النسخة التركية

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة التركية



صورة الصفحة الثانية من النسخة التركية



صورة الصفحتين الأولتين من نسخة الشيخ الجباعي

صورة الصفحتين الأخيرتين من نسخة الشيخ الجباعي



صورة الصفحة الأولى من نسخة الشهيد رحمه الله

صورة الصفحة الأخيرة من نسخة الشهيد رحمه الله

كلمة الشارح

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين

وبعد، فقد أتحفني شقيقي الأعز العلّامة الأجلّ السيد محمد جواد الجلالي، أدام الله له الجلال والكمال، بطبعة جديدة لـ «الدراسة المنيفة حول الصحيفة السجادية» للامام زين العابدين عليه السلام (ت / ٩٥هـ). الّتي كتبتها عام ١٣٩٤ في التعريف برواية ابن مالك، وقد حققها دام فضله الوارف بحلّة قشيبة تخرج في مدرسة اهل البيت عليهم السلام لأوّل مرّة.

وقد اكتفيت فيها بشرح الاسناد خاصة؛ لضرورة ذلك في التعريف برواية ابن مالك الّتي تختلف في بعض الفقرات والجمل والمقاطع والأدعية عن المشهورة، ثم شرحت الخطبة فقط، دون المتن؛ لكثرة الشروح، وقد اشرت إليها في الدراسة، وخاصة أنّ أغناها هو شرح «رياض السالكين» للسيد علي خان المدني (ت / ١١٢٠هـ) وهو متداول.

ولكنّه ـ أدام الله فضله ـ طلب منّي أن أشرحه شرحاً وجيزاً على غرار ما فعلت في «أوضح البيان في تفسير القرآن» فنزلت عند رغبته، وخاصّة أننا في شهر رمضان، وهو ربيع الطاعة والرضوان، واعتمدت على طبعة السيد محمد المشكاة عام ١٣٦١، لاعتماده على نسخة المجلسي المؤرخة سنة ١٠٨٠، المشهورة والذي بجهوده اشتهرت الرواية المشهورة.

وحاولت الجمع بين أصلا ورواية ابن مالك فرْعاً بالإشارة إلى الخلاف[1].

---

(١) قد ذكرنا في المقدمة: أننا جعلنا في المتن النسخة المحققة التي اعتمدنا فيها على الجمع =

عسى أن يكون عوناً لمن يعيش أجواءها، وأن لاينسانا من خالص الدعاء في مظان الإجابة.

ولم أعتمد فيه سوى الشرح المذكور والمتن على رواية ابن مالك مع المقابلة مع المشهورة، وعلى الله التوكّل في كلّ الأمور.

الفقير إلى الله
محمد حسين الحسيني الجلالي
أحسن الله إليه

= بين الروايات المعتبرة للصحيفة. وعليه، فالمتن الموجود في هذا الشرح قد يختلف في بعض العبارات عما اعتمده السيد الاستاذ، وللتمييز بين المتن الاصلي والزيادات التي وقفنا عليها أثناء التحقيق، وضعنا الزيادات بين معقوفتين، وعليه، فالعبارات التي تكون بين معقوفتين هي مما لم يتعرض لشرحها سيدنا الاستاذ، لانها لم تكن في متن النسخة التي قام بشرحها.

[سند الصحيفة]

بسم الله الرحمن الرحيم

حدّثنا[1] السيد الأجلّ نجم الدين بهاء الشرف أبو الحسن محمّد بن

(1) جاء في هامش الصحيفة الجامعة، للسيد الابطحي ص٦١١ ـ ٦١٥، ما نصه: اختلف المتأخرون في تحديد القائل «حدثنا»، فالشيخ البهائي يستظهر مؤكدا أنه أبو الحسن علي بن محمد بن محمد ابن السكون الحلي النحوي الشاعر، المتوفى حدود سنة (٦٠٦) وينكر كونه من مقول السيد عميد الرؤساء. (أنظر: رياض العلماء ٥: ٣٠٩ والذريعة ١٥: ٨). والمحقق الداماد يستظهر في شرح الصحيفة ص٤٥، أن قائل: «حدثنا»، هو عميد الرؤساء هبة الله بن حامد بن أحمد بن أيوب اللغوي المشهور. أما في رياض العلماء، فإن الاحتمالين متساويان، قال الميرزا عبد الله أفندي في كتابه المذكور (٥: ٣٠٩): الحق عندي أن القائل به كلاهما لأنهما في درجة واحدة. ويلاحظ أن والد العلامة المجلسي روى الصحيفة السجادية كما سيأتي في إجازات وأسانيد الصحيفة بأسانيده إلى ابن إدريس وعميد الرؤساء وابن السكون. أضف إلى ذلك أن المجلسي ذكر في البحار (١٠٧: ٢٦) أنه وجد نسخة قديمة من الصحيفة الكاملة بخط الشيخ حسين بن حسن. يأتي ذكرها أيضاً كتب عليها ما صورته: «صورة ما على الأصل: وعليها ـ أعني النسخة التي بخط ابن السكون- خط عميد الرؤساء، قراءةً صورتها: قرأها عليّ السيد الأجل النقيب الأوحد العالم جلال الدين عماد الاسلام أبو جعفر القاسم بن الحسن بن محمد ابن الحسن بن معية أدام الله علوّه، قراءة صحيحة مهذبة، ورويتها له عن السيد بهاء الشرف أبي الحسن محمد ابن الحسن بن أحمد، عن رجاله المسمّين في باطن تلك الورقة، وأبحته روايتها عني حسب ما وقفته له، وحددته له. وكتب هبة الله بن حامد بن أحمد بن أيوب بن علي بن أيوب، في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستمائة، والحمدلله الرحمن الرحيم، وصلواته وتسليمه على رسوله سيدنا محمد المصطفى وعلى آله الغر الميامين». وقد كان هذا مكتوبا في آخر صحيفة شمس الدين محمد بن علي الجبعي التي نقلها من خط الشهيد الأوّل =

الحسن بن أحمد بن عليّ بن محمّد بن عمر بن يحيى العلوي الحسيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال:

محمد بن مكي، ونقلها هو من خط علي بن أحمد السديد، وهو بدوره نقلها من خط علي بن السكون، وكان على هذه النسخة ـ أي نسخة ابن السكون ـ إجازة عميد الرؤساء بخطه، كما في البحار (١٠٧: ٢١٢). وهذه الإجازة هي التي ذكرها الداماد في شرحه واحتج بها، فقال إنه عميد الرؤساء. ونقلها أيضاً الميرزا عبد الله أفندي في رياض العلماء ٤: ٣٩٦ نقلا عن نسخة من الصحيفة الكاملة رآها في بلدة «أدرنة» من بلاد الروم، وكانت من نسخة بعض علماء جبل عامل. ورآها أيضاً في بلدة «أردبيل» على نسخة أخرى من الصحيفة الكاملة، وكانت نسخة عتيقة جداً عليها صورة خط الشهيد الأوّل. وقال: «من هذا الكلام الذي نقلناه من الإجازة في ظهر نسخة الصحيفة الكاملة المذكورة، يظهر أن السيد ابن معية ـ هذا ـ يروي الصحيفة عن ابن السكون، وعن عميد الرؤساء أيضا، وهما يرويانها عن السيد بهاء [الشرف] المذكور، وأن القائل بلفظ» حدثنا «في صدر الصحيفة كلاهما، فارتفعت المنازعة. (راجع البحار ١٠٧: ٢٦ و٢١٢، ورياض العلماء ٥: ٣٠٩).

واحتمل الأفندي في الرياض ٦: ٢٣، أن يكون الراوي هو الشريف الجليل نظام الشرف أبو الحسن العريضي. وذكر الحر العاملي في أمل الآمل ٢: ١٦٩: أن الشيخ عربي بن مسافر العبادي روى الصحيفة السجادية الكاملة، عن بهاء الشرف بالسند المذكور في أولها. وذكر المجلسي رواية بعض الأفاضل للصحيفة الكاملة في البحار ١١٠: ٦٢ ـ وسيأتي ذكرها في الإجازات والأسانيد ـ أنه يرويها بأسانيده إلى الشيخ علي بن يحيى الخياط، عن حمزة بن شهريار، عن السيد بهاء الشرف. وذكر الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني في إجازته الكبيرة للسيد نجم الدين بن السيد محمد الحسيني في البحار (١٠٩: ٤٧): إن الشيخ نجم الدين جعفر بن نما يروي الصحيفة الكاملة بالإجازة، عن والده، عن الشيخ محمد بن جعفر المشهدي بسماعه بقراءة الشريف الأجل نظام الشرف أبي الحسن بن العريضي؛ ذكر رحمه الله في هامش الإجازة: هكذا اتفقت عبارة الشيخ نجم الدين المذكور، والظاهر أن المراد بنظام الشرف: بهاء الشرف، فتكون رواية ابن جعفر لها من وجهين: السماع والقراءة، فالأوّل عن السيد بهاء الشرف بغير واسطة، والثاني بواسطة الجماعة المذكورين. إنتهى. أقول: سيأتي ما يخالف القولين عند ذكر نظام الشرف أبو الحسن بن العريضي في شوال سنة ٥٥٦ وقراءته أيضاً على والده جعفر بن علي المشهدي، وعلى الشيخ الفقيه هبة الله بن نما، والشيخ المقرئ جعفر بن أبي الفضل بن شقرة، والشريف أبي القاسم بن الزكي العلوي، والشريف أبي الفتح بن الجعفرية، والشيخ سالم بن قبارويه، جميعا عن السيد بهاء الشرف. ويرويها نجم الدين بالإجازة، عن والده، عن الشيخ أبي الحسن علي بن الخياط، عن الشيخ عربي بن مسافر، عن السيد بهاء الشرف. إنتهى.

أخبرنا الشيخ السعيد أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن شهريار الخازن لخزانة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في شهر ربيع الأوّل من سنة ستّ عشرة وخمسمائة قراءة عليه وأنا أسمع، قال: سمعتها على الشيخ الصدوق أبي منصور محمّد بن أحمد بن عبد العزيز العكبري المعدّل رحمه الله، عن أبي المفضّل محمّد بن عبد الله بن المطلب الشيباني، قال[١]: حدّثنا الشريف أبو عبد الله جعفر بن محمد بن جعفر بن الحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: حدثنا عبد الله بن عمر بن خطّاب الزيّات سنة خمس وستين ومائتين، قال: حدّثني خالي علي بن النعمان الأعلم[٢]، قال: حدثني عمير بن متوكّل الثقفي البلخي، عن أبيه متوكّل بن هارون.

قالَ: لَقيتُ يَحيى بْنَ زَيد بن علي بَعْدَ قَتْلِ أبيهِ[٣] وَهُوَ مُتَوَجِّهٌ إلى خُراسَانَ، فَسَلّمتُ عَليهِ، فَقالَ لي: مِنْ أيْنَ أقْبَلْتَ؟

قُلتُ: من الحجِّ، فسَألَني عن أَهْلِه وَبني عَمِّه بالمدينة[٤]، وأحفى في السؤال[٥] عن جعفر بن محمد عليهما السلام، فأَخْبَرتُه بِخبرِه وخبرِهم وَحُزْنِهم عَلى أبيهِ زيد بن علي (عليهما السلام)[٦].

---

(١) في حاشية (ج) في هذا الموضع: سند الشيخ الطوسي إلى الصحيفة، ونصّه: «حدثنا الشيخ الأجل السيد الإمام السعيد أبو علي الحسن بن محمد بن الحسن الطوسي أدام الله تأييده في جمادى الآخرة من سنة إحدى عشرة وخمسمائة، قال: أخبرنا الشيخ الجليل أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، قال: أخبرنا الحسين بن عبيد الله الغضائري، قال: حدثنا أبو الفضل محمد بن عبيد الله بن المطلب الشيباني في شهور سنة خمس وثمانين وثلاثمائة، قال: حدثنا الشريف أبو عبد الله جعفر بن محمد بن جعفر بن الحسن» إلى آخر السند الذكور في المتن.

(٢) في حاشية (ج): «الأعلم: المشقوق الشفة العليا، والافلح: المشقوق السفلى، قاله ابن خلكان في وفيات الاعيان». وهذا النص بخط الشيخ البهائي قدس سره.

(٣) عبارة «بعد قتل ابيه» من حاشية (ك) (ج).

(٤) عبارة «بالمدينة» لم ترد في (ق).

(٥) في (ق) (د) (ط): «وأحفى السؤال»، وفي حاشية (ج): «الحفي: المستقصي في السؤال، وأحفى: أطال في المسألة وأكثر وألح».

(٦) في (ج) (د): «عليه السلام».

فقال لي: قد كانَ عمِّي محمد بن علي عليه السلام[١] أشارَ عَلى أبي بِتَرْكِ الخُروُجِ، وَعَرَّفَهُ إن هو خرج وفارق المدينة ما يكون إلَيْه مصير أمْره[٢].

فهل لَقِيْتَ ابْن عَمِّي جَعْفَر بن محمد (عليهما السلام)[٣]؟

قُلْتُ: نَعَمْ[٤].

قَالَ: فهل سَمِعْته يَذْكُرُ شَيْئاً مِنْ أمْرِي؟[٥]

قُلْتُ: نعم.

قال: بم ذكرني؟ خبّرني؟[٦].

قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ[٧] ما أُحِبُّ أنْ أسْتَقْبِلَكَ[٨] بِمَا سمِعْتهُ مِنْهُ.

فقَالَ[٩]: أبالْمَوتِ تُخَوِّفُنِي؟ هاتِ[١٠] ما سَمِعْتَهُ[١١].

---

(١) في (ق): «محمد بن علي الباقر عليهما السلام».

(٢) في (ق): «مصيره». والعبارة في نسخة ابن اشكيب هكذا: «فأخْبَرتُه بِحُزْنِهِم عَلى أبيهِ، فقال لي: قد كانَ عمِّي (عليه السلام) يعني محمد بن علي الباقر أشارَ عَليه بِتَرْكِ الخُروُجِ وَعَرَّفَهُ ما صار الَيْه أمْره»، والعبارة من قوله: «بالمدينة وأحفى... إلى هنا» لم ترد في (ف)، وفيها بدلها: «وخبرته بحزنهم على ابيه، فقال: قد كانَ عمِّي صلوات الله عليه وآله ن يعني محمد بن علي (عليه وآله السلام) أشارَ بِتَرْكِ الخُروُجِ، وَعَرَّفَهُ إلى ما صار اليه أمْره».

(٣) في (ج) (د) (ط): «عليه السلام».

(٤) لم يرد «فهل لَقِيْتَ ابْن عَمِّي جَعْفَر بن محمد (عليهما السلام)؟ قُلْتُ: نَعَمْ» في (ش).

(٥) في (ش) (ف) زيادة: «شيئاً».

(٦) لم يرد «قُلْتُ: نعم. قال: بم ذكرني؟ خبّرني؟» وعبارة: «فهل لَقِيْتَ ابْن عَمِّي جَعْفَر بن محمد (عليهما السلام)؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فهل سَمِعْته يَذْكُرُ شَيْئاً مِنْ أمْرِي؟ قُلْتُ: نعم. قال: بم ذكرني؟ خبّرني؟» لم ترد في (ق)، وبدلها ما يلي: «قال: فبم ذكرني جعفر بن محمد؟».

(٧) في (ق) زيادة: «يا بن رسول الله».

(٨) في (ق): «ألقاك».

(٩) في (ش) (ف) العبارة هكذا: «فتبسم ثم قال».

(١٠) في حاشية (ج): «هات ـ بكسر التاء ـ: أعطني. قاله الجوهري، ولا يقال للإثنين: هاتا، لأنها موضوعة للمؤنث، بل هاته. قاله الجوهري». وهذا النص بخط الشيخ البهائي قدس سره.

(١١) في (ش) العبارة هكذا: «ما سمعت منه». وفي (ف) العبارة هكذا: «فهل سمعته بالموت يخوفني؟ هات ما سمعت».

فَقُلتُ: سَمِعتُهُ(١) يقولُ: إنَّكَ تُقْتَلُ وتصلب كما قتل أبوك وصلب.

فتغيّر وجهه وقَالَ(٢): ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾(٣)، يا مُتوَكِّلُ إنَّ اللَّهَ تعَالى(٤) أَيَّدَ هذا الدين(٥) بِنا، وجعَلَ لنا العِلْمَ والسَّيْفَ، فَجمعا لنا(٦)، وخص بنو(٧) عَمِّنا بالعِلْمِ وَحْدَهُ.

فقُلْتُ: جُعِلْتُ فِداكَ(٨)، إنِّي رَأيْتُ النّاسَ إلى ابْنِ عَمِّكَ جعفر عليه السلام أمْيلَ(٩) مِنْهُمْ إلَيكَ وَإلى أبيكَ.

فقالَ: إنَّ عَمِّي محمد بن علي وابنه جعفراً عليهما السلام(١٠) دَعَوا الناس(١١) إلى الحَياةِ، ونَحْنُ دَعوناهُم إلى المَوتِ.

فقُلتُ: يابنَ رسُولِ اللّهِ، أهُم(١٢) أعْلَمُ أمْ أنْتُمْ؟

فَأطرقَ إلَى الأَرضِ مَلِيّاً(١٣) ثُمَّ رَفَعَ رَأْسهُ(١٤) وقال(١٥): كُلُّنا لَهُ عِلْمٌ، غيرَ أنَّهم يَعْلَمُونَ كلّ ما نَعْلَمُ، وَلا نَعْلَمُ كلّ ما يَعْلَمُونَ.

---

(١) لم ترد: «سمعته» في (ق).

(٢) في (ش) (ف) العبارة هكذا: «فَقُلتُ: سَمِعتُهُ يقولُ: إنَّكَ تُقْتَلُ قتلة ابيك وتصلب كما صلب، فقَالَ: ...».

(٣) القرآن الكريم، سورة الرعد ١٣: ٣٩.

(٤) لم ترد في (ج): تعالى، وفي حاشية (ج): «عز وجل».

(٥) في (ج) (ط): «الامر».

(٦) في (ش): «فَجمعهمالنا». ولم ترد في (ف): «فَجمعمالنا».

(٧) في (ش): «بني».

(٨) في (ف): «جعلني الله فداك».

(٩) في (ش) (ف): «أمْيلَ إلى ابْنِ عَمِّكَ».

(١٠) في (ف): «ان عمي وابنه».

(١١) في (ش): «دعواهم». وفي (ف): «دعوهم».

(١٢) في (ش) (ف): «فهم».

(١٣) في حاشية (ج): «ساعة طويلة».

(١٤) في حاشية (ج): «رأسه، راسه ـ معا».

(١٥) في (ق): «فقال».

ثُمَّ قَالَ: هَلْ كَتَبْتَ[١] مِنْ[٢] ابْنِ عَمِّي شَيئاً؟

قُلتُ[٣]: نَعَمْ.

قَالَ: أَرِنِيهِ.

فأخْرَجْتُ إليهِ[٤] وجوهاً من العلم، وأخرجت له دُعاءً[٥] أمْلاهُ عَلَيَّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام وَحَدَّثَنِي أَنَّ أَباهُ مُحَمَّد بن علي (عليهما السلام) أمْلاهُ عَلَيْهِ وَأخبره أنه من دعاء أبيه علي بن الحسين عليهما السلام من دعاء «الصحيفة الكاملة»[٦].

فَنَظَرَ فِيهِ يحيى[٧] حَتَّى أَتَى عَلَى[٨] آخِرِهِ، وقالَ[٩]: أَتَاذَنُ لي[١٠] في نَسْخِهِ؟

فَقُلْتُ[١١]: يابن رسول الله، أتستأذن فيما هو عنكم[١٢]؟

فقال: أما[١٣] لأُخرجنّ إليك صحيفة من الدعاء الكامل[١٤] ممّا حفظه أبي[١٥] عن أبيه، وانّ أبي أوصاني بصونها ومنعها غير أهلها[١٦].

---

(١) في (ج) (ق) (د) (ط): «أكتبت».

(٢) في (ق): «عن».

(٣) في (ق): «فقلت».

(٤) في (ق): «له».

(٥) لم ترد في (ش) (ف): «وجوها من العلم، وأخرجت له دُعاءً».

(٦) العبارة في (ش) (ف) هكذا: «أمْلاهُ عَلَيْهِ وَ كان يدعو به ويسميه: الكامل».

(٧) لم ترد في (ش) (ف) (ق): «يحيى».

(٨) في (ق): «إلى».

(٩) في (ف): «ثم قال». وفي (ق): «فقال لي».

(١٠) لم ترد: «لي» في (ج).

(١١) العبارة من هنا إلى قوله: «دون اخوته» ساقط من (ك).

(١٢) في حاشية (د): «عندكم ـ س»، وفي (ف): «تستاذنني فيما منكم صار إليّ»، ولم يرد في (ش): «فَقُلْتُ: يابن رسول الله، أتستأذن فيما هو عنكم».

(١٣) في (ش): «ثم قال». ولم ترد في (ف): «اما».

(١٤) في (ش) (ف) العبارة هكذا: «لأُخرجنّ إليك صحيفة كان يسميها: الكاملة».

(١٥) لم ترد في (ش): «أبي». وفي (ف) العبارة هكذا: «ثم حفظها عن أبيه».

(١٦) في (ش) العبارة هكذا: «ولقد أوصاني أبي بصونها ومنعها عن غير أهلها»، وفي (ف) العبارة هكذا: «ولقد أوصاني كرم الله وجهه بصونها ومنعها من غير أهلها»، وفي (ق) العبارة هكذا: «وإن أبي أوصاني بصونها ومنعها عن غير أهلها».

قال عمير: قال أبي[١]: فقمت إليه فقبّلت رأسه، وقلت له[٢]: والله[٣] يا بن رسول الله إني لأدين الله بحبّكم وطاعتكم، وإنّي لأرجو[٤] أن يسعدني في حياتي ومماتي[٥] بولايتكم.

فرمى صحيفتي[٦] ـ الَّتي دفعتها إليه ـ إلى غلام كان معه[٧]، وقال: أُكتب هذا الدعاء بخطّ بيّنٍ حسنٍ، وأعرضه عليَّ، لعلّي أحفظه[٨]؛ فإنّي كنت أطلبه من جعفر[٩] حفظه الله فيمنعنيه.

قال المتوكّل: فندمت على ما فعلت، ولم أدر ما أصنع، ولم يكن أَبُو عبد الله عليه السلام تقدّم إليّ[١٠] ألّا[١١] أدفعه إلى أحد[١٢].

ثُمَّ دعا[١٣] بعيبة[١٤]، فاستخرج منها صحيفة مقفّلةً مختومةً، فنظر إلى

---

(١) في (ش) (ف): «قال المتوكل».
(٢) لم ترد في (ق): «له».
(٣) لم ترد في (ش) (ف): «والله».
(٤) في (ش) (ف): «وأرجو».
(٥) لم يرد في (ف): «لعلي أحفظه».
(٦) في (ق) العبارة هكذا: «والله يا بن رسول الله إني لأدين الله بحبّكم وولايتكم. فأعطى صحيفتي».
(٧) في (ف): «فرمى بالصحيفة ـ الَّتي دفعتها إليه ـ إلى غلام كان بقربه».
(٨) لم يرد في (ش) (ف): «في حياتي ومماتي».
(٩) في (ق) العبارة هكذا: «من جعفر بن محمد».
(١٠) في (ف): «أمرني».
(١١) في حاشية (ج): «أن لا ـ س».
(١٢) لم ترد في (ش) العبارة التالية: «فرمى صحيفتي ـ الَّتي دفعتها إليه ـ إلى غلام كان معه، وقال: أُكتب هذا الدعاء بخطّ بيّن حسن، وأعرضه عليَّ، لعلّي أحفظه؛ فإنّي كنت أطلبه من جعفر حفظه الله فيمنعنيه. قال المتوكّل: فندمت على مافعلت، ولم أدر ما أصنع، ولم يكن أَبُو عبد الله عليه السلام تقدّم إليّ ألّا أدفعه إلى أحد».
(١٣) في (ق) العبارة هكذا: «ثم دعى يحيى».
(١٤) في حاشية (ج): «العيبة: ما يجعل فيه الثياب، قاله الجوهري في صحاحه». وهذا النص بخط الشيخ البهائي قدس سره.

الخاتم وقبّله وبكى، ثُمَّ فضّه[١] وفتح القفل، ثُمَّ نشر الصَّحيفَة[٢]، ووضعها على عينه[٣]، وأمرَّها على وجهه، وقال: والله يا متوكّل[٤] لولا ما ذكرت[٥] من قول[٦] ابن عمّي أنني[٧] أُقتل وأُصلب[٨] لما دفعتها[٩] إليك، ولكنت بها ضنيناً، ولكنّي أعلم أنّ قوله حقّ، أخذه عن آبائه[١٠]، وأنّه[١١] سيصح، فخفت[١٢] أن يقع مثل هذا العلم[١٣] إلى بني أمية فيكتموه ويدّخروه[١٤] في خزائنهم لأنفسهم[١٥]، فاقبضها واكفنيها[١٦] وتربّص بها[١٧]، فإذا قضى الله من أمري وأمر[١٨] هؤلاء القوم ما هو قاض، فهي أمانة لي عندك[١٩] حتى توصلها إلى ابني عمّي: مُحَمَّد

---

(١) في (ف): «فنظر إلى الخاتم ثم بكى وقبّله وفضّه».
(٢) في (ف): «ونشر الصحيفة فقبلها».
(٣) في (ق): «عينيه».
(٤) في (ق): «وقال: يا متوكل والله». وفي (ف): «ثم قال». وفي (ش) العبارة هكذا: «فنظر إلى الخاتم ثم بكى وقبّله وفضّه وفتح القفل، ونشر الصَّحيفَة، وأمرَّها على وجهه، ثم قال».
(٥) في (ف) زيادة: «لي».
(٦) لم ترد: «قول» في (ق) .
(٧) في حاشية (ج): «أني ـ س».
(٨) في (ش) العبارة هكذا: «والله‌يا متوكّل لو لا ما ذكرت من قول ابن عمّي جعفر من أنّي أُقتل».
(٩) في (ق): «لم ادفعها».
(١٠) في حاشية (ط) وبعض النسخ زيادة: «عليهم السلام»، وكتب عليها: «نسخة»، ولم ترد في (ج) (ق).
(١١) لم يرد في (ش) (ف) عبارة: «حقّ أخذه عن آبائه، وأنّه».
(١٢) في (ش) (ف): «وخفت».
(١٣) في (ش) (ق): «هذا الدعاء». وفي (ف): «هذا العلم والدعاء» .
(١٤) في (ش) (ق): «فيكتمونه ويدخرونه». وفي حاشية (ج) (د): «فيكتمونه ويدخرونه- س».
(١٥) في (ق): «لانفسهم في خزائنهم».
(١٦) لم يرد في (ق): «وأكفنيها»، وفي (ش): «فدونك هذه الصحيفة فاكتمها» بدل «فاقبضها، واكفنيها». وفي (ف): «فدونك هذه الصحيفة فاكتبها».
(١٧) في (ق): «لانفسهم في خزائنهم».
(١٨) لم يرد في (ش) (ف): «وأمر».
(١٩) في (ش): «فهي أمانة لي عندك». وفي (ف): «فهي أمانة لي في عنقك».

وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ عليه السلام[١]، فإنّهما القائمان في هذا الأمر بعدي[٢].

قال المتوكّل: فقبضت[٣] الصَّحيفَة، فلمّا قُتل يحيى بن زيد[٤] صرتُ[٥] إلى المدينة، فلقيت أبا عبد الله[٦] عليه السلام فحدّثته الحديث[٧] عن يحيى. فبكى واشتدّ وَجْدَهُ[٨] به[٩]، وقال: رحم الله ابن عمّي وألحقه بآبائه وأجداده، والله يا متوكّل ما منعني من دفع الدعاء إليه إلّا الذي خافه على صحيفة أبيه[١٠]؛ وأين الصَّحيفَة؟[١١].

فقلت[١٢]: ها هي[١٣]. ففتحها وقال: هذا والله خط عمّي زيد ودعاء جدّي عليّ بن الحُسين عليه السلام، ثُمَّ قال لابنه: قم يا إسماعيل[١٤] فأتني بالدعاء الذي أمرتك بحفظه وصونه، فقام إسماعيل فأخرج صحيفةً كأنها الصَّحيفَة الَّتي

---

(١) في (ف): «عبد الله بن الحسن بن عليّ بن ابي طالب».

(٢) لم ترد في (ش): «ابن عليّ (عليهما السلام)، فإنّهما القائمان في هذا الأمر بعدي»، وفي (ق): «ابن أمير المؤمنين عليه السلام».

(٣) في (ش) (ف): «فأخذت».

(٤) لم يرد في (ش) (ف): «يحيى بن زيد»، وفي (ق) زيادة: «رحمه الله».

(٥) في (ق): «سرت».

(٦) في (ف) زيادة: «جعفر بن محمد».

(٧) في (ش) (ف): «بالحديث».

(٨) في حاشية (ج): «حزنه».

(٩) لم ترد في (ش) (ف): «واشتدّ وجده به».

(١٠) في (ش): «ثم قال» بدل: «واللهيامتوكّل ما منعني من دفع الدعاء إليه إلّا الذي خافه على صحيفة أبيه».

(١١) وفي (ف) العبارة هكذا: «وألحقه بآبائه وأجداده الطاهرين، فاين الصحيفة».

(١٢) في حاشية (ج): «قلت ـ س».

(١٣) في (ش) (ف) زيادة: «فداك أبي وأمي يابن رسول الله».

(١٤) في (ش) العبارة هكذا: «هذا والله خط عمّي زيد ودعاء جدّي، ثُمَّ قال: يا إسماعيل قم». وفي (ف) العبارة هكذا: «هذا والله خط عمّي زيد ودعاء جدّي علي بن الحسين عليه السلام، ووضعها على عينيه، ثُمَّ قال: يا إسماعيل قم».

دفعها إليَّ يحيى بن زيد[١]، فقبّلها أَبُو عبد الله ووضعها على عينيه[٢] وقال: هذا[٣] خط أبي، وأملاه[٤] جدّي (عليهما السلام) بمشهد منّي[٥].

فقلت: يا بن رسول الله، إن رأيت أن أعرضها[٦] مع صحيفة زيد ويحيى؟ فأذن لي في ذلك، وقال: قد رأيتُك لذلك أهلاً.

فنظرتُ، وإذا هما أمرٌ واحدٌ، ولم أجد حرفاً يخالف ما[٧] في الصَّحيفَة الأُخرى[٨].

ثُمَّ استأذنت أبا عبد الله عليه السلام في دفع الصَّحيفَة[٩] إلى ابني عبد الله بن الحسن.

فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾[١٠] نعم، فادفعها إليهما[١١].

فلمّا نهضت للقائهما قال لي: مكانك[١٢]، ثُمَّ وجّه إلى مُحَمَّد وإبراهيم[١٣]

---

(١) لم ترد في (ش) (ف): «ابن زيد»، ولم ترد في (ق): «يحيى بن زيد».
(٢) كذا في (ش) (ق)، وفي غيرهما: «على عينه».
(٣) في (ش) العبارة هكذا: «هذا والله».
(٤) في (ق) (د) (ط) الكلمة هكذا: «واملاء».
(٥) في (ش) (ج) العبارة هكذا: «هذا والله خط أبي وإملاء جدّي». وفي (ف) العبارة هكذا: «هذا والله خط أبي واملاء جدّي عليهما السلام».
(٦) في (ق) العبارة هكذا: «اعترضها».
(٧) في (ق) العبارة هكذا: «يخالف حرفا ممّا».
(٨) في (ش) العبارة هكذا: «إن رأيت أن أعترض بهما؟ فقال: قد رأيت ذلك، فافعل، فعارضتُ صحيفة زيد بصحيفة محمد فلم أجدها تغادر حرفاً». وفي (ف) العبارة هكذا: «إن رأيت أن أعارض بها ما كتبته من هذه الصحيفة؟ فأذن في ذلك وقال: قد رأيته، فافعل، فعارضتُ بصحيفة زيد صحيفة محمد بن علي فلم أجدها تغادر حرفاً».
(٩) في (ش) (ف) العبارة هكذا: «في دفعها».
(١٠) القرآن الكريم، سورة النساء ٤: ٥٨.
(١١) لم ترد في (ش): «نعم، فادفعها إليهما».
(١٢) في (ش) (ف) العبارة هكذا: «فلما نهضت، قال: مكانك».
(١٣) في (ق) زيادة: «ابني عبد الله بن الحسن».

فجاءا، فقال[١]: هذا ميراث ابن عمّكما يحيى من أبيه[٢]، قد خصّكما به دون اخوته[٣]. وَنَحنُ مُشْتَرِطُونَ عَلَيْكُما فيه شَرْطاً[٤].

فقالَا: رحمك الله، قل[٥] فقَوْلُكَ المقبول.

فقال: لا تخْرجَا[٦] بِهَذِهِ[٧] الصَّحيفَة مِنَ المَدينةِ.

قالا: ولم ذاك[٨]؟

قال: انَّ ابْن عَمَّكُما خَافَ عَليهَا أَمراً أخَافُهُ أنا عليكما[٩].

قَالا: [١٠] إنَّما خَافَ عَلَيْهَا حينَ عَلِمَ[١١] اَنَّهُ يُقْتَل.

فَقَالَ[١٢] أَبُو عَبْد الله عليه السلام: وأنْتُما فلا[١٣] تأْمَنَا، فواللَّهِ إنِّي لأعْلَمُ أَنَّكُمِا ستُخرَجَانِ كما خرجَ، وستُقْتَلان[١٤] كما قُتِلَ. فَقَامَا وَهُما يَقُولان: «لا حَوْلَ وَلا قُوَةَ إلَّا باللَّهِ العليِّ العَظيمِ»[١٥].

---

(١) في (ق) زيادة: «لهما».
(٢) لم ترد في (ش): «يحيى من أبيه».
(٣) من قوله: «وقالَ: أَتَاذَنُ لي في نَسْخِهِ؟ فَقُلْتُ» إلى هنا، ساقط من «ك».
(٤) في (ق): «شرطا فيه».
(٥) في (ش) (ف) (ق): «فقالَا: قل رحمك الله».
(٦) في حاشية (ج): «لا تَخرُجا، لا تُخرِجا ـ معا».
(٧) في (ش) (ف) وحاشية (ج) (د): «لا تخرجا هذه ـ س».
(٨) في (ش) (ف): «ولم؟ يغفر الله لك».
(٩) في (ش) (ف): «أخافه عليها».
(١٠) في (ش) (ف) زيادة: «ان ذاك».
(١١) في (ش): «من علم».
(١٢) في (ش): «قال».
(١٣) في (ش): «لا».
(١٤) في (ش): «وتقتلان».
(١٥) إلى هنا ينتهي السند في (ش) (ف)، وبعده في (ش) ما يلي: «قال وهذه الصحيفة، بسم الله الرحمن الرحيم...» وهو الدعاء الأول. وفي (ف) ما يلي: «وهذا نسخة الصحيفة الكاملة من دعاء علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام، وكان من دعائه =

فلما خرجا قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا متوكّل، كيف قال لك يحيى: «إنّ عمي محمد بن علي[(١)] وابنه جعفراً دعوا الناس إلى الحياة ودعوناهم[(٢)] إلى الموت»؟

قلت: نعم، أصلحك الله، قد قال لي ابن عمك يحيى ذلك[(٣)].

فقال: يرحم الله يحيى، إنّ أبي حدثني عن أبيه عن جدّه عن علي[(٤)] عليه السلام[(٥)]: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخذته نعسة وهو على منبره، فرأى[(٦)] في منامه رجالاً ينزون على منبره نزو القردة، يردّون الناس على أعقابهم القهقرى[(٧)]، فاستوى رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً والحزن يعرف في وجهه، فأتاه[(٨)] جبرئيل[(٩)] عليه السلام بهذه الآية: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾[(١٠)] يعني بني أُميّة.

قال[(١١)]: يا جبرئيل[(١٢)]، أعلى عهدي يكونون، وفي زمني؟

قال: لا، ولكن تدور رحى[(١٣)] الإسلام من مهاجرك، فتلبث بذلك عشراً،

= عليه السلام أنه إذا ابتدأ بالتحميد لله جل وعز والثناء عليه بما هو أهله: الحمد لله الأوّل فلا أول قبله...» وهو الدعاء الأول. ومنهما يظهر سقط ورقة في النسختين.

(١) لم ترد في (ق): «ابن علي».

(٢) في (ق): «ونحن دعوناهم».

(٣) في (ق): «نحو ذلك».

(٤) في حاشية (ج) (د): «عن جده علي».

(٥) في (ق): «عن جده عليهم السلام».

(٦) في حاشية (ج): «فأُري».

(٧) في حاشية (ج): «القهقرى: أي يرجعون بعد إيمانهم كفارا، قال صلى الله عليه وآله: لا ترجعوا [على] أعقابكم القهقرى». وهذا النص بخط الشيخ البهائي قدس سره.

(٨) في (ق): «فأتى».

(٩) في حاشية (ج): «جبريل، جبرئيل ـ معا».

(١٠) القرآن الكريم، سورة الإسراء ١٧ : ٦٠ .

(١١) في (ق) زيادة: «فقال صلى الله عليه وآله وسلم».

(١٢) في حاشية (ج): «جبريل، جبرئيل ـ معا».

(١٣) في حاشية (ج): «رحا، رحى ـ معا»، وفي (ق): «رحا» هنا، وفيما بعدها.

ثم تدور رحى الإسلام على رأس خمسة وثلاثين من مهاجرك، فتلبث بذلك خمساً، ثمّ لابدّ من رحى ضلالة هي قائمة على قطبها، ثم ملك الفراعنة.

قال: وأنزل الله تعالى[١] في ذلك: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ * لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[٢] يملكها[٣] بنو أُميّة، ليس فيها ليلة القدر.

قال: فأطلع الله عز وجل نبيه عليه السلام أنّ[٤] بني أُميّة تملك سلطان هذه الأُمة وملكها طول هذه المدّة، فلو طاولتهم الجبال لطالوا عليها حتى يأذن الله تعالى[٥] بزوال ملكهم، وهم في ذلك يستشعرون[٦] عداوتنا أهل البيت وبغضنا، أخبر الله نبيّه[٧] بما يلقى أهل بيت محمّد[٨] وأهل مودّتهم وشيعتهم منهم في أيّامهم وملكهم.

قال: وأنزل الله تعالى فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾[٩] ونعمت الله[١٠] محمّد وأهل بيته، حبّهم إيمان يدخل الجنة، وبغضهم كفر ونفاق يدخل النّار، فأسرّ[١١] رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك إلى علي وأهل بيته[١٢].

قال: ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: ما خرج ولا يخرج منّا أهل البيت[١٣] إلى

---

(١) في (ق): «عزَّ وجلّ».
(٢) القرآن الكريم، سورة القدر ٩٧: ١ ـ ٤.
(٣) في (ق): «تملكها».
(٤) في (ق): «على أن».
(٥) في (ق): «عزَّ وجلّ».
(٦) في حاشية (ج): «يستشعرون، أي يضمرون، واستشعر خوفا: اضمره. قاله الجوهري».
(٧) في (ق) زيادة: «فقال صلى الله عليه وآله وسلم».
(٨) في (ق): «أهل بيته».
(٩) القرآن الكريم، سورة إبراهيم ١٤: ٢٨ و٢٩.
(١٠) في (ق): «ونعمة الله تعالى».
(١١) في (ق): «فأشار».
(١٢) في (ق): «الى علي عليه السلام وأهل بيته سلام الله عليهم أجمعين».
(١٣) في حاشية (ج): «أهلَ البيت، أهلِ البيت- معا».

قيام قائمنا أحد ليدفع ظلماً أو ينعش حقاً إلّا اصطلمته[١] البليّة، وكان قيامه زيادة في مكروهنا وشيعتنا.

قال المتوكل بن هارون: ثم أملى عليّ أبو عبد الله عليه السلام الأدعية، وهي خمسة وسبعون باباً، سقط عني منها أحد وعشرون[٢] باباً، وحفظت منها نيفاً[٣] وخمسين[٤] باباً.

وحدثنا أبو المفضل قال: و[٥] حدثني محمد بن الحسن بن روزبه أبو بكر المدائني الكاتب نزيل الرحبة[٦] في داره، قال: حدثني محمد بن أحمد بن مسلم المطهري، قال: حدثني أبي، عن عمير بن متوكل[٧] البلخي، عن أبيه المتوكل[٨] بن هارون، قال: لقيت يحيى بن زيد بن علي (عليهما السلام)[٩]. فذكر الحديث بتمامه إلى رؤيا النبيّ صلى الله عليه وآله الّتي ذكرها جعفر بن محمّد عن آبائه صلوات الله عليهم.

وفي رواية المطهري ذكر الأبواب، وهي:

[١] [١٠] في التحميد للّه عزوجل.

[٢] في الصلاة على محمد[١١] وآله.

---

(١) في (ك): «اضطلمته»، وفي حاشية (ج): «الاصطلام: الاستئصال».

(٢) كذا في (ق) (ت)، وهو الصحيح، وفي سائر النسخ: «أحد عشر».

(٣) في حاشية (ج): «النيف: ما بين كل عقدين...».

(٤) كذا في (ق) (ت)، وهو الصحيح، وفي سائر النسخ: «وستين».

(٥) لم ترد في (ق): «قال: و».

(٦) في حاشية (ج) ما نصه: «صوابه الكسر وان لم ينصرف لمكان «ال» وكشط الكسر من تحتها... بخط شيخنا الشهيد، كذلك فعل جدي في نسخته ولعله من سبق قلمه...أو ما... جدي رحمه الله من... في ظبطه إعرابا ولفظا......». وهذا النص بخط الشيخ البهائي قدس سره. ومحل النقط كلمات لا يمكن قراءتها في المصورة.

(٧) في (ق) زيادة: «ابن هارون».

(٨) في حاشية (ج) (د): «متوكل ـ س».

(٩) في (ق): «رحمه الله».

(١٠) في (ق) بدل الأرقام: «الأول»، وهكذا فيما يلي.

(١١) في (ق): «النبي».

[٣] في الصلاة على حملة العرش.

[٤] في الصلاة على مصدّقي الرسل.

[٥] دعاؤه[١] لنفسه وخاصته[٢].

[٦] دعاؤه عند الصباح والمساء[٣].

[٧] دعاؤه في المهمّات[٤].

[٨] دعاؤه في الاستعاذة[٥].

[٩] دعاؤه في الاشتياق[٦].

[١٠] دعاؤه في اللجأ إلى الله تعالى[٧].

[١١] دعاؤه بخواتم[٨] الخير.

[١٢] دعاؤه في الاعتراف[٩].

[١٣] دعاؤه في طلب الحوائج.

[١٤] دعاؤه في الظلامات[١٠].

[١٥] دعاؤه عند المرض[١١].

[١٦] دعاؤه في الاستقالة.

---

(١) لم يرد في (ق): «دعاؤه» هنا، وفيما يلي من الموارد المشابهة في هذا الفهرست.

(٢) في (ق): «وأهل بيته».

(٣) لم ترد في (د) (ط): «والمساء»، وفي حاشية (ط) في نسخة: «والمساء»، وفي حاشية (د) ورد ما يلي: «الذي يدل عليه متن هذا الدعاء أنه مختص بالصباح، لا به وبالمساء كما وقع في عنوانه، ولذا خصصه شيخ الطائفة قدس سره بالصباح، والله اعلم».

(٤) في (ق): «اذا نزلت به مهمّة».

(٥) إلى هنا ورد ذكر الأبواب في (د)، وأول الصفحة التالية في مصورتنا عبارة: «ابن عمر بن خطاب الزيات...» وقد سقط من المصورة صفحة واحده فيها باقي عناوين الأبواب.

(٦) في (ق): «في طلب المغفرة».

(٧) في (ق): «عزّ وجلّ».

(٨) في (ق): «الخواتم».

(٩) في (ج) زيادة: «وطلب التوبة».

(١٠) في (ق): «في التظلم».

(١١) في (ق): «في المرض».

[١٧] دعاؤه على الشيطان[١].

[١٨] دعاؤه في المحذورات[٢].

[١٩] دعاؤه في الاستسقاء.

[٢٠] دعاؤه في مكارم الأخلاق.

[٢١] دعاؤه إذا أحزنه أمر[٣].

[٢٢] دعاؤه عند الشدّة.

[٢٣] دعاؤه بالعافية[٤].

[٢٤] دعاؤه لأبويه[٥].

[٢٥] دعاؤه لوُلده[٦].

[٢٦] دعاؤه لجيرانه وأوليائه.

[٢٧] دعاؤه لأهل الثغور.

[٢٨] دعاؤه في التفزّع إلى الله.

[٢٩] دعاؤه إذا قتّر عليه الرزق[٧].

[٣٠] دعاؤه في[٨] قضاء الدين.

[٣١] دعاؤه في التوبة[٩].

[٣٢] دعاؤه في صلاة الليل.

[٣٣] دعاؤه في الاستخارة.

---

(١) في (ق): «عند ذكر الشيطان».

(٢) في (ق): «في الحذر».

(٣) في (ق): «إذا حزنه أمر»، وفي (ق): «في الاستكفاء».

(٤) في (ق): «في العافية».

(٥) في (ق): «لأبويه عليهما السلام».

(٦) في (ق): «لولده عليهم السلام».

(٧) في (ق): «في الرزق».

(٨) في (ج) زيادة: «المعونة على».

(٩) في (ج) (ط): «بالتوبة».

[٣٤] دعاؤه إذا ابتلي أو رأى مبتلى بفضيحة بذنب[١].

[٣٥] دعاؤه في الرضا بالقضاء[٢].

[٣٦] دعاؤه عند سماع الرعد[٣].

[٣٧] دعاؤه في الشكر.

[٣٨] دعاؤه في الاعتذار.

[٣٩] دعاؤه في طلب العفو.

[٤٠] دعاؤه عند ذكر الموت[٤].

[٤١] دعاؤه في الستر والوقاية[٥].

[٤٢] دعاؤه عند ختمه القرآن[٦].

[٤٣] دعاؤه إذا نظر إلى الهلال[٧].

[٤٤] دعاؤه لدخول شهر رمضان[٨].

[٤٥] دعاؤه لوداع شهر رمضان.

[٤٦] دعاؤه للعيدين والجمعة[٩].

[٤٧] دعاؤه في يوم عرفة.

[٤٨] دعاؤه في يوم الأضحى والجمعة[١٠].

---

(١) في (ق): «اذا رأى مبتلى بذنب».
(٢) لم ترد في (ق): «بالقضاء».
(٣) في (ق): «اذا نظر الى السحاب».
(٤) في (ق): «في ذكر الموت».
(٥) في (ق): «في طلب الوقاية» وهو الدعاء الأربعون في (ق).
(٦) لم يرد في (ق): «دعاؤه عند ختمه القرآن» هنا والدعاء الثاني والأربعون في (ق) هو دعاؤه في دخول شهر رمضان. المذكور هنا بالرقم (٤٤).
(٧) وهو الدعاء الحادي والأربعون في (ق).
(٨) وهو الدعاء الثاني والأربعون في (ق).
(٩) والدعاء الثالث والأربعون في (ق): «دعاؤه في يوم الفطر».
(١٠) والدعاء الرابع والأربعون في (ق): «دعاؤه في يوم الأضحى».

[٤٩] دعاؤه في دفع كيد الأعداء[١].
[٥٠] دعاؤه في الرهبة[٢].
[٥١] دعاؤه في التضرع والاستكانة[٣].
[٥٢] دعاؤه في الإلحاح[٤].
[٥٣] دعاؤه في التذلل[٥].
[٥٤] دعاؤه في استكشاف الهموم[٦].

وباقي الأبواب بلفظ أبي عبد الله الحسني رحمه الله.

حدّثنا أبو عبد الله جعفر بن محمد الحسني، قال: حدثنا عبد الله بن عمر بن خطّاب الزيّات، قال: حدثّني خالي علي بن النعمان الأعلم، قال: حدثني عمير بن متوكّل الثقفي البلخي، عن أبيه متوكّل بن هارون، قال: أملى عليّ سيّدي الصادق[٧] جعفر بن محمد، قال: أملى جدّي عليّ بن الحسين، على أبي محمّد بن عليّ (عليهم أجمعين السلام)، بمشهد منّي، قال[٨]: وكان من دعائه عليه السلام إذا ابتدأ بالدعاء، بدأ بالتحميد لله عز وجل والثناء عليه، فقال[٩]: الحَمْدُ للّهِ الأوّل بِلَا[١٠] أوّل[١١] كانَ قَبْلَهُ...

(١) وهو الدعاء الخامس والأربعون في (ق).
(٢) وهو الدعاء السادس والأربعون في (ق).
(٣) وهو الدعاء السابع والأربعون في (ق).
(٤) لم يرد هذا الدعاء بهذا العنوان في (ق).
(٥) وهو الدعاء الثامن والأربعون في (ق).
(٦) وهو الدعاء السابع والأربعون في (ق)، وعنوانه: «عند الهموم»، وفي (ق) زيادة دعاءين، هما: الخمسون: «في صحة الأعضاء»، والحادي والخمسون: «عند قضاء الحوائج».
(٧) في (ج) زيادة: «أبو عبد الله».
(٨) لم ترد في (ط) (د): «قال»، وفي (ج) بدل: «قال»: «الأوّل».
(٩) في بعض النسخ عنوان الدعاء هكذا: «وكان من دعائه عليه السلام أنه إذا ابتدأ [بالدعاء، بدأ] بالتحميد لله جل وعز والثناء عليه بما هو اهله، فقال: »، وما بين المعقوفتين لم يرد في بعض النسخ.
(١٠) في بعض النسخ: «فلا».
(١١) في حاشية (ج): «أوّلٍ، أوّلَ ـ س».

[مفتتح الصحيفة]

حدّثنا أبو عبد الله جعفر بن محمد الحسني، قال: حدثنا عبد الله بن عمر ابن خطّاب الزيّات، قال: حدثّني خالي علي بن النعمان الأعلم، قال: حدثني عمير بن متوكّل الثقفي البلخي، عن أبيه متوكّل بن هارون، قال: أملى عليّ سيّدي الصادق جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال: أملى جدّي عليّ بن الحسين، على أبي محمّد بن عليّ، بمشهد منّي، قال: وكان من دعائه عليه السلام: **الحَمْدُ للّهِ الأوّل بِلَا أوّل كانَ قَبْلَهُ. . .**[1].

قال الجلالي: وهذا النص غير موجود في رواية ابن مالك.

قال السيّد علي خان المدني رحمه الله في شرحه «رياض السالكين»: «إنّما كان عليه السلام يبدأ بالتحميد لله عزوجل والثناء عليه اقتداءً بكتاب الله تعالى وعملاً بما اشتهر عن رسول الله صلى الله عليه وآله: كلّ أمر ذي بال لم يبدأ فيه بالحمد ـ وفي رواية: بحمد الله ـ فهو أقطع، أي مقطوع البركة»[2].

ويعني ـ رحمه الله ـ بذلك سورة الفاتحة، مع أنها مبدوّة بالبسملة، والحديث النبوي الشريف ورد في البسملة والحمدلة كما هو معروف.

ولعلّ الإمام عليه السلام حصل من عادته ذلك من أجل أنّ كل مبادرة تفتقر إلى ما يمهّد ذلك.

---

(١) وردَ هذا الدُّعاء في (ك) برقم (١) وبنفس العنوان، وفي (ش) برقم (١) أيضاً وبعنوان: «كان من دعاء علي بن الحسين (عليهما السلام) إذا ابتدأ بالتحميد لله عزّ وجلّ والثناء عليه».

(٢) رياض السالكين ١: ٢٢، والحديث في مستدرك الوسائل ٨: ٤٣٤، وفيه: «بذكر الله»، وفي عدة الداعي ص٢٤٢: «يبدأ فيه بالحمد»، وفي مكاتيب الرسول ١: ٥٨ «باسم الله تعالى».

والبسملة شعار المسلمين في كلّ فعل وقول، فهي المقدّمة لهما، والحمدلة مقدمة للدعاء، فكما أنّ الزائر يقدم على مقصده للزيارة بالسلام والتحية، فالداعي لابدّ وأن يستفتح دعاءهُ بالبسملة الّتي هي شعار الإسلام، وبالتحميد الذي هو تحيّة الداعي، والله العالم.

ومن أجل ذلك اتخذت الحمدلة بعد كل بسملة.

وخصّ الدعاء الأوّل من الصحيفة بالتحميد للتركيز على أهمية ذلك في كلّ دعاء، فلابد من وصفه وصفاً كاملا.

وهذا الدعاء يحتوي على مقاطع عشرة من التحميد والتمجيد، ويجمعها أنها تحميدات وتمجيدات لله تعالى بصفاته الكماليّة والجمالية وأسمائه الحسنى.

[الدُّعاءُ الأَوَّل][1]

[١/١ ـ التحميد لله]:

الحَمْدُ للّهِ الأوَّلِ بِلَا أوَّلٍ[2] كانَ قَبْلَـهُ، والآخِـرِ بِلَا

---

(١) وردَ هذا الدُّعاء في (ر) برقم (١) وبعنوان: «من دعائه عليه السلام في التحميد لله عزّ وجلّ والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله»، وفي (ك) بعنوان: (الأول) وأوله: «بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي الا بالله. قال أبو المفضل: حدثنا محمد بن الحسن بن روزبه أبو بكر المدايني الكاتب نزيل الرحبة في داره، قال: حدثني محمد بن أحمد بن مسلم المطهري، قال: حدثني أبي، عن عمير بن متوكل بن هارون البلخي، عن أبيه المتوكل بن هارون، قال: أملى عليّ سيدي الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام، قال: أملى عليّ جدي علي بن الحسين بن علي بمشهد مني، قال: وكان من دعائه عليه السلام إذا ابتدأ بالدعاء بدأ بالتحميد لله عزّ وجلّ والثناء عليه. الأول: في التحميد لله عزّ وجلّ والثناء عليه».
وفي (ش) برقم (١) أيضاً وبعنوان: «كان من دعاء علي بن الحسين (عليهما السلام) إذا ابتدأ بالتحميد لله عزّ وجلّ والثناء عليه»، وفي (ج) بعنوان: «الأوّل: وكان من دعائه عليه السلام إذا ابتدأ بالدعاء بدأ بالتحميد لله عزّ وجلّ والثناء عليه، فقال: الحمد لله الأوّل بلا أول قبله..».
وفي (ف) التي هي رواية عبيد الله بن الفضل الهاشمي، ضمن مخطوطة مكتبة أيا صوفيا- تركيا، برقم ٢٨١٩، والنسخة من ص(٢٢/ ب إلى ٦٧/ ب) من المجموعة، والادعية فيها متسلسلة بدون ترقيم، وانما يرد في أول كل دعاء عبارة: (وكان من دعائه عليه السلام)، وأولها ما يلي: «وهذا نسخة الصحيفة الكاملة من دعاء علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام، وكان من دعائه عليه السلام أنه إذا ابتدأ بالتحميد لله جل وعز والثناء عليه بما هو أهله: الحمد لله الأوّل فلا أول قبله...».
وفي (ق) بعنوان: (الأول)، وتحته عنوان: «في التحميد لله عزّ وجلّ». وفي (ج) بعنوان: «وكان من دعائه عليه السلام إذا ابتدأ بالدعاء بدأ بالتحميد لله عزّ وجلّ والثناء عليه فقال: الحمد لله...»، وفي حاشية (ج) بعنوان: (الأول)، وفي (حاشية إبن إدريس) برقم (١)، وبعنوان: «دعاؤه إذا ابتدأ بالدعاء...».

(٢) في (ف): «فلا أوّل»، وفي حاشية (ج) هنا: «أوّلٍ، أوّلَ ـ س».

آخِرٍ[١] يَكُونُ بَعْدَهُ، الَّذي قَصُرَتْ عَنْ رُؤْيَتِهِ أبْصَارُ النَّاظِرِينَ، وَعَجَزَتْ عَنْ نَعْتِهِ[٢] أوْهَامُ[٣] الوَاصِفِيْنَ.

---

(١) في (ف): «فلا آخر»، وفي حاشية (ج) هنا: «آخرٍ، آخرَ ـ س».

(٢) في (ش): «عن وصفه»، وفي (س): «النعت: الصفة». (حاشية ابن إدريس: ١٠٦).

(٣) قوله: «عن نعته»، أي عن وصفِهِ كما هو أهلهُ، و«أوهام الواصفين»: أفكارهم، و«قصرت عنهُ»، لأنها لا يمكن أن تصل إلى كنهِ معرفتهِ سبحانهُ، وفي (س): «الوهم: فعل أحد القوى الباطنة من الحافظة والذاكرة والمتخيّلة والواهمة». (حاشية ابن إدريس: ١٠٦)، وفي هامش (س)ما نصّه: «من القوى المدركة العقل، وهي القوة العاقلة المدركة للكليات، ومنها: الوهم، وهي القوة المدركة للمعاني الجزئية الموجودة في المحسوسات من غير أن يتأدّى من طريق الحواس، كإدراك العداوة والصداقة من زيد مثلاً، وكإدراك الشاة معنى في الذئب، ومنها: الخيال، وهي قوة تجتمع فيها صور المحسوسات، وتبقى فيها بعد غيبتها عن الحس المشترك، وهي القوة التي يتأدّى إليها صور المحسوسات من طرق الحواسّ الظاهرة، فتدركها وهي الحاكمة بين المحسوسات، كالحكم بأنّ هذا الأصفر هو هذا الحلو، ونعني بالصور ما يمكن إدراكه بإحدى الحواسّ الظاهرة، وبالمعاني ما لا يمكن، ومنها: المفكّرة، وهي التي لها قوة للتفصيل والتركيب بين الصور المأخوذة عن الحسّ المشترك والمعاني المدركة بالوهم، بعضها مع بعض، وهي دائماً لا تسكن نوماً ولا يقظة، وليس من شأنها أن تكون النفس تستعملها كثيرة، فإن استعملتها بواسطة القوة الوهمية، وإلّا... القوة العاقلة وحدها فهي المفكرة من ال...) عن هامش النسخة. انتهى، وقال السيد الخرسان بعد نقل النص ما يلي: وهي بخط مغاير لخط النسخة، ممّا نحسبه من إفادات بعض من قرأها، ولزيادة الإيضاح نقول: قال المرحوم المولى محمّد عليّ بن أحمد القراچه داغي التبريزي الأنصاري المتوفى سنة ١٣١٠هـ في كتابه «اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء» (ص ٣٨٠، تح السيد هاشم الميلاني ط ١ قم سنة ١٤٢٤هـ): (وذكر المحقّقون من أهل المعقول: انّ الحواس والمشاعر الإنسانية عشرة، خمسة منها الحواس الظاهرية، وهي: السامعة والباصرة، والشامّة، والذائقة، واللامسة. وخمسة منها الحواس الباطنية، وهي: الحافظة، والواهمة، والمفكّرة، والمخيّلة، والحسّ المشترك. وفي دماغ الإنسان بطون ثلاثة لكلّ منها مقدّم ومؤخّر، ففي مقدّم البطن المقدّم من سمت الجبهة الحسّ المشترك، وهي القوّة التي يتأدّى إليها صور المحسوسات من طرق الحواس الظاهرة فتدركها، وهي الحاكمة بين المحسوسات الظاهرة كما يحكم بأنّ هذا الأصفر، هذا الحلو، والمراد بالصورة هنا ما يمكن إدراكه بإحدى الحواسّ الظاهرة. وفي مؤخّر المقدّم المخيلة، ويقال لها الخيال أيضاً ـ بالفتح ـ وهي قوّة تجتمع فيها صور المحسوسات وتبقى فيها بعد غيبتها عن الحسّ المشترك، وفي مؤخّر =

في هذا المقطع يشير الإمام عليه السلام إلى بعض صفات الله تعالى، وهي:

أوّلاً: ذاته تعالى، وحدود معرفة البشر له.

وثانياً: قدرتهُ تعالى في الخلق، وحدود قدرة البشر.

وثالثاً: الرزق للخلق المقدّر منه تعالى.

ورابعاً: الأجل لكلّ مخلوق المقدّر عنه تعالى.

وخامساً: العدل في محاسبة نتيجة الأعمال للكل، خيراً أو شراً.

وسادساً: تقديس الأسماء.

أولاً ـ ذاته تعالى:

واكتفى عليه السلام في الإشارة إلى قدم الذات بالقدم خاصة؛ بنفي مشاركة ما تصوّره الفلاسفة من القدماء الخمسة، وهي: المادة والنفس والزمان والمكان، بالإضافة إلى الذات المقدّسة، فإنّ صفتي: الأوّلية والآخرية المتعقبة بالموصول

= الأوسط: القوّة الوهمية، ويقال لها: الواهمة أيضاً، وهي القوّة المدركة للمعاني الجزئية الموجودة في المحسوسات من غير أن يتأدّى إليها من طرق الحواس، كإدراك العداوة والصداقة من زيد، وكإدراك الشاة معنى من الذئب. وفي مقدم الأوسط بين الواهمة والمخيّلة: العقل، وهي القوّة العاقلة المدركة للكليّات، ولها قوّة التركيب والتفصيل بين الصور المأخوذة من الحسّ المشترك، والمعاني المدركة بالوهم بعضها مع بعض، وهي دائماً لا تسكن نوماً ولا يقظة، وليس من شأنها أن يكون عملها منظماً منتظماً، بل النفس تستعملها على أيّ نظام تريد، فإن استعملها ـ الإنسان ـ بواسطة القوة الوهمية فهي المتخيّلة، وإن استعملها بواسطة القوّة العاقلة وحدها أو مع القوّة الوهميّة فهي المفكّرة، فللمتخيّلة إعتباران كما ظهر ممّا مرّ. وفي مقدّم المؤخّر الحافظة، وهي قوّة تحفظ بها المركبات التي ركّبتها المفكّرة من الصور الخيالية، والمعاني الجزئية الوهمية، وسلّمتها إليها، فهي خزينة المركبات وخازنة القوّة العقلية. والأنسب أن يترتب الحواس الباطنية من الطرف الأسفل إلى الأعلى، أي من مقام الرأس إلى مؤخّره بترتيب آخر، وهو اعتبار الحسّ المشترك أولاً، ثم الخيال، ثم الواهمة، ثم الحافظة، ثم العاقلة، وإن صحّ الترتيب الأوّل أيضاً بوجه آخر)».

الذي ذكره الإمام عليه السلام لا يمكن أن يتعدّد، وبذلك يبطل القول بتعدّد القدماء الذي عليه الفلاسفة، من أصله، والصفتان هما:

١ ـ الأوّل، بلا أوّل كان قبله.

٢ ـ والآخر، بلا آخر يكون بعده.

فإنّ أوّلية الذات المقدّسة تنفي القدم الأزلي لما يتصوّر بعده، والآخريّة كذلك بالوصف المتقدّم ينفي العدم، ويكفي في الذات المقدّسة هذه المعرفة الإجمالية، والتفصيل في علم الكلام والفلسفة.

وحيث إنّ البشر محدود في قدرته الماديّة، فلا يتمكن من الوصول إلى حقيقة الذات إلّا من تجرّد عن الماديّات بأسفار عقليّة حتّى يكُونَ ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[1] وهذا ممّا لا يمكن للبشر في رؤيته الماديّة.

وأشار إلى قصور الموجود المادّي عن إدراك الحقيقة الروحانيّة الأزليّة بقوله: (قَصُرَت عَنْ رؤيَتِهِ) تعالى بالمقاييس الماديّة (أبصار الناظرين)، لأنّ المقاييس الماديّة لا تدرك سوى الماديّات. والذات المقدّسة ليست ماديّة، ولذلك (عجزت عن نعته) تعالى (أوهام الواصفين) لأنّ الوصف المستند إلى الماديّات أيضاً لا يمكن أن يكون وصفاً صادقاً، فيكون لا محالة مجرّد (أوهام) يتصوّرها الفيلسوف بتصوّراته الّتي تستند لا محالة إلى تَصَوّر موجود مادّي، فلا طريق لمعرفة الله تعالى سوى بالتجرّد من الماديات، وهذا غير ممكن للإنسان الذي هو مادّي بجسمه إلّا بأن يتجرّد عن ذلك، ولا يكون إلّا للإنسان الكامل كالأنبياء ممّن ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾.

ثم أشار عليه السلام إلى أربع صفات لا يمكن للبشر أن يتغاضى في النظر عنها، هي: القدرة في الخلق، والرزق للمخلوقين، والأجل في حياة المخلوقات، والعدل في نتائج الأعمال التي يشاهدها الإنسان البصير في حياة نفسه ومن سبقه ومن سيأتي، كما يشهد بذلك دراسة التاريخ.

---

(١) القرآن الكريم، سورة النجم ٥٣: ٩.

[٢/١ ـ قدرة الله]:

ابْتَدَعَ[١] بِقُدْرَتِهِ الخَلْقَ[٢] ابْتِدَاعاً، واخْتَرَعَهُمْ[٣] عَلَى مَشِيَّتِهِ اِخْتِرَاعاً.

ثُمَّ سَلَكَ بِهِم طَرِيقَ[٤] إِرَادَتِهِ[٥]، وبَعَثَهُمْ في سَبِيلِ[٦] مَحَبَّتِهِ[٧]، لَا يَمْلِكُونَ تَأخيراً[٨] عَمَّا قَدَّمَهُمْ إِلَيْهِ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَقَدُّماً إلى مَا أَخَّرَهُمْ عَنْهُ.

وقد أشار الإمام عليه السلام إلى أنّ معرفة الله إنّما يَكونَ بآثار القدرة الّتي نجدها في المخلوقات، فقد خلقت خلقاً بديعاً جديداً، فهو القادر على خلقها، والخلق ـ ومنه الإنسان ـ خلقه الله لا على مثال سابق، وهو الابتداع، وكان خلقه على الإختراع، من غير سبب سابق، بل بمحض إرادته ومشيئته تعالى، فَإنّ جميع الأسباب الظاهرية تنتهي إلى الله تعالى؛ لأنّه مسبّب الأسباب.

ومن مظاهر قدرته تعالى: أن (سلك) بالخلق (طريق إرادته)، وهو الخبير في بناء المجتمع الصالح بالهداية إلى طريق الصلاح.

---

(١) في (ك): «الذي ابتدع»، وابتدع، أي خلقَ بلا مثال تقدم، وبلا سابقة تعلم من أحد، وفي حاشية (ج): «الابداع: الاحداث لا على مثال سبق، والمخترع: ما ابتدئ في غير محل القدرة عليه»، وفي (س): «ابتدع الشيء واخترعه إذا صنعه عن غير مثال». (حاشية ابن إدريس: ١٠٦).

(٢) في (ف): «الخلق بقدرته».

(٣) الاختراع: الإنشاء من غير سبب، أي أوجدهم من العدم.

(٤) في (ك) (ش) (ف) (ق) (ت): «سلكهم في طرق»، وفي حاشية (ش): «سلك بهم».

(٥) أي جعلهم وأنشأهم على وفق مرادهِ في الشكل والخصوصيّات.

(٦) في (ك): «على سبيل»، وفي (ش): «في سلك»، وفي (ق): «في سبل»، وفي (ت) وحاشية (ش): في نسخة: «سبيل».

(٧) أي جعلهم على فطرة حبّ الله وسبيل الخير.

(٨) في (ك) (ش) (ف) (ق) (ت): «تأخّرا».

(وبعثهم في سبيل محبّته) فإنّ محبته تعالى هي رحمته اللّامتناهية الّتي تعمّ العالم كلّه، وهذه المسيرة إلى الخير واضحة المعالم، وقدرة الإنسان محدودة ولا يمكنها العدول عن هذه السنّة الطبيعيّة الجارية في الحياة، فمهما تحرّك الإنسان نحو هدف خاص ينشده، فإنّه لا يملك القدرة المطلقة؛ وإنه يرى نفسه عاجزاً في أمور تخرج عن إرادته في الإدارة والتخطيط والتنفيذ، وهذا هو العجز.

فالخلق (لا يملكون تأخيراً عما قدّمهم إليه)، فإنّ من بلغ سنّ الرشد لا يمكن أنْ يرجع نفسه إلى حالة الصّبا، وإنّ التصابي لا يجعله صبيّاً. كما أنهم (لا يستطيعون تقدّماً إلى ما أخّرهم عنه) كالطفل المتشوّق إلى التقدّم في السّنّ ظانّاً أنّ التقدّم في السنّ يجعله قادراً على التعمية على بعض ما يرى في نفسه من النقص، وليس شيء من ذلك تحت قدرته.

[٣/١ ـ تقسيم الرزق]:

وَجَعَلَ لِكُلّ روح[(١)] مِنْهُم قوتاً معلوماً[(٢)] مَقْسُوماً[(٣)] مِنْ رِزْقِهِ، لَا يَنْقُصُ[(٤)] مَنْ زَادَهُ[(٥)] نَاقِصٌ، وَلَا يَزِيْدُ مَنْ نَقَصَ[(٦)] مِنْهُمْ زَائِدٌ.

ومن مظاهر قدرة الله تعالى: التساوي في الرزق بين الخلق، فهو قد جعل الرزق حسب قدرة المخلوقين في تحصيله، والرزق ـ في اللغة ـ: بمعنى العطاء؛ فإنّ من يطلب العطاء فبحسب ظروفه وأُسلوبه ومحيطه، يكتسب العطاء. فإنّ

---

(١) في (ك): «وجعل لكل روح»، وفي (ز) (ت): «وجعل لكل ذي روح»، وفي (ق): «وجعل لكل ذي زوج»، وفي حاشية (ك)، في نسخة: «وجعل لكل زوج»، وفي حاشية (ج)، في نسخة: «وجعل لكل زوج، لكل روح، معاً ـ س».

(٢) لم ترد في (ش) (ف) (ق) (ت): «معلوما»، ووردت في حاشية (ش): في نسخة.

(٣) في (ك): «منهم قسمةً مَعلوماً مَقْسُومَةً»، وفي (ر) وبعض النسخ: «وجعل لكل قيتةً مَقْسُومَةً».

(٤) في (ك) (ف) (ق): «لا ينقص منهم».

(٥) في (ر) وبعض النسخ: «من زاده منهم».

(٦) في بعض النسخ: «من نقصه». وفي حاشية (ج): «نِقص- س»، وفي (ف): «ولا يزيد في نقصٍ»، وفي (ز): «ولا ينقص منهممَنْ زَادَهُ نَاقِصٌ، وَلَا يَزِيْدُ منْهم من نَقَصَه زَائِدٌ».

الأكل مثلا لسدّ الحاجة الغذائية رزق من الطعام، ويطلبه كلّ موجود حسب كدّه ويؤمّن به حاجته من الطعام.

فإنّه ليس للإنسان سوى معدة واحدة يملؤُها طعاماً، سواءً كان فقيراً أو غنيّاً، وإن اختلفت أنواع الأطعمة، وقد مكّن الله كلّ الخلق من تحصيل ما يسدّ حاجته من الطعام والزيادة على ذلك فضلة، ويختلف بالنسبة إليها نظرات الأنام. فمن يفقدها يعتبرها نعمة قد حرم منها، ومن وجدها لا يراها إلّا زخرفة لا حاجة له بأكثر مما يأكل منها.

فالله سبحانه جعل لكل (روح) من إنسان وحيوان من المخلوقات من (القوت) الذي يعيش به لاستمرار الحياة (المعلوم المقسوم) حسب طاقته وكفاءته، صحّة ومرضاً، وشباباً وشيخوخة، وأن هذا الرزق المقسُوم من زاده الله من القوت لا يمكن ان ينقصه ناقص من العباد. وكذلك من جعل الله رزقه حسب ظروفه الجسميّة والصحيّة وغيرها ناقصاً لا يزيده زائد، فإنّ في كل من الحالتين تحميل للخلق ما لا يتحمله، فالرزق أكلة واحدة يأكلها القانع، ويأكل ما يسدّ جوعه شاكراً هنيئاً، بَينما يأكله من لا يقنع ما يسدّ جوعه تعيساً، وكلّ آكل رزقه المقسوم بلا زيادة ولا نقيصة.

[٤/١ ـ ضرب الأجل في الحياة]:

ثُمَّ ضَرَبَ لهُ[١] فِي الحياةِ[٢] أجَلاً مَوْقُوتاً، وَنَصَبَ لَهُ أمَداً[٣] مَحْدُوداً، يَتَخَطَّ[٤] إليْهِ بأيَّامِ عُمُرِهِ[٥]، وَيَرْهَقُهُ[٦] بأعْوامِ دَهْرِهِ.

---

(١) في (ق) (ت): «ضرب لهم»، وفي (ك): «ضرّب له» بالتشديد.
(٢) في (ك) (ف) (ر): «في عمره».
(٣) الأمد: الغاية.
(٤) كذا في (ك)، ووردت الكلمة في (ش) (ج) (ر) هكذا: «يتخطّأ». وفي (ف) هكذا: «فخطّأ».
(٥) في (ر): «أيام شهره»، وفي بعض النسخ: «بأيام شهره».
(٦) في (ق): «ويزهقه»، وفي بعض النسخ: «ويُرهقُه». أي يدنو إليهِ.

ومن مظاهر قدرة الله تعالى: الأجل لكل إنسان وحيوان ونبات، بل وجماد، فإنّ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾[1] ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ﴾[2] و﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾[3].

فالفرد من دون استثناء ـ أيّ فرد كان، ومهما خطّط لبقاء نفسه من الصحة ـ لابدّ وأن يواجه الأجل المحتوم في حياته، وأية أُمّة مهما عظمت وقويت لابدّ وأن تواجه مصيرها المحتوم في دورتها، وأيّة حضارة مهما تطاولت لابدّ وأن تواجه السقوط في مسيرة التاريخ، وقد تطافَحت صفحات الكتب في التاريخ عن الصعود إلى القمّة ثمّ الهبوط إلى الحضيض للأفراد والشخصيّات والأُمم.

وهذا يكشف عن أنّ الأمر لو كان بيد الأمم الّتي تسعى بكلّ ما أُوتيت من ثقافة وقدرة وعلم لأنْ تبقى سيّدة الموقف يحصل لها ما أرادت ويدوم لها ذلك، ولكن القدرة العليا هي الّتي جعلت لكلّ شيء الفناء في مسيرة التاريخ.

فالحياة للخلق لها أجل موقوت، ودور الإنسان ـ مثلا ـ دور له (أمد محدود) في الحياة من الولادة إلى الموت، وهو يسير في هذه المسيرة بأيّام عمره وساعات أيّامه ودقائق ساعاتها، وثواني دقائقها، وثوالث ثوانيها... وهكذا، فكلّ عام (يرهقه) ومجموعة (أعوام دهره) يجعله مرهقاً في الحياة حتى ينتهي إلى الموت، ولا ينفعه في ذلك ما يملك في الدنيا من المال والبنين، فانحصرت القدرة المطلقة في الله سبحانه وتعالى.

[١/٥ ـ الجزاء العادل]:

حَتَّى إذا بَلَغَ أقْصَى أثَرِهِ[4] واسْتَوْعَبَ[5] حِسَابَ عُمُرِهِ، قَبَضَهُ

---

(١) القرآن الكريم، سورة آل عمران ٣: ١٨٥.

(٢) القرآن الكريم، سورة المنافقون ٦٣: ١١.

(٣) القرآن الكريم، سورة الحجر ١٥: ٥.

(٤) في (ك): «أمده»، وفي (ق) (ت): «أمره».

(٥) في (س): «استيعاب الشيء استئصاله، ص، بحيث لم يبق منه شيء. س». (حاشية ابن إدريس: ١٠٦).

إلى[1] مَا نَدَبَهُ[2] إليه[3] مِنْ موَفُورِ[4] ثَوابه، أو مَحْذُورِ عِقَابه[5] لِيَجْزِيَ الَّذِيْنَ أَسَاؤُا بِمَا عَمِلُوا ويَجْزِيَ الَّذينَ أحْسَنُوا بالحُسْنَى[6] عَدْلاً مِنْهُ[7].

والجزاء العادل من مظاهر قدرة الله تعالى؛ فالإنسان بعد أن سار في مسيرة الحياة (حتى إذا بلغ أقصى أثره) والاثر: هو الأجل الذي يتبع العمر. فحينئذ يكون وقت الاستيفاء والمحاسبة، حيث ينتهي (حساب عمره) ويجب عليه الرضوخ إلى الحقّ (قبضه) الله تعالى (إلى ما ندبه) ودعاه (إليه) في الدنيا.

ودعوة الله سبحانه في الدنيا لا تخلو من اثنتين لا ثالث لهما:

١ ـ دعوة لعمل الخير، ووعد الثواب على ممارسة ذلك.

٢ ـ دعوة لنبذ الشر، ووعيد العقاب على ممارسة ذلك.

وهذا هو الجزاء العادل، حيث سبق الإعلان عن ذلك قبل حصوله، كما هو الشأن في الحكم العادل في كلّ قانون، بل لا يكون القانون قانوناً إذا لم يعلن عنه قبل حصول الفعل المعاقَب عليه.

---

(١) لم ترد في (ق): «الى».

(٢) في (ف): «نداه».

(٣) في (ك): «له»، ولم ترد في (ق): «إليه».

(٤) في (ش) (ف) (ت): «محبوب»، وفي حاشية «ط»، في نسخة: «مرفود».

(٥) في (ك): «مِنْ مَحبُوبِ ثَواب، أو مَحْذُورِ عِقَاب».

(٦) اقتباس من القرآن الكريم، سورة النجم٥٣: ٣١.

(٧) في حاشية (ج): «"عدلاً" صفة لمصدر محذوف، أي يجزي هو عدلاً، والمصدر المحذوف معمول لعامل فعل هو "جزاءً بما عملوا من الحسنى"، بالسببية. والتقدير: ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا، أي بسبب عملهم جزاء عدلاً، ويجزي الذين أحسنوا بسبب الحسنى جزاء عدلاً، خبر...صح نصبه على الحالية، كقولهم: جاء زيد ركضاً. ويصح جعله أيضاً مفعولاً لأجله، أي ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا للعدل، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى للعدل».

وهذا الجزاء عادل في نفسه، وإهماله ظلم، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، فما جزاء المسيء إلّا العقاب، ولا المحسن إلّا الحسنى كما قال تعالى: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾[١] وليس تنفيذ هذا الوعد إلّا (عدلا منه) تعالى.

[٦/١ ـ تقديس الأسماء]:

تَقَدَّسَتْ[٢] أسماؤُهُ، وَتَظَاهَرَتْ آلاؤُهُ[٣] لَا يُسْئَلُ عمّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسأَلُونَ[٤].

وختم الإمام عليه السلام هذا المقطع بالإشارة إلى قدسيّة الأسماء للذات تعالى، واكتفى ببيان أربعة من صفاته تعالى، وهي:

١ ـ القادريّة.

٢ ـ الرازقيّة.

٣ ـ الاحياء والاماتة (الأجل المؤجّل).

٤ ـ العدل.

ولم يسرد غيرها من صفات الكمال والجلال والأسماء الحسنى؛ فإنّ هذه الأسماء تكفي للإشارة إلى باقيها من الأسماء الحسنى، فإنّ أسماؤه تعالى مقدّسة ـ أي مطهرّة من العيوب ـ لأنّ الذات كذلك، فالأسماء الحسنى تكون مقدّسة ـ أي مطهرّة من العيوب أيضا.

وآلاؤه ونعمه تعالى ظاهرة واضحة في الحياة لكافّة الموجودات؛ لأنّ رحمته

---

(١) القرآن الكريم، سورة النجم ٥٣: ٣١.

(٢) في حاشية (ج): «طهرت».

(٣) في (ك): «تقدست آلاؤُهُ وتظاهرت نعماؤُهُ»، وفي (ر): «تقدست اسماؤُهُ وتظاهرت نعماؤُهُ»، وفي (ف): «تقدست اسماؤُهُ وتظاهرت نعماؤُهُ وآلاؤه». وتقدست، أي تنزّهت عن التناقص، وتظاهرت: أي تتابعت وظهرت، وفي (س): «الآلاء: النِعَم». (حاشية ابن إدريس: ١٠٦).

(٤) اقتباس من القرآن الكريم، سورة الأنبياء ٢١: ٢٣.

وسعت كلَّ شيء[١] ولولا الماء الذي جعل منه كل شيء حيّاً[٢] لما وجدت الحياة للنبات، وبالنتيجة للحيوان... وهكذا، ومظاهر نعمه تعالى متجليّة في كلّ شيء.

وهذه الأسماء المقدّسة من القدرة والرزق والإحياء والإماتة والعدل تكشف عن أنّ الذات المقدّسة تختص بصفة الخالقية المؤثّرة في كل الموجودات، وأنّ كل شيء راجع إليه، وأنّه نور السماوات والأرض وبالنتيجة: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾[٣] لكونه العادل المطلق (وَهُم يُسأَلُون)، لأنهم خيّروا بين عمل الخير والشرّ فاختاروا بقدرتهم ما يستحقّونه من الثواب على عمل الخير أو العقاب على عمل الشّر.

وطبيعيّ أنّ هذه الصفات المقدّسة تكون فاتحة للدعاء والتضرّع إلى من بيده الأمر من قبل ومن بعد، وهو على كل شيء قدير.

[١/٧ ـ نعمة المعرفة]:

وَالحَمْدُ للّهِ الَّذي لَوْ حَبَسَ[٤] عَنْ عِبَادِهِ مَعْرِفَةَ حَمْدِهِ عَلَى مَا أَبْلَاهُمْ[٥] مِنْ مِنَنِهِ[٦] المُتَتَابِعَةِ[٧]، وأَسْبَغَ[٨] عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمِهِ المُتَظَاهِرةِ[٩]، لَتَصَرَّفُوا فِي مِنَنِهِ[١٠] فَلَمْ يَحْمَدُوهُ، وتَوَسَّعُوا فِي

---

(١) فقد قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ القرآن الكريم، سورة الاعراف ٧: ١٥٦.

(٢) حيث قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ القرآن الكريم، سورة الأنبياء ٢١: ٣٠.

(٣) القرآن الكريم، سورة الأنبياء ٢١: ٢٣.

(٤) في (ش): «لو ستر»، وفي حاشية (ش)، في نسخة: «حبس».

(٥) في (ش) (ف): «أولاهم»، وفي حاشية (ش)، في نسخة: «أبلاهم»، وفي بعض النسخ: «أبلاءهم». وأبلاهم: أي امتحنهم واختبرهم، وفي حاشية (ج): «البلاء يكون حسنا ويكون سيئا، قال الله تعالى: ﴿...وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا﴾» (سورة الأنفال ٨: ١٧).

(٦) في «ت»: «منته»، والمِنَنْ جمع مِنَّة: أي النعمة والإحسان.

(٧) المتتابعة: المتوالية.

(٨) أسبغَ: وسَّعَ وأفاض.

(٩) المتظاهرة: المتوالية المترادفة أو الظاهرة البيّنة لكل أحد.

(١٠) في (ش): «في فضله». وفي (ف): «في مشيّته».

رِزْقِهِ فَلَمْ يَشكُرُوه.

وَلَوْ كَانوا كَذلِكَ لَخَرَجُوا مِنْ حدود[(١)] الإنْسَانيَّةِ[(٢)] إلى حدّ[(٣)] البَهِيمِيَّةِ، فَكَانُوا[(٤)] كَمَا وَصَفَ[(٥)] في محكم كتابه[(٦)]: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[(٧)].

وحيث إنّ السبيل إلى الحمد ينحصر في نعمة المعرفة، أتبع الإمام عليه السلام المقطع السابق بالحمد على نعمة المعرفة الّتي هي من نعم الله الظاهرة حيث أكرم

---

(١) في (ك): «حيز»، وحيِّز الإنسانية هو الوجود المتميِّز بالقوّة العقليّة، في مقابل حريم البهيميّة الفاقدة للقوّة العقليّة. والمراد مكانهما، وهو مجاز.

(٢) في حاشية (ط): «قال الصادق عليه السلام: سمي الإنسان إنسانا لأنه ينسى، وقال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ﴾». (سورة طه ٢٠: ١١٥). وقال العلامة المجلسي في البيان: الإنسان فعلان، عند البصريين لموافقته مع الانس لفظا ومعنى، وقال الكوفيون: هو افعال من «نسي»، أصله إنسيان على إفعلان، فحذفت الياء استخفافا لكثرة ما يجري على ألسنتهم، فإذا صغروه ردوه إلى أصله لان التصغير لا يكثر، وهذا الخبر يدل على مذهب الكوفيين، ورواه العامة عن ابن عباس أيضا، قال الخليل في «كتاب العين»: سمي الإنسان من النسيان، والإنسان في الأصل: إنسيان، لان جماعته أناسي، وتصغيره: أنيسيان، بترجيع المدة التي حذفت وهو الياء وكذلك إنسان العين. (بحار الأنوار٥٧: ٢٦٤).

(٣) في (ك): «ودخلوا في حريم»، وفي (ش) (ف) (ق): «ولدخلوا في حريم»، وفي حاشية (ش)، في نسخة: «وأدخلوا».

(٤) في (ك) (ف): «وكانوا»، وفي الحاشية في نسخة: «فكانوا»، وفي حاشية (ج)، في نسخة: «وكانوا ـ خ س»، وفي (ق) (ت): «ولكانوا».

(٥) في (ك): «جل وعلا».

(٦) في (ر): «كما وصف في محكم كتابه».

(٧) القرآن الكريم، سورة الفرقان ٢٥: ٤٤، وتمام الآيات: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (سورة الأعراف ٧: ١٧٩).

الإنسان بالعقل على سائر المخلوقات، وبذلك يمكن معرفته تعالى بآثاره الحاكمة في الكون، الدالة على خالقها.

ومثّل عليه السلام زيادة في أهمية هذه النعمة بالإشارة إلى عدمها، فإنّ الأشياء تعرف بأضدادها؛ مؤكداً إنّ المنن والنعم المستمرّة والمتظاهرة من الله سبحانه للعباد إنّما هي ابتلاء وامتحان للإنسان؛ ليقوم بدوره الإنساني من الشّكر على ما أنعم الله عليه، وأن يجتنب الكفران كما هو الشأن في كلّ إحسان.

وفي حالة ما لو فرض الضدّ، وكانت هذه المعرفة ممنوعة عن الإنسان بحيث لم يتمكن من الاختيار بين الشكر والكفران وأصبح مسلوب الإرادة، وبالنتيجة كانت تصرّفاته فيما منّ الله عليه من النعم تصرّف الحيوانات الّتي تتصَرّف في النعم من دون أداء الواجب من الحمد، صار كمن (انتفعوا) من رزقه سبحانه من دون الشكر الذي هو واجب لمن وهب، فيكون شأن الإنسان ـ حينئذ ـ شأن سائر الحيوانات، فيكون الإنسان حينئذ قد خرج من صفة الإنسانيّة، وأصبح في أصناف البهائم والأنعام، بل يصبح أضلّ منها؛ لأنّها فاقدة للعقل في خلقها، فيكون تصرّفها من عدم الحمد والشكر طبيعياً لها، دون الإنسان الذي وهبه الله نعمة العقل والأمر على وجوب المعرفة والشكر، فيكون تصرّفه بعدم الحمد والشكر تصرّف غير طبيعيّ، فيكون أضلّ سبيلا، كما قال تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[١].

وأشار السيد الشارح (ت / ١١٢٠هـ) بأن العبارة في نسخة قديمة هكذا: «ولدخلوا في حريم البهيمية»[٢] والظاهر أنّه رحمه الله يعني بها رواية ابن مالك من دون تنبيه عليها، وهذه أوفق؛ حيث إنّ الإنسان في هذه الحالة ليس داخلا في أصناف البهائم، بل ملحق بها، على خلاف ما تقتضيه طبيعتها في حريمها، لنكران ما يقتضيه العقل الذي وهبه الله وما يأمر به العقل من الشكر والحمد.

---

(١) القرآن الكريم، سورة الفرقان ٢٥: ٤٤.

(٢) رياض السالكين ١: ٣٠٨.

[٨/١ ـ أنواع المعرفة]:

والْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا عَرَّفَنَا مِنْ نَفْسِهِ[١]، وألْهَمَنَا[٢] مِنْ شُكْرِهِ[٣]، وَفَتَحَ لَنَا من أبْوَاب[٤] العِلْم برُبُوبِيَّتِهِ، وَدَلَّنَا عَلَيْهِ مِنَ[٥] الإخْلَاصِ له في توحيدِهِ[٦]، وَجنَّبَنَا مِنَ الإلْحَادِ[٧] والشَكِّ فِي أمْرِهِ.

ثم اشار الإمام عليه السلام إلى خمسة أنواع من المعرفة وأسبابها؛ فإنّ السبب لها جميعا يرجع إلى الله سبحانه؛ لأنّه مسبّب الأسباب وعلّة العلل، وإنّا لله وانا إليه راجعون، والأنواع الخمسة هي:

الأوّل ـ تعريف الذّات:

فإنّ الآيات القرآنية طافحة بالاستدلال على الخالق الحكيم من آثار خلقه في العالم؛ فإنّ الاستدلال بالمعلول على العلّة ـ المعروف بالبرهان الإنّي ـ مما سلكه الفضلاء في حياتهم العادية، وقد عرّفنا الله من ذاته المقدسة هذا المقدار، ولم يصل قطّ إلى حقيقة ذلك، فإنه:

كلّما قدّم فكري فيك شبراً، فرّ ميلا

وفيما عرّفنا الله سبحانه نفسه من الآيات كفاية على الايمان لمن أراد واضح البرهان.

---

(١) في (ق) (ت): «من حمده».

(٢) في حاشية (ط): «الإلهام: أن يلقي الله في نفس العبد أمرا يبعثه على الفعل أو الترك بطريق الفيض، وهو نوع من الوحي يخصّ الله به من يشاء من عباده. النهاية». (رياض السالكين ٣: ٣٨٥).

(٣) في بعض النسخ: «ما عرفنا من شكره». وألهمنا، أي ألقى في قلوبنا لزوم شكره.

(٤) لم ترد في (ف) (ق) (ت): «أبواب»، وفي (ك): «وفتح لنا أبواب».

(٥) في حاشية (ج): ««من» هنا تعليلية، فالتقدير: دلنا عليه لكي نخلص له في توحيده».

(٦) في (ك): «لوحدانيته».

(٧) في (ز): «من الشك والإلحاد». وفي حاشية (ط): «الإلحاد: الميل والعدول. ومنه: اللحد في القبر، لأنه أميل إلى ناحية منه. يقال: ألحد في دين الله، أي حاد عنه وعدل»، والإلحاد: الانحراف عن الحقيقة والشك في ربوبيتهِ تعالى.

الثاني ـ إلهام الشكر:

والإلهام: ما يقذف في القلب، ويشترك مع الوحي في أنّهما منه تعالى، ويفترقان بأنّ الإلهام لا يفتقر إلى وساطة ملك ولا يشترط فيه الإعلان، بل هو أمر يختص بالإنسان الملهم نفسه.

وهذه المعرفة بلزوم الشكر على النعمة موهبة إلهيّة يلهم بها من يسمو عن مرتبة البهيمية.

الثالث ـ أبواب العلم:

والعلم بالربوبية له أبواب كثيرة لا تدخل تحت حصر، فإنّ الآثار الدالّة على ذلك غير متناهية في الكون من الآفاق والأنفس، وقد جعل الله سبحانه هذه الأبواب مفتوحة لمن يفتح عقله ويستعملها في الاستدلال بالمعلولات على العلل، كما يستخدمه في حياته العادية، ولا أقل من وجود نفسه الذي هو جرم صغير، وقد انطوى فيه العالم الأكبر، فكل الموجودات أبواب للإيمان بالله ومعرفته.

الرابع ـ الاخلاص في التوحيد:

وهذا يترتّب على ما تقدم؛ إذ بعد الإيمان يأتي التوحيد وهو إثبات وحدانية الذات الالهيّة، وله مراتب، ولكل من مراتبه مراتب، وأدناها التوحيد باللسان، وهو شهادة أن لا إله إلّا الله، ثم الاعتقاد بالجنان، وأعلاها اليقين، وهو القطع للشيء من طريق العلم، وهو ثلاثة مراتب:

١ ـ علم اليقين: ما يحصل بالفكر.

٢ ـ عين اليقين: ما يحصل بالبصر.

٣ ـ حق اليقين: ما يحصل بالمشاهدة والمعاينة العقلية، ومن هنا قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «عميت عين لا تراك»(١) وقد وصف عليه السلام التوحيد بقوله: «أوّل الدّين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال

---

(١) إقبال الأعمال: ٣٤٩؛ البحار ٦٧: ١٣٨.

توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه»[١]، وراجع ما ذكرته في شرح نهج البلاغة[٢].

فالإخلاص في التوحيد مرتبة عالية من مراتب التوحيد، دلّنا عليه تعالى بالعبادات والطاعات والرياضات المقرّبة إليه تعالى.

الخامس ـ التحرّر من الالحاد:

وآخر أنواع المعرفة: التحرر من الإلحاد والشّك، فإنّ الشك والتحيّر من دون دليل مرشد ونور يضي الطريق سيؤدّي إلى الإلحاد. وعلى العكس فإنّ الحريّة الفكرية مع وجود الخيارات لمن يستخدم عقله وفكره الحرّ، لابدّ وأن ينتهي إلى الايمان.

والله سبحانه أنعم على البشر بهذه الحريّة الفكرية الّتي تجنّب الإنسان عن الشك المؤدّي إلى الإلحاد والميل عن الشيء الحقيق بالإتّباع.

والتحرّر من الإلحاد والشك نوعان، جمعهما عليه السلام هنا لشدّة الصلة بينهما، وللحمد في الحقيقة ستة أنواع.

وهذه الأنواع من المعرفة نموذج لغيرها مما لا يدخل تحت حصر من بدائع الخلق، وهذه الأنواع بصفة عامة مما خصّها الله تعالى بالإنسان، وامتاز بها عن سائر الحيوان فيختصّ بأنواع ستة من الحمد.

[٩/١ ـ أنواع الحمد]:

ذكر عليه السلام ستة أنواع، وسردها بصيغة المفعول المطلق لبيان أنواع الحمد، بالإضافة إلى تقوية معناه، وهو العامل في معناه المصدري، أي «الحمد لله بأنواع الحمد حمداً» وهو النوع الأوّل...

وأوّل أنواع الحمد: ما يؤثّر في الحياة الدنيا من عمران القلوب، وآخرها:

---

(١) الكافي ١: ١٤٠.

(٢) راجع شرح نهج البلاغة: شرح الخطبة الأولى.

ما يؤثّر في الحياة الآخرة في صفوف الملائكة المقرّبين، وبينهما أنواع ودرجات متفاوتة، قال عليه السلام:

حَمْداً نُعمّر[(١)] بِهِ فيمَنْ[(٢)] حَمدَهُ[(٣)] مِنْ[(٤)] خَلْقِهِ، وَنَسْبِقُ بِهِ[(٥)] مَنْ سَبَقَ[(٦)] إلى رِضاهُ وَعَفْوِهِ. حَمْداً يُضِيءُ[(٧)] لَنا[(٨)] به[(٩)] ظُلُماتِ البَرْزَخِ[(١٠)]، ويسهلُ عَلَيْنَا به[(١١)] سَبيلَ[(١٢)] المَبعَثِ[(١٣)]، ويُشرّفُ[(١٤)]

---

(١) في (ش): «يعمر»، وفي (ف): «حمداً يعتريه ويعمّر من حمده»، وفي (ر): «نُعمر»، وفي حاشية (ط) (ج)، في نسخة: «نعمُرُ به»، «يغمر به من ـ س».وقوله: «نعمُرُبه» أي نعيش أعمارنا بهِ، وفي (ك): «نعمّ». وعمَّ الشيء يعمّ عموماً: شمل الجماعة، فهو عامّ. وفي هامش (س) ما نصّه: «في نسخة ابن إدريس (يغمر به مَن حمده) بالياء التحتانية والغين المعجمة. (لوامع الأنوار العرشية ١: ٤٥٧)».

(٢) في (ش): «به من»، وفي حاشية (ط): في نسخة: «يعمُرُ به من»، وفي (ق) (ت): «به حمد من».

(٣) في حاشية (ج): «حمِده، حمَده ـ معا».

(٤) في (ش) زيادة: «جميع»، وفي (ق) (ت): «من حمده من جميع».

(٥) في (ف): «ويسبق به»، ولم ترد «به» في (ق) (ت).

(٦) في (ش): «ويسبق من سبق به».

(٧) في بعض النسخ: «تضيء».

(٨) لم ترد في (ش): «لنا».

(٩) لم ترد في (ك): «به».

(١٠) وفي حاشية (ط): «البرزخ: الحاجز بين الشيئين، والبرزخ: ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ»، والبرزخ: العالم الذي يكون بعد الموت وقبل البعث، وقد يُسمى به عالم القبر. وفي حاشية (ج): «البرزخ: القبر، لانه بين الدنيا والآخرة، وكل شيء بين شيئين فهو برزخ»، وفي (س): «البرزخ: ما بين الدنيا والآخرة من الموت إلى البعث، فمن مات دخل في البرزخ». (حاشية ابن إدريس: ١٠٦).

(١١) في (ف): «به علينا سبل».

(١٢) في (ك): «وتسهل به علينا سبل»، وفي (ش): «وتسهل علينا به سبيل»، وفي (ق): «وتسهل علينا به سبل»، وفي (ت): «ويسهل علينا به سبل».

(١٣) في (ك): «البعث».

(١٤) في (ك): «وتشرق»، وفي (ر) (ق): «وتشرّف».

بِهِ مَنَازِلنا عِنْدَ مَوَاقِفِ الأشْهَادِ(١) يَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْس بِمَا كَسَبَت وَهُم لا يُظْلَمُونَ(٢) يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَىً عَنْ مَوْلَىً شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ(٣). حَمْدَاً يَرْتَفِعُ منَّا(٤) إلى أعْلى عِلِّيينَ(٥) فِي كِتاب مَرْقُوم يَشْهَدهُ المُقَرَّبُونَ(٦). حَمْداً تقرُّ(٧) بِهِ عُيُوْنُنَا(٨) إذَا بَرَقَتِ الأبْصَارُ(٩)، وتبْيَضُّ بِهِ وُجُوهُنَا(١٠) إِذَا اسْوَدَّتِ الأبْشَارُ(١١).

حَمْداً نُعْتقُ(١٢) بِهِ من(١٣) أَلِيْمِ نَارِ(١٤) اللَّهِ إِلَى كَرِيمِ جِوَارِ

---

(١) في (ف): «توافق الأشهاد»، والأشهاد: الملائكة والأنبياء والمؤمنون.

(٢) اقتباس من القرآن الكريم، سورة الجاثية ٤٥: ٢٢.

(٣) اقتباس من القرآن الكريم، سورة الدُّخان ٤٤: ٤١.

(٤) في (ك) (ش): «عنّا»، وفي حاشية (ج): «منا، بنا ـ معا س».

(٥) في حاشية (ج): «أعلى عليين: السماء السابعة»، والعليُّون: كتاب يكتب فيهِ صالح الأعمال.

(٦) اقتباس من القرآن الكريم، سورة المطففين ٨٣: ٢١.

(٧) في (ك) (ش) (ق): «تنير»، وفي (ت): «ينير»، وفي حاشية (ش) في نسخة: «تقر»، وفي حاشية (ج) في نسخة: «تنير».

(٨) في بعض النسخ: «أعيننا».

(٩) برقت الأبصار: تحيَّرت من الهول والفزع، واضطربت من الخوفِ، وفي حاشية (ج): «برق البصر: أي شخص عند معاينة تلك المعاني»، وفي (س): «بَرِقَ البصرُ ـ بالكسر ـ يبرق برقاً: إذا تحيّر فلم يَطْرف، فإذا قلت: بَرقَ ـ بالفتح ـ فإنّما تعني بريقه إذا شخص». (حاشية ابن إدريس: ١٠٦).

(١٠) في (ش): «وتُبَيّضُ به وجوهَنا»، وفي (ر): «وتنضر به وجوهَنا»، من قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾. (سورة القيامة ٧٥: ٢٢ ـ ٢٣).

(١١) في (ف): «إذا ابيضت الوجوه والأبشار»، والأبشار: جمع بُشر، «والبُشر» جمع بشرة، وهي ظاهر الجلد.

(١٢) في (ش): «تعبر»، وفي (ف): «يغيّر أليم نار الله»، وفي (ر) (ق) (ت): «نعبر»، وفي حاشية (ش) في نسخة: «نعتق».

(١٣) لم ترد في (ق) (ت): «من».

(١٤) في (ك) (ش): «عذاب»، وفي حاشية (ش) في نسخة: «نار».

اللَّهِ[١]. حَمْداً نُزَاحِمُ[٢] بِهِ مَلَائِكَتَهُ[٣] المقَرَّبِينَ[٤]، ونُضَامُّ[٥] بِهِ أنْبِياءَهُ الـمُرْسَلِينَ فِي دَارِ الـمُقَامَةِ[٦] الَّتِي لا تَزُولُ[٧]، وَمَحَلِّ كَرَامَتِهِ[٨] الَّتِي[٩] لا تَحُولُ[١٠].

الأوّل من أنواع الحمد ـ ما آثاره في الدنيا:

وهو الحمد الذي يعمر القلوب ويحيي الضمائر الإنسانيّة، وهذا النوع حمد على الحياة، فمادام العمر باقياً يكون الحمد ضرورياً، ففي كلّ لحظة يجد الحامد نفسه (فيمن حمده من خلق الله) يلزمه هذا النوع من الحمد على استمرار الحياة، فإنّ الحياة في نفسها بالقياس إلى الفناء تكون نعمة، لأنّها الوسيلة الدنيوية الوحيدة لأنّ (نسبق) بهذا الحمد الدنيوي (من سبق) ممّن كان قبلنا (إلى رضاه وعفوه) فإنّ بعد الحياة لا تتحقّق هذه الوسيلة، فإنّ رضا الله بالطاعات والخيرات وعفوه عن المعاصي والذنوب بالتوبة لا يمكن الا بهذا الحمد الدنيوي.

الثاني من أنواع الحمد ـ ما آثاره في البرزخ:

والبرزخ: هو الحالة المتوسّطة بين الموت والبعث من القبر حتى الحشر، وباعتباره حالة جديدة غير معهودة من قبل، فهي تتصف بصفات ثلاث:

---

(١) في (ك): «جواره»، وفي (ش): «ثوابه»، وفي (ف): «الى كريم جزاء الله».
(٢) في (ر): «ونزاحم»، ولم ترد فيها: «حمداً».
(٣) في (ك) (ش) (ف): «ملائكة الله».
(٤) أي حمداً يوجب غاية القرب من الله، يشابه حمد الملائكة المقرّبون.
(٥) في (ت): «ونصادم»، وفي (ف): «وتضام». ونظامّ: أي ننتظم ونجتمع بسببهِ معَ الأنبياء والمرسلين، وفي (س): «نضام القوم إذا انضمّ بعضهم إلى بعض». (حاشية ابن إدريس: ١٠٧).
(٦) في (ك): «المقام»، وفي (ق): «مقامته». ودار المقامة: دار الإقامة والخلود، أي الجنة.
(٧) لا تزول: أي لا زوال لها ولا انتقال عنها.
(٨) في (ك): «الكرامة»، وفي حاشية (ش) في نسخة: «الكرامة».
(٩) أي حمداً يوجب غاية القرب من الله، يشابه حمد الملائكة المقرّبون.
(١٠) لا تحول: أي لا تتغيَّر.

١ ـ الظلمة؛ حيث لا يعلم الإنسان مصيره.

٢ ـ الصعوبة في الطريق؛ حيث لا يعلم مسيره.

٣ ـ بُعد المنازل؛ حيث لا يعلم الموقف.

ونتيجة هذا الحمد يظهر آثاره في البرزخ بإضاءة الظلمات، وسهولة الطريق، والمنزلة المشرّفة والمقرّبة عند الله تعالى في اليوم الصعب كما وصفه تعالى: ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[١] وقوله: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾[٢].

الثالث من أنواع الحمد ـ الحمد المقبول عند الله:

والحمد المقبول هو الحمد الخالص من شائبة الرياء، والمراد من العلّيين هو ديوان الخير، يدوّن فيه كلّ ما عملته الملائكة وصلحاء الثّقلين، وهو أعلى الدرجات في الجنّة، وهذا اقتباس من قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[٣].

الرابع من أنواع الحمد ـ ما تظهر آثاره في الآخرة:

والآثار التي تظهر في الآخرة هي اثنان:

أوّلاً: قرّة العين في يوم القيامة؛ فإن هول ذلك اليوم عظيم على الجميع، حيث إنّه يوم حساب ولا عمل، ويوم عرض نتائج الامتحان لما عمله الإنسان في الدنيا، وحيث أنّ الإنسان لا يعلم النتائج تكون الآثار الحسيّة هائلة شأن كلّ يوم هائل متوقع في الحياة كالزلازل والحروب، ومن أظهر تلك المظاهر حالتان:

١ ـ برق الأبصار وحيرتها، بالنظر إلى مختلف الجهات للهرب.

٢ ـ اسوداد الأبشار، أي بشرة الجلد لهول المطّلع، فيتغيّر اللون.

(١) القرآن الكريم، سورة الجاثية ٤٥: ٢٢.
(٢) القرآن الكريم، سورة الدخان ٤٤: ٤١.
(٣) القرآن الكريم، سورة المطففين ٨٣: ١٨ ـ ٢١.

وهذا النوع من الحمد يوجب قرّة العيون في ذلك ليوم، للاطمئنان بحسن النتائج.

ثانياً: بياض الوجوه؛ فانّ إشراقها يدل على نجاح صاحبها.

الخامس من أنواع الحمد ـ ما يوجب العتق من النار:

وهناك من الحمد ما يوجب العتق من النار الموعود للعصاة، وهو الموجب للقرب إلى الله بكريم الجُوار، والمراد من الجُوار ـ بالضم ـ: العهد في حماية المستجير مما يخيفه، والنار بأهوالها مخيفة، فالحمد الموجب للعتق منها يكون مقرّبا إلى الله تعالى بعهد الجوار للأمن من العذاب.

السادس من أنواع الحمد ـ ما يوجب الثواب والفضيلة والمنزلة الرفيعة:

والمنزلة الرفيعة: هي أعلى الدرجات؛ حيث إنّ أثر حمد الحامد: هو ما يحقق له:

١ ـ الوصول إلى رتبة هي أعلى الدرجات.

٢ ـ مزاحمة الملائكة المقرّبين إلى الله بعبادتهم المستمرّة.

٣ ـ الإنضمام إلى صف الأنبياء والمرسلين بتبليغ رسالاتهم.

٤ ـ الخلود في الدرجة الرفيعة الّتي هي (دار المقامة الّتي لا تزول ومحل كرامته) تعالى (التي لا تحول) ولا تتغيّر.

وما أعظمها من منزلة رفيعة خالدة! وهي الجنّة الّتي وعد الله بها المتّقين.

وبالجملة، فالحمد لله سبحانه بأنواع الحمد الّتي آثارها تعمّ الحامد في الدنيا وفي البرزخ بين الدنيا والآخرة، وفي الآخرة من حين الموت إلى البعث والنشور. وفي الآخرة أيضاً مقام رفيع جدا.

فالحمد الحقيق الذي ينبغي للحامد، هو ما يتّرتب عليه هذه الآثار، ولا يكون ذلك إلّا بالخلوص من الرياء ويتحقق بالانقطاع إلى الله تعالى.

[١٠/١ـ في قدرة الإنسان]:

والحَمْدُ لِلَّهِ الَّذي اخْتَارَ[(١)] لَنَا مَحَاسِنَ الخَلْقِ[(٢)]، وَأجْرَى علَينا[(٣)] طَيِّبَاتِ الرِّزْقِ[(٤)]، وَجَعَلَ لَنَا الفَضِيلَةَ[(٥)] بالمَلَكَةِ[(٦)] عَلَى جَمِيعِ الخَلْقِ، فَكُلُّ خَليقته مُنْقَادةٌ[(٧)] لَنَا بِقُدْرَتِهِ، وَصَائِرةٌ[(٨)] إلى طَاعَتِنَا بِعِزَّتِهِ[(٩)].

ومن نعم الله تعالى للإنسان الموجبة للحمد: القدرة الّتي وهبها الله للإنسان بالعقل الذي يستخدمه في مصالح العباد والبلاد، وقد عدّدها في هذا المقطع، وهي:

١ ـ محاسن الخلق، حيث خلق الإنسان في أحسن تقويم[(١٠)] دون كلّ المخلوقات، فجمع الإنسان محاسن الخلق أجمعين.

---

(١) في (ف): «الذي خلقنا واختار».

(٢) في (ك) (ق) (ت): «الخلقة»، وفي (ف): «الخلقةمن خلقته»، وفي (ش): «الاخلاق»، وفي حاشية (ش) في نسخة: «الخلق»، ومحاسن الخلق: أي الأشكال والصور الحسنة البديعة. بأن خلقنا في أحسنِ تقويم.

(٣) في (ر): «واجرى علينا»، وفي (ك) في نسخة: «لنا».

(٤) في (ش): «الأرزاق»، وفي حاشية (ش) في نسخة: «الرزق».

(٥) وردت كلمة «الفضيلة» في حاشية (ش) في نسخة، وكتب عليها: «خ».

(٦) في (ف) (ر) هكذا: «وَجَعَلَ لَنَا المَلَكَةِ»، وفي بعض النسخ: «وجعل لنا المملكة»، والملكة: الكيفية الراسخة، العقل: أي جعل لنا الأفضلية بالعقل على جميع المخلوقات، وفي حاشية (ج): «الملكة: القدرة والضبط والملك، وقوله: انتم لها مالكون، أي ضابطون، والمعنى: أنها ذلت لهم فملكوا رؤوسها وركبوها كيف شاؤوا».

(٧) في (ك): «خلق منقاد»، وفي (ش) (ر) (ي): «خلقه منقاد»، وفي حاشية (ش) في نسخة: «خليقته منقادة»، وفي (ف): «خليقةٍ له منقادة لنا»، وفي (ق): «وكل الخليقة منقادة»، وفي (ت): «فكل الخليقة منقادة».

(٨) في (ك) (ي): «وصائر»، وفي (ش): «وصائرة لنا»، وكتب على كلمة «لنا»: «خ».

(٩) بعزته: أي بسبب غلبتهِ وقدرته على كل شيء.

(١٠) كما ورد في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (القرآن الكريم، سورة التّين ٩٥: ٤).

٢ ـ طيّبات الرزق، فهي وإن كانت في أرض الله الواسعة، إلّا أنّ معرفتها والمحافظة عليها زرعاً وحصداً وطبخاً وتدبيراً، ممّا خصه الله تعالى للإنسان في انتقائها وتركيب العقاقير وأنواع الاغذية والطعام منها.

٣ ـ الفضيلة بالملكة، فإنّ ملك الشيء والسلطان عليه من أظهر مصاديق القدرة، وقد جعل الله هذه الفضيلة والشرف للإنسان الذي يملك غيره من المخلوقات ويدبّر أمرها بالسياسات المناسبة لحالها من الحيوانات والنباتات والجمادات وغيرها، فإنّ غير الإنسان من المخلوقات ـ كالحيوان المفترس مثلا ـ قد يكون أقوى من الإنسان إلّا أنّ هذه القدرة ليست نابعة من التدبير، فالفضيلة أي الدرجة الرفيعة من الفضل والملكة والقدرة على (جميع الخلق) خاصة بالإنسان دون غيره، ودونها درجات أُخرى من الملك لسائر المخلوقات باختلاف الدرجات والحالات.

ونتيجة هذه القدرة الّتي وهبها الله للإنسان أنّه قادر بقدرته الّتي وهبها الله أن يجعل (كلَّ خليقته منقادة) له، وان يصل سلطان الإنسان إلى جميع المخلوقات بما فيها جميع ما في الكرة الأرضية وغيرها من الأجرام السماوية حتّى تصبح مطيعة لإرادة الإنسان بالعزّة التي وهبها الله تعالى له.

ورأينا في عصرنا كيف تمكن الإنسان بسلطان العلم أن يصل إلى القمر، والمستقبل قد يكشف عن قدرته على الوصول إلى الكرات الأُخرى.

[١١/١ ـ في لطفه على الحمد]:

والحَمْدُ للّهِ الّذي أَغْلَقَ[١] عَنّا بَابَ الحَاجَةِ إلّا إليْهِ[٢]، فَكَيْفَ نُطِيقُ حَمْدَهُ؟ أمْ مَتَى نُؤدِّي[٣] شُكْرَهُ؟، لَا، مَتَى[٤]؟

---

(١) في (ش) (ف) (ي): «وأغلق»، ولم ترد فيه: «الحَمْدُ لِلّهِ الذي»، وفي حاشية (ش) في نسخة: «والحَمْدُ لِلّهِ الذي».

(٢) العبارة في (ر) هكذا: «واغلق عنا باب الحاجة إلّا اليه»، والعبارة في (ت) هكذا: «الذي اغلق غيابات الحاجة إلّا اليه».

(٣) في (ج): «نودّي»، وفي حاشية (ج): «نودّي، نؤدّي- معا».

(٤) لم ترد في (ر) (ك): «لا، متى؟»، وهو انكار ابطالي، ومعناه: كيف نتمكن من أداء حمده والثناء عليهِ بما يوازي نعمه التي لا تحصى، ومتى يمكننا أن نؤدّي واجب شكره؟، =

ومن موجبات الحمد: أنّ الإنسان لا يحتاج في تخطيط مستقبله وتدبير أموره في الحياة إلى المخلوقات الأُخرى، بل يستخدمها كآلات لتنفيذ مآربه في العمران في كلّ الظروف والأزمان، وليس للمخلوقات الأخرى دور المدبّر، بل ينحصر دورها في المنفّذ. فالله سبحانه أغلق عن الإنسان باب الحاجة إلى سائر المخلوقات.

فالله هو الذي وهب العقل والقدرة الفكرية للإنسان وجعله أشرف المخلوقات، وبذلك أغلق باب الحاجة إلّا إليه.

وهذه النعمة العظمى الموجبة للحمد لا تقاس بها غيرها، ولذلك لا يمكن أنْ يؤدّي حقّ الحمد المستحقّ لهذه النعمة، فإنّ الطاقة البشريّة محدودة بدورة الحياة المنتهية بالموت، وهذه النعمة دائمة ما دام للبشرية وجود، ولو بفرد واحد. فلا يمكن أن نطيق حمده تعالى، وكذلك لا يمكن أن يؤدّى الشكر على ذلك؛ لأن الشكر لا ينحصر في الزمان الذي يؤدّيه الشاكر، وهذه النعمة تتعدى الزمان والأفراد والأمكنة، إنّها نعمة أزلية للإنسان، فلا يمكن أداء شكرها حقّاً.

تنبيه: لم ترد: (لا، متى) في رواية ابن مالك، والتركيب من (لا) النافية للجنس و(متى) الزمانيّة ـ إن صحّت النسخة المشهورة ـ غريب نادر، وبما أنّ أهل البيت عليهم السلام أفصح فصحاء العرب، فلا بدّ فيها من بيان وإيضاح شرحها السيّد المدني (ت / ١١٢٠هـ) في الشرح الكبير، ومما قال رحمه الله: «(لا، متى)، قال بعضهم: هو إمّا بمعنى لا يمكن تأدية شكره، متى يمكن ذلك؟ أو بمعنى لا يقال: متى، فإنه يتوهّم منه إمكان وقوعه. وقيل: هو من قبيل الحكاية ـ إلى أن قال: ـ

= كلّا لم يحصل ذلك، وفي (ف) زيادة: «هيهات». أي إذا كان الأمر هكذا فمتى نؤدّي شكره؟. و«متى» ظرف يكون استفهاماً عن زمان فعل فيهِ أو يفعل، وليس الاستفهام هنا على حقيقتهِ، بل الغرض منهُ استبعاد كونهِ مستحقاً للثواب حينئذ، و«لا» في قولهِ: «لا متى» نافية، ومفادها إمّا النفي صريحاً. أو الاحتراز عمّا قد يتوهم من أن الاستفهام على صرافتهِ، فجاء بالنفي نصاً على المقصود. وقولهُ: «متى» استفهام انكار مستأنف. (رياض السالكين ٥: ٢٥٩)، وسيأتي نظير هذا التعبير في الدعاء ٣٧، المقطع ٨.

يحتمل أن يكون (لا) لنفي الجنس، و(متى) اسمها، مراداً به هذا اللفظ الموضوع للاستفهام، وهو وإن كان حينئذ معرفة؛ لأنّ الكلمة إذا قصد بها لفظها كانت علماً، لكنّه في تأويل النكرة كقوله: «لا هيثم الليلة للمطي» أي لا مسمى بهذا الاسم، والمعنى: لا استفهام بمتى في هذا المقام.

ثانياً: ليكون الإقرار بالعجز عن تأدية الشكر صريحاً متأكّداً، وهذا التركيب تستعمله العرب بعد الاستفهام عن الشيء الذي يستبعد الاستفهام عنه، كقول الشاعر:

أين جيرانك، لا، أين هم؟ أحجازاً أوطنوها أم شآما[1]

[١٢/١٠ـ في خلق الإنسان]:

والحمْدُ للّهِ الَّذِي رَكَّبَ فِيْنَا[2] آلَات البَسْطِ، وجَعَلَ لَنَا أدَوَاتِ القَبْضِ[3]، ومتّعنا بأرواحِ الحَيَاةِ[4]، وأثْبَتَ[5] فِيْنَا جَوَارِحَ الأعْمَالِ، وَغَذَّانَا[6] بِطَيِّباتِ الرِّزْقِ[7]، وأغْنَانَا[8] بِفَضْلِهِ، وأقْنَانَا[9] بِمَنِّهِ[10].

---

(1) رياض السالكين ١: ٣٧٠.
(2) ركّب فينا: جعل في أبداننا.
(3) الآلات: جمع آلة، والأدوات: جمع أداة، والمراد الأجهزة والأعضاء الّتي جعلها الله في أبداننا، والمراد بالقبض والبسط: سائر الأفعال والحركات الّتي يقوم بها الإنسان بواسطة الآلات والأعصاب الّتي يتمتّع بها.
(4) أرواح الحياة: القوى الّتي تُسَبِب استمرار الحياة.
(5) في حاشية (ك) في نسخة: «وأنبب»، وفي حاشية (ج): «وأنبت ـ س».
(6) في (ف): «وعدانا».
(7) في (ك) (ش) (ق) (ي) (ت): «المعاش»، وفي (ف): «المعاش والرزق»، وفي حاشية (ش) في نسخة: «الرزق».
(8) في (ك) (ي): «فأغنانا».
(9) أقنانا: أعطانا زيادة على الغنى، وهيّأ لنا ما يقتنى ويدّخر زيادة على الحاجة.
(10) في (ك): «بمنه وطوله».

ثُمَّ أمَرَنَا لِيَخْتَبِرَ طاعَتَنا، وَنَهَانَا لِيَبْتَلِيَ[(١)] شُكْرَنَا[(٢)]، فَخَالَفْنَا عن[(٣)] طَرِيْقِ[(٤)] أمْرِهِ، وَرَكِبْنَا[(٥)] مُتُونَ زَجْرِهِ[(٦)]، فَلَمْ يَبْتَدِرْنَا[(٧)] بِعقُوبَتِهِ، وَلَم يُعَاجِلْنَا بِنِقْمَتِهِ[(٨)]، بَلْ تَأنَّانَا[(٩)] بِرَحْمَتِهِ تكرُّماً[(١٠)]، وانتظرَ مراجعتنا[(١١)] بِرأفَتِهِ[(١٢)] حِلْماً[(١٣)].

وحيث إنَّ مجرّد الغنى عن سائر المخلوقات في تدبير الإنسان حياته لا يكفي، بل لا بدَّ من قابلية ذاتية للإنسان في تحقيق ذلك، أشار الإمام عليه السلام إلى المقوّمات للتدبير في الإنسان، وهي:

١ ـ آلآت البسط، وهي أعضاء الهيكل للإنسان الّتي بها ينبسط لتحقيق مآربه، كاليد والرجل.

٢ ـ أدوات القبض، وهي الأعضاء الّتي بها يتحقق ما يراد قبضه بها، كالكف.

---

(١) ليبتلي: ليمتحن.
(٢) في (ك) (ي) زيادة: «وَهُوَ بِنَا عَالِمٌ قَبْلَ الائِتِمارِ والانْزِجارِ»، والايتمار: امتثال الأمر.
(٣) لم ترد: «عن» في (ك) (ق) (ت).
(٤) في (ك): «بمنه وطوله».
(٥) في (ت): «وركّبنا».
(٦) الزجر: المنع، ومتون زجرهِ استعارة عن سلوك المسالك الوعرة وترك الصراط المستقيم، ومتن الأرض: ما صلبَ وارتفعَ منها.
(٧) في (ر): «يبادرنا». وابتدرَ الشيء: عاجلهُ وأسرعَ إليهِ.
(٨) في (ف): «بسطوته ونقمته». في (ق): «بسطوته».
(٩) في (ش): «تأنّى»، والكلمة غير واضحة في (ف)، ولعلها: «أتانّا»، وفي حاشية (ش) في نسخة: «تأنّانا». وتأنّانا: أمهلنا، من تأنّى: إذا تمكث ولم يعجل.
(١٠) في (ر): «كرماً».
(١١) في (ش) (ر) (ي): «وانتظر فيئنا برأفته حلماً»، وفي حاشية (ش) في نسخة: «مراجعتنا».
(١٢) العبارة في (ك) هكذا: «بل تأنّانا بِكَرمه وأنظرنا برأفته»، وفي حاشية (ج): «بنعمته»، وفي (س): «الرأفة أشدّ الرحمة». (حاشية ابن إدريس: ١٠٧).
(١٣) في (ف): «برأفته تحلّما وتحنّنا». وفي (ق) وحاشية (ج): «تحلّما».

٣ ـ الرّوح، الّتي بها قوام الحياة للجسم بكلّ ما فيه من الأعضاء
الجوارح، والخلل في شيء منها يفسدها.

٤ ـ جوارح الأعمال، وهي الأعضاء الّتي تستخدم للعمل وصناعة ما يفتقر
ليه.

٥ ـ التغذية الصّحيحة، فإنّ سوء التغذية يعيق الإنسان عن انجاز أعماله،
قوام الحياة بالتغذية الصحيحة.

٦ ـ الغنى بفضله، وجعل الله الإنسان في كفاية، لتدبير أمره بفضله
إحسانه، فصار أشرف المخلوقات.

٧ ـ القنى بمنّه، والقناء هو ما يقتنيه الإنسان لصلاح أمره في الحياة،
إقداره تعالى البشر على ذلك منّة منه تعالى.

٨ ـ الاختيار في الطاعة والعصيان للامتحان.

وهذه أهمّ المقوّمات الّتي يمتاز بها الإنسان عن غيره، ونتائج الاختيار
ترتب على أعمال الإنسان خيراً أو شرّاً، وتكون من مقوّمات سلوكه في الحياة،
حيث إنّ هذه الخصلة الأخيرة ـ في الحقيقة ـ يترتب عليها سلوك الإنسان المؤثّر
ي نفسه وأُسرته ومجتمعه، شرحها الإمام عليه السلام بإيجاز موضحاً أنّ المسؤولية في
نتائج تقع على عاتق الإنسان نفسه، حيث أنّه يختار ما يريد بمحض إرادته وقدرته
على كلّ من الخير والشرّ، وحيث أنّه يرجّح أحد الجانبين باختياره فيكون مسؤولا
منه، ويترتّب على ذلك ما يترتّب من الثواب والعمل في الدنيا والآخرة معاً.

والاوامر والنواهي الشرعية وان كانت لمصالح ومفاسد واقعية شرّعت
أجلها، ولكنّها في نفس الوقت تكشف عن موقفين:

الموقف الأوّل: إنّ الله سبحانه (أمرنا) بالأوامر الشرعية (ليختبر طاعتنا) فإنّ
طاعة لا تتحقق إلّا بقصد الطاعة للأمر ـ وخاصّة في العبادات الّتي قوامها قصد
قربة ـ وكذلك (نهانا) سبحانه عن المعاصي (ليبتلي) ويمتحن (شكرنا).

والابتلاء ـ في اللّغة ـ: بمعنى الامتحان. وطبيعيّ للإنسان حصول كفران
نعمة منه عند الامتحان؛ لأنّه تحديد وتمحيص لما يخالف رغبة الإنسان، وقليل
ن يقدّر الأمور ولا يحيد عمّا هو المطلوب منه عند الطوارئ والكوارث، وينظر

إلى الأمور بعين البصيرة للعواقب، ففي حالة النهي عمّا لا يرغب فيه الإنسان يظهر مدى شكره على ما أنعم عليه من الاختبار والامتحان.

الموقف الثاني: هو موقف الإنسان تجاه تلك الأوامر والنواهي الشرعيّة، وحيث إنّ الإنسان محلّ السهو والخطأ والنسيان والعصيان، وبحكم هذه الطبيعة تحصل منه المخالفة (عن طريق أمره) تعالى واختيار شهوات الإنسان نفسه وركوب المعاصي الّتي زجر ومنع عنها سبحانه، وهي ظاهرة معروفة.

ومقتضى هذه المخالفة (العقوبة والنقمة) أي المكافاة على العمل المنهيّ عنه، وهما بمعنى واحد. والله سبحانه بحكمته لم يجعل العقوبة على هذه المعاصي من دون فصل زماني، بل إنّه تعالى (لم يبتدرنا بعقوبته ولم يعاجلنا بنقمته) لأنّ المبادرة والعجلة إنّما تكون لمن يخاف الفوت، والله سبحانه لا يخاف الفوت، بل لا يريد سوى إصلاح الإنسان نفسه، ولذلك كان التأنّي في العقاب (برحمته تكرّماً) وتفضّلا، وكأنّ الانتظار لكي يتراجع الإنسان عن موقف العصيان إلى الطاعة.

وما هذه الفرصة المتاحة منه تعالى إلّا من (رأفته) أي شدّة الرحمة (حلماً) على ما يصدر من الإنسان بسبب إغواء الشيطان.

[١٣/١ ـ الدلالة على التوبة]:

والحَمْدُ للّهِ الّذي دَلَّنا[١] عَلَى التَّوْبَةِ، الَّتِي لَمْ نفِدها[٢] إلَّا من فَضْلِهِ، فَلَوْ[٣] لَمْ نَعْتَدد[٤] مِنْ فَضْلِهِ إلَّا بِهَا[٥] لَقَدْ[٦] حَسُنَ[٧]

---

(١) في (ش): «أدلّنا».

(٢) في (ف): «نُعِدّها». وفي (ك): «نعتددها»، وفي حاشية (ج): «نعتدّها ـ خ س».

(٣) في (د): «ولو».

(٤) في بعض النسخ: «نعتدّ». وفي حاشية (ش) في نسخة: «نفد».

(٥) العبارة في (ك) هكذا: «التي لو لم نَعْتددها إلّا من فَضْلِهِ». والعبارة في (ف) هكذا: «التي لم نعدّها إلّا بفضله ولم نقم عليها إلّا بقوته».

(٦) عبارة: «لَمْ نفِدها إلّا من فَضْلِهِ، فَلَوْ لَمْ نَعْتَدد مِنْ فَضْلِهِ إلّا بِهَا لَقَدْ» ساقطة من (ت).

(٧) والعبارة في (ي) هكذا: «والحَمْدُ للّهِ الّذي دَلَّنا عَلَى التَّوْبَةِ الَّتِي [لَوْ] لَمْ نَعْتَدّ مِنْ فَضْلِهِ إلّا =

بَلاؤُهُ عِنْدَنَا، وجلَّ إِحْسَانُهُ اِلَيْنا، وجَسُمَ[١] فضله علَيْنا[٢]، فَمَا هكذا كَانَتْ سُنَّتُهُ[٣] فِي التَّوْبَةِ لِمَنْ[٤] كان[٥] قَبْلَنا[٦]، لَقَدْ وَضَعَ عَنَّا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ[٧]، وَلَمْ[٨] يُكَلِّفْنَا إِلَّا وُسْعاً[٩]، وَلَمْ يُجَشِّمْنا[١٠] إِلَّا يُسْراً[١١]، وَلَمْ يَدَعْ لأَحَدٍ مِنَّا حُجَّةً وَلَا عُذْراً، فَالْهَالِكُ منّا[١٢] مَنْ هَلَكَ عَلَيْهِ[١٣]، والسعيد مِنَّا مَنْ رَغِبَ إليهِ[١٤].

بِهَا لَجسُمَ»، وفي (ف): «لقد جسم»، والعبارة في (ق)هكذا: «والحَمْدُ للّهِ الَّذي دَلَّنا عَلَى التَّوْبَةِ الَّتِي لَوْ لَمْ نَعْتَدّ مِنْ فَضْلِهِ إلّا بِهَا لَقَدْ حَسُنَ»، فجواب «لو»: «لقد حسن...الخ»، أي لو لمنعدّ من فضلهِ إلّا التوبة لكان مجرّد هذا الإنعام عندنا كبيراً.

(١) في (ق) (ت): «وعظم».

(٢) العبارة في (ك) هكذا: «وجلَّ إِحْسَانُهُ لدَيْنا»، ولم ترد في (ك) (ف) (ي): «وجسم فضله علَيْنَا»، وفي بعض النسخ: «لقد كان جسم فضله علَيْنَا».

(٣) العبارة في (ت) هكذا: «فما هكذا كانت سببه» في (ك) هكذا: «فما كانت هذه سنّته». والسنّة: الطريقة والحكم.

(٤) في (ك) (ي): «فيمن».

(٥) لم ترد في (ش): «كان»، وفي حاشية (د): «كان ـ س».

(٦) في (ف): «في التوبة منقبلنا».

(٧) لم ترد «به» في (ك)، والطاقة: القدرة، والمراد: أنّهُ سبحانهُ لم يشدّد علينا في التكاليف فوضعَ عنّا ما لا طاقة لنا بهِ، وهو إشارة إلى ما وردَ في سورة البقرة ٢: ٢٨٦.

(٨) في (ك) (ش) (ف) (ي) (ت): «فلم».

(٩) في بعض النسخ: «إلّا وسعنا».

(١٠) في حاشية (د): «في الصحاح: جشِمته الامر تجشما وأجشمته: إذا كلفته إياه»، وفي حاشية (ج): «جشِمت الامر ـ بالكسر-: تكلفته، وجشَمته بالفتح -: كلّفته اياه، قاله الجوهري»، ويجشمنا: يكلِّفنا على مشقة، أي لم يكلفنا إلّا ما سهلَ علينا وتيَّسَرَ، وفي (س): «جشمته الأمر تجشيماً إذا كلّفته إياه». (حاشية ابن إدريس: ١٠٧).

(١١) في بعض النسخ: «إلّا يسرنا».

(١٢) لم ترد في بعض النسخ: «منّا».

(١٣) الهالك: الخاسر بسببِ ذنوبهِ، هلكَ عليهِ، أي هلكَ بسوء صنعه كأنّهُ هلكَ على عدم رضى منهُ سبحانهُ.

(١٤) في (ك) العبارة هكذا: «والشقي منا مَنْ رَغَبَ إلى غيره، لا إليه»، وفي (ف) العبارة =

وتعقيباً لما أشار من شدّة الرحمة والتفضّل على الإنسان جعل من أسباب الحمد: التوبة، وهي نعمة من الله تعالى على العباد (لم نفدها) أي لم نستفدها (إلّا من فضله) تعالى، حيث دلّنا عليها؛ لانّه هو الذي فتح باب التوبة، ولولا هذه الدلالة لكانت المعاصي كافية في استحقاق العقاب إلى الأبد، فتكون التوبة نعمة أُخرى نابعة من فضله تعالى.

وأشار الإمام عليه السلام إلى أنّ في تعداد فضل الله على العباد بأنواع من الفضل يكفي الاعتداد بفضل التوبة لثلاثة أسباب، تقاس بالدواء للمريض جسدياً، والمعصية مرض روحي:

الأوّل: حسن البلاء: فإنّ التوبة إمتحان حسن غير مشوب بالمكاره، فليس هو سوى الرجوع إلى الحق.

الثاني: جلالة الإحسان: وهي إحسان عظيم، لأنّه فتحٌ لطريق الخلاص لمن ابتلي بالمعصية.

الثالث: عظم الفضل: وهي فضل عظيم، لأنّ المعصية ـ لولا التوبة ـ تكون قاضية على العباد.

فتكفي هذه الأسباب الثلاثة للاعتداد بالتوبة.

ونقل السيد المدني (ت / ١١٢٠هـ) عن البعض: أنّ جواب (لو) في هذا المقام محذوف، والتقدير: لو لم نعتدد من فضله إلّا بها لكفانا ذلك، وهذا متعارف كثيراً ـ إلى أن قال: ـ فالأولى أن تكون قوله عليه السلام: (لقد حَسُن بلاؤه عندنا) هو جواب (لو) لثبوت مثله في فصيح الكلام، والحذف والتقدير خلاف الأصل، فيكون المعنى حينئذ: لو لم نعتدد من فضله إلّا بالتوبة لكان بلاؤه عندنا حسناً، وإحسانه إلينا جليلا، وفضله علينا جسيماً؛ وذلك لانّ التوبة من أعظم نعم

= هكذا: «والسعيد منا مَنْ لم يرَغَب إلّا إليه» وفي (ش) زيادة: «والمحروم منا من أخطأه عفوه».

ِ تعالى على عباده؛ لأنّها ممحاة للذنوب، مستّرة للعيوب، مرضاة للرحمن، سخطة للشيطان، ومفتّحة لأبواب الجنان. . .» إلى آخر كلامه[١].

ثم قارن عليه السلام هذا الفضل بالتوبة في الإسلام مع التوبة فيما قبل الإسلام من سائل التوبة، فإنّ وسيلة التوبة في الإسلام تتّصف بثلاث صفات:

١ ـ ما يطيقه الإنسان، فإنّ ما لا يطيقه لا يتعلّق به التكليف، فإنّ تكليف ما يُطاق محال.

٢ ـ ما يسعه التكليف، فإنّ التكليف الشرعي إلزام، ولا يتعلّق بما ليس فيه سع، وقد قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[٢].

٣ ـ ما يتيسّر للمكلّف القيام به حسب حاله حين التوبة والندم، كما هو روح في كتب الاخلاق والفقه، وراجع المادة في المعجم.

ومن أمثلة ذلك: من ترك الواجبات من العبادات أوالحقوق الشرعية؛ فإنّ مفلّس لا يمكن تكليفه بالتوبة بأداء ما لا يطيقه، بل يكلف ويلزم بخصوص ما عه من أداء حقوق الناس عاجلا أو آجلا بالأقساط.

كما يراعي في ذلك اليسر أيضاً له ولمن يعوله. وهكذا الحال فيمن ترك بادات؛ فإنّه يكلف بحسب ما يطيقه من الصحة والمرض والشيخُوخة وغيرها ن دون تكليف بما لا يطاق، أو تكليف بما لا يسع، أو بما فيه العسر والحرج؛ وله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٣].

وهذه الصفات الثلاث للتوبة لم تكن فيما قبل الإسلام، ففد سنّ تعالى توبة لمن كان قبلنا) من بني اسرائيل ولم تتصف التوبة عندهم بشيء منها، فقد

---

[١] راجع: رياض السالكين، شرح الدعاء الأول.
[٢] القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ٢٨٦.
[٣] وتمام الآية: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾. (القرآن الكريم، سورة الحج ٢٢: ٧٨).

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[١].

حيث جعل القتل وسيلة لتوبتهم، وراجع ما ذكرناه حول ذلك في أوضح البيان.

والحاصل: أنّ الله سبحانه بفضله جعل باب التوبة مفتوحاً وسهلا بحيث (لم يدع لأحد منّا حجّة) يتذرّع بها لعدم التوبة (ولا عذراً) يقدّمه في تركها؛ حيث إنّ وسائل التوبة مقدورة وسعها التكليف، وهي ايضاً ميسورة للمكلّف.

وبالنتيجة: الثواب والعقاب يكون باختيار المكلّف لأسبابهما، فيكون (الهلاك) نتيجة طبيعية لمن ترك التوبة، وكذلك السعادة لمن رغب إلى الله تعالى. ذكر السيد المدني (ت / ١١٣٠هـ) في حرف الجرّ (هلك عليه) معان، ثم قال: «والصواب أنّ معناه: على كره منه، كما يقال: باع القاضي عليه داره، لأنّه تعالى لا يرضى بهلاك أحد من عباده»[٢].

[١/١٤ ـ الحمد الكامل]:

والحَمْدُ للّهِ بِكُلِّ مَا حَمِدَهُ بِهِ[٣] أدْنَى مَلائِكَتِهِ[٤] إليْهِ، وَأكْرَمُ خَليقته[٥] عَلَيْهِ، وَأرْضَى حَامِدِيهِ لَدَيْهِ، حَمْداً يَفْضُلُ سَائِرَ الحَمْدِ[٦] كَفَضْلِ رَبِّنَا عَلَى جميعِ خَلْقِهِ[٧].

---

(١) القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ٥٤.

(٢) رياض السالكين ١: ٣٨٩.

(٣) في (ك): «حمد به»، وفي (ف): «حمدته».

(٤) أي أشرفهم وأقربهم إلى المقام الربوبي، من الدنُو، وهو القرب.

(٥) في (ك) (ج): «خليقته»، وفي (ش) (ف) (ق) (ت): «خلائقه»، وفي بعض النسخ: «خلقه»، وفي حاشية (د) (ج) في نسخة: «خلائقه».

(٦) في (ف): «على سائر الحمد».

(٧) في حاشية (ج) (د) في نسخة: «الخلق».

والحمد الكامل لأي شخص لا يكون إلّا ممن هو أعرف الناس به وأقربهم إليه، ولذلك لا يكون الحمد الكامل لله سبحانه إلّا بعدد (ما حمده به) طوائف هم أقرب إلى الله تعالى من سائر الخلق، وخصّ الإمام ثلاثة منها:

١ ـ أدنى الملائكة، أي أقربهم إلى الله سبحانه، وهم القائلون: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[1].

٢ ـ أكرم الخليقة على الله، وهم الأنبياء والمرسلون عليهم السلام وخاصة أُولوا العزم منهم.

٣ ـ أرضى الحامدين لدى الله، وهم من ليست معرفتهم لله بدرجة معرفة الملائكة والأنبياء، فإنّ حمد هؤلاء نابع عن ايمان فطري خالص.

وعدد الحامدين في الطوائف لا يدخل تحت حصر، والحمد (بكلّ ما حمدهُ به) منهم يتضاعف أضعافاً مضاعفة، وربما يشمل جميع الخلق كلّ حسب قدرته وإيمانه، فيكون من الطبيعيّ أن يكون هذا الحمد (حمداً يفضل سائر الحمد) لكونه الحمد الكامل الشامل، ويكون فضل هذا الحمد بالنسبة إلى سائر إلى الحمد (كفضل ربّنا على جميع خلقه) فإنّ الله نور السماوات والأرض وكلّ ما في الوجود يستضئ بهذا النور، ويكون هذا النور هو السبب في استمراره في الحياة؛ إذ هو الوجود الحقيقي، وما سواه مترشّح منه، وكذلك الحمد الكامل يكون سبباً لكل ما يتصوّره الإنسان من أنواع الحمد الّتي يقوم بها الحامدون باختلاف درجاتهم حسب قربهم إلى الله وبُعدهم، وتكون النسبة بينها كالنسبة بين الأصل والفرع.

[١/١٥ ـ في خصائص الحمد]:

ثُمَّ لهُ الحَمْدُ[2] مَكَانَ[3] كُلِّ نِعْمَةٍ لَهُ عَلَيْنَا وَعَلَى جَمِيعِ عِبَادِهِ

---

(١) القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ٣٠.

(٢) لم ترد في (ك) عبارة: «كَفَضْلِ رَبِّنَا عَلَى جميعِ خَلْقِهِ، ثُمَّ لهُ الحَمْدُ مكان»، والمعنى: يكون حمدي أفضل من حمد غيري من المخلوقين كاملاً لا نهاية لكمالِهِ مثل فضل ربنا على سائر الخلق.

(٣) في (ك) بدل «مكان»: «على».

المَاضِينَ والبَاقِينَ[(١)] عَدَدَ مَا أحَاطَ بِهِ[(٢)] عِلْمُهُ مِنْ جَمِيعِ الأشْياءِ، وَمَكَانَ كُلِّ واحِدةٍ[(٣)] مِنْهَا[(٤)] عَدَدُهَا[(٥)]، أضْعَافاً مُضَاعَفَةً، أبَداً[(٦)] سَرْمَداً[(٧)] إلى يَوْمِ القِيامَةِ.

وختم الإمام عليه السلام دعاءه في الحمد بثلاث خصائص أصيلة مترابطة في الحمد الحقيقي، هي الأبديّة والوسيلة والمسؤولية، بعد أن أشار إلى أنّ الحمد يتحقق بأمرين:

١ ـ النعم الّتي يحمد عليها، وقد تقدّم البحث في بعض المصاديق الهامة من نعم الله تعالى في المقاطع الثمانية المتقدمة، وأنّها لا تنحصر في عدد خاص.

٢ ـ الأشخاص الحامدون، وهم عباد الله الصالحون من الماضين والباقين، ولا ينحصرون في عدد خاصّ أيضا، ويختلفون بالإضافة إلى المكان والزمان.

فالحمد الحقيقي إنّما يكون على كلّ نعمة (عدد ما أحاط به علمه) تعالى (من جميع الأشياء) الّتي خلقها.

ونتيجة ضرب كلّ نعمة في الزمان والمكان والحامدين والنعم ينتج أنّه لا

---

(١) في (ف): «الباقين والماضين».

(٢) في (ف): «عدد ما أخطر به علمه»، وهنا آخر الصفحة ٢٢ من (د)والصفحة التالية (٢٣) تبدأ بقوله: «نفسه في تبليغ رسالتك...»وهو المقطع الثالث من الدعاء الثاني، وعليه فيكون الساقط مقدار ورقة من النسخة.

(٣) في (ك) (ش) (ز) (ف) (ق) (ي) (ت): «واحد».

(٤) في بعض النسخ: «منا».

(٥) لم ترد في (ك): «عددها»، وفي (ش) (ف) (ي) (ت) زيادة: «جميعا»، وفي هامش (س)ما نصّه: «في نسخة ابن إدريس بالنصب يكون مفعول فعل محذوف: أي أُعدّ عدَدَها. عن (لوامع الأنوار العرشية١: ٥٦٥ ـ ٥٦٦)».

(٦) لم ترد في (ز): «أبداً».

(٧) أي دائماً، لا ينقطع في الأبد الباقي الذي لا نهاية لهُ، والسرمد: الذي لا بداية لهُ ولا نهاية لهُ، أو لا أوّل لهُ ولا آخرله.

يمكن حصر الحمد بعدد معيّن أصلا، فالحمد الحقيقي له تعالى موضع كلّ نعمة بأضعاف مضاعفة. والسرمد: الدوام غير المنقطع.

ثم أشار عليه السلام إلى الخصائص الثلاث:

[١٦/١ـ الأوّل: أبديّة الحمد]:

حَمْداً لَا مُنْتَهَى لِحَدِّهِ[١]، وَلَا حِسَابَ لِعَددِهِ[٢]، وَلَا مَبْلَغَ لِغَايَتِهِ، وَلَا انْقِطَاعَ لأَمَدِهِ[٣].

فإنّ الحمد الحقيقي بملاحظة عدد النعم وعدد الحامدين يستلزم الأبدية للحمد من ناحية الزمان؛ لأنّه يكون غير متناه بحسب الزّمان من الحال والماضي والاستقبال، وذلك يستلزم السرمدية، أي الدوام. من دون انقطاع، حيث لا منتهى لحدّ الحمد حينئذ، ولا يمكن حصر عدده لتضاعف النعم والحامدين في طول الزمان، فلا يكون له غاية ينتهي الحمد بالوصول إليها، ولا أمد ينتهي إليه الحمد، فلا انقطاع له ما دامت النعم موجودة.

[١٧/١ ـ الثاني: كون الحمد وصلة للطاعة]:

حَمْداً يَكُونُ وُصْلَةً[٤] إلى طَاعَتِهِ وَعَفْوِهِ[٥]، وَسَبَباً إلَى رِضْوَانِهِ[٦]، وَذَرِيعَةً[٧] إلى مَغْفِرَتِهِ، وَطَرِيقاً إلى جَنَّتِهِ، وَخَفِيراً[٨]

---

(١) في (ك): «بحدِّهِ».
(٢) في (ك) (ش) (ز) (ق) (ي) (ت): «لعدّه»، وفي حاشية (ج) في نسخة: «العدّه ـ س».
(٣) الأمد: الغاية، أي لا انتهاء لوقته.
(٤) الوصلة: الوسيلة الموصلة.
(٥) لم ترد في (ك) (ش) (ي): «طاعته و».
(٦) العبارة في (ق) هكذا: «وَسَبَباً إِلَى رِضْوَانِهِ، إلى مَغْفِرَتِهِ».كذا.
(٧) الذريعة: ما يتقرب بهِ إلى الشيء، وهي الوسيلة.
(٨) في بعض النسخ: «وعائذا». وخفيرا: أي حافظاً ومجيراً.

مِنْ نِقِمَتِهِ، وأمْنَاً مِنْ غَضَبِهِ[١]، وَظَهيراً[٢] عَلَى طَاعَتِهِ، وَحَاجِزاً عَنْ[٣] مَعْصِيتَهِ، وَعَوْنَاً عَلَى تَأدِيَةِ حَقِّهِ وَوَظائِفِهِ[٤].

والوصلة بأن يكون الحمد وسيلة يؤدّي دوره في إصلاح الفرد، الذي هو السبب في إصلاح المجتمع، وخصّ الإمام عليه السلام منها:

١ ـ الوصلة إلى طاعة الله سبحانه، فيثاب على عبادته تعالى.

٢ ـ الوصلة إلى عفوه تعالى عمّا سبق من المعاصي؛ ليكون كيوم ولدته أُمّه.

٣ ـ السبب إلى رضوان الله، فإنّ الحمد عمل يرضي الله سبحانه؛ لانه يكشف عن التقرّب إليه تعالى.

٤ ـ الذريعة إلى مغفرته تعالى عمّا ارتكبه من الموبقات.

٥ ـ الطريق إلى الجنة بسبب الطاعة.

٦ ـ الخفير من النقمة، والخفير هو المجير والحامي من كلّ نقمة يستحقّها العبد بالمعصية.

٧ ـ الأمن من الغضب على ما يصدر من العبد من قبيح الأعمال.

٨ ـ الظهير على الطاعة، فإنّ الزيادة من الطاعات نور على نور.

٩ ـ الحجز عن المعصية، فإنّ الحمد يذكّر بالخير، وهو يمنع عن الشرّ والعصيان.

١٠ ـ العون على أداء حق الله تعالى، حيث يكون الحمد حافزاً على معرفة أسبابه ومسبّباته.

---

(١) العبارة في (ك) هكذا: «وأمنا مِنْ سَخَطِهِ، وَأَمَانَاً مِنْ غضبه».

(٢) في (ك): «وَظَهْرَاً». أي معيناً، وفي (س): «الظهير: المعين، والظهيرة الهاجرة». (حاشية ابن إدريس: ١٠٧).

(٣) في (ف): «وَحاجزاً من» أي مانعاً.

(٤) في (ك) (ي): «تأدية وظائفه».

[١٨/١ ـ الثالث: الحمد الموجب للمسؤولية]:

حَمْداً نَسْعَدُ[١] بِهِ فِي السُّعَدَاءِ مِنْ أَوْلِيَائِهِ، وَنَصِيرُ[٢] بِهِ فِي نَظْمِ[٣] الشُّهَدَاءِ بِسُيُوفِ أَعْدَائِهِ، إِنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيدٌ[٤].

ونتيجة الحمد هو تحمّل المسؤوليّة حسب الظروف الّتي يعيشها الحامد، حيث يعود بالاطمئنان الروحي للحامد في حياته العاديّة، ويكون من (السعداء من أولياءالله) الذين يجدون السعادة في الروحيّات دون الماديّات. وأنّ هذه المسؤوليّة تجعلهم (في نظم الشهداء) حينما يتطلّب واجب الدفاع عن الدين والوطن ذلك، حيث لا يرى نفسه سوى أمانة في سبيل تحقيق المسؤولية العظمى، ولا يجد ألم سيوف الأعداء عندما يؤدّي مسؤوليّة وواجبه، كما قام بذلك الرسول القائد ﷺ وأهل بيته الكرام وصحابته العظام في تقبّلهم إحدى الحسنيين ـ النصر أو الشهادة، فكما أن السعادة في العبادة في ظروف السلم، يكون كذلك السعادة في الشهادة في ظروف الحرب، وهذه المسؤوليّة الإسلامية يعدّ درساً من مدرسة الحمد الحقيقيّ لله تعالى، والله سبحانه هو وليّ الذين آمنوا، وهو الحميد الذي يستحقّ الحمد على كلّ حال.

---

(١) في (ش): «نستعد»، وفي (ت): «يسعد»، وفي (ف): «نعدّ».

(٢) في (ت): «يصير».

(٣) النظم: الصف، والمعنى في جماعة الشهداء أو في صفّهم.

(٤) لم ترد في (ك) (ش) (ف) (ي): «إنّه وليّ حميد».

[الدُّعاءُ الثاني]

وكان من دعائه عليه السلام بعد هذا التحميد في الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[(١)]

وهذه العبارة لم ترد في رواية ابن مالك كعنوان خاص، بل الحقت عبارة: (والحَمْدُ للّهِ الَّذي مَنَّ عَلَيْنا بِمُحَمَّد نَبِيِّهِ) بجملة ما سبق من الدعاء المتقدم، والاعتبار يساعد على أولوية ما في رواية ابن مالك، وذلك:

أوّلاً: إنّه يبدأ بالحمد لله كسائر المقاطع المتقدمة، فيكون هذا مقطعاً آخر يضاف إلى المقاطع التسع المتقدّمة، فتتم عشرة كاملة.

وثانياً: أنّ التحميد والصلاة متقارنان في غالب الأدعية، فأنّها تبدأ بالحمد أوّلا ثم الصلاة ثانياً.

وعليه، فالاعتبار يساعد على وحدة الأدعية إلى آخر الدعاء الرابع، حسب ما ورد في المشهورة، كما سيأتي.

وحيث أنّ القصد بهذا الشرح هو بيان المشهورة مع بعض الإشارات إلى

---

(١) وردَ هذا الدُّعاء في (ك) (ف) (ي) (ز) وبعض النسخ، ملحقاً بالدعاء رقم (١) وبدون عنوان، وفي (ش) برقم (٢) وبعنوان: «وكان من دعائه عليه السلام بعد هذا التحميد، في الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله»، وفي (ج) بعنوان: «الثاني: وكان من دعائه عليه السلام بعد هذا التحميد، في الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله»، وفي (ق) (ت) بعنوان: (الثاني)، وتحته عنوان: «في الصلاة على النبيّ وآله»، وفي (حاشية إبن إدريس) برقم (٢)، وبعنوان: «دعاؤه بعد التحميد».

لضروريّ من الفروق بينها وبين رواية ابن مالك، فللتفصيل يراجع ما ذكرناه في الدراسة المنيفة حول الصحيفة» في جداول الفروق[١]، والله الموفّق.

فبناءً على رواية ابن مالك يكون هذا الحمد مقطعاً آخر لدعاء التحميد، يتضمّن الصلاة على محمد صلى الله عليه وآله في أوّل المقطع، وهو المعروف بالدعاء الثاني، م الصلاة على حملة العرش، وهو الدعاء الثالث، وأخيراً الصلاة على أتباع لرسل ومصدّقيهم، وهو الدعاء الرابع من المشهورة، والترقيم حادث.

وكيف كان، فإنّ هذا الدعاء يشتمل على الرسالة المحمّدية.

وقد خصّ الإمام عليه السلام هذه الفقرة من الدعاء بالخصائص النبويّة الّتي هي من عم الله تعالى على هذه الأمّة، وتستحق حمداً خاصاً عليها. واستعرض عليه السلام في لك ثلاثة أُمور هامة توجب تحقيقه بالحمد من الامة المرحومة، هي:

١ ـ الخاتميّة للرسالة المحمّدية.

٢ ـ الخصائص المحمّدية بصورة عامّة.

٣ ـ حسن الشفاعة بصورة خاصّة.

١/٢ ـ بيان خاتميّة النبوة]:

والحَمْدُ[٢] للّهِ الّذي مَنَّ عَلَيْنا بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ[٣] صلى الله عليه وآله دُوْنَ الأُمَمِ لمَاضِيَةِ وَالقُرُونِ السَّالِفَةِ[٤] بِقُدْرَتِهِ الَّتي لَا تَعْجِزُ عَنْ شَيءٍ وَإِنْ عَظُمَ[٥]، وَلَا يَفُوتُها شَيءٌ وَإِنْ لَطُفَ[٦]، فَخَتَمَ بِنا عَلَى[٧] جَمِيْعِ

---

١) طبع هذا الكتاب بعنوان: «دراسة حول الصحيفة السجادية» في مؤسسة الأعلمي للمطبوعات في بيروت ـ لبنان.

٢) في (ق): «الحمد».

٣) في (ق) (ي) (ت): «بنبيّه محمد».

٤) في (ز): «الخالية».

٥) في بعض النسخ: «وإن أعظم».

٦) لطف: أي دقّ وصَغُر.

٧) لم ترد في (ق) (ف): «على».

مَنْ ذَرَأَ[١]، وَجَعَلَنَا شُهَدَاءَ[٢] عَلَى مَنْ جَحَدَ[٣]، وَكَثَّرَنَا بِمَنِّهِ[٤] عَلَى مَنْ قَلَّ[٥].

إنّ خاتمية الرسالة المحمّدية الّتي خصّها الله تعالى بالمسلمين هي نعمة تستوجب الحمد، فقد منّ الله تعالى علينا بالنبيّ محمّد ﷺ، وجعلنا آخر الأُمم بالإيمان برسالته، فامتازت الأُمّة الإسلامية بهذه الفضيلة دون الأُمم الماضية قبل الإسلام، ودون القرون السابقة على تلك الأمم.

والله بقدرته العليا اختار النبيّ محمّدا ﷺ لهذه الأمّة، وحيث إنّه على كلّ شيء قدير، كان من الممكن أن يجعله في بعض الأُمم الأُخرى، أو في القرون السابقة، ولكنه تعالى لم يشأ سوى بعث النبيّ ﷺ في هذه الأُمّة بقدرته العليا الّتي لا تعجز عن أي شيء مهما عظم ذلك الشيء في طبعه، كما لا يفوت هذه القوّة العليا أيّ شيء مهما دقّ وخفي، على حدّ سواء.

ثم أشار عليه السلام إلى ثلاث خصال، هي:

١ ـ خاتمة الأمم الّتي ذرأها، أي خلقها من قبل، حيث إنّ النبيّ محمد ﷺ خاتم الأنبياء، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[٦].

---

(١) في (ق) (ز): «من خلق وذرأ وبرأ»، وفي (ك) (ش) (ج) (ي) (ت) زيادة كلمة: «وبرأ»، وفي (س): «ذرأ الله الخلق يذرؤهم ذرءاً: خلقهم». (حاشية ابن إدريس: ١١٠).

(٢) في (ف): «حجة وشهداء».

(٣) في (ق) (ف) (ت): «من جحده»، أي جعلنا شهداء على من أنكرَ، وهو إشارة الى ما ورد في سورة البقرة ٢: ١٤٣.

(٤) في (ك): «بمنّته».

(٥) لعلّ المعنى: جعلنا كثيرين من حيث الثواب والفضل، وسائر الأُمم قليلوا الثواب بالنسبة إلينا، وعدِّي بـ «على» لتضمّنه معنى التفضيل، كأنّه قال: كثَّرنا بمنّهِ، مفضّلاً إيّانا على من قلّ. (انظر: رياض السالكين١: ٤٥٢).

(٦) القرآن الكريم، سورة الأحزاب ٣٣: ٤٠.

٢ ـ إنّها شاهدة على تطبيق الرسالة الإلهيّة، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[1] ببيان الحالة الّتي يعيشون عليها بالحقائق والأرقام.

٣ ـ إنّها أُمّة متكثّرة؛ لكثرة من يدخل في دين الله ممّن وعى مبادئ الإسلام ورسالة القرآن، والتاريخ يشهد أنّ هذه الحقائق ثابتة في الإسلام، وأنّ دعوات الديانات الجديدة الملفّقة من أديان مختلفة باءت بالفشل على المستوى العالمي، ما عدا الإسلام، وان المسلمين بسلوكهم الإسلامي كانوا شهودا أحياء على من ناواهم على طول التاريخ، ولم يتمكن اعداؤهم من إدانتهم كما خططوا، وأنّ الإسلام أكثر الأديان اليوم أتباعاً من سائر الأديان؛ حيث إنّ الغالبيّة تشكّل من المستضعفين، وهم يَجدون في مبادئ الإسلام ما ينشدونه من العدالة.

واستعرض الإمام عليه السلام الحقائق المعنوية الّتي توجب الصلاة عليه، حيث غيّر مجرى التاريخ ممّا لم يسبقه في تاريخ الأديان من حيث محتوى الرسالة والزمان الذي استغرقه في أدائها، حتى لم يغب عليه السلام من الحياة إلّا بعد أدائها كاملة، كما هو مشروح في كتب السيرة، ويمكن تلخيصها في ثلاثة أدوار:

الدور الأوّل ـ النشأة، من المولد إلى البعثة، وهذا دور طبيعيّ.

الدور الثاني ـ الدعوة، من البعثة (في سنة ٦٢٢م) إلى اول الهجرة إلى المدينة.

الدور الثالث ـ من الهجرة إلى الوفاة. (١ ـ ١١هـ).

وقد استعرض الإمام عليه السلام مقوّمات وأهداف هذه المراحل الثلاث بإشارات

---

(١) وتمام الآية: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾. (القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ١٤٣).

مقتضبة تستدعي شرحا وافياً، وقد شرحت بعضها في «موارد الاعتبار في تواريخ النبيّ والأئمة الأطهار»(١) فراجع.

وابتدأ عليه السلام بالخصائص النبويّة في شخصية الرسول أوّلا، ثمّ تحمّل المسؤوليّة والهدف منها، ثمّ الهجرة والهدف منها، ثمّ الفتح الإسلامي في مكة والهدف منه.

[٢/٢ ـ في شخصيّة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم]:

اللّهُمَّ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ(٢)، أمِينِكَ عَلَى وَحْيِكَ، ونَجِيبِكَ(٣) مِنْ خَلْقِكَ، وَصَفِيِّكَ(٤) مِنْ عِبادِكَ، إمَامِ الرَّحمَةِ، وَقَائِدِ الخَيْرِ، وَمِفْتَاحِ البَرَكَةِ.

عدّد عليه السلام من المقوّمات لشخصيّة الرسول القائد عليه السلام ما يلي:

١ ـ الأمانة على الوحي.

٢ ـ الاختصاص بالانتجاب من الخلق.

٣ ـ الصفوة من العباد.

٤ ـ إمام الرحمة.

٥ ـ قائد الخير.

٦ ـ مفتاح البركة.

فإنّ هذه المقومات هي مقاييس لنجاح أيّة فكرة تبتني على أساس الوحي الالهي، فإنّها تنبع من الوحي والنجوى من الله، ويقودها الصفوة المختارة منه

---

(١) وخص السيد المؤلف الجزء الأوّل من هذا الكتاب بسيرة النبي صلى الله عليه وآله، ويقع في أكثر من ٣٥٠ صفحة.

(٢) في (ف) زيادة: «وآله».

(٣) في (ف): «نجيِّكَ»، وفي حاشية (ج): «نجيِّكَ ـ س». والنجيب: الكريم النفس في نوعهِ، وفي نسخة ابن إدريس: «نجيِّكَ» وهو فعيل من النجوى، بمعنى السِّر، يقال: ناجيتهُ: ساررتهُ، وهو نجيّ فلان: مناجيهِ دون أصحابه. (رياض السالكين ١: ٤٥٥).

(٤) الصفيّ: المصطفى، أي المختار.

تعالى للمسؤوليّة والإمامة، فتنبض بالرحمة على جميع الناس، من دون تمييز عنصري أو قَبلي.

والقيادة إلى الخير لجميع أنواع البشر، وتكون شخصيّة الرسول مفتاحاً للبركة على البشريّة جميعاً، فتطبق إرادة الله على الأرض.

[٣/٢ ـ في تحمّل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المسؤولية]:

كَمَا نَصَبَ لأمْرِكَ نَفْسَهُ(١)، وَعَرَّضَ فِيْكَ(٢) للمَكْرُوهِ بَدَنَهُ، وَكَاشَفَ(٣) في الدُّعَاءِ إليْكَ حامَّتَهُ(٤)، وَحَارَبَ فِي رِضَاكَ(٥) أُسْرَتَهُ(٦)، وَقَطَع فِي إحْيَاءِ دِيْنِكَ رَحِمَهُ(٧)، وَأَقْصَى الأدْنَيْنَ(٨) عَلَى جُحُودِهِم(٩)، وقرّبَ الأقْصَيْنَ(١٠) عَلَى اسْتِجَابَتِهِمْ لَكَ، وَوَالَى

---

(١) أي أقام لأمركَ نفسهُ، أو أتعبَ نفسهُ في أمركَ.

(٢) في (ك) بدل «فيكَ»: «فيه»، وعَرَّضَ: أي جعلَ نفسهُ عرضة، أي معرضاً للمكروه. و«فيكَ» أي لأجلِكَ.

(٣) كاشفَ: أي جاهرَ، من الكشف بمعنى الإظهار.

(٤) في (ك) (ف) (ق) (ي) (ت): «لحمته»، وفي (ش): «لحمته وحامته»، وفي حاشية (ج): «خاصَّته». ويريد بذلك: ابراز أهل بيته للمباهلة مع نصارى نجران، تطبيقا لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾. (سورة آل عمران ٣: ٦١)، فدعا عليا وفاطمة وحسناً وحسيناً عليهم السلام، وفي (س): «الحامة: الخاصّة، يقال: كيف الحامّة والعامّة، وهؤلاء حامة فلان، أي أقرباؤه». (حاشية ابن إدريس: ١١٠).

(٥) في (ش): «مرضاتك».

(٦) في (س): «أسرة الرجل: رهطه، ورهط الرجل: قومه وقبيلته، والرهط: ما دون العشرة من الرجال، لا تكون فيهم امرأة». (حاشية ابن إدريس: ١١٠).

(٧) قاطعَ رحمهُ قطعاً وقطيعة: هجرها.

(٨) أقصاهُ: أبعدهُ. والأدنين: الأقارب، جمع أدنى، ويقابلهُ الأقصين: الأباعد. وعنودهم: ميلهم وعدولهم واعراضهم.

(٩) في (ف) (ت): «على عنودهم عنك».

(١٠) في (ك) (ش) (ق) (ي) العبارة هكذا: «وَاقْصَى الأدْنِينَ عَلَى عُنُودِهِم عنك، وأدنى الأقْصِينَ».

فِيْكَ الأبْعَدِينَ، وَعَادَى[١] فِيْكَ الأقْرَبِينَ، وَأدْأَبَ[٢] نَفْسَهُ فِي تَبْلِيغِ رِسَالَتِكَ[٣]، وَأتْعَبَهَا بالدُّعَاءِ[٤] إلى مِلَّتِكَ، وَشَغَلَهَا بالنُّصْحِ لأهْلِ دَعْوَتِكَ[٥].

وتحمّل المسؤوليّة يبدأ بالانصياع لأمر الله تعالى، وينتهي بتبليغ الرسالة كاملة، وقد كانت السيرة النبويّة الداعية إلى العدالة الإسلاميّة منطبقة على تلك المبادئ السامية منذ تحمّل المسؤوليّة في محاربة الجهل والعنصريّة والاستكبار في مراحل واضحة المعالم والسبل، من دون إنحياز في هذه المسؤوليّة طرفة عين في المواقف الآتية:

١ ـ نصب نفسه لأمر الله، دون غيره من أصحاب المطامع والقوّة والسلطان.

٢ ـ تعريض بدنه للمكروه في سبيل الله، وليس في سبيل الملك والرئاسة.

٣ ـ مكاشفة حامّته، أي خاصّته ممّن يقرب اليه في الدعاء إلى الله، فإنه ﷺ ابتدأ بعشيرته فأظهر دعوته فيهم.

٤ ـ محاربته في رضى الله أُسرته، مؤكّداً على مبادئ الإسلام في محاربة الطبقية.

٥ ـ قطعه في إحياء دين الله رحمه، حيث إنّه لا مساومة عنده على المبادئ الإسلاميّة.

---

(١) في (ف): «وعاند».

(٢) في (ي) العبارة هكذا: «عَلَى اسْتِجَابَتِهِمْ لَكَ، وَوَالَى فِيْكَ الأبْعَدِينَ، وَعَادَى فِيْكَ الأقْرَبِينَ، فأدأب»، وأدأب نفسهُ: أتعبها، وأجهدها، وفي (س): «دأب فلان في عمله: أي جدّ وتعب». (حاشية ابن إدريس: ١١٠).

(٣) في بعض النسخ: زيادة «وحملها على المعجز من خدمتك حتى عاتبته وقلت له: ﴿طه * مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ * إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾. (سورة طه ٢٠: ١ ـ ٣).

(٤) في (ك) (ش) (ق): «في الدعاء».

(٥) في بعض النسخ: «الخالية».

٦ ـ إقصاء الأدنين على جحودهم، فبالرغم من قرب نسبهم إليه، لم يكن ذلك سببا في قربهم إليه في العدالة، فكانوا أبعد عنه في حياته وسيرته لجحودهم.

٧ ـ تقريب الأقصين على استجابتهم، فمن كان بعيداً عنه في النسب والحسب كان قريباً منه صلى الله عليه وآله لوحدة الأهداف في تطبيق العدالة الإسلامية.

٨ ـ موالاته في الله الأبعدين، وأنّ موالاته وحبّه للآخرين كان على أساس المبدأ، لا على أساس النسب والحسب، فالبعيد الملتزم بمبدأ الإسلام كان وليّاً له صلى الله عليه وآله.

٩ ـ معاداته في الله الأقربين في النسب، فإنّ القرب النسبي والعرفي والطبقي والقبلي وكلّ المفاهيم الّتي لاتوافق المبدأ الإسلامي العادل، كان منبوذاً من قبله صلى الله عليه وآله.

١٠ ـ تبليغ الرسالة الإسلامية بكل طاقاته بالأساليب المتّبعة في عصره، وقد خصّ الإمام عليه السلام ثلاثة منها، تعتبر مثلّث النجاح، هي: العمل والدعوة والتربية.

أوّلاً ـ العمل: فقد أدأب نفسه في تبليغ رسالة الله، أي أجهدها، فالدعوة المجرّدة عن إجهاد النفس مجرد كلام فارغ عن العمل، فما أكثر الدعوات الإصلاحية في التاريخ باءت بالفشل لأنّها لم تقارن بالعمل من الدعاة أنفسهم في حياتهم الخاصة، واستندوا إلى النظريات المجرّدة ولم يجهدوا أنفسهم في سبيل تطبيقها، وسيرة الرسول القائد صلى الله عليه وآله تكشف بوضوح عن عكس ذلك.

وثانياً ـ الدعوة: فقد أتعب نفسه بالدعاء إلى ملّة الله الّتي هي الإسلام؛ لأنها طريقة الحقّ المسلوكة للوصول إلى الحق، وهذه المرحلة هي ثابتة للتبليغ؛ فإن التبليغ قد يكون بمجرّد الإبلاغ، والدعوة بتطبيقها يستلزم الاستمرار فيها وإن لم يستلزم إتعاب النفس فيها وسيرة الرسول القائد صلى الله عليه وآله تكشف عن مدى إتعاب نفسه الشريفة، فقد قال صلى الله عليه وآله: «ما أُوذي نبيّ مثل ما أُوذيت»[١].

وثالثاً ـ التربية: فقد شغل صلى الله عليه وآله نفسه بالنصح لأهل دعوة الله، فإنّ الدعوة لا

---

(١) مستدرك الوسائل ١٤: ٢٣٨.

يمكن استمرارها في الحياة إن لم يقم بأمرها دعاة ذوو كفاءة في تحمّل المسؤولية بأداء الدعوة كاملة، وكان نصحه للدعاة في عصره للصحابة الأخيار وأهل بيته الأطهار وسيرته المطهرة سبباً في تقويم ما تسرّب في المجتمع الإسلامي من عناصر غير إسلامية.

والنقاط العشر المذكورة مهمّة في تحمّل المسؤولية، والتي أهمّها تبليغ الرسالة بمثلث النجاح، وهو: العمل والدعوة وتربية الدعاة، وبذلك ضمن ﷺ استمرارية المبادئ بالرغم من وجود المنحرفين في الداخل، والهجمات المعاكسة من الخارج، واستمرت المبادئ الإسلامية الأصيلة ثابتة بالرغم من الحوادث والكوارث في التاريخ.

[٢/٤ ـ الهجرة وأهدافها]:

وَهَاجَرَ إلى بِلادِ الغُرْبَةِ، وَمَحَلِّ النَأيِ[(١)] عَنْ مَوْطِنِ رَحْلِهِ وَمَوْضِعِ رِجْلِهِ[(٢)]، وَمَسْقِطِ رأسِهِ[(٣)] ومَأنَسِ نَفْسِهِ، إرادَةً منه[(٤)] لإعْزَازِ دِيْنِكَ، واسْتِنْصَاراً عَلَى أهْلِ الكُفْرِ بِكَ[(٥)].

من الطبيعيّ حبّ الإنسان للوطن لأسباب طبيعيّة، وعدّد الإمام عليه السلام صفات الوطن الأصلي الذي كان للرسول ﷺ في مكة المكرمة، هي:

---

(١) في (ف): «والمحل النأي». والنأي: البُعد، ومحل النأي: مهاجره (صلى الله عليه وآله): المدينة المنورة.

(٢) في (ك) (ج) (ف) (ي)العبارة هكذا: «عن مَوْطئ رِجْلِهِ وَمَوْضِعِ رحْلِهِ» وفي (ق) (ز) (ت) العبارة هكذا: «عن مَوْطن أهله وَمَوْضِعِ رحْلِهِ». ورحل الرسولَ الأعظم: مأواهُ ومنزلهُ في الحضر، وهي مكة المكرمة، وفي (س): «الرحل: مسكن الرجل وما يصحبه من الأثاث». (حاشية ابن إدريس: ١١٣).

(٣) في (ك) زيادة: «ومعهد أنسه».

(٤) لم ترد في (ك) (ي): «منه».

(٥) لم ترد في بعض النسخ: «بك».

١ ـ موطن رحله: فالوطن الذي يعيش فيه الإنسان، هو المكان الذي يأوي إليه في الحضر، حيث إنّه مكان أثاثه الذي يفتقر إليها.

٢ ـ موضع رجله: فالوطن هو المكان الذي يستند على أرضه برجله، فيكون فيه ماشياً أكثر منه راكبا.

٣ ـ مسقط رأسه: والوطن هو المحل الذي ولد فيه، فإنّ أوّل ما يسقط منه عند الولادة هو الرأس.

٤ ـ مأنس نفسه: والوطن هو المكان الذي يستأنس به النفس لمعرفته به معرفة محسوسة، ومعرفته بسكانه معرفة القرب والبيت والصحبة، فمن الطبيعيّ أن يكون للنفس حب الوطن والاستئناس بالعيش فيه باستمرار.

وأما الهجرة عن الوطن فليست طبيعية، ولابُدّ لها من سبب، فما السبب في هجرة الرسول صلى الله عليه وآله؟

أشار الإمام عليه السلام إلى السبب الرئيسي في هجرة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله من مكة المكرمة إلى بلاد الغربة (المدينة المنورة) وهو الهدف الرسالي الخالص المتمحّض في أمرين:

الأوّل: إعزاز الدين.

والثاني: الاستنصار على أهل الكفر من مشركي العرب، وهما متلازمان، حيث إن الحرب على الإسلام كان مستعرا من دون انقطاع حتى في المدينة الّتي هاجر إليها، لأنّ الصراع بين الحقّ والباطل والعدل والظلم صراع أبديّ لا يتحدد بزمان أو مكان أو طائفة.

[٢/٥ ـ الفتح وأهدافه]:

حَتَّى اسْتَتَبَّ لَهُ[١] مَا حَاوَلَ فِي أَعْدَائِكَ، واسْتَتَمَّ لَهُ مَا دَبَّرَ فِي

---

(١) في (س): «استتب الأمر أي تهيّأ واستقام». (حاشية ابن إدريس: ١١٠).

أوْلِيائِكَ(١)، فَنَهَدَ(٢) إلَيْهِمْ(٣) مُسْتَفْتِحاً بِعَوْنِكَ، وَمُتَقَوِّياً عَلَى ضَعْفِهِ(٤) بِنَصْرِكَ، فَغَزَاهُمْ فِي عُقْرِ دِيَارِهِمْ(٥)، وَهَجَمَ(٦) عَلَيْهِمْ فِي بُحْبُوحَةِ قَرارِهِم(٧)، حَتَّى ظَهَرَ أمْرُكَ، وَعَلَتْ(٨) كَلِمَتُكَ وَلَو كَرِهَ المُشْرِكُونَ.

والفتح استهدف إعلاء كلمة الله وحكمه على الأرض، فقد خرج النبيّ ﷺ من مكة المكرمة خائفاً يترقّب، ونزل مهجره المدينة مخطّطاً لتحقيق أهداف الرسالة الإسلامية، واستمرّ في ذلك حتّى تحقّق له ما أراد خلال عشر سنوات متدرجاً:

١ ـ استتب، أي استقام له ﷺ ما حاول في أعداء الله من العدّة والعدد.

٢ ـ استتم له ﷺ ما دبّر وخطط بالحكمة بين أوليائه المسلمين.

٣ ـ نَهَدَ ـ أي نهض ـ إلى اعداء الله، ولم ينهض قبل الاستقامة والاستتمام بالعدّة والعدد.

---

(١) في (ك) العبارة هكذا: «مَا حاول لأوليائك، واستتم له ما دَبَّرَ في أعدائِكَ»، وفي حاشية (ج): «حاول، أي أراد».

(٢) في (ف): «فنهض»، وفي حاشية (د): «فنهد أي نهض»، وفي حاشية (د) أيضاً: «في الصحاح: النهد الى العدو، وتنهد ـ بالفتح- أي نهض»، وفي (س): «نَهَد إلى العدو ويَنهد ـ بالفتح ـ أي نهض». (حاشية ابن إدريس: ١١٠).

(٣) لم ترد في (ق): «فنهد إليهم».

(٤) في حاشية (ج): «ضَعفِهِ، ضُعفِهِ ـ معا». أي بالضم والفتح معا.

(٥) في (ف): «في عقور دارهم»، وفي (ق) (ت): «دارهم»، وفي حاشية (د): «عقر الدار: وسطها ومعظمها»، وفي حاشية (د) أيضاً: «عقر القصر، مثل بناء مرتفع»، وفي (س): «العقر: القصر وكلّ بناء مرتفع». (حاشية ابن إدريس: ١١٠).

(٦) العبارة في (ف) هكذا: «فعراهم في عقور دارهم، وجهم عليهم»، ولعله من سهو القلم في الموردين، والصحيح: «غزاهم» و«هجم».

(٧) بحبوبة الدار: وسطهُ، والقرار: المكان الذي يستقر فيهِ، وهو المقرّ والمحل، وفي حاشية (ج): «البحبوحة: وسط الشيء».

(٨) في (ت): «وغلبت».

٤ ـ مستفتحاً بعون الله، فإنّ أيّ عمل من دون الإيمان بالله يبوء بالفشل.

٥ ـ متقوّياً على ضعفه بنصر الله ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[1].

٦ ـ فغزى أعداء الله في عقر دارهم، أي أصل الدار، بعد أن كانوا يهاجمون المسلمين في ديار الغربة، والتي أفجعها كانت معركة أحد بقيادة أبي سفيان.

٧ ـ هجم على أعداء الله في بحبوحة ـ أي وسط ـ قرارهم، أي المكان الذي يستقرّون فيه.

ولخص الإمام عليه السلام الهدف من الفتح الإسلامي في أمرين:

الأوّل: ظهور أمر الله.

الثاني: اعلاء كلمة الله.

فلم يكن الهدف ماديّاً ولا عنصريّاً ولا طبقيّاً ولا قبليّاً، بل كان هدفا إصلاحيا إلهيا في تحقيق العدالة في المجتمع، حيث يكون أمر الله ظاهراً على غيره، واضح المعالم، بعيداً عن الدعايات المشوّهة للحقائق، فيكون الناس على بيّنة من أمرهم، فلا يكون إكراه بعد تبيّن الحقّ ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ﴾[2].

وطبيعيّ أنّ من يجد طعم الحقّ والحريّة الفكرية لا بدّ وأن يرضخ للعدالة، وذلك انّما هو إعلاء كلمة الله على كلمة الكفر: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ﴾[3].

[٦/٢ ـ جزاء الرسالة]:

أَللّهُمَّ، فَارْفَعْهُ[4] بِمَا كَدَحَ[5] فِيْكَ إِلى الدَّرَجَةِ العُلْيَا مِنْ

---

(١) القرآن الكريم، سورة محمد (صلى الله عليه وآله) ٤٧ : ٧.

(٢) القرآن الكريم، سورة البقرة ٢ : ٢٥٦.

(٣) القرآن الكريم، سورة النساء ٤ : ٥٨.

(٤) في (ك): «فادفعه»، وفي بعض النسخ: «فارفعه اللهمَ».

(٥) في بعض النسخ: «كما كدح»، والكدح: جهد النفس في العمل، وفي حاشية (ج) (د): «الكدح: الكد والسعي»، وفي (س): «الكَدح: العمل والسعي، يقال: هو يكدح في كذا، أي يكدّ فيه». (حاشية ابن إدريس: ١١٠).

جَنَّتِكَ، حَتَّى لَا يُسَاوى فِي مَنْزِلَةٍ، وَلَا يُكَافَأَ[١] فِي مَرْتَبَةٍ، وَلَا يُوَازِيَهُ[٢] لَدَيْكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَعَرِّفْهُ فِي أَهلِهِ[٣] الطَّاهِرِينَ، وأُمَّتِهِ الْمُؤمِنِينَ مِنْ حُسْنِ الشَّفَاعَةِ أَجَلَّ[٤] مَا وَعَدْتَهُ[٥]. يَا نَافِذَ الْعِدَةِ، يَا وَافِيَ[٦] الْقَوْلِ[٧]، يَا مُبَدِّلَ[٨] السَّيِّئَاتِ بِأَضْعَافِهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ[٩]، إِنَّكَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ[١٠].

---

(١) في (ف) (ت): «لَا يُسَاوِى فِي مَنْزِلَةٍ ولا يكافى».وقوله: «لا يكافأ»، أي لا يماثل في مرتبة.

(٢) في (ز) (د): «ولا يوازنه»، وفي (ف): «ولا يواريه»، وفي حاشية (د١): «ولا يوازيه ـ س».

(٣) في (ف) (ق) (ت): «في آله».

(٤) في (ق): «أكمل».

(٥) في (ك) العبارة هكذا: «وَعَرِّفْهُ فِي امته المؤمنين وآلِهِ الطاهِرينَ مَا وَعَدْتَهُ من حسن الشفاعة أجمل وأجزل مَا وَعَدْتَهُ»، وفي (ج) العبارة هكذا: «وَعَرِّفْهُ فِي آلِهِ الطاهِرينَ وأمته المؤمنين أكمل مَا وَعَدْتَهُ من حسن الشفاعة وصدق الوعد أكمل مَا وَعَدْتَهُ». وفي (ف) العبارة هكذا: «وَعَرِّفْهُ فِي آلِهِ الطاهِرينَ وأمته المؤمنين من حسن الشفاعة وصدق الوعد أكمل ما [وَ]عَدْتَهُ»، وفي بعض النسخ: «وَعَرِّفْهُ فِي آلِهِ الطاهِرينَ وأمته المؤمنين أكمل مَا وَعَدْتَهُ من حسن الشفاعة وفضيلة الوعد أجل مَا وَعَدْتَهُ»، وفي (ز): «وَعَرِّفْهُ فِي أمته من حسن الشفاعة وفضيلة الوعد أكمل مَا وَعَدْتَهُ»، وفي (ي): «وَعَرِّفْهُ فِي أمته من حسن الشفاعة أجمل مَا وَعَدْتَهُ»، وفي (ت): «وَعَرِّفْهُ فِي آله الطاهرين وأمته المؤمنين من حسن الشفاعة أكمل مَا وَعَدْتَهُ».

(٦) في (ز): «ويا وَفِيَّ»، وفي (ف) (ت): «يا وفيّ»، وفي (ق): «ويا وافيّ القول».

(٧) في بعض النسخ زيادة: «ويا رَضِيَّ الطَّوْلِ»، وفي (ش) زيادة: «يا زكيّ الفضل، يا رضي الطول»، وفي (ك) العبارة هكذا: «يامنجزَ العِدَةِ، يا وَفي القَوْلِ، ويا زَكِيَّ الفَضْلِ وَيَا رَضِيَّ الطَوْلِ»، وفي (ي) العبارة هكذا: «ياناِفذَ العِدَةِ، ويا وَفي القَوْلِ، وَيَا رَضِيَّ الطَوْلِ»، وفي بعض النسخ العبارة هكذا: «يا نافذَ العِدَةِ، ويا وَفي القَوْلِ...»، ومعنى «يا وفيّ القول»، أي: يا من يفي ويصدق في كلامه.

(٨) في (ك): «ويَا مُبَدِّلَ».

(٩) في (ق): «يا مبدل السيئات بالحسنات».

(١٠) في بعض النسخ: «ذو فضل عظيم»، وفي (س) زيادة: «الجواد الكريم»، وفي (ف) =

ويترتب على هذه الخصائص النبوية جزاء الرسالة، وخصّ الإمام عليه السلام منه أمران يتناسبان مع عظم الرسالة الّتي حملها وطبّقها وسهر على سلامتها إلى يوم القيامة:

الأمر الأوّل: جزاءً لشخص النبيّ محمد صلى الله عليه وآله، وبما أنه لا يتصوّر جزاءً مساو لعظم الرسالة فلابدّ أن يكون الجزاء لشخصه الكريم صلى الله عليه وآله بسبب ما كدح وجهّد في سبيل الدعوة، من الدرجة العليا في الجنة؛ حيث لا درجة أعلى منها، كما أنّه لا يساوي كدحه كدحٌ، فلابد ان لا يساوي منزلته منزلة، ولا يماثل مرتبته مرتبة، فلا يكون في شخصه من يوازيه، لا ملك مقرب حتّى جبرائيل، ولا نبيّ مرسل؛ لانه هو سيد الأوّلين والآخرين، فتكون درجته أعلى الدرجات سواءً رغب فيها النبيّ صلى الله عليه وآله أم لا، فهذا ما يستحقه على أداء رسالته.

الأمر الثّاني: جزاء الرسالة العائد على غيره مما وعده الله تعالى حيث قال: ﴿لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾[1] وذكر عليه السلام في ذلك حسن الشفاعة لطائفتين، هما: أهله الطاهرين وأمّته المؤمنين، ففي الحديث عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾[2]: ولسوف يشفّعك يا محمد يوم القيامة في جميع أهل بيتك ويدخلهم كلّهم الجنة لترضى بذلك عن ربك»[3]. وقال عليه السلام: «إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي»[4].

ومقتضى الدعاء: أن الشفاعة ممّا أعدّه الله تعالى لنبيّه في الطائفتين.

ومعنى: (وعرّفه) أي ألهم نبينا وأعلمه بتحقيق أجلّ ما وعدته ايّاه (من حسن

زيادة: «وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله». هذا، وقد ورد بعد هذا الدعاء في (ف) ما نصه: «وكان من دعائه عليه السلام بعد هذا التحميد: اللهمّ يا من لا ينقضي عجائب عظمته صلّ على محمّد وآله واحجبنا عن الإلحاد في عظمتكَ...». وهو الدعاء الخامس في هذا الكتاب.

(1) القرآن الكريم، سورة طه ٢٠: ١٠٩.

(2) القرآن الكريم، سورة الضحى٩٣: ٥.

(3) مناقب آل أبي طالب ٢: ١٤.

(4) من لا يحضره الفقيه ٣: ٥٧٤، ح٤٩٦٣.

الشفاعة) في الطائفتين. وتخصيص الطائفتين طبيعي لأواصر القربى في الأولى والولاء في الثانية. وكذلك لموجبات الشفاعة من الطهر والايمان والدعاء ككل الأدعية ليس إلّا درساً عملياً لمن يقرأه كي يقف على آثار التحميد والصلوات في الدنيا الآخرة.

لذلك ختم هذا القسم من الدعاء أيضاً بالدعاء؛ مشيراً إلى ضرورة استجابة الدعاء من الله سبحانه بالاشارة إلى ثلاثة من صفاته العليا الّتي تقتضي ذلك، وهي:

١ ـ (يا نافذ العدة) حيث قال تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[١]

٢ ـ (يا وافي القول) أي صادق الوعد. ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾[٢].

٣ ـ (يا مبدّل السيئات بأضعافها من الحسنات) لقوله تعالى: ﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ﴾[٣] وقوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[٤].

٤ ـ (إنك ذو الفضل العظيم) لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[٥].

وكل ذلك يقتضي قبول الدعاء في بيان شخصية منقذ البشرية جمعاء.

---

(١) القرآن الكريم، سورة غافر ٤٠: ٦٠.

(٢) القرآن الكريم، سورة الأنعام ٦: ١١٥.

(٣) القرآن الكريم، سورة الفرقان ٢٥: ٧٠.

(٤) القرآن الكريم، سورة الأنعام ٦: ١٦٠.

(٥) القرآن الكريم، سورة الجمعة ٦٢: ٤.

[الدُّعاءُ الثَّالث]

وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام في الصلاة على حملة العرش وكلّ ملك مقرّب[1]

وهذا العنوان لم يرد في رواية ابن مالك أيضا، فإنّها تنتهي بما تقدّم، مع أنّ المشهورة تحتوي على هذا الدعاء المعنون بالثالث، ويليه الدعاء المعنون بالرابع، وليست في رواية ابن مالك العنوان هنا ولا في الدعاء التالي.

والاعتبار يقتضي أن يكون كلا الدعاءين من تتمة الدعاء الأوّل، وهو دعاء التحميد المشتمل على مقاطع، وأنّ آخر التحميد فيه يشتمل على ثلاثة أقسام، الأوّل: في الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله، والقسم الثاني: في الصلاة على حملة العرش ـ وهو هذا، والقسم الثالث: في الصلاة على أتباع الرسل. وأنّ الترقيم حصل بعد إملاء الإمام عليه السلام. وإن ظهر أنّه كان قديماً، وربّما من المتوكل عمر بن هارون البلخي (ت/ ١٩٤هـ) أو ممَن بعده.

ومن ذلك يظهر أنّ ما ذكره السيد الشارح (ت / ١١٢٠هـ) رحمه الله من أنّ «(الواو) للاستئناف، وما بعدها مبتدأ، خبره قوله فيما يأتي: (فصلّ عليه)»[2] ليس على ما ينبغي، بل (الواو) عاطفة ـ على القول بوحدة دعاء التحميد ـ فإنّها عاطفة

---

(١) لم يرد هذا الدُّعاء في (ك) (ش)، وإنما ورد في الملحق بهما بنفس الرقم والعنوان، وفي (ج) بعنوان: «الثالث: وكان من دعائه عليه السلام في الصلاة على حملة العرش وكل ملك مقرّب». ولم يرد هذا الدعاء في هذا الموضع في (ف)، وفي (ق) بعنوان: (الثالث) وتحته عنوان: «في الصلاة على حملة العرش»، وفي (ت) بعنوان: (الثالث) وتحته عنوان: «الصلاة على حملة العرش»، وفي (حاشية إبن إدريس) برقم (٣)، وبعنوان: «دعاؤه لحملة العرش».

(٢) راجع: «رياض السالكين» ١: ٤٦١.

على ما تقدّم في القسم الأوّل من التحميد الأخير من قوله: (اللّهم فصلّ على محمّد أمينك... الخ)، فراجع.

والذي أوجب هذا الالتباس: التقسيم بالترقيم الذي لم يكن في إملاء الإمام عليه السلام، بل حصل في عهد متأخّر عنه عليه السلام؛ فليتأمّل.

وقد تضمّن هذا القسم ذكر أصناف للملائكة مع بيان أدوارهم في الكون حسب مقاماتهم التي رتّبها الله لهم، كما قال حكاية عنهم: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ﴾[1].

والكلام في حقيقة الملائكة خارج عن هذا الشرح، فليراجع المعجم والشرح الكبير وكتب العقائد وغيرها من المظان.

واتّفقت الكلمة على انها خلق من مخلوقات الله، ذات أجسام نورانيّة تتشكّل بأشكال مختلفة إلّا الكلب والخنزير، ولكلّ منها مقام معلوم ودور مرسوم؛ أعلاها حملة العرش، وأدناها ملائكة الأرض، وبينها مراتب ومقامات ذات أدوار وواجبات.

[١/٣ ـ الطائفة الأولى: حملة العرش]:

أللّهُمَّ، وَ[2] حَمَلَةُ عَرْشِكَ الَّذينَ لا يَفْتُرُونَ[3] مِنْ[4] تَسْبيحِكَ، وَلا يَسْأَمُونَ[5] مِنْ تَقْديسِكَ، وَلا يَسْتَحْسِرُونَ[6] مِنْ[7] عِبادَتِكَ،

---

(١) القرآن الكريم، سورة الصافات ٣٧: ١٦٤.

(٢) في حاشية (د): «الواو للإستئناف، وما بعدها مبتدأ، خبره قوله: «فصل عليهم»، و«الفاء» إمّا زائدة عند من يجيز زيادتها في الخبر، وهو الأخفش مطلقا والفرّاء والأعلم وجماعة إن كان أمراً أو نهياً، أو هي جواب لـ «أمّا» مقدّرة. من الشرح». (راجع: رياض السالكين٢: ٣٣).

(٣) في (س): «فتر في كذا: إذا قصّر في عمله». (حاشية ابن إدريس: ١١٣).

(٤) في (ز): «عن».

(٥) في (س): «سأمته: إذا مللته». (حاشية ابن إدريس: ١١٠).

(٦) لا يستحسرون، أي لا يتعبون ولا يفترون ولا يحصل لهم إعياء، من قولهم: حسر، كضرب، يحسر حسورا: إذا أعيا وكل وانقطع.

(٧) في (ق) (ز) (ت): «عن».

وَلا يُؤْثِرُونَ التَّقْصيرَ عَلَى الْجِدِّ في أَمْرِكَ، وَلا يَغْفُلُونَ[1] عَنِ الْوَلَهِ إِلَيْكَ.

الطائفة الأُولى من الملائكة هم حملة العرش، وأشار الإمام عليه السلام إلى بعض صفاتهم وأدوارهم أوّلا، ثمّ خصّهم بالذكر ثانياً.

والروايات في العرش والحملة وصفاً وذكراً متضاربة، وللتأويل فيها باب واسع، والبحث عن ذلك خارج عن نطاق هذا المختصر، ونكتفي هنا بشرح ما يرتبط بفهم النص.

والعرش ـ لغة ـ: سرير الملك، وحيث إنّ كرسيّ ملكه تعالى وسع السماوات والأرض، فيكون العرش كناية عن ملكه الواسع، والجمود على اللفظ يقود إلى التجسيم، وهو كفر بالله العظيم.

وحملة العرش إذاً هم المنفّذون لحكم الله سبحانه في ملكه الواسع، ومهما اختلفت الروايات في عددهم وأسمائهم؛ فإنّهم يشتركون في صفات خمس جعلتهم الطائفة الأعلى من طبقات الملائكة، وهي أنّهم:

١ ـ لا يفترون عن تسبيح الله، فالتسبيح لهم متّصل من دون انقطاع أو توان؛ وربّما وجودهم تسبيح.

٢ ـ لا يسأمون من تقديس الله؛ لأنّ السأم والضجر يكون ممّا لا يوافق الطبع، وهذه الطائفة بحكم طبعها لا تضجر من تنزيه الله عما لا يليق به.

٣ ـ لا يستحسرون من عبادة الله، فإنّ الاستحسار هو التعب، وبحكم طبع هذه الطائفة لا يكون للتعب فيها مجال.

٤ ـ لا يؤثرون التقصير على الجدّ في أمر الله؛ لأنّ تفضيل التقصير على الجد إنّما يكون عن جهل بالأوامر أو عن عجز عن أدائها، وكلاهما مرتفعان في شأن هذه الطائفة.

---

(١) في (ت): «يعقلون».

٥ ـ لا يغفلون عن الوله إلى الله، والوله بمعنى الرغبة إلى حبّ لله، أي لا يمكن لهم الغفلة عن الله؛ لأنّ الوله والرغبة ذاتيّ لهم.

ولهذه الصفات الذاتية كانت هذه الطائفة حملة العرش الواسع ومنفّدي إرادة الله القادر على كلّ شيء.

[٣/٢ ـ من هم حملة العرش؟]:

وَإِسْرافيلُ، صاحِبُ الصُّورِ، الشّاخِصُ الَّذي يَنْتَظِرُ مِنْكَ الإِذْنَ وَحُلُولَ الأَمْرِ، فَيُنَبِّهُ بِالنَّفْخَةِ صَرْعى رَهائِنَ الْقُبُورِ.

وَمِيكائِيلُ، ذُو الْجاهِ عِنْدَكَ، وَالْمَكانِ الرَّفِيعِ مِنْ طاعَتِكَ.

وَجِبْرِيلُ[١]، الأَمينُ عَلى وَحْيِكَ، الْمُطاعُ في أَهْلِ سَماواتِكَ، الْمَكينُ لَدَيْكَ، الْمُقَرَّبُ عِنْدَكَ.

وَالرُّوحُ، الَّذِي هُوَ عَلى مَلآئِكَةِ الْحُجُبِ[٢].

وَالرُّوحُ، الَّذِي هُوَ مِنْ أَمْرِكَ[٣].

فَصَلِّ[٤] عَلَيْهِمْ.

---

(١) تقدم في سند الصحيفة، عن حاشية (ج): «جبريل، جبرئيل ـ معاً».

(٢) في حاشية (ج): «الروح: أعظم الملائكة بعد العرش، لو شاء أن يبلغ السماوات والأرض لفعل. قيل: انه يقوم صفاً والملائكة صفاً»، ولعلّ إليه وردت الإشارة في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾. (القرآن الكريم، سورة النبأ٧٨: ٣٨).

(٣) الذي وردت الإشارة إليه في قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾. (القرآن الكريم، سورة الإسراء ١٧ : ٨٥).

(٤) في (ت): «اللهم فصلّ»، وقوله: «فصل عليهم» خبر قوله: «وحملة عرشك» المتقدم في الفقرة الأولى، و«الفاء» إمّا زائدة عند من يجيز زيادتها في الخبر وهو الأخفش مطلقاً والفرّاء والأعلم وجماعة إن كان أمراً أو نهياً، أو هي جواب لأمّا مقدّرة. (راجع: رياض السالكين٢، شرح ص٣٣).

وأشار الإمام عليه السلام إلى خمسة من حملة العرش، فذكر ثلاثة بالإسم، واثنين بالوصف، وهم:

الأوّل ـ إسرافيل، وذكر له صفاتاً ثلاث:

١ ـ إنّه صاحب الصّور، والصوّر هو القرن الذي ينفخ فيه، ولاسرافيل نفختان؛ في الأولى يقضي على كل حياة في الدنيا، وفي الثانية يبعث الأموات للحساب، وقد أشار إليهما تعالى بقوله: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ وقوله: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[1].

٢ ـ الشاخص الذي ينتظر الإذن بالنفخ من الله تعالى، والشخوص هو الاستعداد الكامل للتنفيذ حين حلول الأمر.

٣ ـ التنبيه بالنفخ لإحياء الأموات الذين هم صرعى رهائن القبور، وبذلك يتحقق البعث والنشور، وتكون هذه في النفخة الثانية، لا الأولى.

الثاني ـ ميكائيل، وذكر له صفتين:

١ ـ ذو الجاه عند الله.

٢ ـ والمكان الرفيع من طاعة الله.

ولم يشر عليه السلام إلى السبب في هذا الجاه، ولا إلى نوع الطاعة الّتي أوجبت له المكان الرفيع، ولعل المكان الرفيع هو قربه من حملة العرش، حيث روي أنّه موكّل بالأرزاق في ملك الله الواسع.

الثالث ـ جبرائيل، وذكر له صفاتاً اربع:

١ ـ الأمين على الوحي؛ لحفظه من تطرّق أي خلل فيه.

٢ ـ المطاع في اهل السماوات، ويكشف ذلك عن دوره في أمرهم ونهيهم.

٣ ـ المكين لدى الله، لعظم مكانته عند الله.

---

(١) القرآن الكريم، سورة الزمر ٣٩: ٦٨.

٤ ـ المقرّب عند الله، والمراد: القرب المعنوي إلى الله.

وهذه الصفات مقتبسة من قوله تعالى: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ * مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾[١].

الرابع ـ الروح الموكل بملائكة الحجب:

وهو اسم ملك موكّل بملائكة الحجب، أو صفة له، والمراد بالحجب: ما فوق السماوات مما حجبت عن علم المخلوقين ـ راجع: شرح نهج البلاغة؛ الخطبة ٩١، وما ذكره السيد في الشرح.

الخامس ـ الروح الذي هو من أمر الله:

وإليه الإشارة في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾[٢]، وفي الروايات انه: «خلق ـ والله ـ أعظم من جبرئيل»[٣].

والظاهر من السياق: أنّ هؤلاء الخمسة من حملة العرش، وإن لم يكن فيه تفصيل واف بأدوارهم إلّا أنّ مكانتهم تكشف عن عظم الدور الذي يقومون به، الذي له تأثير في الكون عامّة كالنفخ والوحي، إن كان التفصيل مجهولا لنا؛ لأنّ فهم حقيقتها ليست ميسورة بالنسبة إلى الماديّات.

[٣/٣ ـ الطائفة الثانية: ملائكة السماوات]:

وَعَلَى الْمَلآئِكَةِ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِمْ مِنْ سُكّانِ سَماواتِكَ[٤]، وَأَهْلِ الأَمانَةِ عَلى رِسالاتِكَ، وَالَّذِينَ لا تَدْخُلُهُمْ سَأْمَةٌ مِنْ دُؤُوبٍ[٥]، وَلا

---

(١) القرآن الكريم، سورة التكوير ٨١: ٢٠ ـ ٢١.

(٢) القرآن الكريم، سورة الإسراء ١٧: ٨٥.

(٣) بصائر الدرجات: ٤٧٥.

(٤) في (ز) زيادة: «وأرضك».

(٥) في ملحق (ك) (ش): «دؤوب»، وفي حاشية (ج): «الدؤوب: الاجتهاد».

إعْيَاءٌ مِنْ لُغُوبٍ[1] وَلا فُتُورٌ، وَلا تَشْغَلُهُمْ[2] عَنْ تَسْبِيحِكَ الشَّهَواتُ، وَلا يَقْطَعُهُمْ عَنْ تَعْظِيمِكَ سَهْوُ الْغَفَلاتِ، اَلْخُشَّعُ الْأَبْصارِ فَلا يَرُومُونَ النَّظَرَ إِلَيْكَ، النَّواكِسُ[3] الأذقانِ[4] الَّذينَ قَدْ طالَتْ رَغْبَتُهُمْ فيما لَدَيْكَ، اَلْمُسْتَهْتَرُونَ[5] بِذِكْرِ آلائِكَ، وَالْمُتَواضِعُونَ[6] دُونَ عَظَمَتِكَ وَجَلالِ كِبْرِيائِكَ، وَالَّذينَ يَقُولُونَ إِذا نَظَرُوا إِلى جَهَنَّمَ تَزْفِرُ[7] عَلى أَهْلِ مَعْصِيَتِكَ: «سُبْحانَكَ ما عَبَدْناكَ حَقَّ عِبادَتِكَ».

فَصَلِّ عَلَيْهِمْ.

وتأتي في الدرجة الثانية: الطائفة الثانية من الملائكة، وهم دون الطائفة الأولى، وصفاتهم في الدعاء، هي:

١ ـ سكّان سماوات الله، فهم دون العرش من السماوات السبع، ومن الطبيعي أن تكون أدوارهم في كلّ سماء من السماوات السبع، أو سماء خاص، أو سماء خاص وما دونه، والمهمّ أنّ مسؤولياتهم لاتتعدى ما وكلوا به في السماوات.

---

(١) في حاشية (ج)، وفي (س): «اللغوب: التعب والإعياء». (حاشية ابن إدريس: ١١٣).

(٢) في (ت): «ولا يشغلهم».

(٣) في (ت): «الناكسي».

(٤) في (ت): «الأعناق»، وفي (ق) (ز) وملحق (ك) وحاشية (ج) في نسخة: «الأعناق».

(٥) في (ت): «المستهترين»، والمستهتَر بكذا ـ بفتح التاء -: المولَع به بحيث لا يفعل غيره ولا يتحدّث بغيره، وفي حاشية (ج): «أي الملازم لها»، وفي (س): «يقال: فلان يستهتر بكذا أي يولع به». (حاشية ابن إدريس: ١١٣).

(٦) في (ت): «المتواضعين».

(٧) في (ت): «يزفر»، وفي (س): «الزفير: اعتراف النَفَس للشدّة». (حاشية ابن إدريس: ١١٣).

٢ ـ أهل الأمانة على رسالات الله، فيكون دورهم دور أداء الرسالة بأمانة من دون تنفيذ سواه.

٣ ـ لا يدخلهم سأمة من دؤوب، السأمة: الملل، والدؤوب: الجهد، فهذه الطائفة لا تشعر بالسأم من الجهد لما في تحمّل الرسالات من ثقل معنوي.

٤ ـ ولا إعياء من لغوب، والإعياء: التعب، واللغوب: الكلل، فلايأخذهم فتور في العمل.

٥ ـ لا تشغلهم الشهوات عن تسبيح الله، لأنّهم مخلوقون من غير شهوة إلى غير الطاعة.

٦ ـ لا يقطعهم سهو الغفلات عن تعظيم الله، فإنّ السّهو والغفلة من خصائص الإنسان المادي، دونهم.

٧ ـ الخشّع الأبصار؛ فإنّهم بأجسامهم النورانيّة قادرون على النظر، ولكنهم ـ لمعرفتهم ـ خشّع الأبصار؛ ولأجل هذه المعرفة لا يقصدون النظر خشوعاً.

٨ ـ النواكس الأذقان، وذلك كناية عن كمال الخضوع.

٩ ـ الذين قد طالت رغبتهم فيما لدى الله من الرحمة ونعمة التوفيق للطاعة.

١٠ ـ المستهترون بذكر آلاء الله تعالى، والاستهتار هنا بمعنى شدّة الولع.

١١ ـ المتواضعون دون عظمة الله وجلال كبريائه تعالى، فهم لقربهم من الله ومعرفتهم لا يفترون عن التواضع لعظمة ملكه تعالى، الذي وسع السماوات والأرض.

١٢ ـ القائلون: «سبحانك ما عبدناك حقّ عبادتك»، إذا نظروا إلى جهنّم تنزو على أهل المعصية، فإنّهم على ما هم عليه من الإخلاص في العبادة والتفاني في الطاعة، يشعرون بالتقصير حين مشاهدة العقاب الذي يستحقه أهل المعصية من زفير جهنم، فإنّ الزفير الذي هو صوت اللّهيب يحكي عن استحقاق العاصي من البشر، مع أنّهم ليسوا بنفس الدرجة من المعرفة الّتي يتمتّع بها الملائكة، وليسوا بنفس القرب من الله، فكيف يكون حالهم فيما لو تصوّروا العصيان.

وهذه الطائفة الثانية يكون دورها في السماوات دون العرش.

[٤/٣ ـ الطائفة الثالثة: ملائكة الوحي]:

وَعَلَى الرَّوْحانِيِّينَ[١] مِنْ مَلائِكَتِكَ، وَأَهْلِ الزُّلْفَةِ[٢] عِنْدَكَ، وَحُمّالِ[٣] الْغَيْبِ إِلى رُسُلِكَ، وَالْمُؤْتَمَنِينَ عَلى وَحْيِكَ.

والطائفة الثالثة: الملائكة الروحانيون، والظاهر أنّهم طائفة تنسب إلى الرحمة في قبال العذاب، ولولا ذلك لما كانت لصفة الروحانيّة هنا معنى؛ إذ كلّ الملائكة من الروحانيين في قبال البشر، وجاء وصفهم بثلاث:

١ ـ أهل الزلفة عند الله؛ إذ يختصّون بالقرب منه.

٢ ـ حمّال الغيب إلى الرسل، فلهم مسؤولية خاصة للرسل والأنبياء.

٣ ـ المؤتمنين على الوحي لإبلاغه إلى الأنبياء.

فمسؤولية هذه الطائفة تنحصر بالنبوّة والوحي. وفي رواية: «أنّ مسكنهم في حضيرة القدس في السماء السابعة، وينزلون إلى الأرض في ليلة القدر خاصة»[٤]، وعليه فليس لهذه الطائفة دور في السماوات، بل ينحصر دورهم في الوساطة بين

---

(١) في حاشية (د) ما نصه: «في الروحانيّين لغتان: ضمّ الراء وفتحها، والموجود في النسخ هنا بفتح الراء فقط. قال الحليمي، والبيهقي، والقونوي: أمّا الضمّ، فلأنّهم أرواح ليس معها ماء ولا نار ولا تراب، ومن قال هذا قال: الروح جوهر، وقد يجوز أن يؤلّف الله أرواحا فيجسمها ويخلق منها خلقا ناطقا عاقلا فيكون الروح مخترعا والتجسيم والنطق والعقل إليه حادثا من بعد، ويجوز أن تكون أجسام الملائكة على ما هي عليه اليوم مخترعة كما اخترع عيسى وناقة صالح عليهما السّلام. أمّا الفتح: فبمعنى أنّهم ليسوا محصورين في الأبنية والظلل ولكنّهم في فسحة وبساط، انتهى. وقيل: إنّ الروحانيّين ـ بالفتح ـ هم ملائكة الرحمة فيكون نسبته إلى الروح بالفتح بمعنى الرحمة. واخرجه البيهقي في شعب الايمان. من الشرح ملخصا». (راجع: رياض السالكين٢: ٤٢).

(٢) في حاشية (ج): «الزلفة: القرب والدنوّ».

(٣) في (ق) (ز) (ت): «وحملة».

(٤) فضائل الأوقات؛ للبيهقي: ٣٥٤.

الحقّ تعالى والأنبياء عن طريق الوحي، وهذا لا ينافي أن يكون لهم دور الدعاء بعد انقطاع الوحي كما في رواية شعب الإيمان عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام حيث قال: «إنّ في السماء السابعة حضيرة يقال لها: حضيرة القدس، فيها ملائكة يقال لهم: الروحانيّون، فإذا كان ليلة القدر استأذنوا ربّهم في النزول إلى الدنيا، فيؤذن لهم، فلا يمرّون على مسجد إلّا ويصلّون فيه، ولا يستقبلون أحداً في طريق إلّا دعوا له، فأصابهم منهم بركة»[1].

فإنّ الدعاء بالبركة للمصلّين وغيرهم ليست من الدور المطلوب منهم، بل هو نابع من طهارة ضميرهم.

[٣/٥ ـ الطائفة الرابعة: ملائكة الطبيعة]:

وَقَبآئِلِ الْمَلآئِكَةِ الَّذينَ اَخْتَصَصْتَهُمْ لِنَفْسِكَ، وَاَغْنَيْتَهُمْ عَنِ الطَّعامِ وَالشَّرابِ بِتَقْديسِكَ، وَاَسْكَنْتَهُمْ بُطُونَ اَطْباقِ سَماواتِكَ، وَالَّذينَ عَلى اَرْجآئِها إذا نَزَلَ الأَمْرُ بِتَمامِ وَعْدِكَ[2].

وَخُزّانِ الْمَطَرِ[3]، وَزَواجِرِ السَّحابِ، وَ[4] الَّذي بِصَوْتِ[5] زَجْرِهِ يُسْمَعُ زَجَلُ الرُّعُودِ، وَإذا سَبَحَتْ بِهِ حَفيفَةُ[6] السَّحابِ الْتَمَعَتْ صَواعِقُ الْبُرُوقِ.

---

(١) شعب الإيمان، لأحمد بن الحسين البيهقي ٣: ٦٠، ٣٣٧ وانظر: البحار، ٥٦: ٢٢٥. ورياض السالكين ١: ٤٣.

(٢) الذي وردت الإشارة إليهم في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ * وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾. (سورة الحاقة ٦٩: ١٣-١٧).

(٣) في (ق) وبعض النسخ: «الأرض».

(٤) لم ترد في (ت): «و».

(٥) في (ق) (ز)، وملحق (ك): «الصوت».

(٦) في (ز) (ت): «حقيقة»، وفي حاشية (ج) (د) في نسخة: «سبحت به حفيفه». و«سبَّحت به خفيقه ـ س».

وَمُشَيِّعِي[(١)] الثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَالْهابِطِينَ مَعَ قَطْرِ الْمَطَرِ إِذا نَزَلَ. وَالْقُوّامِ عَلى خَزائِنِ الرِّياحِ، وَالْمُوَكَّلِينَ[(٢)] بِالْجِبالِ فَلا تَزُولُ[(٣)]، وَالَّذِينَ عَرَّفْتَهُمْ مَثاقِيلَ الْمِياهِ، وَكَيْلَ ما تَحْوِيهِ[(٤)] لَواعِجُ الأَمْطارِ وَعَوالِجُها[(٥)].

والطائفة الرابعة من الملائكة: القبائل، والقبائل جمع قبيلة، وأقلّها ثلاثة، أي جماعة الملائكة المكوّنة من ثلاثة أفراد فصاعداً، وهؤلاء على جماعات مختلفة، كلّ جماعة موكّلة بأمر خاص، وهي جميعاً تشترك في أمور أربعة، هي:

١ ـ إنّ الله اختصّهم لنفسه، بحيث يأمرهم بإرادته الّتي لا يعلمها إلّا هو.

٢ ـ إنّ الله أغناهم عن الطعام والشراب بالتقديس له، فالتقديس هو الطعام والشراب الذي يقوّيهم على تنفيذ إرادته تعالى.

٣ ـ إنّ الله أسكنهم في كلّ مكان من بطون طبقات السماوات السبع.

---

(١) في (ت): «ومَشِيعِي».

(٢) في حاشية (ج) (د) في نسخة: «الموكّلين ـ س».

(٣) في (ق) (ت): «فلا يزول».

(٤) في (ق): «يحويه ـ تحويه».

(٥) «وكيل ما تحويه» أي مقدار ما تجمعه وتحيط به «لواعج الأمطار» أي شدائدها ومضراتها، وما تحرق النبات وتخرب الأبنية، كما أفيد. «وعوالجها» أي متراكماتها، قال السيد الداماد رحمه الله: اللواعج، جمع لاعجة، أي مشتداتها القوية، يقال: لاعجه الامر: إذا اشتد عليه، واللعج: من لاعج الشوق ولواعجه: ارتمض واحترق، وضرب لاعج: أي شديد يلعج الجلد، أي يحرقه. وكذلك «عوالجها»: جمع عالج، يعني متلاطماتها ومتراكماتها، وفي الحديث: إن الدعاء ليلقى البلاء فيعتلجان إلى يوم القيامة. يعني أن الدعاء في صعوده يلقى البلاء في نزوله فيعتلجان. قال في الفائق: أي يصطرعان ويتدافعان. وفي النهاية في حديث الدعاء: ما تحويه عوالج الرمال. هي جمع عالج، وهو ما تراكم من الرمل ودخل بعضه في بعض. (بحار الأنوار٥٦: ٢٣٠)، وفي (س): «لعجه الضرب: أي آلمه وأحرق جلده، فلاعج (اسم فاعل) محرق. س. عالجت الرجل فعلجته (علجاً) أي غلبته، فالعالج: الغالب، وعالجت الشيء معالجة وعلاجاً: إذا زاولته». (حاشية ابن إدريس: ١١٤).

٤ ـ الذين أسكنهم الله في كلّ مكان ظاهر من أرجاء ونواحي السماوات السبع.

وهؤلاء جميعاً في حالة تأهّب لتنفيذ الأمر الإلهي أو تمام الوعد بالتنفيذ، ثم عدّد عليه السلام هذه القبائل والجماعات من الملائكة كلّ حسب واجباتها المطلوبة كالآتي:

أوّلاً: خزّان المطر، فالملائكة الموكّلة بتحويل البخار إلى الماء لينزل مطراً هم خزنة الأمطار.

ثانياً: زواجر السحاب، وهم الملائكة الّتي تؤثر في تكوين السحاب وهم لها زاجرة ومانعة والتي تحدد لها المسير حسب تأثير العوامل الطبيعية الّتي تتأثر بالملائكة، والعوامل الّتي تؤثر في الرعد والبرق متأثرة بالملائكة، فإنّ السحاب بصوت زجره المتأثر بالعوامل الطبيعة يُسمع اختلاط الأصوات المتأثرة بالرّعود. وأيضأ: البرق متأثّر بجماعة من الملائكة الموكلّة به، فإنّك ترى صواعق البروق قد التمعت حينما سبحت حَفيف السحاب بصوت زجره من سرعة السير، كما هو الحال في قولك: «إذا سبحت الفرس» أي جرت في السير السريع، فإنّه يحصل لها حفيف، أي صوت حوفه المسموع عند الجري.

فكلّ من البرق والرعد يتأثّر بجماعات خاصّة من الملائكة الّتي تتفاعل مع العوامل الطبيعيّة الموجبة لها.

ثالثاً: مشيّعي الثلج والبرد:

فإنّ الثلج المعبّر عنه بالوفر، والبرد المعبّر عنه بالحالوب، وإن تأثّرا بالعوامل الطبيعيّة في تكوينها ولكنها متأثرة في الحقيقة بالملائكة الذين لهم تأثير فيهما، ولشدة التشابه بين الثلج والبرد كانت مسؤولية هذه الجماعة لكليهما.

رابعاً: الهابطين مع القطر:

وهذه الجماعة موكّلة بالهبوط مع كل قطرة من قطرات المطر إذا نزلت، وتختلف مسؤوليّة هؤلاء عن الخزنة المذكورين أوّلا، فإنّ التخزين غير الهبوط.

خامساً: القوّام على خزائن الرياح.

والرياح بأنواعها من الشمال والجنوب والصبا والدبور، متأثّرة بجماعة موكّلة بها.

سادساً: الموكّلين بالجبال.

وهذه الجماعة من الملائكة موكّلة بالجبال حتى لا تزول.

سابعاً: ملائكة الوزن، وهم الجماعة الذين عرّفهم الله مثاقيل المياه.

ثامناً: ملائكة المكيال، وهم الجماعة الذين عرّفهم الله ما تحويه لواعج الأمطار، أي الشديدة منها. وعوالجها، أي المتراكم منها.

وبالجملة، لكلّ حالة طبيعيّة تحيط بالكرة الأرضية، أسباب طبيعية متأثّرة بالملائكة الموكّلة بتحقيق تلك المسبّبات، وهي بأجمعها تحت قدرة الله تعالى، ولا يمكن تأثير هذه الأسباب إلّا بإرادة الله تعالى؛ فإنّه القدير على تغيير السنن الطبيعية بواسطة الملائكة الذين هم الأسباب، والله على كلّ شيء قدير.

[٦/٣ ـ الطائفة الخامسة: ملائكة الأرض]:

وَرُسُلِكَ مِنَ الْمَلآئِكَةِ إِلى أَهْلِ[١] الأَرْضِ بِمَكْرُوهِ ما يَنْزِلُ مِنَ الْبَلآءِ وَمَحْبُوبِ الرَّخآءِ[٢]، وَالسَّفرَةِ[٣] الْكِرامِ الْبَرَرَةِ[٤]، وَالْحَفَظَةِ

---

(١) لم ترد في (ت): «أهل».

(٢) في (ت): «الرجاء».

(٣) هم الكتبة من الملائكة، قال الزجاج: السفرة: الكتبة، واحدها سافر مثل كتبة وكاتب، وإنما قيل للكتبة: سفرة وللكاتب سافر، لأن معناه أنه الذي يبين الشيء ويوضحه، وقال الفراء: السفرة هم الملائكة الذين يسفرون بالوحي بين الله وبين رسله، واحدها سافر، والعرب تقول: سفرت بين القوم إذا أصلحت بينهم، فجعلت الملائكة إذا نزلت بوحي الله وتأديته، كالسفير الذي يصلح به بين القوم، وفي (س): «السَفَرة: الكتبة، الواحد سافر ككاتب». (حاشية ابن إدريس: ١١٤).

(٤) الذين وردت الإشارة إليهم في قوله تعالى: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ * مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾. (سورة عبس ٨٠: ١٣ ـ ١٥).

الْكِرامِ الْكاتِبِينَ[(١)]، وَمَلَكِ الْمَوْتِ وَأَعْوانِهِ[(٢)]، وَمُنْكَر وَنَكير[(٣)]، وَرُومانَ[(٤)] فَتّانِ[(٥)] الْقُبُورِ.

والطائفة الخامسة والأخيرة من الملائكة الذين ذكرهم عليه السلام في الدعاء، هم ملائكة الأرض الذين يتحدّد مسؤوليتهم بالأرض فقط، ولا تتعدى مسؤوليّتهم أكثر من الكرة الأرضية، فهم وأعوانهم يتواجدون على الأرض لأداء المهامّ الملقاة على عواتقهم، سواء في ذلك المهامّ المكروهة، كما في إنزال البلاء، أو المهامّ المحبوبة كالرخاء، وهؤلاء على أصناف:

أوّلاً: السّفرة الكرام البررة، ودورهم: السفارة أي الإصلاح، وهم كرام ثقات.

ثانياً: الحفظة الكرام الكاتبين، وهم الملائكة الذين يكتبون الأعمال، وهم من طائفتين: ملائكة اليمين للحسنات، وملائكة الشّمال للسيّئات.

ثالثاً: ملك الموت، وهو عزرائيل الموكّل بقبض الأرواح.

رابعاً: منكر ونكير، وهما ملكا القبر، يحييان الميت بعد أن يدفن، فيسألانه.

خامساً: رومان، وهو الملك الذي يدخل القبر ويأمر الميّت بأن يكتب حسناته وسيئآته على كفنه، والإسم مشتق من الروم، بمعنى الطلب، ولقّب بالفتّان مبالغة، لفتنته على الميّت.

---

(١) الذين وردت الإشارة إليهم في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾. (سورة الإنفطار٨٢: ١٠ ـ ١٢).

(٢) الذي وردت الإشارة اليه في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾. (سورة السجدة ٣٢: ١٢).

(٣) لم ترد في (ت): «ونكير»، وفي (ز) وحاشية (ج): «ومبشر وبشير».

(٤) في حاشية (ج): «اسم ملك يكون مع ابن آدم في قبره».

(٥) في (ت) وملحق (ك): «فتّاق».

[٣/٧ ـ طوائف أُخرى من الملائكة]:

[وَالطّائِفينَ(١) بِالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَمالِكٍ، وَالْخَزَنَةِ، [وَ]رِضْوانَ(٢)، وَسَدَنَةِ(٣) الْجِنانِ، وَالَّذينَ لا يَعْصُونَ اَللّهَ ما أَمَرَهُمْ، [وَ]يَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ(٤). وَالَّذينَ يَقُولُونَ: سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ [فَ]نِعْمَ عُقْبَى الدّارِ(٥). وَالزَّبانِيَةِ(٦) الَّذينَ إِذا قِيلَ لَهُم: خُذُوهُ فَغُلُّوهُ [ثُ]مَّ الْجَحيمَ صَلُّوهُ(٧) ابْتَدَرُوهُ سِراعاً، وَلَمْ يُنْظِرُوهُ. وَمَنْ أَلْهمْنا(٨)

---

١) لم ترد في (ق) (ت): «والطائفين».
٢) في (س): «رضوان: اسم الملك ـ بالفتح ـ». (حاشية ابن إدريس: ١١٤).
٣) في حاشية (ج): «أي الخدمة».
٤) اقتباس من القرآن الكريم، سورة التحريم ٦٦: ٦.
٥) اقتباس من القرآن الكريم، سورة الرعد ١٣: ٢٤.
٦) في (ق) زيادة: «بالبيت المعمور».
٧) اقتباس من القرآن الكريم، سورة الحاقة: ٣٠ ـ ٣١.
٨) في (ق) (ت): «ومن ألهَمْنا»، وقد يكون الصحيح: «وَمَنْ أُلهِمْنَا»، وهو من الالهام، والكلمة في سائر النسخ هكذا: «ومن أُوهمنا»، وفي حاشية (ج): «أي أهملنا»، والإلهام: الإلقاء في الروع كالأئمة عليه السّلام ومن يحذو حذوهم. قال الفيض الكاشاني في الوافي، ما نصه: إن العلوم التي ليست ضرورية إنما تحصل في القلب تارة بالاكتساب بطريق الاستدلال والتعلم ويسمى اعتبارا واستبصارا ويختص به العلماء والحكماء. وتارة بهجومه على القلب كأنه ألقي فيه من حيث لا يدرى، سواء كان عقيب طلب وشوق أو لا، وسواء كان مع الاطلاع على السبب الذي منه استفيد ذلك العلم أو لا، فإنه قد يكون بمشاهدة الملك الملقي في القلب وسماع حديثه، وقد يكون بمجرد السماع من غير مشاهدة، وقد يكون بنفثة في الروع من غير سماع، ينكت في القلب نكتا أو يلهم إلهاما. وقد يكون ذلك الهجوم في النوم كما يكون في اليقظة. والمشاهدة تختص بالأنبياء والرسل صلّى الله عليهم، وخص باسم الوحي عرفا. وغيرها قد يكون لغيرهم. وكما أن الحجاب بين المرآة والصورة يزال تارة بتعمل اليد المتصرفة وتارة بهبوب ريح تحركه، فكذلك استفادة العلوم بالقلم الإلهي للإنسان قد تكون بقوة فكرته المتصرفة في تجريد الصور عن الغواشي والانتقال من بعضها إلى بعض، وقد تهب رياح الألطاف الإلهية فتكشف الحجب والغواشي عن عين بصيرته فيتجلى فيها بعض ما هو مثبت في اللوح الأعلى، فيكون تارة عند المنام فيظهر به ما =

ذِكْرَهُ[١] وَلَمْ نَعْلَمْ مَكانَهُ مِنْكَ، وَبِأَيِّ أَمْرٍ وَكَّلْتَهُ. وَسُكّانِ الْهَوآءِ وَالأَرْضِ وَالْمآءِ، وَمَنْ[٢] مِنْهُمْ عَلَى الْخَلْقِ.

وأشار عليه السلام في الدعاء إلى طوائف أُخرى من الملائكة جاء ذكرها في الآيات والروايات واسند إليها بعض المسؤوليّات والأدوار، وذكر منها:

١ ـ الطائفين بالبيت المعمور، وهو في السماء الرابعة، محاذ للبيت الحرام في الأرض، يطوف حوله الملائكة.

٢ ـ ومالك، وهو إسم للملك المسؤول عن نار جهنّم.

٣ ـ والخزنة، أي خزنة جهنّم، وهم الملائكة الموكّلون بالنار، وقد وصفهم الله سبحانه بقوله: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾[٣].

٤ ـ ورضوان، وهو اسم للملك المسؤول عن الجنّة.

٥ ـ وسدنة الجنان، وهم الملائكة الموكّلون بالجنة، والسادن: الحاجب.

٦ ـ والذين ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[٤] وهؤلاء هم خزنة

= سيكون في المستقبل. وتارة ينقشع الحجاب بلطف خفي من اللّه، فيلمع في القلب من وراء ستر الغيب شيء من غرائب أسرار الملكوت في اليقظة، فربما يدوم وربما يكون كالبرق الخاطف. ودوامه في غاية الندور، فلم يفارق الإلهام وحديث الملك الاكتساب في العلم ولا في محله ولا في سببه، ولكن يفارقه في طريقه زوال الحجاب وجهته. ولم يفارق الوحي الإلهام والحديث في شيء من ذلك، بل في شدة الوضوح والنورية ومشاهدة الملك المفيد للعلم. والكل مشتركة في أنها بواسطة الملك الذي هو القلم، كما قال عز وجل: ﴿عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ (سورة العلق ٩٦: ٤)، ولعلَّ الإشارة إلى هذه المراتب الثلاث في قوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ (سورة الشورى ٤٢: ٥١). (الوافي، للفيض الكاشاني ٢: ٧٧ ـ ٧٨).

وقد يؤيد أصحية ما ورد في (ق): ما تقدم في المقطع الثالث من الدعاء الأول، وهو قوله عليه السلام: «والْحَمْدُ للهِ عَلَى مَا عَرَّفَنَا مِنْ نَفْسِهِ، وأَلْهَمَنَا مِنْ شُكْرِهِ»، فراجع.

(١) وردت الكلمة في (ق) (ت): «أمره» بدل: «ذكره».

(٢) في (ز) زيادة: «وُكلّ»، وفي حاشية ملحق (ك): في نسخة، زيادة: «ائتمنتهم».

(٣) القرآن الكريم، سورة التحريم ٦٦: ٦.

(٤) القرآن الكريم، سورة التحريم ٦٦: ٦.

نار، وذكرهم مرّة أُخرى للتأكيد على أنّهم يؤدّون الواجب الملقى على عواتقهم
ما في الآية.

٧ ـ والذين يقولون: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[١] وهم ملائكة
جنّة، كما ورد في سورة الرعد، وأعاد ذكرهم للإقتباس من الاية الكريمة.

٨ ـ الزبانية، وهم ملائكة العذاب الموكّلين بأهل النار، وهم الذين يؤدّون
اجبهم إذا قيل لهم: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ* ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾[٢] بلا تأن في إطاعة ذلك، فهم
تدوره سراعاً ولن ينظروه أيّة مهلة؛ أداءً للواجب.

هذا كلّه بعض ما أشارت إليه الروايات والآيات، ولا يمكن حصر الملائكة
تي هي وسائل التنفيذ لإرادة الله.

٩ ـ وأمّا الملائكة الذين أوهمنا ذكره ـ أي أسقطنا ذكرهم ـ فإنّما ذلك بسبب
صور العلم بهم؛ لأنّه لا سبيل إلى العلم بمكانهم من الله، ولا المسؤوليات الملقاة
لى عواتقهم، ولا الأمور التي أوكل اليها، إلّا بتعليم الله سبحانه.

وبالجملة؛ فإنّ الملائكة هم الأسباب في تنفيذ إرادة الله سبحانه، ومنهم من
رفناهم من خلال الآيات والروايات، وعرفنا الأدوار الموكلة اليها، وقد تقدّمت
لإشارة إليهم، وأمّا غيرهم فهم لا يدخلون تحت حصر، وإن كنّا نعلم بأنهم
تواجدون في كلّ مكان ويسكنون الهواء والأرض والماء. ويتواجدون في جميع
حلق الله. فإنّ كلّ ما يتحقّق في الكون إنّما يتحقق بسبب طبيعيّ لا ينفكّ عن
لتأثير فيها بالملك الموكّل لأداء ذلك الدور.

٣/٨ ـ الصلوات على الملائكة]:

فَصَلِّ عَلَيْهِمْ يَوْمَ تَأْتي[٣] كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ[٤] وَشَهيدٌ[٥]،

---

١) القرآن الكريم، سورة الرعد ١٣: ٢٤.
٢) القرآن الكريم، سورة الحاقة ٦٩: ٣٠ و٣١.
٣) كذا في ملحق (ك)، وفي (ت): «يأتي».
٤) في بعض النسخ وحاشية ملحق (ك) في نسخة: «قائم».
٥) الذين وردت الإشارة إليهما في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾. (سورة ق٥٠: ٢١).

وَصَلِّ[١] عَلَيْهِمْ صَلاةً تَزِيدُهُمْ كَرامَةً عَلى كَرامَتِهِمْ، وَطَهارَةً عَلى طَهارَتِهِمْ.

أَللّهُمَّ وَإذا صَلَّيْتَ عَلى مَلآئِكَتِكَ وَرُسُلِكَ، وَبَلَّغْتَهُمْ[٢] صَلواتَنَا[٣] عَلَيْهِمْ، فَصَلِّ عَلَيْهِمْ[٤] بِما فَتَحْتَ لَنا مِنْ حُسْنِ الْقَوْلِ فيهِمْ، إنَّكَ جَوادٌ كَرِيمٌ[٥].

وحيث إنّ الملائكة لا تدخل تحت حصر، ولكنها جميعاً تتصف بصفة أداء الواجب الإلهي، فإن ذلك يستلزم الصلاة عليهم وطلب الرحمة من الله لهم في أداء الدور الملقى على عاتقهم، وخاصّة في يوم القيامة الذي يؤثر على مصيرنا، وهو اليوم الذي قال عنه تعالى: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾[٦] والسائق هو الملك الذي يسوق الإنسان إلى الحشر، والشهيد الذي يشهد بالأعمال، والملائكة جميعاً يستحقّون الصلاة لأسباب ثلاثة:

---

(١) في (ز): «فصلّ».
(٢) في (ت): «وبلغهم».
(٣) في ملحق (ك) وملحق (ش): «صلاتنا».
(٤) في حاشية (ج): في نسخة: «فصلّ علينا».
(٥) في حاشية (ج) هنا ما نصه: «وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام في ذكر آل محمد عليهم السلام: أَللّهُمَّ يا مَنْ خَصَّ مُحَمَّداً وَآلَهُ بِالْكَرامَةِ، وَحَباهُمْ بِالرِّسالَةِ، وَخَصَّصَهُمْ بِالْوَسيلَةِ، وَجَعَلَهُمْ وَرَثَةَ الأَنبياءِ، وَخَتَمَ بِهِمُ الأَوْصِياءَ وَالأَئِمَّةَ، وَعَلَّمَهُمْ عِلْمَ ما كانَ وَعِلمَ مَا بَقِيَ وَجَعَلَ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إلَيْهِمْ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ، وَافْعَلْ بنا ما أَنْتَ أَهْلُهُ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيا وَالآخِرَةِ، إنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وفي حاشية (ج) أيضاً بعد هذا الدعاء كتب الجباعي ما نصه: «نقلت هذه الزيادة من نسخة من خط الكفعمي، ونقلها هو من خط نسخته من خط الشهيد قدس الله روحه». انتهى، وفي (حاشية إبن إدريس، ص١١٥) ورد هذا الدعاء بدون رقم عن هامش النسخة، بعنوان: «دعاؤه في ذكر محمّدٍ وآله».قال المحقق: وهذا هو نص الدعاء (٥٨) من هذه الصحيفة، فراجع.
(٦) القرآن الكريم، سورة ق ٥٠: ٢١.

١ ـ كرامتهم عند الله.

٢ ـ طهارتهم عن المعاصي.

٣ ـ وجودهم الذي صار سبباً لحسن القول فيهم، وذلك بفضل الله تعالى ـي فتح لنا ذلك، لأنّه الجواد الكريم.

[الدُّعاءُ الرابع]

وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام في الصلاة على أتباع الرسل ومصدّقيهم[1]

تقدم أنّ هذا العنوان ليس في رواية ابن مالك، وأنّ الاعتبار يساعد على أن يكون هو القسم الأخير من النوع الأخير من أنواع الحمد، فيكون هذا التحميد هو تمام التحميد الذي هو بدأ به الإمام في أوّل الأدعية في الصحيفة السجادية، خصوصا وأنّ الترقيم حادث بعد إملاء الإمام عليه السلام، فقد اختتم التحميد بالصلاة على محمّد صلى الله عليه وآله أوّلا، والملائكة ثانياً، وأتباع الرسل ثالثاً، فيكون هذا هو آخر الدعاء.

وامّا على ما استظهرناه من الاعتبار بأن تكون الواو في «وأتباع الرسل» عاطفة غير استئنافيّة، لا يجوز هنا الرفع في كلمة «مصدّقوهم»، فلا محيص هنا سوى الاستئناف، وأنّه مبتدأ، وخبره (فاذكرهم)، كما أفاد السيد رحمه الله: من انّ (الفاء) جواب لـ (أمّا) مقدّرة[2].

ومهما كان، فهذا القسم الأخير من الدعاء يستعرض الصلوات على أتباع الرسل ومصدقيهم من الصحابة والتابعين والمعاصرين من تابعي التابعين.

---

(١) لم يرد هذا الدُّعاء في (ك) (ش)، وانما ورد في الملحق بهما بنفس العنوان، وفي (ج) بعنوان: «الرابع: وكان من دعائه عليه السلام في الصلاة على أتباع الرسل ومصدقيهم»، ولم يرد هذا الدعاء في هذا الموضع في (ف)، وفي (ت) بعنوان: (الرابع) وتحته عنوان: «في الصلاة على أتباع الرسل»، وفي (ق) بعنوان: (الرابع) وتحته عنوان: «في الصلاة على مصدّقي الرسل»، وفي (حاشية إبن إدريس) برقم (٤)، وبعنوان: «دعاؤه لأتباع الرسل».

(٢) رياض السالكين ٢: ٨٥.

٤/١ ـ الصلاة على أتباع الرسل]:

أللّهُمَّ وَأتْباعُ الرُّسُلِ وَمُصَدِّقُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الأرْضِ بِالْغَيْبِ ـنْد[١] مُعارَضَة الْمُعانِدينَ[٢] لَهُمْ بِالتَّكْذيبِ، وَالإشْتِياقِ إلى ـمُرْسَلينَ بِحَقآئِقِ الإيمَانِ، في كُلِّ دَهْرٍ وَزَمانٍ أَرْسَلْتَ فيهِ رَسُولاً ـأَقَمْتَ لِأهْلِهِ دَليلاً، مِنْ لَدُن آدَمَ إلى مُحَمَّدٍ ﷺ[٣] مِنْ أَئِمَّةِ[٤] ـلْهُدى، وَقادَةِ أَهْلِ التُّقى، عَلى جَميعِهِم السَّلامُ، فَاذْكُرْهُمْ[٥] مِنْكَ ـمَغْفِرَةٍ وَرِضْوانٍ.

وبعد درجة الملائكة تأتي درجة أتباع الرسل ومصدقيهم من البشر، فإنّ ـملائكة والبشر على حدّ سواء في الإيمان بالأنبياء والمرسلين، والفرق بينهما في ـخلق، أنّ الملائكة أجسام نورانيّة، والبشر أجسام ماديّة. وقضيّة الإيمان ليست ـن خصائص الأجسام، بل من خصائص العقل الذي وهبه الله للجميع على حدّ ـسواء.

بيان ذلك: أنّ الصراع بين الحقّ والباطل صراع دائم وأبديّ، ولكلّ منهما ـعاة وأتباع، وخطّ الأنبياء والرسل من لدن آدم إلى نبينا محمد ﷺ وأئمة الهدى ـقادة أهل التقى هو السير على طريق الحقّ والعدالة. وأما خطّ الملوك وأصحاب ـلدنيا ـ فهو على الأغلب ـ السير لتحقيق النصر المادّي وبناء القوّة الماديّة على ـكتاف الضُعفاء، ولكلّ منهما أصحاب وأتباع، والذي يستحق منهم الصلوات ـالدعاء بالرحمة هم أتباع الرسل والمصدقين لرسالتهم الذي هو تصديق لهم، ـذلك يظهر في حالين:

---

١) في (ت): «عنك».
٢) في (ج): «المعاند والعنيد والعاند بمعنى، وهو الذي يعرف الحق ويأباه».
٣) لم ترد في (ق): «صلّى الله عليه واله».
٤) في حاشية (ج): «أئمة ـ أيمة، معا».
٥) في (ت): «فأذكَرهم».

الأوّل: التصديق بالرسل بالغيب عند المعارضة والتكذيب من اصحاب الدنيا.

الثاني: الاشتياق إلى المرسلين لدعوتهم إلى حقائق الإيمان ومساندتهم الجانب الروحي، وهذه المعارضة بين الجانب الروحي البحت والجانب المادّي البحت موجود في كل دهر وزمان، ولم يخل ذلك من رسول أرسله الله لكلّ امّة لما قال: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾[1] مسنداً بدليل على نبوّته من لدن آدم حتى نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

فاستحقّ أتباع الرسل هؤلاء بمواقفهم الإيجابيّة لتحقيق العدالة وتطبيق الرسالة الدعاء لهم بالمغفرة والرضوان، والصلوات عليهم كلّما مرّ الزمان؛ ليعتبر بهم ويستفيد من مواقفهم عزماً وصموداً على طريق الحقّ والعدالة.

[٢/٤ ـ أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم]:

أللّهُمَّ وَاَصْحاب مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله خاصَّةً، الَّذينَ أَحْسَنُوا الصَّحابَةَ، وَالَّذينَ أَبْلَوْا[2] الْبَلاَءَ الْحَسَنَ[3] فِي نَصْرِهِ[4]، وَكانَفُوهُ[5]، وَأَسْرَعُوا اِلى وِفادَتِهِ[6]، وَسابَقُوا إِلى دَعْوَتِهِ، وَاْستَجابُوا لَهُ حَيْثُ أَسْمَعَهُم حُجَّةَ رِسالاتِهِ، وَفارَقُوا الأَزْواجَ وَالْأَوْلادَ فِي اِظْهارِ كَلِمَتِهِ، وَقاتَلُوا الآباءَ وَالأَبْناءَ فِي تَثْبيتِ نُبُوَّتِهِ، وَانْتَصَرُوا بِهِ[7]،

---

(١) القرآن الكريم، سورة يونس ١٠ : ٤٧.

(٢) في حاشية (ج): «أبلوه ـ س».

(٣) في حاشية (ج): «جاهدوا الجهاد الحسن».

(٤) في (ك) (ق) (ز): «نصرته».

(٥) في حاشية (ج): «كنف الشيء: أحاطه وصانه»، وفي حاشية (د): «وكانفوه: أي حفظوه».

(٦) في حاشية (د): «وفادته: أي رسالته»، وفي (س): «يقال: وفد فلان على الأمير، أي ورد رسولاً، فالوفادة: الرسالة. س». (حاشية ابن إدريس: ١١٦).

(٧) في بعض النسخ: «وأنكروا فيه».

مَنْ[١] كانُوا[٢] مُنْطوينَ[٣] على مَحَبَّتِهِ[٤]، يَرْجُون تِجارَةً لَنْ تَبُورَ[٥] في مَوَدَّتِهِ، وَالَّذينَ هَجَرَتْهُمُ الْعَشائِرُ[٦] إذْ تَعَلَّقُوا بِعُرْوَتِهِ، وَانْتَفَتْ مِنْهُمُ الْقَراباتُ إذْ سَكَنُوا فِي ظِلِّ قَرابَتِهِ، فَلا تَنْسَ لَهُم - أللّهُمَّ -[٧] ما تَرَكُوا لَكَ وَفيكَ، وَأَرْضِهِمْ مِنْ رِضْوانِكَ، وَبِما حاشُوا[٨] الْخَلْقَ عَلَيْكَ، وَكانُوا مَعَ رَسُولِكَ دُعاةً لَكَ إلَيْكَ[٩]، وَاشْكُرْهُمْ عَلى هَجْرِهِمْ فيكَ[١٠] دِيارَ قَوْمِهِمْ، وَخُرُوجِهِمْ[١١] مِنْ سَعَةِ الْمَعاشِ إلى ضِيقِهِ، وَمَنْ كَثَّرْتَ[١٢] في إعْزازِ دِينِكَ مِنْ مَظْلُومِهِمْ[١٣].

---

١) في (ق): «وأنكروا فيه من».
٢) العبارة في (ت) هكذا: «وأنكروا فيه ما كانوا».
٣) في حاشية (د): «منطوين: إذا تعمدوا ذلك».
٤) في حاشية (ج): «أي مضمرين محبته».
٥) في حاشية (ج): «أي لن تهلك».
٦) في (س): «العشيرة: القبيلة». (حاشية ابن إدريس: ١١٨).
٧) في (ق): «ولا تنس لهم».
٨) في (ت): «بما حاسوا»، وفي حاشية (ج): «حاشوا: أي جمعوا وضمّوا في الحشا، وهو ما بين الضلوع. قاله الجوهري». انتهى. و«حاشوا الخلق عليك»: أي جمعوا الخلق على طاعتك. (لسان العرب ٦: ٢٠٩)، وفي (س): «حشت الإبل: جمعتها وسقتها، وحشت الصيد أحوشه: إذا جئته من حواليه لتصرفه إلى الحبالة». (حاشية ابن إدريس: ١١٨)، وفي رياض السالكين (٢: ١٠٦)، ما نصه: قوله: «وبما حاشوا الخلق عليك» الواو: عاطفة والمعطوف عليه مقدّر يتضمّنه الكلام السابق والتقدير: وارضهم من رضوانك بسبب ما ذكر من جميل أعمالهم وبما حاشوا الخلق عليك. و«ما» مصدريّة أي: بحوشهم. يقال: حشت عليه الصيد، وأحشته إذا سقته إليه وجمعته عليه. وفي القاموس: «حاش الصيد: جاءه من حواليه يصرفه إلى الحبالة، والإبل: جمعها وساقها»». انتهى.
٩) في ملحق (ك) العبارة هكذا: «وَكانُوا مَعَ رَسُولِكَ دُعاةً لَكَ ثقةً بك وقربةً إلَيْكَ».
١٠) في (ق) (ت): «هجرتهم فيك».
١١) في (ت): «وخرّجوهم».
١٢) في (ز): «ومن كثرة الى قلّة».
١٣) لم ترد في (ز) وبعض النسخ: «من مظلومهم»، والعبارة في (ق) و (ت) هكذا: «ومن =

وخصّ الصحابة بالدعاء كما خصّ النبيّ ﷺ بالصلاة، لأنّهم جميعاً تمكّنوا من تحقيق حكم الله في الأرض دون من سلف من الأنبياء وأتباعهم، فإنّه بالرغم ممّا قاسوه من المصاعب لتحقيق الهدف نفسه، لم يتمكّنوا من ذلك، وكان مصير موسى التيه في الوادي ـ ولا يعرف لموسى حتى اليوم قبر ـ ومصير عيسى التشبيه بالصلب ورفعه إلى السماء، فلم يتحقّق لأحد تطبيق حكم الله على الارض سوى لنبينا محمد ﷺ وأصحابه خاصّة، ولذلك اختصوا بهذا الدعاء.

وسرد في الدعاء صفاتهم الّتي أوجبت لهم ذلك، وهي:

١ ـ أحسنوا الصحبة في تحقيق الأهداف الإسلامية.

٢ ـ أبلوا البلاء الحسن في نصر النبي، ومِن أظهرها مواقف بلال الحبشي.

٣ ـ كانفوا النبيّ محمد ﷺ، أي عاونوه، ومصاديق ذلك في السيرة طافحة.

٤ ـ أسرعوا إلى وفادته، أي الوفادة عليه، وفي مقدّمتهم الأنصار من المدينة قبل الهجرة.

٥ ـ سابقوا إلى دعوته، وهم المسلمون الأوائل من المهاجرين قبل الهجرة.

٦ ـ استجابوا له حيث أسمعهم حجّة رسالة النبيّ محمّد ﷺ.

٧ ـ فارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته.

٨ ـ قاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوّته.

٩ ـ انتصروا بالنبيّ ﷺ؛ فإنّ نصر الصحابة على الأعداء بما تقدم من التضحيات في الحقيقة كان نابعاً من الانتصار بشخصية النبيّ ﷺ القويّة، الّتي بعثت القوة في نفوسهم والاستقامة على الدعوة بالرغم من أشواك الطريق.

١٠ ـ من كان منطوياً على محبّة النبيّ ﷺ، وهم الطائفة من الصحابة الذين لم يكن لهم الصفات المتقدّمة، ولكن انطوت قلوبهم على حبّ النبيّ ﷺ

= كثّرت في اعزاز دينك كلومهم»، وفي معجم مقاييس اللغة: الكاف واللام والميم أصلان أحدهما يدل على نطق مفهم والآخر على جراح. فالأوّل الكلام. . . . ، والأصل الآخر: الكلم، وهو الجرح والكلام الجراحات وجمع الكلم كلوم أيضا. ورجل كليم وقوم كلمى، أي جرحى. (معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس٥: ١٣١).

أضمروا للنبيّ صلى الله عليه وآله الحبّ، لعلمهم بأنّ مودّة النبيّ صلى الله عليه وآله هو ﴿تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾[1]
ي الآخرة.

ومن مصاديق هذه الطائفة: الصحابيات اللواتي قمن بواجبهنّ في نصر
لإسلام والمسلمين بما وسعهنّ، من دون مشاركة في القتال.

١١ ـ الذين هجرتهم العشائر لإسلامهم، وكانت مقاطعة العشائر لهؤلاء
مسلمين من الصحابة لا لشيء، سوى انهم تعلّقوا بعروة النبيّ صلى الله عليه وآله التي هي
عروة الوثقى، فهجرتهم العشائر ليضغطوا عليهم لارجاعهم إلى الكفر، ولم
جحوا في ذلك.

١٢ ـ الذين اكتفوا بالتقرب إلى الرسول، ومن أظهرهم: سلمان الفارسي،
لذي قال فيه النبيّ صلى الله عليه وآله: «سلمان منّا أهل البيت»[2] فإنّ هذه الطائفة من الصحابة
ان انتفت منهم القرابات في النسب الذي انحدروا منه، الّا أنهم سكنوا في ظل
ابة الرسول الّتي هي قرابة الإسلام.

فهذه الطوائف من الصحابة الذين فصّلت كتب السيرة أحوالهم وتضحياتهم
أدوارهم، أهل للدعاء والصلوات؛ لأنّهم جميعاً تركوا أوطانهم وأراضيهم لله
الى وفي سبيله، فاستحقّوا بذلك من الله الرضوان، لأنّهم جانبوا الخلق من أجل
له، وكانوا مع الرسول صلى الله عليه وآله دعاةً لله وإلى الله.

وهذا الرضوان الإلهي يستوجب للمسلمين في التاريخ الشكر لهم؛ لأنّهم
بناة لحياة الأمّة الإسلامية اليوم، والاعتبار بسيرة النبيّ صلى الله عليه وآله وحياة الصحابة
مواقف أهل البيت عليهم السلام يوجب الشكر لهم، وقد خصّ الدعاء ثلاثة أسباب من
وجبات الشكر، وهي:

أولاً: الهجرة؛ إذ لولا الهجرة لكانت الفكرة الإسلامية مقضيّاً عليها في ليلة
لمبيت[3].

---

١) القرآن الكريم، سورة فاطر ٣٥: ٢٩.

١) بحار الانوار ١٠: ١٢٣.

٢) يوجد حديث ليلة المبيت في مسند أحمد: ١ ص٣٤٨، تاريخ الطبري ٢ ـ ص٩٩ ـ
١٠١، الطبقات لابن سعد ١ ص٢١٢، تاريخ اليعقوبي ٢ ص٥٢٩ سيرة ابن هشام ٢ =

ثانياً: التضحية الإقتصادية والاغتراب، بخروجهم من سعة المعاش إلى الضيق وديار الغربة.

ثالثاً: إعزاز المظلومين منهم بدين الله، وهم الكثرة من الصحابة، فقد جاء في كتب السيرة أنّ مجموع عدد الصحابة بلغ اثني عشر الفاً، ثمانية آلاف من المدينة وهم الأنصار، وألفين من غير المدينة، وألفين من الطلقاء والغرباء، فهم اكثر عدداً من الأغنياء منهم.

وهذه النقاط الثلاث توجب الشكر في الأجيال المستقبلة لمن يقدم على بناء أساس الفكر الإسلامي، ويعتبر بها لتصحيح مسيرة التاريخ، وقد أشرت إلى معالم العبرة فيها في «موارد الاعتبار».

[٣/٤ ـ التابعون]:

أَللّٰهُمَّ وَأَوْصِلْ إِلى[1] التّابِعينَ لَهُمْ بِإِحْسانٍ[2]، الَّذينَ يَقُولُونَ: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[3] خَيْرَ جَزائِكَ، الَّذينَ قَصَدُوا سَمْتَهُمْ[4]، وَتَحَرَّوا وِجْهَتَهُمْ[5]، وَمَضَوا

= ص٢٩١، العقد الفريد ٣ ص٢٩٠، تاريخ الخطيب البغدادي ١٣ ص١٩١، تاريخ ابن الأثير ٢ ص٤٢، تاريخ أبي الفداء، ١ ص١٢٦، مناقب الخوازمي ص٧٥، الإمتاع للمقريزي ص٣٩، تاريخ ابن كثير ٧ ص٣٣٨، السيرة الحلبية ٢ ص٢٩. ويوجد الايعاز إلى هذه المأثرة في حديث صحيح عن ابن عباس أخرجه جمع من الحفاظ الاثبات. (راجع: الغدير، للشيخ الأميني، ج ١، ص٥٠ و٥١)، وهي مروية في حديث عن الإمام السبط الحسن وقال: بات أمير المؤمنين يحرس رسول الله صلى الله عليه وآله المشركين وفداه بنفسه ليلة الهجرة حتى أنزل الله فيه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ (القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ٢٠٧).

(١) في (ز): «وواصل»، ولم ترد في (ق): «الى».

(٢) في (ت): «بالإحسان»، وفي الهامش: باحسان ـ صح.

(٣) وفي (ق) (ت) تتمة الآية: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾. (سورة الحشر٥٩: ١٠).

(٤) في حاشية (ج): «سمتهم: طريقهم».

(٥) في حاشية (ج) (د): «وَجهتهم ـ وِجهتهم، معا»، «وتحروا جهتهم: أي قصدوا»، وفي =

لى شاكِلَتِهِمْ[١]، لَمْ يَثْنِهِمْ[٢] رَيْبٌ فِي بَصيرَتِهِمْ[٣]، وَلَمْ يَخْتَلِجْهُمْ[٤] كٌّ فِي قَفْوِ[٥] آثارِهِمْ، وَالْائْتِمامِ بِهِدايَةِ مَنارِهِمْ[٦]، مُكانِفِينَ[٧] مُوازِرِينَ لَهُمْ[٨]، يَدِينُونَ بِدِينِهِمْ، وَيَهْتَدُونَ بِهَدْيِهِمْ[٩]، يُنْفِقُونَ[١٠] لَيْهِمْ، وَلا يَتَّهِمُونَهُمْ فيما أَدَّوْا إِلَيْهِمْ.

ويلي طبقة الصحابة: طبقة التابعين لهم، وقد جاء في هذا الفصل من الدعاء اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم حْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[١١] وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ

(س): «الوجه والجهة بمعنى، والهاء عوضٌ من الواو، والاسم الوجهة بكسر الواو وضمها». (حاشية ابن إدريس: ١١٨).

(١) في حاشية (ج): «أي هديهم وطريقهم»، وفي (س): «الشاكلة: الخاصرة، و (كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ) (سورة الاسراء ١٧: ٨٤)، أي طريقته وجهته». (حاشية ابن إدريس: ١١٨).

(٢) في (ق) وملحق (ك): «ولم يثنهم»، وفي (ت): «ولم ينهم [كذا]».

(٣) في (س): «البصيرة: الحجة، وقوله تعالى: ﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ (سورة القيامة ٧٥: ١٤)، أي حجة». (حاشية ابن إدريس: ١١٨).

(٤) في (س): «تخالج في صدري منه شيء، وذلك إذا شككت فيه، وكأنّ اختلج بمعنى تخالج، واختلج في نفسي كذا إذا كان يخطر في نفسك». (حاشية ابن إدريس: ١١٨).

(٥) في حاشية ملحق (ك) في نسخة: «قِفُوّ»، وفي حاشية (ج): «قفو: اتباع».

(٦) في (ت): «منازلهم»، وفي حاشية (ج): «أي أعلامهم».

(٧) في (ت): «متكانفين»، وفي حاشية (ج): «المكانفة: المحافظة والمعاضدة»، وفي (س): «أكنفت الرجل: أي أعنته، والمكانفة: المعاونة». (حاشية ابن إدريس: ١١٨).

(٨) في (ت): «موازرين ـ بدون واو ـ»، وفي حاشية (ج): «المؤازرة: المعاونة»، وفي (س): «الوزر: الإثم والثقل أيضاً، والموازر كالمواكل، لأنّه يحمل عنه وزره، أي ثقله». (حاشية ابن إدريس: ١١٩).

(٩) لم ترد في (ق): «ويهتدون بهديهم»، وفي حاشية (ج): «أي طريقهم وسيرتهم، وما أحسن هدي فلان، أي سيرته وطريقته».

(١٠) في (د) وردت هذه الكلمة مهملة، وفي (ج): «يتفقون»، وفي حاشية (د): «يتفقون ـ س»، وفي حاشية (ج) في نسخة: «يقفون». وفي (ق) و (ت): «ويقفون عليهم»، وفي (ز) وملحق (ك): «ينفقون»، وفي (س): «أنفق القوم: أي نفقت سوقهم». (حاشية ابن إدريس: ١١٩).

(١١) القرآن الكريم، سورة التوبة ٩: ١٠٠.

يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[1] فالدعاء إلى الله سبحانه بأن يوصل إلى التابعين خير جزائه لما فيهم من الصفات التي عددها كالآتي:

١ ـ هم أهل الدعاء لمن سبقهم بالإيمان بالمغفرة، وذلك درس لمن يأتي بعدهم بالاستغفار لهم.

٢ ـ إنّهم قصدوا سمت الصحابة، أي الطريق الذي سلكوه.

٣ ـ وتحرّوا جهة الصحابة، وهي رضى الله في اعمالهم وسلوكهم.

٤ ـ إنّهم مضوا على شاكلة الصحابة من الفضل والعلم والوفاق والعمل.

٥ ـ لم يثنهم ريب؛ لعلمهم بأنّ أولى حبائل الشيطان هو إحداث الشكّ في البصيرة.

٦ ـ لم يختلجهم شكّ، فإنّ الشكّ الشيطاني يأتي من ناحيتين:

الأولى: أنّ الصحابة خلقٌ فوق مستوى البشر، وأنّ ما تمكّنوا منه لا يتيسّر لمن تأخّر عنهم من التابعين.

وسيرة الصحابة تكشف عن أنّهم كانوا في مستوى البشرية، على حدّ سواء مع التابعين، ويستلزم ذلك قفوّ آثارهم.

الثانية: أنّ التّابعين يلون الصحابة في مستوى الاستنارة بما استنار به الصحابة، لقرب عهدهم بالرسالة، دون التابعين.

وسيرة الصحابة تكشف أيضاً عن أنّ التابعين يجب أن يستلهموا بالإيتمام بهداية منار الصحابة.

٧ ـ مكانفين، أي حال كونهم مقترنين يكتنف ويعين بعضهم بعضاً في العلم والعمل، كما كان عليه الصحابة.

٨ ـ مؤازرين لهم، أي يؤازر بعضهم بعضاً في حياتهم، وقد يكون ذلك مؤازرة للصحابة في أهدافهم.

---

(١) القرآن الكريم، سورة الحشر ٥٩: ١٠.

٩ ـ يدينون بدينهم؛ لأنّ التابعين يسيرون على خط الصحابة، وهم جميعاً على دين الإسلام.

١٠ ـ ويهتدون بهداهم؛ فإنّ خطوط الهداية للجميع ـ المسلمين من الصحابة والتابعين ـ على حدّ سواء.

١١ ـ يتّفقون عليهم؛ واتفاق التابعين على الصحابة يعني وحدة الكلمة في فضيلة الصحبة الّتي فازوا بها.

١٢ ـ ولا يتهمونهم فيما أدّوا إليهم، فالتابعيّة تستلزم عدم التشكيك فيما رواه الصحابة الكرام عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

وبالاجمال، فهذه النقاط الاثني عشر ممّا يستلزمه التابعية، ولا يمكن أن يعدّ التابعيّ تابعيّاً إلّا بالالتزام بها جميعاً، كما لا يمكن أن يعدّ الصحابيّ صحابيّاً حتى يطبّق ما تعلّمه من صاحب الرسالة في حياته الشخصيّة والعائليّة والاجتماعيّة مع نفسه وربّه وأُسرته ومجتمعه؛ ذلك لأنّ كلّا من الصحابة والتّابعين اكتسبوا هذه الفضيلة من سلوكهم على هدى النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وقد أكرم الله الصحابة بفضيلة الصحبة، فهم أسبق زماناً من التابعين وأسرع إلى الاقتباس من النّور المحمّدي، ومن أجل ذلك استحقّوا الإهتداء بهديهم.

[٤/٤ ـ المعاصرون]:

أللّهُمَّ وَصَلِّ عَلَى التّابِعينَ[١] مِنْ يَوْمِنا هذا إِلى[٢] يَوْمِ الدِّينِ، وَعَلى أَزْواجِهِمْ، وَعَلى ذُرِّياتِهِمْ[٣]، وَعلى مَنْ أطاعَكَ مِنْهُمْ[٤]، صَلاةً تَعْصِمُهُمْ بِها مِنْ مَعْصِيَتِكَ، وَتَفْسَحُ لَهُمْ فِي رِياضِ جَنَّتِكَ،

---

(١) في (ز) وملحق (ك): «تابعي التابعين».
(٢) في (ت): «وإلى».
(٣) في (ز) و (ت): «وذراريهم»، وفي حاشية (ج): «ذرياتهم ـ ذريتهم، معا».
(٤) لم ترد في (ق): «منهم».

وَتَمْنَعُهُمْ بِها مِنْ كَيْدِ الشَّيْطانِ، وَتُعِينُهُمْ بِها عَلى مَا اسْتَعانُوكَ عَلَيْهِ مِنْ بِرٍّ[١]، وَتَقيهِمْ طَوارِقَ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ إِلّا طارِقاً يَطْرُقُ بِخَيْر، وَتَبْعَثُهُمْ بِها[٢] عَلَى اعْتِقادِ حُسْنِ الرَّجآءِ لَكَ[٣]، وَالطَّمعِ فيما عِنْدَكَ، وَتَرْكِ التُّهْمَةِ[٤] فيما تَحْويهِ أَيْدِي الْعِبادِ، لِتَرُدَّهُمْ إِلَى الرَّغْبَةِ إِلَيْكَ وَالرَّهْبَةِ مِنْكَ، وَتُزَهِّدَهُمْ[٥] في سَعَةِ الْعاجِلِ، وتُحَبِّبَ إِلَيْهِمُ الْعَمَلَ لِلآجِلِ[٦]، وَالْاِسْتِعْدادَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَتُهَوِّنَ[٧] عَلَيْهِمْ كُلَّ[٨] كَرْب يَحِلُّ[٩] بِهِمْ يَوْمَ خُرُوجِ الْأَنْفُسِ مِنْ اَبْدانِها،

---

(١) في (ز) زيادة: «واحسان»، وفي (س): «البرّ: خلاف العقوق». (حاشية ابن إدريس: ١١٩).

(٢) في (ت): «وتبعيهم [كذا]».

(٣) في حاشية (ج): «الرجاء: الظن لنفع مستقبل أو لدفع ضرر، وكذلك معنى الطمع والأمل، قاله صاحب كتاب الحدود فيه».

(٤) في (حاشية ابن إدريس) وبعض النسخ: «ترك النهمة»، والتهمة: الاتّهام، يقال: اتّهمه بكذا كافتعله: أدخل عليه التهمة، كرطبة، أي: ما يتّهم عليه، واتّهمه في كذا: شكّ في صدقه. وأدّى إليه الشيء: أوصله، ومنه: أداء الأمانة، أي لا يشكّون في صدقهم وصحّة ما أوصلوه إليهم من الآثار والأحوال والأحكام التي سمعوها وشاهدوها من النبيّ صلّى الله عليه وآله. والمراد بترك التهمة: إمّا ترك التهمة لله سبحانه في قضائه بسبب ما تحويه أيدي الناس من متاع الدنيا بأن يتّهموه بعدم العدل في القسمة إذا نظروا إلى خلوّ أيديهم عمّا جمعه وملكه غيرهم. أو ترك التهمة للعباد فيما جمعوه وملكوه بأن يسيئوا الظن فيهم إذا منعوهم ما فيّ أيديهم. وفي رواية: ترك النهمة، بفتح النون وسكون الهاء أي: الشهوة. قال في الأساس: «له في هذا الأمر نهمة أي: شهوة». والمعنى على هذه الرواية ظاهر. (رياض السالكين٢: ١٢٦).

(٥) في (ق) (ت): «وتزيدهم».

(٦) في (ز): «العمل الآجل». وفي حاشية (ج): «الآجل ـ س».

(٧) في (ت): «ويهون».

(٨) في (ق) وملحق (ك): «من كلّ».

(٩) في حاشية (ج): «يحِل ـ يحُل، معا».

وَتُعافِيَهُمْ مِمّا تَقَعُ بِهِ[1] الْفِتْنَةُ مِنْ مَحْذُوراتِها[2]، وَكَبَّةِ النَّارِ وَطُولِ الْخُلُودِ فيها، وَتُصَيِّرَهُمْ إِلى أَمْنٍ مِنْ مَقيلِ[3] الْمُتَّقينَ.

وبما أنّ الفضيلة الّتي استحقّها التابعون ليس إلّا لمتابعتهم مَن سبقهم من الصحابة، فأينما وجدت هذه الصفة ـ أي التبعيّة ـ استحقت الفضيلة في أي زمان ومكان، فلكلّ مكان تابعون وفي كلّ زمان تابعون يستحقّون الصلاة والرحمة من الله تعالى، ومن أجل ذلك عمّم الدعاء والصلوات عليهم جميعاً، فيشمل المعاصرين ومن يأتي في المستقبل من التابعين إلى يوم القيامة، وعلى من يتعلّق بهم من الأزواج والذراري والأولاد، لأنّهم جميعاً يشكّلون وحدة، هي لبنة واحدة من خلايا المجتمع الإسلامي، وقد جاء من صفاتهم الّتي تبيّن درجات التبعيّة للمبادئ الإسلامية ما يأتي:

١ ـ الطاعة لله سبحانه وتعالى، فالطبقة التالية للصحابة والتابعين يطيعون الله، فإن من لا يعمل بطاعة الله لا يكون تابعياً.

٢ ـ العصمة من المعصية، بدراسة المعاصي وأسبابها ونتائجها وآثارها السيّئة على النفس والأُسرة والمجتمع.

٣ ـ بالفسح في رياض جنّة الله تعالى، فإنّ بالطاعة تتقوّى الرّوح الإنسانية ويتغلّب بها على مشاكل الحياة.

٤ ـ بالسلامة من كيد الشيطان؛ فإن مغريات الحياة ووساوس الشيطان كثيرة، ويفتقر المسلم إلى أن يتحصّن ضدّها.

٥ ـ الإعانة على البرّ، فمهما كان الإنسان قوياً روحياً فإنّه يفتقر إلى إعانة الله تعالى في ممارسته لأعمال البرّ خالصاً لوجهه الكريم.

٦ ـ الوقاية من الطوارق، فإنّ حوادث الحياة وطوارق اللّيل والنّهار كثيرة،

---

١) في (ت) وملحق (ك): «فيه».
٢) في (ز) (ت): «من محذورها».
٣) في (ت): «مقتل [كذا]».

فيفتقر الإنسان المسلم إلى أنْ يتوقّى من الطوارق المحتملة، إلّا أن يكون الطارق طارق خير.

٧ ـ اعتقاد حسن الرّجاء، فالمسلم يفتقر إلى الاعتقاد بأنّ الله بيده الخير وهو على كلّ شيء قدير، فينبغي الاعتقاد بحسن الرجاء منه تعالى دون غيره، والطمع فيما وعد الله، دون ما وعد غيره.

٨ ـ ترك التّهمة، فالمسلم لا يتّهم الآخرين في أعمالهم وأقوالهم، وأنّه يلزم أن يأخذ الحذر لنفسه، ففي الاهتمام ببناء نفسه شغل شاغل عن التدخّل في شؤون الآخرين.

وعن الأسباب في الدعاء للمسلم المعاصر التابع للمبادئ الإسلامية، ورد في الدعاء ثمانية من الآثار الدنيويّة والأُخرويّة، ما يلي:

١ ـ الرّغبة إلى الله، فإنّ الاخلاص لله يجعل المسلم على رؤية واضحة لما يعمل.

٢ ـ الرّهبة من الله، فإن الرهبة من عقابه العادل في الدنيا والآخرة خير رادع عن المعصية والظّلم.

٣ ـ الزّهد في العاجل، فالحياة الفانية محدودة في سعتها، فلا يغتر بها إلّا قاصري النظر.

٤ ـ حبّ الآجل؛ فإنّ العاقبة للخير ليس إلّا الخير، والمسلم يرى عاقبة الأُمور ويسعى في العمل لها.

٥ ـ الاستعداد لما بعد الموت، فإنّ الإنسان يخلد بأعماله بعد الموت، والتاريخ لا يرحم أحداً.

٦ ـ تهوين الكروب، والكروب في الدنيا كثيرة وعظيمة، وهي عند الموت أعظم؛ لما يشاهد من انفلات كل شيء منه بدون رجعة. فالله سبحانه يهوّن الكرب على المسلم المطمئنّ بأداء دوره الإسلامي في الحياة.

٧ ـ العافية مما تقع به الفتنة، وقد جاء طلب العافية من أُمور ثلاثة، هي:

الأول: من أسباب الفتنة، أي الإمتحان الذي لا يخلو منه حياة الإنسان، لوقوع في محذوراتها في متناول كل فرد.

الثاني: من كبّة النار في القيامة لمن يستحقّها بالعصيان ـ طبقاً للعدالة ـ رة تقتضيها العدالة الإلهيّة.

الثالث: من طول الخلود في النار لمن كان عقابه العادل ذلك.

فالمسلم يفتقر إلى الدعاء بالعافية من هذه الأُمور الثلاثة.

٨ ـ الأمن يوم القيامة، وبه ختم عليه السلام الآثار المترتبة على صفات التابعين من معاصرين، مع ذكر الأسباب الداعية إلى الدعاء لهم، بأنْ يكون مصيرهم الأمن ن عذاب يوم القيامة؛ بأن يصيّرهم الله تعالى إلى (مقيل المتّقين) والمقيل اسم كان من القيلولة، وهي الاستراحة نصف النهار، وهذا النوع من الاستراحة لا كون إلّا لمن لا يهمّه شيء آخر؛ فإنّ مع اشتغال البال بما هو أهم منها لا يمكن إنسان الاستراحة لا فكرياً ولا جسدياً؛ إذ لابدّ وأن يشتغل بأحدهما.

[الدُّعاءُ الخامس]

وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام لنفسه وأهل ولايته[1]

[١/٥ ـ في حاجة الإنسان إلى ربّه]:

اللهم[2]، يَا مَنْ لا تَنْقَضي[3] عَجَائِبُ عَظَمَتِهِ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، و[4] احْجُبْنَا[5] عَنِ الإلْحَادِ فِي عَظَمَتِكَ[6].

---

(١) وردَ هذا الدُّعاء في (ك) ضمن الدعاء الثاني (في القسم الأخير منه) بدون عنوان، وفي (ش) برقم (٤) وبعنوان: «ومن دعائه عليه السلام لنفسه وأهل ولايته»، وفي (ج) بعنوان: «الخامس: وكان من دعائه عليه السلام لنفسه وأهل ولايته»، وفيه أيضاً: «ولايته، أي نصرته، قال الجوهري: الولاية بالكسر: السلطان، وبالفتح: النصرة». هذا، وقد ورد هذا الدعاء في (ف) بعد الدعاء الثاني وبدون رقم، وفي العنوان ما نصه: «وكَان من دعائه عليه السلام بعد هذا التحميد: اللهم يا من لا ينقضي عجائب عظمته صل على محمد وآله واحجبنا عن الالحاد في عظمتكَ...»، وفي (ق) بعنوان: (الخامس) وتحته عنوان: «لنفسه وأهل بيته»، وفي (ت) بعنوان: (الخامس) وتحته عنوان: «لنفسه وأهل ولايته»، وفي (حاشية إبن إدريس) برقم (٥)، وبعنوان: «دعاؤه لنفسه».

(٢) كلمة: «اللهم» من (ق) (ز).

(٣) في (ف): «يا من لا ينقضي».

(٤) لم ترد عبارة: «صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِ محمّد و» في (ك) (ش) في هذا الموضع، ولا في المواضع المماثلة من هذا الدعاء.

(٥) في حاشية (ج): «لحد الرجل وألحد: إذا حاد عن الحق، وقيل: لحدت: حدت وملت، وألحدت: جادلت وماريت، قاله الجوهري». واحجبنا: امنعنا، أي امنعنا عن الميل عن الحق في تعظيمِكَ.

(٦) لم ترد في (ق): «في عظمتك». و«عظمة الله» عبارة عن كمال ذاتهِ وعلوّ شأنهُ وجلالة قدره وكمال شرفهِ، وشدة غناه عن الخلق، ونهاية افتقارهم إليهِ في كل حال، ودوام تسلّطهِ، وجريان حكمه على جميع ما سواهُ، لكونه مبدأ شأن كل ذي شأن ومنتهى سلطان كل ذي =

وَيَا مَنْ لَا تَنْتَهِي مُدَّةُ[١] مُلْكِهِ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، و[٢] أَعْتِقْ رِقَابَنَا مِنْ نَقِمَتِكَ[٣]. وَيَا مَنْ لَا تَفْنَى[٤] خَزائِنُ رَحْمَتِهِ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، و[٥] اجْعَلْ لَنَا نَصِيباً فِي[٦] رَحْمَتِكَ. وَيَا مَنْ تَنْقَطِعُ[٧] دُونَ رُؤْيَتِهِ الأَبْصَارُ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، و[٨]أَدْنِنَا[٩]إلى قُرْبِكَ[١٠]. وَيَا مَنْ تَصْغُرُ[١١] عِنْدَ خَطَرِهِ[١٢] الأَخْطَارُ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، و[١٣] كَرِّمْنَا عَلَيْكَ[١٤].

سلطان. والإلحاد في عظمة الله تعالى إمَّا بمعنى الميل والعدول عن الحق فيها، أو بمعنى المماراة والمجادلة فيها، أو انتهاك حرمتها بارتكاب المعاصي والاعراض عن مراقبتها. (رياض السالكين ٢: ١٤٢ ـ ١٤٤).

(١) في (ق): «ويا من لا ينتهي مدة»، وفي (ف): «ويا من لا منتهى لمدة».

(٢) لم ترد في (ي): «صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآله، و».

(٣) في (ش): «نَقِمَتِك»، والمراد بنقمتكَ: المجازاة بعقابكَ.

(٤) في (ف): «ويا من لا يفنى».

(٥) لم ترد في (ي): «صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآله، و».

(٦) في (ك) (ز) (ي) بدل «في»: «من».

(٧) في (ش): «ويا منلا تنقطع»، وفي (ف): «ويا من ينقطع».وتنقطع، أي تقف وتنقطع عن الحركة قبل الوصول إلى رؤيتهِ، لأنهُ غير قابل للرؤية البصرية، لأنهُ ليس بجسم. وهو معنى ما تقدمَّ في مفتتح الدُّعاء الأوّل: «الذي قصرت عن رؤيتهِ أبصار الناظرين».

(٨) لم ترد في (ي): «صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآله، و»، وفي (ت): «صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآل محمّد، و».

(٩) في (ف): «وأدّنِنا».

(١٠) في (ش): «أدننا اليك»، و«إلى قربِكَ»، أي إلى القرب منكَ منزلة ورتبة.

(١١) في (ف): «ويا من يصغر».

(١٢) في حاشية (د): «الخطر: الاشراف على الهلاك، يقال: خاطر بنفسه... والخطر السبق الذي يتراهن عليه... وخطر الرجل أيضاً: قدره ومنزلته. وهذا خطر لهذا وخطير، أي مثله في القدر، قاله الجوهري»، (الصحاح ٢: ٦٤٨). وفي حاشية (ج): «الخطر: القدر، والاخطار: الاقدار»، ولعل المراد هنا من الخطر: القدر والمنزلة، أو السبق الذي يتراهن عليه»، وفي (س): «رجل خطير: أي له قدر وخطر وعظمة». (حاشية ابن إدريس: ١٢١).

(١٣) لم ترد في (ي): «صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآله، و»، وفي (ت): «صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآل محمد، و».

(١٤) أي: اجعلنا مكرّمين عندك.

وَيَا مَنْ تَظهرُ[١] عِنْدَهُ بَواطِنُ الأخْبَارِ[٢]، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلهِ[٣]، ولا تَفْضَحْنَا لَدَيْكَ[٤].

عنوان هذا الدعاء ينبىء عن أنّه يحتوي على الخُطوط العريضة للإيمان، الّتي خطّطها الإمام عليه السلام لأهل ولايته. والولاية بمعنى المحبّة والنصرة، وجعل عليه السلام نفسه الشريفة في مقدّمة من يلتزم بها عمليّاً.

وابتدأ عليه السلام المقطع الأوّل بتعقيب كل جملة منه بالصلاة على محمد وآله، مؤكّداً على الصّلة الوثيقة بين قبول الصلوات على النبيّ صلى الله عليه وآله والدعاء المقرون بالصلوات، فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «إذا كانت لك إلى الله حاجة أن تبدأ بمسألة الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله ثم سل حاجتك، فإنّ الله أكرم من أن يُسأل حاجتين، فيقضي أحدهما ويمنع الأُخرى»[٥].

ومن أجل ذلك، تكرّر ذكر الصلوات في أدعية الصحيفة كثيراً، وخاصة في النسخة المشهورة. والمطالب التي أكد عليها الإمام في هذا المقطع هي:

١ ـ الحجب عن الإلحاد في عظمة الله، والإلحاد إمّا بمعنى الجدال، أو انتهاك الحرمة، أو الإعراض عن الله. فإنّ الإقرار بعظمة الله أساس الإيمان بالقدرة المطلقة في الخلق والتقدير، وإنّ عجائب عظمته الطافحة في الكون هي الدالّة على وجوده دلالة المعلول على العلّة، المعروف بـ «الإنْ»، كما تشير إلى ذلك الآيات القرآنية.

وحيث أنّ عجائب عظمة الله لا تنقضي ما دامت المجرّات تسير بانتظام بما

---

(١) في (ف): «يظهر»، وفي (ك) بدل «تظهر»: «تفشى». وفي حاشية (ك) في نسخة: «تنبىء»، وفي (ش): «تبتني»، وفي حاشية (ش) في نسخة: «تظهر».
(٢) في (ف): «الأخيار».
(٣) في (ت): «صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآل محمد».
(٤) في (ف): «ولا يفضحنا»، و «لا تفضحنا لديكَ»: أي اعصمنا حتى لا نعصيكَ فنستحق الفضيحةَ.
(٥) راجع نهج البلاغة، الحكمة: ٣٦١.

ـيها من المنظومات الشمسية بكواكبها وأقمارها، ومنها منظومتنا، فهو القادر على لحجب عن الإلحاد، إذْ لو خلّي الإنسان وطبعه لسهل انقياده لشهواته الحيوانيّة ،الانزلاق عن طريق الحقّ بالوساوس الشيطانيّة.

٢ ـ عتق الرقاب من النقمة، المتسببة عما يصدر من الإنسان من القصور او لتقصير في أداء الواجبات، أو ارتكاب المحرّمات، وليس ذلك إلّا بيد من هو خالد في ملكه، الملازم لقدرته المطلقة.

٣ ـ إسباغ الرّحمة الّتي يفتقر إليها كلّ إنسان في حياته، وليس ذلك إلّا لمن لا تفنى خزائن رحمته.

٤ ـ القرب من الله، فبدرجة القرب يكون صلاح العبد، وليس ذلك إلّا ـالقرب المعنوي الذي يوفق الله له عباده، فإنّ الأبصار تقف دون رؤيته.

٥ ـ التكريم من الله، فإنّه أعظم منزلة يمكن ان يصل إليها الإنسان، ولا يكون ذلك إلّا بفضل من الله تعالى الذي تصغر عند خطره أيّة منزلة من المنازل، ـيكون هو تعالى واهب المنازل والجاه.

٦ ـ الستر على الخطأ من الإنسان، حيث أنه محلّ السّهو والخطأ والنسيان، ،لا يكون ذلك إلّا ممّن هو عالم بكلّ شيء، حيث تظهر عنده بواطن الأخبار الّتي لا يعلم الناس إلّا ظواهرها، فليس من ساتر سواه؛ فإنّه ستّار العيوب.

وهذه النقاط الرئيسيّة تحرض الإنسان على دوام الاعتماد على الله سبحانه ـي الحياة، إذْ بدونه يكون مكشوفاً للناس على حقيقته من الضعف الذي يوجب ـحاشي كلّ أحد منه، كما روي: «لو تكاشفتم لما تدافنتم»[1] فالله سبحانه بلطفه ـمنّه ورحمته وقربه وتكريمه والستر على المعايب فتح له باب التوبة، وجعل لإنسان يعيش بين الآخرين بروح الثقة والاعتماد على ظاهر الحال الّتي يفتقر إليها لإنسان في الحياة.

---

١) عيون أخبار الرضا ١: ٥٨.

[٢/٥ ـ فضل الله]:

أَللّٰهُمَّ[١] أَغْنِنَا عَنْ هِبَةِ[٢] الوَهَّابينَ[٣] بِهِبَتِكَ، واكْفِنَا[٤] وَحْشَةَ القَاطِعِينَ بِصِلَتِكَ، حَتَّى لَا نَرْغَبَ إلى أحَدٍ مَعَ بَذْلِكَ[٥]، وَلَا نَسْتَوْحِشَ[٦] مِنْ أحَدٍ مَعَ فَضْلِكَ.

لا يستغني المسلم في حياته عن فضل الله الذي يغمر الإنسان في حياته من الولادة حتى الممات، وبالاستمرار على العمل الصالح يدوم هذا الفضل، وبفتوره يفتر، وبانعدامه ينعدم، وحينئذ يفتقر الإنسان إلى إنسان آخر لا يعرف سوى مصالحه وما يخدمها. فيجب على المسلم أن يتوجّه إلى فضله تعالى الذي يراعى مصلحة العبد من دون ظلم على أحد، ويتجلّى فضل الله تعالى بوسيلتين:

الوسيلة الأولى: هبة الله الّتي تَغْني هبة القوة على العمل لتحقيق ما يأمل الإنسان في سلوك الصراط المستقيم لذلك الهدف، فإنّ لكل عمل صراط مستقيم أُمرنا بسلوكه ونطلب من الله الهداية اليه في كلّ صلاة، فإنّ الله يغني العباد بهذه الهبة ـ التي هي إحدى مواهبه ـ عن هبة الواهبين من البشر، الذين لا يهبون إلّا بمقايضة متقابلة.

الوسيلة الثانية: صلة الله بالتحدّث معه مباشرة بالأدعية المنشّطة للروح، فإنّها تغني عن صلات البشر الذي يخشى أن تنقطع، ويقع الإنسان في وحشة بسبب انقطاعها؛ فإنّ ما يبذله الله من نعمة السلامة والصحة وصحبة الأهل ومن يعرف فضله، أهم من صلات الآخرين، وإذا تحقّقت هذه الخصوصية في الإنسان

---

(١) لم ترد في (ك) (ي): «أللّٰهُمَّ»، وفي (ف) (ق) (ز) زيادة: «صل على محمد وآل محمد و»، وفي (ت) زيادة: «صل على محمد وآله، و».

(٢) لم ترد في (ف): «هبة».

(٣) في (ك) (ش) (ق) (ف) (ي) (ت): «الواهبين» بدل «الوهابين».

(٤) في (ف): «وكفّنا».

(٥) في (ف): «بدلك».

(٦) في (ف): «ولا يستوحش».

سلم فإنّه يكون عمله خالصاً لوجهه الكريم، فينعم المسلم بحياة روحيّة مستقلّة ة عن الناس، غير مستوحشة من الآخرين، مهما اتصفوا بالعناوين الخياليّة من ه وسلطان وعلم ومال، فإنّها جميعاً آئلة إلى الزوال، وفضل الله هو الباقي ما ت هذه الخصوصية الروحية باقية في فكر الإنسان المسلم.

/٣ ـ طلب الوقاية من الخديعة]:

أللّهُمَّ فصَلِّ(١) عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ(٢)، وكِدْ لَنَا(٣) وَلَا تَكِدْ يْنا(٤)، وَامْكُرْ لَنَا وَلَا تَمْكُرْ بِنا(٥)، وَأدِلْ لَنا(٦) وَلَا تُدِلْ مِنَّا(٧).

بما أنّ الحياة صراع دائم بين الحقّ والباطل، ولكلّ من المؤمنين والكفّار ولة وجولة، يكون النصر والظفر مرّة لهم وأُخرى عليهم بحسب الظروف الّتي شونها من الأسباب الماديّة؛ فإنّ عدالة المباديء وحدها لا تكفي لتحقيق النصر

---

(١) في (ف) (ق) (ت) (ز) (د): «صل».

(٢) في (ق): «وآل محمد»، وفي (ز): «وعلى آل محمد»، وفي (ق) (ت) زيادة: «وكن لنا ولا تكن علينا».

(٣) العبارة في (ي) هكذا: «اللهم كدنا ولا تكد علينا».

(٤) «كد لنا»: أي تفضّل علينا بأسباب رفعتنا، «ولا تكد علينا»، أي الطف بنا ولا تدبّر المجازاة على أعمالنا السيئة.

(٥) في (ز): «ولا تمكر علينا». أي ضع بلاءك على أعدائنا ولا تضعه علينا، وفي حاشية (ج): «المكر: الاحتيال والخديعة، ومن الله المجازاة...»، وفي رياض السالكين (٢: ١٥٢): المراد بكيدهِ تعالى ومكرهِ: صرف الكيد والمكر، أو جزاء أهلهما، والتسمية من باب المشاكلة، وقيل في معنى «أللّهُمَّ امكر لي ولا تمكر بي»: ألحق مكرَكَ بأعدائي، لا بي.

(٦) في (ي): «وأدلنا»، وفي حاشية (ج): «أي اجعل الدولة لنا [على الاعداء] لا علينا، والادالة: الغلبة، قاله الجوهري»، وفي (س): «أدالنا الله على عدوّنا من الدولة، والإدالة: الغلبة، يقال: اللّهمّ أدلني على فلان وانصرني عليه، أي اجعلنا غالبين لا مغلوبين. س». (حاشية ابن إدريس: ١٢١).

(٧) في (ف): «وأدل لنا ولا بدّل لنا». كذا. وفي (ش): «ولا تدل علينا»، أي اجعل الدولة والغلبة والنصر لنا على عدوِّكَ وعدوّنا، ولا تجعل ذلك للعدو بصرفها عنَّا إليهِ.

إن لم تكن مقرونة بالأسباب المساعدة على النصر، كما هي مشروحة في سيرة النبيّ ﷺ.

ومن أهم الأُمور الّتي يتورّع عنها المسلم: الخديعة «فإنّ الإسلام قيد الفتك» كما في الحديث[1] أي أنّ الغاية لا تبرّر الوسيلة، ولايمكن التخلّي عن المباديء في تحصيل الغايات بالوسائل غير المشروعة، وهذا ما لا يتورّع عنه الكفّار، بل يستخدمونها بكلّ السبل المتاحة لهم، وأشار الإمام إلى ثلاثة منها:

أوّلاً: الكيد، وهو إرادة مضرّة الآخرين سرّاً وبغتة من دون إعلان.

ثانياً: المكر، وهو إيصال المكروه إلى الآخرين من حيث لا يشعرون.

ثالثاً: الإدالة، أي الغلبة والسلطة على الآخرين بالقوّة من دون مناقشة.

وتجمع هذه الثلاثة: الخديعة الّتي تستخدمها القوى الماديّة في استغلال الضعفاء من الأشخاص والمستضعفين من الأُمم والمغلوب على أمرهم من الأقلّيّات.

وحيث إنّ هذه الوسائل غير مشروعة في الإسلام ـ إلّا بقدر ردع العدوّ ـ فالقوة الأعلى القادرة على منعها وردّها إلى مناشئها هي قدرة الله تعالى، فهو القادر على تحويلها عليهم، وردها اليهم، وذلك:

أولاً: بالكيد من الأعداء لمصلحة المستضعفين، بإيقاع البلاء بالأعداء، فلا تكون على المستضعفين.

وثانياً: بالمكر من الأعداء لنا، لا علينا للأعداء.

وثالثاً: الغلبة في الصراع لنا عليهم، وليس لهم علينا.

وإنّما كان الدعاء موجّهاً إلى الله تعالى لما قد تكون في المستضعفين من القصور في أداء الواجب الإسلامي الملقى على عاتقهم، وأقلها الوعي للمسؤولية الّتي تكررت في الاحاديث الشريفة، بقولهم: «أفلا تعلّمت»[2] فإنّ هذا الإهمال

---

(١) تهذيب الأحكام ١٠: ٢١٤، ح٨٤٥.

(٢) أمالي الطوسي ١: ٨ ـ ٩، ونص الحديث: «حدثنا أبو عبد الله محمد بن محمد، قال: أخبرني أبو القاسم جعفر ابن محمد، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري، =

ـنّا هو مكرٌ وكيدٌ وغلبة، بأيّ عذر تذرّعنا، فإنّها من أنواع الخديعة بمثلها، مكراً ـمكر وكيداً بكيد وغلبةً بغلبة، فاقتضى الدعاء بأن يكون على العدوّ؛ كي لا ـقهرنا، بسبب قصورنا أو تقصيرنا في الحياة، وما يحصل من الإهمال في ساحة لحرب إنّما يحصل منا عن خطأ، دون ما يفعله العدوّ؛ فإنّه انما يفعل ذلك عن علم وعمد، فهو يستَحقّ الدعاء عليه.

[٥/٤ ـ طلب الوقاية والحفظ]:

اللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ[(١)]، وقِنَا مِنْكَ[(٢)]، وَاحفظنا بكَ[(٣)]، وَاهْدِنَا إليكَ[(٤)]، وَلَا تُبَاعِدْنَا عَنْكَ، إنَّ[(٥)] مَنْ تَقِهِ يَسْلَمْ، وَمَنْ تَهْدِهِ يَعْلَمْ[(٦)]، وَمَنْ تُقَرِّبْهُ[(٧)] إليكَ يَغْنَمْ.

وبالنسبة إلى ما يفتقر اليه المسلم في المعركة المستمرّة بين الحقّ والباطل يشير الإمام إلى أُمور هامة، تحفظ المسلم عن الانحراف بسبب فقدانها عن المسيرة الواعية، وأُشير في الدعاء إلى أربعة منها:

١ ـ الوقاية من الله من الإنزلاق عن الحقّ إلى طريق الباطل.

عن أبيه، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن زياد، قال: سمعت جعفر بن محمد (عليهما السلام) وقد سئل عن قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ (القرآن الكريم، سورة الأنعام ٦: ١٤٩). فقال: إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: عبدي أكنت عالما؟ فإن قال: نعم، قال له: أفلا عملت بما علمت؟ وإن قال: كنت جاهلا، قال له: أفلا تعلمت حتى تعمل؟ فيخصمه، فتلك الحجة البالغة».

(١) في (ت): «وآل محمد».

(٢) في (ف): «وقنا عذابك منك». أي احفظنا من عذابِكَ وسخطِكَ.

(٣) لم ترد في (ش): «واحفظنا بك»، ولم ترد في (ف): «بك».

(٤) في (ك) (ش) (ف): «وَاهْدِنَا بكَ» بدل «وَاهْدِنَا اليكَ».

(٥) في (ف): «إنه». وفي (ز) وحاشية «ط» في نسخة: «انك».

(٦) لم ترد في (ي): «ومن تهده يعلم»، وفي (ف) زيادة: «ومن يحفظه يعصم»، وفي حاشية (ج): «مَنْ تَقِهِ يَسْلَمْ، وَمَنْ تَهْدِيهِ يَعْلَمْ، وَمَنْ تُقَرِّبْهُ إليكَ يَغْنَمْ ـ س».

(٧) في (ف): «ومن يَقِرّ بِهِ».

٢ ـ الحفظ بالله، وهذا يترتب على الوقاية؛ لأنّه نتيجة ذلك.

٣ ـ القرب من الله، فإنّ مساندة جانب الحقّ بما يمكن من يد أو لسان أو بأضعف الإيمان، إنّما هو ابتعاد عن الباطل وتقرّب إلى الله تعالى.

وطبيعيّ أنّ من يفوز بهذه الخصال، فإنّه يتمتّع بنتائج ثلاث واضحة، هي:

١ ـ السلامة بسبب الوقاية الإلهيّة والوعي الإسلامي، فيحفظ نفسه وقيمه.

٢ ـ الهداية؛ لأنّ العلم بما يجب عمله حسب الظروف يرشد إليها.

٣ ـ الغنيمة بالنجاة من الإنزلاق في مسيرة الباطل بسبب التقرّب إلى الله تعالى بالطاعات أو العناية الإلهيّة.

[٥/٥ ـ طلب الكفاية من النوائب]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ[١]، وَ[٢] اكْفِنَا حَدَّ نَوائِبِ[٣] الزَّمَانِ، وشَرَّ[٤] مصائِدِ الشَّيْطَانِ[٥]، وَمَرَارَةَ[٦] صَوْلَةِ السُلْطَانِ[٧].

---

(١) في (ت): «وآل محمد».

(٢) لم ترد في (ي): «صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآله، و».

(٣) في (ف): «نوايب»، وفي (ش): «نوائب، نوايب- معا»، وحدّ الشيء: بأسهُ وشدتهُ، والنوائب: جمع نائبة، وهي النازلة من الحوادث والمصائب، وفي (س): «النائبة: المصيبة». (حاشية ابن إدريس: ١٢١).

(٤) في (ش) (ف) (ت): «وسوء».

(٥) في (ق): «وأضاليل الشيطان»، وفي (ت): «أضاليل الشيطان»، والمصائد، هي الشهوات واللذات الدنيوية الّتي يغرّ الشيطان بها الخلق.

(٦) في (ف): «ومعارضة».

(٧) لم ترد في (ش) هذه الفقرة هنا، بل وردت بعد قوله: «واسلك بنا سبيل الحق بإرشادك»، والمرارة: اسم من مرَّ الشيء، ضد حلا. والصولة: الحملة والاستطالة، والمراد بصولة السلطان: قهرهُ وبأسهُ وسطوته. أي اصرف عنّا مشقّة سطوةالسلطان وقهره، هذا ولم ترد فقرة: «أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِ محمّد وَاكْفِنَا حَدَّ نَوائِبِ الزَّمَانِ، وشرّ مصائد الشَّيْطَانِ، وَمَرَارَةَ صَوْلَةِ السُلْطَانِ» في (ك) (ز) هنا، بل وردت بعد فقرات من هذا الدعاء.

ومن جانب آخر فإنّ قوى الباطل فاعلة في معركتها ضدّ الحق، وأشار عليه السلام ي الدعاء إلى أهمّ وسائلها؛ حيث يفتقر المسلم إلى أن يكفه الله تعالى عنها، هي ثلاث:

١ ـ نوائب الزمان، وهي النوازل والحوادث الّتي تنزل على الإنسان بسبب مواقفه في مساندة الحقّ، فإنّ لكلّ فعل ردّ فعل، والمقاومة تستلزم ثمنا يدفعُه لمقاوم، وفيها مخاطرة من الجانبين، والألم الحادث من هذه النوائب يشمل الكفّار كما يشمل المسلمين، قال تعالى: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾[1] مع فارق اساسي بين الفريقينن وهو: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾[2] ويكفي هذا في الفرق بين الطائفتين.

٢ ـ مصائد الشيطان، وهي المغريات من المال والجاه وإرضاء الشهوات وما شابه ذلك من الأُمور الماديّة، أو إلقاء الشبهات وإيقاد الحزازات وتفريق الكلمة من الأُمور المعنويّة وأنواع الشرور مما لا تدخل تحت حصر في زمان أو مكان.

٣ ـ صولة السّلطان، والصولة: السّلطة، فإنّ الملك والسلطنة والرئاسة الّتي لا تبتني على القيم الّتي يدعو إليها الإسلام، تجعل الإنسان يرى أنّ أيّة عقيدة أو فكرة لا تساند آرائه، حجر عثرة أمامه، فيسعى لإزالتها عن طريقه، أو إبادتها عن بكرة أبيها إذا لم يمكنه استمالة أصحابها أو إغرائهم للتخلي عنها.

والواجب الإسلامي يحتّم على المسلم بأن يتحصّن ضدّ هذه الوسائل بالوعي لرسالة القرآن وطلب الكفاية من الله تعالى.

[٦/٥ ـ ثلاث قوى]:

أللّهُمَّ إنَّمَا يكْتَفِي[3] المُكتَفُونَ[4] بِفَضْلِ قُوَّتِكَ، فصَلِّ عَلَى

---

(١) القرآن الكريم، سورة النساء ٤ : ١٠٤.

(٢) القرآن الكريم، سورة النساء ٤ : ١٠٤.

(٣) في (ك): «يُكفى» بدل «يكتفي»، وفي (ف): «تكفِي»، وفي (ش): «يكفى».

(٤) في (ك) (ش) (ق) (ت): «الكفاة». وفي (ف): «الكفات». والكفاة: جمع، واحده: كاف، وهو اسم فاعل، وهو الرجل يكفي عمَّن سواهُ.

مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، و[١]اكْفِنَا[٢]. وإنَّمَا تُعْطِي المُعْطَونَ مِنْ فَضْلِ جِدَتِكَ[٣] فصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، واعْطِنَا[٤]. وَإنَّمَا يَهْتَدِي المُهْتَدُونَ بِنُورِ وَجْهِكَ[٥] فصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، و[٦]اهْدِنَا[٧].

في هذه الفقرة بيان ما يفتقر اليه المسلم في صراع الحقّ مع الباطل، فهو يفتقر إلى قوى ثلاث، أشار إليها في الدعاء، هي:

أولاً: القوّة الروحيّة، وحيث إنّ كلّ من يكتفي بشىء لابدّ وأن ينتهي إلى فضل قوّته تعالى، فلابدّ من الدعاء بأنْ يهبنا الله من تلك القوّة الروحيّة ما نكتفي به.

ثانياً: القوّة الاقتصاديّة، وحيث إنّ كلّ ما يعطيه المعطون تنتهي إلى فضل غناهُ تعالى، فلابدّ من الدعاء بأن يعطينا الله سبحانه القوّة الإقتصاديّة لنستعين بها في الحياة.

ثالثاً: القوّة الثقافيّة، وحيث إنّ كلّ ثقافة صحيحة في الحياة الإسلاميّة تستمدّ حقيقتها من هداية الله، فلابدّ من الدعاء بأن يهدينا الله تعالى، لأنّ كلّ ثقافة من دون هذه الهداية تكون عالة على المجتمع، كما قال الرسول القائد ﷺ في العلّامة الذي كان عارفاً بأنساب العرب: «إنّه علمٌ لا يضرّ من جهله، ولا ينفع من علمه، وإنّما العلم ثلاثة: آية محكمة أو فريضةٌ عادلة أو سنّة قائمة»[٨].

ولا بدّ من الرجوع إلى الله تعالى للتحصّن بهذه القوى الثلاث.

---

(١) لم ترد في (ي) (ت): «فصَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآله، و».

(٢) في (ق) (ي) (ت): «بِفَضْلِ قُوَّتِكَ، فاكْفِنَا».

(٣) في حاشية (ج): «أي عطيتك»، والجدة: الغنى.

(٤) في (ق) (ت): «من فِضْلِ جدَتِكَ، فاعطِنَا»، وفي (ط): «واعطنا»، وفي الحاشية في نسخة: «فصَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِ محمّد واعطنا».

(٥) في (ك) (ش) (ي): «بنور حكمتك». وفي (ف) (ق) (ت): «بنور رحمتك».

(٦) لم ترد في (ي): «فصَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآله، و».

(٧) في (ي) (ق) (ت): «فاهدنا».وفي «ط»: «واعطنا»، وفي الحاشية في نسخة: «فصَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِ محمّد واعطنا».

(٨) الكافي ١: ٣٢، ح١.

٧/٧ ـ أقوى القوى]:

أللّهُمَّ إنَّكَ مَنْ والَيْتَ[١] لَمْ يَضْرُرْهُ خِذْلانُ الخاذِلينَ[٢]، وَمَنْ أعْطَيْتَ لَمْ يَنْقُصْهُ[٣] مَنْعُ المانِعينَ، وَمَنْ هَدَيْتَ لَم يُغْوِهِ[٤] إضْلالُ المُضِلِّين، فصَلِّ[٥] عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وأمْنَعْنا بِعِزِّكَ مِنْ عِبادِكَ[٦]، أغْنِنا عَنْ غَيْرِكَ[٧] بإرْفادِكَ[٨]، واسلك بِنا سَبِيلَ[٩] الحَقِّ[١٠] بِرَشادِكَ[١١].

ومن الطبيعيّ أنْ تكون نتيجة هذه القوى الثلاث الإلهيّة ـ إن تحققت على ما أمر الله تعالى ـ أن تنتصر في معركة الحقّ ضد الباطل، فإنّ من والاه الله ـ أي نصره ـ لا يضرّه الخذلان من المنافقين وممّن لا يتمتّع بهذه الروح؛ لأنّ الذي يشعر بالمسؤوليّة سوف يؤدّيها بالرغم من خذلان الخاذلين؛ لأنّه لم يقم بالمسؤولية مؤتمراً بأمرهم، بل بأمر الله تعالى.

وأنّ من أعطاه الله يكتفي بما أعطاه بالقناعة من دون تبذير أو إسراف، بل

---

١) واليت: نصرتَ.

٢) في (س): «خذله خذلانا: إذا ترك عونه ونصرته». (حاشية ابن إدريس: ١٢٢).

٣) في (ش): «لم يمنعه».

٤) في حاشية (د) (ج): «لم يَغوه ـ س».

٥) في (ق): «صلِّ».وفي (ف): «اللهم فصل».

٦) في (ف): «من إذلال عبادك». وفي (ز): «من شرار خلقك».

٧) لم ترد في (ف): «غيرك».

٨) في حاشية (د١): «الارفاد: العطاء والاعانة»، وفي حاشية (ج): «الرفد بالكسر: العطاء والمعونة ايضا، والارتفاد: الكسب، قاله الجوهري»، وفي (س): «الإرفاد: الإعطاء والإعانة. س». (حاشية ابن إدريس: ١٢٢). فقوله: بارفادِكَ، أي باعطائِكَ واعانَتِكَ.

٩) في (ش): «سبل».

١٠) في (ف): «الحق والخير».

١١) في (ش) (ز) زيادة: «أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِ محمّد وَاكْفِنا حَدَّ نَوائِبِ الزَّمانِ، وشرّ مصائد الشَّيْطانِ، وَمَرارَةِ صَوْلَةِ السُلْطانِ».وفي (ي)زيادة: «أللّهُمَّ وَاكْفِنا حَدَّ نَوائِبِ الزَّمانِ، وسوء مضال الشَّيْطانِ، وَمَرارَةِ صَوْلَةِ السُلْطانِ»، وهو المقطع الخامس المتقدم.

الدقة في صرف الحقوق الشرعيّة؛ لئلّا يضيع حقّ منها، فلم ينقصه منع المانعين الذين يتصوّرون أنّ المنع سوف يجعل أصحاب المسؤولية في حالة الذل والخضوع؛ بناءً على قاعدتهم الماديّة: «أجع كلبك حتّى يتبعك». فإنّ من هداه الله إلى تحمّل المسؤوليّة يعلم أنّ الله اكرمه بالعقل، فليس هو من نوع الكلاب؛ بل أكرمه الله الوهاب بالهداية. فلا تؤثّر فيه وسائل التضليل الكافرة، فلا يضلّ عن طريق الهداية.

وبالنتيجة: فإن المسلم يفتقر إلى الدعاء إلى الله:

أوّلاً: بالمنع من العباد بالاعتزاز بعزة الله، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

ثانياً: بالغنى عن غير الله، بإرفاده تعالى إلى عطائه وصلته تعالى.

ثالثاً: بالإرشاد إلى سبيل الحق، فإنّ معرفة ذلك في حين الصراع يفتقر إلى إرشاد إلهي يدعو اليه المسلم في كلّ صلاة بقوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.

[٥/٨ ـ المثلّث الأساس]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، واجْعَلْ[2] سَلَامَةَ قُلُوبِنَا فِي ذِكْرِ عَظَمَتِكَ، وَفَرَاغَ أَبْدَانِنَا[3] فِي شُكْرِ نِعْمَتِكَ، وانْطِلَاقِ أَلْسِنَتِنَا[4] فِي وَصْفِ مِنَّتِكَ[5].

ومما يفتقر إليه المسلم في صراع الحقّ الباطل: المثلّث الأساس، من

(١) القرآن الكريم، سورة المنافقون ٦٣: ٨.

(٢) في (ش) وردت هذه الفقرة بعد قوله: «ومرارة صولة السلطان»، بلفظ: «فاجعل...»، وفي (ز) (ي) وردت هذه الفقرة بعد قوله: «ومرارة صولة السلطان»، بلفظ: «واجعل...»، ولم ترد فيهما: «اللهم صل على محمد وآل محمد».

(٣) في (ف): «وفراغ ايدينا».

(٤) في (ش): «وانطلاق ألسننا»، وفي (ف) (ق): «واطلاق ألسنتنا».

(٥) في (ك) (ف): «مننك».

لاعتقاد بالجنان، والعمل بالأركان، والإقرار باللسان، فالايمان لا ينفك عنها لا يتمّ بأحداها، وهذا ما أُشير إليه في هذا المقطع:

١ ـ سلامة القلب، فإنّ ذكر عظمة الله إذا استوعب القلب، أصبح القلب طمئناً وسار على المسؤوليّة باطمئنان؛ لقوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ لْقُلُوبُ﴾(١).

٢ ـ العمل في فراغ الأبدان بالشّكر، فإنّ الشكر سبب في زيادة النعم، قال عالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾(٢).

٣ ـ الاعتراف باللّسان، بإطلاقه في شرح منّته تعالى على العباد من السلامة الصّحة والعقل وغيرها مما لا تدخل تحت حصر.

وهذا المثلّث الأساس يجب أن يكون نصب عين المسلم في مسيرته، بالإخلال بإحدى أركانه لا يمكنه تكميل المسيرة، والتاريخ يشهد على ذلك.

٥/٩ ـ المسؤوليّة الإسلاميّة]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، واجْعَلْنَا مِنْ دُعَاتِكَ الدَّاعِينَ ليْكَ، وَهُدَاتِكَ(٣) الدَّالِّينَ عَلَيْكَ، وَمِنْ خَاصَّتِكَ الخَاصِينَ(٤) لَدَيْكَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ(٥).

وأداء المسؤوليّة الإسلاميّة هي الغاية من هذا الصراع المستمرّ بين الحقّ ضدّ

---

(١) القرآن الكريم، سورة الرعد ١٣: ٢٨.

(٢) القرآن الكريم، سورة ابراهيم ١٤: ٧.

(٣) في (ك) (ش) (ق) (ي) (ت): «ومن هداتك».

(٤) في (ك) (ش) (ف) (ي): «الحاضرين»، وفي حاشية (ج): «الخاصة ضد العامة، والخاصة: الذي اختصصته لنفسك، قوله: والخاصين لديك، أي المخصوصين عندك»، وفي (س): «خاصّة الرجل: المختصّين بصحبته، ولا يذهبون إلى غيره». (حاشية ابن إدريس: ١٢٢).

(٥) لم ترد في (ك) (ي): «يا أَرْحَمَ الراحمين». وفي (ف) بدلها: «آمين ربّ العالمين».

الباطل على طول الزمان، إذ ليس الغاية في هذا الصراع القضاء على الجانب الآخر بالحصول على نشوة النصر، بل الهدف هو تحقيق العدالة في المجتمع ككلّ، بعد تطبيقه على الفرد، فتقتضي المسيرة في جانب الحقّ أن يتحمّل المسلم المسؤولية الإسلاميّة، وقد أُشير في الدعاء إلى ثلاث صفات لا يمكن للمسلم أن يتخلّى عنها، وهي:

١ ـ الدعوة إلى الله.

٢ ـ الهداية إلى الايمان بالله.

٣ ـ التقّرب إلى الله بالخلوص في العمل له، دون غيره من عوامل الجاه والمقام.

[الدُّعاءُ السادس]

وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام عند الصبَاح والمساء[1]

[٦/١ ـ في خلق الليل والنهار]:

الحَمْدُ للّهِ الَّذِي خَلَقَ[2] اللَّيْلَ والنَّهارَ بِقُوَّتِهِ، وَمَيَّزَ بَيْنَهُمَا بِقُدْرَتِهِ، وَجَعَلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدّاً مَحْدُوداً، وَأَمَداً[3] مَمدُوداً[4]، يُولِجُ[5] كُلَّ واحدٍ[6] مِنْهُمَا فِي صَاحِبِهِ، وَيُولِجُ صَاحِبَهُ

---

(١) وردَ هذا الدُّعاء في (ك) برقم (٢٥)، وفي (ش) (ي) برقم (٢٩) وبعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام إذَا أَصْبَحَ»، وفي (د) بعنوان: «وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام عند الصَّباَحَ والمساء»، وفي (ج) بعنوان: «السادس: وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام عند الصَّباَحَ والمساء»، وفي (ف) بدون رقم وبعنوان: «وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام إذا اصبح وامسى الصلاة على رسول الله صلى الله عليه»، وفي (ق) (ت) بعنوان: (السادس)، وتحته عنوان: «عند الصباح والمساء»، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (٦)، وبعنوان: «في الصباح»، ، وفي حاشية (د١) ورد ما يلي: «الذي يدل عليه متن هذا الدعاء أنه مختص بالصباح، لا به وبالمساء، كما وقع في عنوانه، ولذا خصصه شيخ الطائفة قدس سره بالصباح، واللهأعلم».

(٢) في (ح): «جعل».

(٣) في (ي): «وقتَاً»، وفي حاشية (د١): «الأمد: الغاية»، وفي (س): «الأمد: الغاية كالمدى». (حاشية ابن إدريس: ١٢٦).

(٤) في (ك) (ش) (ي): «مَوقوتَاً»، والموقوت: الموقّت، أي المقدّر المحدود.

(٥) في حاشية (د١): «يولج، أولجه: أدخله»، وفي (س): «أولجه: أدخله. وقوله تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ (سورة الحج٢٢: ٦١)، أي يزيد من هذا في ذاك، ومن ذاك في هذا». (حاشية ابن إدريس: ١٢٦).

(٦) في (ك) (ش) (ق) (ت): «يُولِجُ كُلاً».

فِيْهِ، بِتَقْدِير مِنْهُ لِلعِبَادِ فِيْمَا يَغْذُوهُمْ[١] بِهِ وَيُنْشِئُهُمْ[٢] عَلَيْهِ.

الليل والنهار ظاهرتان طبيعيتان يتأثر بهما كل ذي حياة على الكرة الأرضية صباحاً ومساءً، وشأن كل الظواهر المتكررة أن يغفل الإنسان عن مبدئها ودورها والمسؤولية المرتبطة بها في كل دور من الأدوار، والدعاء الذي يدعو به الإمام عليه السلام في كل صباح ومساءً تذكير بهذه الظاهرة في الخلق والآثار والحياة اليومية وما لها من واجبات وآثار.

وابتدأ الإمام عليه السلام في المقطع الأوّل بخلق الليل والنهار مشيراً إلى حقائق هامة، هي:

١ ـ ان خلق الليل والنهار ليس إلّا بقوة عليا تفوق كل قوة في الحياة، فإنه لا حول ولا قوة إلّا بالله.

٢ ـ وإن التمييز بين الليل والنهار أيضاً ليس إلّا بقدرة فائقة، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٣].

٣ ـ ان لكل من الليل والنهار «حداً محدوداً» في الفصول الأربعة، وبالوصول إلى ذلك الحد والغاية ينقلب الليل تدريجيّاً إلى النهار، وكذلك العكس، ولو لم يكن ذلك الحد لكان كل منها سرمداً.

٤ ـ ان لكل منهما (أمداً ممدوداً)، أي وقتاً خاصاً يختلف في الطول والقصر زماناً باختلاف الفصول الأربعة، فإن أوقاتها مظبوطة في محاسبات رياضية دقيقة يستلهم منها الفلكيون حساباتهم، ومجموعهما ٢٤ ساعة، وأطول النهار هو ١٥ ساعة في ١٧ حزيران، فيكون حينئذ الليل أقصر الليالي وطوله تسع ساعات.

---

(١) في (ف) (ت): «يعدوهم».

(٢) في (ك) العبارة هكذا: «وَيَنْبتهُمْ»، وفي (ف): «وَيبيّتهُمْ»، وفي (ت): «وَينسبهُمْ»، وفي حاشية (ك) في نسخة: «وَيُنْشِئهُمْ»، وفي (ش): «ويمتحنهم». ويغذوهم: أي يجعل لهم الغذاء، وهو ما يُتغذى بهِ من طعام وشراب، والإنبات: الانماء، وفي هذا بيان ومعجز للإمام يدلُّ على سعة اطلاعهِ بتأثير الكون والليل والنهار في نموّ الإنسان وسائر المخلوقات.

(٣) القرآن الكريم، سورة التغابن ٦٤: ١.

٥ ـ ان مرحلة التحوّل من الليل والنهار وبالعكس يستغرق فترة يعبّر عنها الشفق والحمرة ـ الفجر الكاذب ـ فيكون احدهما يلج، أي يدخل في الآخر ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾(١).

والظاهر أنّ كلام الإمام عليه السلام ناظر إلى مرحلتين من التحول، اولا: لتحول من الليل إلى النهار، ثم من النهار إلى الليل، ولذلك أتى بالجملتين معا فقال: (يولج كل واحد منها في صاحبه) ثم قال: (ويولج صاحبه فيه). وقد نقل السيد (قدّس سرّه) في الشرح أقوالا ختمها بقوله: «والله أعلم مقاصد أوليائه»(٢).

وقد استفاد سيدنا الأستاذ الخوئي رحمه الله من هذا المقطع من الدعاء: كروية لأرض، وحيث ان هذا فكر بكر لم يسبقه اليه أحد، أورد نصّ كلامه رحمه الله، وان كنت قد وعدت الايجاز في الشرح، قال رحمه الله: «ومن ذلك ما ورد عن الإمام زين لعابدين عليه السلام في دعائه عند الصباح والمساء: (وجعل لكل واحد منهما حدا محدودا، وأمدا ممدودا، يولج كل واحد منهما في صاحبه، ويولج صاحبه فيه بتقدير منه للعباد). أراد صلوات الله عليه بهذا البيان البديع التعريف بما لم تدركه لعقول في تلك العصور، وهو كرويّة الأرض، وحيث أن هذا المعنى كان بعيدا عن أفهام الناس؛ لانصراف العقول عن إدراك ذلك، تلطّف ـ وهو الإمام العالم بأساليب البيان ـ بالاشارة إلى ذلك على وجه بليغ، فإنه عليه السلام لو كان بصدد بيان ما يشاهده عامة الناس من أن الليل ينقص تارة فتضاف من ساعاته إلى النهار، وينقص النهار تارة اخرى فتضاف من ساعاته إلى الليل، لاقتصر على الجملة الأولى: (يولج كل واحد منهما في صاحبه) ولما احتاج إلى ذكر الجملة الثانية: (ويولج صاحبه فيه)، إذن فذكر الجملة الثانية إنما هو للدلالة على أن إيلاج كل من الليل والنهار في صاحبه يكون في حال إيلاج صاحبه فيه، لأنّ ظاهر الكلام أن الجملة الثانية حالية، ففي هذا دلالة على كرويّة الأرض، وأن إيلاج الليل في النهار ـ مثلاً ـ عندنا يلازم إيلاج النهار في الليل عند قوم آخرين. ولو لم تكن

---

١) القرآن الكريم، سورة يس ٣٦: ٣٨.
٢) رياض السالكين ٢: ١٩٠.

مهمة الإمام عليه السلام الإشارة إلى هذه النكتة العظيمة، لم تكن لهذه الجملة الأخيرة فائدة، ولكانت تكراراً معنوياً للجملة الأولى»[١].

[٦/٢ ـ خلق الليل]:

فَخَلَقَ لَهُمُ اللَّيْلَ[٢] لِيَسْكُنُوا فِيْهِ مِنْ[٣] حَرَكَاتِ التَّعَبِ، وَنَهَضَاتِ[٤] النَّصَبِ[٥]، وَجَعَلَهُ لِبَاساً لِيَلْبسُوا مِنْ رَاحَتِهِ وَمَنَامِهِ، فيَكُونَ[٦] ذَلِكَ لَهُمْ جَمَاماً[٧] وَقُوَّةً، وَلِيَنَالُوا بِهِ لَذَّةً وَشَهْوَةً.

ثم شرح آثار خلق الليل، قال السيد المدني (ت/ ١١٢٠هـ): «قيل: قدّم الليل على النهار في الذكر لأنّ الليل مخلوق قبل النهار؛ لأن الظلمة هي الأصل، والنور طار عليها يسترها ـ إلى ان قال: ـ فالنكتة في تقديم الليل في الذكر: إمّا لأن الشهور غررها الليالي، أو لأنه وقت العبادة والخلوة؛ فقدّم لشرفه»[٨].

---

(١) البيان في تفسير القرآن: ٧٦.

(٢) في (ت) زيادة: «والنهار».

(٣) في (ش) (ف) (ت): «عن».

(٤) في (ك): «نفضات»، وفي (ت) و (ج): في نسخة: «وبهظات»، وفي حاشية (ج): «نهضات التعب، بالنون والضاد، أي مقاماته، وقرئ: «وبهظات» بالباء والظاء، من بهظه الحمل: إذا أثقله، وأمر باهظ، أي شاق، قاله الجوهري»، وفي حاشية (ج)أيضاً: «نهض بحمله، أي قام»، والنهضات، جمع نهضة، والنصب: التعب. أي الحركات التي أوجبها الجهد في تحصيل المآرب، وفي (س): «نهض: أي قام، وبهظه الحمل يبهظه بهظاً: أي أثقله وعجز عنه فهو مبهوظ، وهذا أمر باهظ: أي شاق». (حاشية ابن إدريس: ١٢٦).

(٥) في (ج): «النضب»، وهو تصحيف، وفي (س): «نَصِب الرجل ـ بالكسر ـ نصباً: تعب، وهَمٌّ ناصب: أي ذو نصب». (حاشية ابن إدريس: ١٢٦).

(٦) في (ك): «فتكون»، وفي (ف): «ليكون».

(٧) في (ح): «ليكون لهم ذلك جماما»، وفي (ك) و (س) العبارة هكذا: «فيَكُونَ ذَلِكَ جَمَاماً»، وفي (ش): «فيكون ذلك أتم تماماً»، وفي حاشية (د١)و (س): «الجمام ـ بالفتح ـ الراحة، يقال: جمّ الفرس جمّاً وجماماً: إذا ذهب إعياؤه». (حاشية ابن إدريس: ١٢٦).

(٨) رياض السالكين ٢: ١٨٤.

وخص من آثار الخلق أمرين:

١ ـ **السكون في الليل**؛ فإن الغالب على ذوى الأرواح النوم في الليل لا في نهار؛ لأنه وقت العمل، والمفتقر إلى الاستراحة بتعقب الليل.

وما يعمله الإنسان في النهار، لايخلو من حالتين:

الأولى: العمل الموجب للتعب؛ واليه أشار بقوله: «من حركات التعب» ن الحركة يوجب التعب المفتقر إلى الراحة.

الثانية: الجهد المبذول في تحصيل المآرب، واليه أشار بقوله: «ونهضات نصب» فإن النصب: الجهد، والنهضة: العمل المخطط للوصول إلى المقصد، هو يستلزم الجهد. والحالتان يفتقران إلى السكون المتاح في الليل.

٢ ـ **الستر**؛ فإن ظلام الليل كاللباس يستر من الطبيعة ما لا يمكن ستره في نهار، ومن أراد عكس ذلك افتقر إلى استعداد غير طبيعي لمعارضة الحالة طبيعية السائدة.

وأن هذا الستر ـ من راحة الليل والمنام فيه ـ أمر طبيعيّ غَالب، شأنه أن كل الأعمال التي للإنسان فيها خيار في ان يستخدمه في الشرّ أو الخير، قد اشار الدعاء إلى استخدامه في الخير للحصول على صفات اربع يفتقر إليها لإنسان في استمرار المسؤولية الملقاة على عاتقه تجاه نفسه واسرته ومجتمعه، هي:

١ ـ الجمام، أي النشاط؛ فإن راحة الليل يقتضي النشاط في الغد.

٢ ـ القوة، أي الطاقة، ضد الضعف، وبدونها لايتحقق النشاط في العمل.

٣ ـ اللذة، أي ادراك الملائم للطبع، وبدونها لا تحصل القوة على الفعل صورة كاملة.

٤ ـ الشهوة، أي الحب برغبة شديدة، وبدونها يكون العمل شبه ناقص.

وبالجملة: عند تواجد هذه الصفات يكون العمل كاملا، وبدونها يكون

العمل إمّا ناقصاً أو شبه ناقص، فيسقط الأثر المطلوب منه، وبذلك تختل إحدى الدعائم الهامة في تحقيق مسيرة المجتمع الفاضل.

[٣/٦ ـ خلق النهار]:

وَخَلَقَ لَهُمْ النَّهَارَ مُبْصِراً لِيَبْتَغُوا فيه(١) مِنْ فَضْلِهِ(٢)، وَلِيَتَسَبَّبُوا(٣) إلى رِزْقِهِ، وَيَسْرَحُوا(٤) فِي أَرْضِهِ(٥)، طَلَبَاً لِمَا فِيْهِ نَيْلُ العَاجِلِ(٦) مِنْ دُنْيَاهُم، وَدَرَكُ الآجِلِ فِي أُخْرَاهُمْ(٧)، بِكُلٍّ(٨) ذَلِكَ يُصْلِحُ شأنَهُمْ(٩)، وَيَبْلُو(١٠) أخْبَارَهُمْ، وَيَنْظُرُ(١١) كَيْفَ هُمْ فِي أوْقَاتِ طَاعَتِهِ، وَمَنَازِلِ فُرُوضِهِ، وَمَوَاقِعِ أحْكَامِهِ لِيَجْزِيَ الَّذِيْنَ أسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا، وَيَجْزِي الَّذِينَ أحْسَنُوا بالحُسْنَى(١٢).

وفي هذا المقطع إشارة إلى ما يقتضيه العمل في النهار الذي جعله تعالى مبصراً(١٣)، فلا ينقلب حالة الابصار من النهار حيث ان به قوامه، والمقتضيات

---

(١) في (ت): «لتبتغوا»، ولم ترد في (ش) (ي) (ت): «فيه».
(٢) في حاشية (ك): في نسخة: «لِيَبْتَغُوا فيه فَضْله».
(٣) في (ك) (ش) (ي): «وَيَتَسَبَّبوا»، ويبتغوا: يطلبوا، والتسبب: التوصل، مأخوذ من السبب وهو الحبل.
(٤) السرح: الخروج بالغداة، ويقابلهُ: الرواح، وهو العودة في المساء.
(٥) في (ت): «ويسرحوا الى رضوانه».
(٦) في (ف): «للعاجل».
(٧) في (ك) (ش): «آخِرَتِهِمْ»، وفي (ق): «أُخْريهُم»، وفي حاشية (ك) في نسخة: «أُخْرَاهُمْ».
(٨) في (ف): «وكلّ»، وفي (ت): «كلّ».
(٩) في (ش): «شأنهم»، أي أمرهم وحالهم.
(١٠) في حاشية (ج): «يبلو: يختبر».
(١١) في (ش): «فينظر».
(١٢) اقتباس من القرآن الكريم، سورة الأنعام ٦: ١٦٠.
(١٣) اقتباس من القرآن الكريم، سورة يونس ١٠: ٦٧.

ن تعددت بحسب الأفراد والحالات والأماكن وبعدد انفاس الخلائق، ولكنها
نهي إلى ثلاث مقتضيات رئيسية هي:

١ ـ ابتغاء فضل الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ
هِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾[١].

وبذلك يتحدد الهدف من الأعمال بأنها في طريق التكامل والتقرب إلى
حق؛ بأن لا تكون الأعمال في سبيل أهداف غير إنسانية.

٢ ـ التسبيب إلى رزق الله بالكسب الحلال، فانّ ما خلقه الله سبحانه فهو لله
من استثمرها بالصورة المشروعة، كما أن الأرض لله ولمن عمرها ﴿وَأَن لَّيۡسَ
نسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ﴾[٢].

٣ ـ السير في ارض الله، وذلك بالانفتاح على العالم ودراسة المجتمعات
تي تعيش على ارض الله الواسعة؛ فإن في التعرّف عليها درس لما فيها من
وامل القوّة والضعف، فيكون محفّزا للوصول إلى مدارج الكمال، وعلى العكس
تقوقع على مجتمع مغلق، فإنه يكون كالماء الآسن، لا يزيده الانغلاق الا
موراً، دون الماء الجاري الذي يكون سبباً للحياة في مسيرته على الأرض أينما
رى ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّ﴾[٣].

فإن هذه الأمور الثلاث ممّا به قوام الدنيا والآخرة؛ حيث إن ذلك يؤمّن
اجة الإنسان في الدنيا من تحصيل الرزق الحلال ورضى الله الذي يعني السعادة
ي الدنيا والنعيم في الآخرة.

وبعبارة اخرى: إن العمل الذي يقوم به المسلم عمل يصلح به شأن الفرد
لأسرة والمجتمع من ناحية (ويصلح شأنهم).

ومن ناحية ثانية: يكون عمل مسؤول للتاريخ الذي لا يرحم أحداً، ويبلو
خباره، وقال تعالى: ﴿وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ﴾[٤].

---

(١) القرآن الكريم، سورة القَصَص ٢٨: ٧٣.
(٢) القرآن الكريم، سورة النّجم ٥٣: ٣٩ ـ ٤٠.
(٣) القرآن الكريم، سورة الأنبياء ٢١: ٣٠.
(٤) القرآن الكريم، سورة محمّد (صلى الله عليه وآله) ٤٧: ٣١.

ومن ناحية ثالثة: يكون في العمل فرصة لاختيار عمل الخير أو الشرّ «وينظر كيف هم؟».

وبالنتيجة: يكون الجزاء على طبق العمل؛ إن خيراً فخيراً، وإن شراً فشراً، فكم من أفراد اختاروا طريق الصواب في أعمالهم مراعين الأمور الثلاثة: من ابتغاء فضل الله، والتسبيب إلى رزقه، والسير في أرض الله، فكانوا قد دخلوا التاريخ من أبوابه، وأظهر التاريخ أعمالهم الإنسانية بأسطر من نور. على عكس الذين لم يبتغوا إلّا فضل عنصرياتهم معرضين عن الحق، ولم يسلكوا الطرق المشروعة لتحصيل الثروة، وانغلقوا على أنفسهم ولم يدرسوا عوامل القوّة والضعف، فتخلفوا عن ركب الحضارة وسقطوا في مزبلة التاريخ، ولم يذكروا إلّا مقرونين باللعن، وليس ذلك إلّا لإهمالهم هذه الثوابت الثلاث.

[٦/٤ ـ اليوم الجديد]:

أللّهُمَّ فَلَكَ(١) **الحَمْدُ عَلَى مَا فَلَقْتَ**(٢) **لَنا مِنَ الإصْباحِ، وَمَتَّعْتَنا**(٣) **بِهِ مِنْ ضَوْءِ النَّهارِ، وَبَصَّرْتَنا**(٤) **مِنْ مَطالِبِ الأقْواتِ، وَوَقَيْتَنا فيهِ مِنْ طَوارِقِ**(٥) **الآفاتِ. أصْبَحْنا**(٦) **وَأصْبَحَتِ الأشْياءُ**(٧) **كُلُّها**(٨) **بِجُمْلَتِها**

---

(١) في (ف): «ولكَ».

(٢) في حاشية (ج): «أي شققتَ»، والفلق: ضوء الصبح، أي ما فلقتهُ لنا، أي شققتَ.

(٣) في حاشية (ج): «أي نفعتنا».

(٤) في (ك) (ق) (ت) زيادة: «به»، وفي (ف): «وصيرتنا اليه»، وبصّرتنا: أي عرفتنا وأوضحتَ لنا، أو أعلمتنا. ومطالبَ الأقوات: أي مصادر ومواضع طلب الأقوات، وهو جمع قوت، وهو ما يؤكل.

(٥) في (ف): «من شر طوارق»، والطوارق، جمع طارقة أو طارق، وهو بمعنى حادثة أو حادث، والمراد: حوادث الآفات.

(٦) العبارة في (ق) (ت) هكذا: «أمْسَيْنا وَامْسَتِ، وَأصْبَحْنا و...».

(٧) في (ف): «أصْبَحْنا وَاَصْبَحتِ وأمْسَيْنا وَاَمْسَتِ الأشْياءُ».

(٨) لم ترد في (ك) (ي): «كلها».

لَكَ(١): سَمَاؤُهَا وأرْضُهَا، وَمَا بَثَثْتَ(٢) فِي كُلٍّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا(٣)، من سَاكِنِهِ(٤) ومُتَحَرِّكِهِ(٥)، وَمُقِيمِهِ(٦) وَشَاخِصِهِ(٧)، وَمَا عَلَا(٨) فِي

---

(١) قوله: «كلّها»: تأكيد للأشياء، أفادت عموم أفرادها. و«بجملتها»: حال مؤكّدة لصاحبها، والجملة بالضمّ: جماعة الشيء أي: وأصبحت الأشياء كلّها جميعا. فهو كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ (سورة يونس ١٠: ٩٩). والباء في «بجملتها»: للملابسة متعلّقة بمحذوف وجوبا، أي: متلبّسة بجملتها. وإنّما لم تجعلها متعلّقة بـ «أصبحت»، لأنّ الظرف والجار والمجرور إذا وقعا حالا وجب تعلّقهما بمحذوف. و«لك»: حال من «الأشياء». والمعنى: دخلنا في الصباح ودخلت فيه الأشياء كلّها بجملتها كائنة لك، أي: عرفنا الأشياء كلّها لك، كذا قال شارح «الحصن الحصين» في نظير هذا الموضع. (رياض السالكين ٢: ٢١٣).

(٢) في (ك) (ت): «وَمَا يَنْبت»، وفي (ف): «وَمَا يَثْبت»، وفي حاشية (ك) في نسخة: «وَمَا بَثْتَ»، وَمَا بَثْتَ: أي نشرتَ وفرّقتَ.

(٣) في (ش): «في كلٍ منهما»، وفي (ف): «وَمَا يَنْبتفي كلٍ منهما دابّة»، وفي (ت): «وَمَا يَنْبتفي كلٍ منهما من دابّة»، وفي حاشية (ج) (د): «في كلٍ منهما. س».

(٤) كذا في (ق)، وفي (ت): «ساكنةٍ»، ولم ترد: «من» في غيرها. وفي حاشية (ج): «ساكنُهُ، ساكنِهِ ـ س، معا»، وفي حاشية (د): «قوله: ساكنه ومتحركه، بالضمّ ـ على الرواية المشهورة -: بدل بعض من الموصول، وبالكسر قيل: بدل من «كلّ واحد»، ولا يصحّ معنىً إلّا أن يجعل «ساكنه» وما عطف عليه من باب «نهرٍ جارٍ»، ممّا اسند فيه معنى الفعل إلى المكان، ولا يخفى تعسّفه، والصواب ما وقع في نسخة قديمة من إثبات «من» في رواية الكسر، وصورته: «وما بثثت في كلّ منهما من ساكنه ومتحرّكه ومقيمه وشاخصه» وهي بيان لـ «ما»، وكأنّ الجامع بين الروايتين أغفل من هذه الرواية إثبات «من»، فتوهّم أنّها رواية بدون «من»». (راجع: رياض السالكين ٢: ٢١٧).

(٥) في حاشية (ج): «متحركُهُ، متحركِهِ ـ س، معا».

(٦) في حاشية (ج): «مقيمُهُ، مقيمِهِ ـ س، معا».

(٧) في (ك) (ق) (ت) العبارة هكذا: «سَاكِنةٍ ومُتَحَرِّكةٍ، وَمُقِيْمةٍ وَشَاخِصةٍ»، وفي (ف): «ساكنةً ومتحركةً ومقيمةً وشاخصةً»، وفي (ش) العبارة هكذا: «سَاكِنِه ومُتَحَرِّكِه، وَمُقِيْمِه وَشَاخِصِه»، ، وفي حاشية (ج): «شخص من بلد الى بلد، أي ذهب»، وفي (س): «شخص من بلد إلى بلد شخوصاً: أي ذهب». (حاشية ابن إدريس: ١٢٦)، فالشاخصهو الخارج من موضعهِ إلى موضع آخر، وهو يقابل: «المقيم».

(٨) في (ك) (ش): «وَمَا عَلَنَ»، وعلن: أيظهر وانتشر، خلاف: «خفي».

الهَواءِ، وَمَا كَنَّ[١] تحت الثَرَى[٢]. أصْبَحْنَا[٣] فِي قَبْضَتِكَ، يَحْوِيْنا[٤] مُلْكُكَ وَسُلْطانُكَ[٥]، وَتَضُمُّنا[٦] مَشِيَّتُكَ[٧]، وَنَتَصَرَّفُ عَنْ[٨] أمْرِكَ، وَنَتَقَلَّبُ فِي تَدبيرِكَ[٩]، لَيْسَ لَنَا مِنَ الأمرِ إلَّا ما قَضَيْتَ، ولَا مِنَ الخَيْرِ إلَّا مَا أعْطَيْتَ. وَهَذَا يَوْمٌ حَادِثٌ[١٠] جَدِيْدٌ، وَهُوَ[١١] عَلَيْنَا شَاهِدٌ عَتِيْدٌ[١٢]، إنْ أحْسَنّا وَدَّعَنا بِحَمْدٍ، وإنْ أسأْنَا فَارَقَنَا بِذَمٍّ.

أشار الإمام عليه السلام في هذا المقطع من الدعاء إلى ان حياة كل يوم حياة خاصة، وكما ان حياة الإنسان يتحدد بالولادة إلى الوفاة فكذلك الحياة في كل

---

(١) في (ق) (ف) (ت): «وَمَا بَطَنَ»، وفي حاشية (ج): «وما كُنَّ ـ س»، وفي (س): «الكنّ: السترة، والجمع أكنان، والأكنة: الأغطية. فكنّ تحت الثرى، أي استتر تحت الثرى. س». (حاشية ابن إدريس: ١٢٦)،، وفي هامش (س)ما نصّه: «[في] نسخة ابن إدريس (وما كُنّ) بضم الكاف وعلى البناء للمفعول، يكون بمعنى الستر. (وراجع: نور الأنوار، للسيّد الجزائري: ٨٠، لوامع الأنوار العرشية، للسيّد الشيرازي ٢: ٣٤٨)».

(٢) في (ك) (ش) العبارة هكذا: «وَمَا بَطَنَ في الثَرَى».

(٣) في (ف): «أمْسَيْنَا وَاَمْسَتِ وأصْبَحْنَا وَاَصْبَحَتِ».

(٤) حوى الشيء يحويهِ: ضمهُ واستولى عليهِ. ويُرادُ بالسلطان هنا: الولاية.

(٥) في (ك) (ش) (ت) العبارة هكذا: «أصْبَحْنَا فِي قَبْضَتِكَ وملكك، يَحْوِيْنا سُلْطَانُكَ»، وفي حاشية (ك) في نسخة: «أصْبَحْنَا فِي قَبْضَتِكَ، يَحْوِيْنا مُلْكُكَ وَسُلْطَانُكَ».

(٦) في (ت): «يضمنا»، وضمَّ الشيء: جمعهُ، والمراد بضم المشيئه: جريانها في جميع المخلوقات واحتوائها لهم بحيث لا يشذُّ عنها أحد.

(٧) في (ك): «مشيك»، وفي حاشية (ك) في نسخة: «مشيّتك»، وفي بعض النسخ: «مشيّتك وإرادتك».

(٨) في (ش): «في» بدل «عن»، وفي بعض النسخ: «ونتصرف على أمرك».

(٩) في (ك) (ي): «تَقديرِكَ».

(١٠) في (ف): «حاضرٌ».

(١١) في حاشية (ج): «وَهُوَ ـ س».

(١٢) لم ترد في (ق): «عتيد»، والعتيد: فعيل بمعنى فاعل، والمعنى: شاهدٌ حاضر، وفي حاشية (ج): «الشيء العتيد: الحاضر المهيّأ، صحاح».

يوم يتحدد بالصباح إلى المساء، والإنسان المسلم مسؤول في كل مرحلة منها بالنظر إلى الأسباب الّتي قادته إلى الوجود في اليوم، ومكّنته من العمل فيه بما تعرض عليه من المسؤوليات، وقد اشار إلى عدة أسباب توجب الحمد لله تعالى، وهي:

١ ـ الإصباح؛ فإن الله تعالى فلق الاصباح من الظلمة، فلو كانت الظلمة مستمرة لما كانت حياة.

٢ ـ ضوء النهار، فلو كان الفلق متوقفاً على الإصباح من دون ضوء النهار لما كانت حياة.

٣ ـ البصيرة في طلب المعاش، باستخدام العقل في تحصيل ما يؤمّن قوته وصحّة طرق الطلب.

٤ ـ الوقاية في كل يوم من الطوارق بالقدرة على توقّيها، لأنّ الوقاية خير من العلاج. ومنع الآفات قبل حصولها افضل من معالجتها بعد الحصول.

٥ ـ قدرة الله المطلقة الحاكمة على الكون، فإن الأسباب المتقدمة لن تتحقق من دون هذه القدرة المطلقة.

ثم أشار عليه السلام إلى أن هذه القدرة تعمّ الكون كله؛ فإن الاستناد لجميع الأشياء كلها بجملتها بالله تعالى، وخص بالذكر:

١ ـ السماء، من السماوات السبع وما يليها مما لا يعلم مداه إلّا الله سبحانه.

٢ ـ الأرض، وهي الكرة الّتي يعيش عليها الإنسان، وما هي الا كرة من الكرات السيارة في العالم العلوي.

٣ ـ وما فيهما، وفي كلامه عليه السلام اشارة إلى وجود الحياة في كل منهما على نحو مماثل لما يراه الإنسان في الأرض، فالموجودات فيهما على أنواع، من الساكن، أي الجواهر المجردة عن المادة. والمتحرّك، وهو ماله حركة كالإنسان،

وهي على قسمين: اما مقيمة في النظر كالجبال، أو شاخصة أي خارجة من موضع إلى آخر كأنواع الحيوان.

وهذه الموجودات، منها ما هي ظاهرة لكل إنسان مما يعلو ويرتفع في الهواء، وما هو مكنون ومستور تحت التراب، فهي جميعاً تحت قدرة الله العليا.

سلطان الله تعالى:

ثم اشار عليه السلام إلى نتيجة هذه القدرة المطلقة وانها بالتدبير والحكمة، ومنها: حرّية الإنسان في اختيار الخير ونبذ الشر، المحكومان بقدرته تعالى، لما يراه من الحكمة مما لا يراه العبد، فكما ان الملك الذي يتولى أمر الناس له السلطان والولاية من التدبير والحكمة التي يراها في ادارة المجتمع الذي يتولّاه، فالله له الملك، وهو ﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾[1] والسلطان الكامل ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾[2] على الكون الذي أبدعه بالتدبير والحكمة، وله المشيئة التامّة ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾[3]، وله القضاء النافذ ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[4]، والخير والقدرة على كل شيء ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[5] وهذه الصفات الّتي ترافق القدرة العليا تجعل المخلوقات كلها ـ بما فيها الإنسان ـ تحت قبضته تعالى، وذلك يعم المعجزات الصادرة بواسطة الانبياء والكرامات الحاصلة بواسطة الأولياء؛ فإن الله أبى ان يجري الأمور إلّا بأسباب عادية، إلّا ما شاء تعالى أن يحصل بسبب المعجزة والكرامة، ومن أسباب الخير الّتي جعلها ميسّرة للإنسان، وهي القدرة على اختيار الخير ونبذ الشرّ ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[6].

وبالنتيجة يكون سلطان الله تعالى حاكماً مع اختيار العبد، وهذا الاختيار جار فيما سوى المعجزة والكرامة.

---

(١) القرآن الكريم، سورة ال عمران ٣: ٢٦.
(٢) القرآن الكريم، سورة الرحمن ٥٥: ٣٣.
(٣) القرآن الكريم، سورة السجدة ٣٢: ٥.
(٤) القرآن الكريم، سورة يس ٣٦: ٨٢.
(٥) القرآن الكريم، سورة ال عمران ٣: ٢٦.
(٦) القرآن الكريم، سورة الإنسان ٧٦: ٢.

مسؤولية اليوم:

ثم ختم عليه السلام هذا المقطع بمسؤولية اليوم الّتي يتحملها الإنسان المسلم؛ فانها ؤولية لاختيار إما طريق الخير أو الشر، وهذه المسؤولية اليومية مسؤولية حادثة في يوم حادث، ومسؤولية جديدة في كل يوم جديد، ويحاسب عليها الإنسان سؤول في كل يوم، وما يعمله الإنسان كل يوم هو دليل سديد وشاهد عتيد ـ أي ضر ـ على ذلك، فلا حاجة إلى دليل سواه، ولا إلى شاهد ما عداه.

والنتيجة واحدة من اثنين: إمّا العمل الحسن، فتنتهي المسؤولية اليومية مد الله تعالى على اداء الواجب.

وإمّا العمل السيء فتنتهي المسؤولية بالذمّ على اهمالها. ويشهد على الذمّ ـم نفسه، حيث يبقى في ذاكرة التاريخ تمييز المحسن عن المسيء، والتاريخ لا حم أحداً.

وحيث إن أداء المسؤولية اليومية يفتقر إلى توفيق من الله لعمل الخير حتى يكون اً ميموناً، خصّ الإمام عليه السلام كل من التوفيق والخير واليمن بمقاطع خاصة.

/٥ ـ توفيق الله تعالى]:

أللّهُمَّ صَلِّ[١] عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ[٢] ارْزُقْنَا[٣] حُسْنَ ساحَبَتِهِ[٤]، واعصِمْنَا مِنْ سُوءِ مُفَارَقَتِهِ بارتِكَابِ جَرِيرَةٍ[٥] أو تِرَافِ صَغِيرَةٍ أو كَبِيرَةٍ[٦]. وأجْزِلْ[٧] لَنَا فِيْهِ مِنَ[٨] الحَسَنَاتِ،

---

(١) في (ق) (ف) (ت): «فَصلِّ».
(٢) لم ترد في (ك): «صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ و».
(٣) في (ش): «أللّهُمَّ فارزقنا».
(٤) في (ف): «وَارْزُقْنَا مُصَاحَبَتَهُ بأحسنِ صُحبةٍ».
(٥) في (س): «جرّ عليهم جريرة: أي جنى عليهم جناية». (حاشية ابن إدريس: ١٢٧).
(٦) في (ف): «واقتراف صغيرة»، ولم ترد في (ك) عبارة: «بارتكاب جريرة أو اقتراف صغيرة أو كبيرة»، وفي (س): «الإقتراف: الإكتساب». (حاشية ابن إدريس: ١٢٧).
(٧) في (ك): «وأجر».
(٨) لم ترد في (ك) (ق) (ف) (ت): «من»، وفي حاشية (ج)كتب عليها: «نسخة».

وَأخْلِنَا فِيْهِ[١] مِنَ السيِّئَاتِ، واملأ لَنَا[٢] مَا بَيْنَ طَرَفَيْهِ حَمْداً[٣]، وَشُكْرَاً، وأجْراً، وَذُخْرَاً[٤]، وَفَضْلاً، وَإحْسَاناً.

ثم سرد الإمام عليه السلام ما ينبع من توفيق الله تعالى، وخصّ منها ما يعم اليوم من الصباح إلى المساء أو جزء منها، وهي:

١ ـ حسن المصاحبة؛ فإن من يؤدّي واجبه على الوجه المطلوب يكون سعيداً بذلك.

٢ ـ العصمة من السوء، وسوء مفارقته يكون إما بارتكاب جريرة، أي ما يجر الإنسان إلى ذنب، وهي المعاصي الكبيرة التي أوعد الله سبحانه عليها العذاب، على خلاف في تحديدها. وإمّا باقتراف، أي ارتكاب زلّة، أي الخطيئة الّتي يسرع زوالها، سواءً كانت صغيرة باعتبار قصر زمانها كسماع الأغاني، أو كبيرة تطول زمانها كالتخطيط لايذاء الآخرين.

٣ ـ كثرة الحسنات. والجزل: العطاء العظيم، ويعني خصوص الحسنات الّتي يعملها الإنسان.

٤ ـ الخلوّ من السيئات الّتي يمكن ان تصدر من الإنسان في اليوم.

٥ ـ الحمد، وذلك بذكر (الحمد لله) على كل حال.

٦ ـ الشكر، وذلك بذكر (الشكر لله) على ما أنعم في كل حال.

٧ ـ الأجر الموعود على العمل الصالح فـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٥].

---

(١) في (ك) العبارة هكذا: «وَأخْلِ عنّا»، وفي (ت) العبارة هكذا: «وَأحلّنا فيه»، وفي حاشية (ك) في نسخة: «وَأخْلِنَا فِيْهِ».

(٢) في (ف): «وآمِلْ».

(٣) في (ش) زيادة: «وأجراً».

(٤) الذخر: ما يعدُّ لوقتِ الحاجة، وهو الذخيرة.

(٥) القرآن الكريم، سورة التوبة ٩: ١٢٠.

٨ ـ الذخر، وهو ما يكون مذخوراً لوقت الحاجة من الأعمال الصالحة.

٩ ـ الفضل، وهو الزيادة في الخير.

١٠ ـ الإحسان من الله تعالى، حيث إن بدونه لا يتمّ التوفيق ﴿وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ـنُوا بِٱلْحُسْنَى﴾[١].

وهذه النقاط العشر هي من التوفيق الإلهي أو من لوازمه، ولا يعتبر اليوم ـاً سعيداً بدونها، فإن التوفيق هو جعل الأسباب المتوافقة متيسّرة للعمل حتى ـحقق المطلوب، وهذه الأسباب كذلك، كما قال تعالى في الشكر مثلاً: ﴿لَئِن ـكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[٢]، فإن الشكر وغيره من الأسباب المذكورة يوجب تيسّر ـمل وتحسنه، ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[٣].

/٦ ـ توفيق اليسر]:

أللّهُمَّ[٤] يَسِّرِ[٥] عَلَى الكِرَامِ الكَاتِبِيْنَ مُؤنَتَنَا[٦]، وامْلأ لنا[٧] ـ حَسَنَاتِنا صَحَائِفَنَا[٨]، وَلَا تُخْزِنَا عِنْدَهُمْ[٩] بِسُوءِ أعْمَالِنَا.

ومن التوفيق للمسلم المسؤول أن يرى أن من واجبه التيسير على الآخرين؛ ـ ينظر في أعماله اليسر، كما يريد اليسر لنفسه. والمؤنة بمعنى الثقل، فيجب

---

(١) القرآن الكريم، سورة النجم ٥٣: ٣١.
(٢) القرآن الكريم، سورة ابراهيم ١٤: ٧.
(٣) القرآن الكريم، سورة هود ١١: ٨٨.
(٤) العبارة في (ف) (ت) هكذا: «أللهمّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ».
(٥) في (ش): «يسر لنا»، وفي (ق): «ويسّر».
(٦) في (ت): «مؤونتنا»، والمؤنة: الثقل.
(٧) في (ف): «وآمِلْ»، ولم ترد في (ك) (ق): «لنا».
(٨) في (ك) (ق) (ت) العبارة هكذا: «وامْلأ صَحَائِفَنَا مِنْ حَسَنَاتِنا»، وفي حاشية (ك): في نسخة: «وامْلأ لنا مِنْ حَسَنَاتِنا صَحَائِفَنَا»، وفي حاشية (ج) كتب: «الرواية: وامْلأ لنا صَحَائِفَنَا مِنْ حَسَنَاتِنا».
(٩) في (ف): «ولا تخزنا عنهم».

على المسلم المسؤول ان لا يكون ثقيلا على الآخرين في سلوكه اليومي، وفي مقدمة هؤلاء: «الكرام الكاتبين» وهم الملائكة الذين يسجّلون أعمال العباد من خير وشر، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾(١) فإن ما يقوم به الإنسان من عمل الخير لا يكون ثقيلاً عليهم؛ لأن الخير هو المطلوب، دون الشرّ فإنه يكون ثقيلاً عليهم لكونه كفراناً للنعم.

[٦/٧ ـ توفيق العبادة]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ(٢)اجْعَلْ لَنَا فِي كُلِّ سَاعَة مِنْ سَاعَاتِهِ حَظّاً مِنْ عِبَادَتِكَ(٣).

---

(١) القرآن الكريم، سورة الانفطار٨٢: ١٠ ـ ١١.

(٢) عبارة: «صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَ»من (ق) فقط.

(٣) في (ج) (د): «من عبادك»، وكذا في المطبوعة من نسخة ابن إدريس، وفي حاشية (ج): في نسخة: «من عبادتك»، وفي حاشية (د١)، ما نصه: وعبادك ـ على الرواية المشهورة ـ: جمع عبد. قيل: معناه اجعل لنا نصيباً منهم لنستضيء بأنوارهم ونقتدي بآثارهم. ويحتمل أن يكون على حذف مضاف، أي: من صفات عبادك الذين وصفتهم بقولك: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ إلى آخر ما نعتهم به. (سورة الفرقان ٢٥: ٦٣- ٦٤). أو عبادك المتّصفين بالعبوديّة التي لا مقام أشرف منها، إذ هي عبارة عن صيرورة العبد عبدا خالصا مفتقرا محضا، لم يبق له جهة أنانيّة، أو نظر والتفات إلى ما سوى المعبود الحقّ الأوّل، وذلك بعد انسلاخات عن نسبة الوجودات الكونيّة، وعقيب رياضات علمية وعملية، وتجرّدات من نشأة إلى نشأة وصورة إلى صورة، حتى يصير عبدا محضا فانيا عن نفسه وعن كلّ شيء سوى الحقّ، مستغرقا في عبوديّته وفقره إلى الله، بل فنى عن ملاحظة هذا الاستغراق، قاصرا نظره على مطالعة الجلال ومشاهدة الجمال، وهذا هو غاية إيجاد الخلق، ورتبة هذه العبوديّة المحضة أفضل من رتبة الرسالة، ولهذا قدّمت في التشهد على الرسالة، فيقال: أشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله، وأوثر لفظ العبد في قوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ (القرآن الكريم، سورة الإسراء ١٧: ١) دون نبيّه أو رسوله. وفي نسخة ابن إدريس: «حظّا من عبادتك» وهو أنسب بقوله عليه السلام: «ونصيبا من شكرك». والعبادة: فعل المكلّف على خلاف هوى نفسه تعظيما لربّه. هكذا جاء في الشرح. (رياض السالكين ٢: ٢٤٥). ولعل هذه النسخة الشهيدية كانت مطابقة لنسخة ابن إدريس، فصححه من =

وَنَصِيْباً مِنْ(١) شُكْرِكَ، وَشَاهِدَ صِدْق مِنْ مَلائِكَتِكَ.

ومن التوفيق للمسلم المسؤول: العبادة في كل فرصة ولحظة متاحة، كما هو مراد من قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾(٢) أي لحظة، فالمحظوظ ن اغتنم تلك اللحظة ولو بقول: «الحمد لله على كل حال»؛ فإنه عبادة توجب قرب إلى الله، كما أن العبادة تحصل بأي عمل نافع في المجتمع، مثل رفع حجر عن الطريق المعرقل لسير الآخرين.

وكذلك تقدير النعم وشكرها، وأقلها قول: «شكراً لك يا الله» على النعم ير المحدودة، وأقلها نعمة الحياة، وكذلك التوفيق لأن يكون الشاهد على العمل صالح الملائكة الكرام الكاتبين المتقدم ذكرهم؛ فإنهم شهود صدق، لا يرتقي يهم الشك ولا الشبهة، وما أعلاها من توفيق!؟.

٨/٦ ـ الحفظ والسلامة]:

أَللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، و(٣) احْفَظْنَا(٤) مِنْ بَيْنِ أَيْدِيْنَا، مِنْ خَلْفِنَا، وَعَنْ أَيْمَانِنَا، وَعَنْ(٥) شَمَائِلِنَا(٦)، وَمِنْ جَمِيْعِ

صححه كذلك بحك التاء، فإن آثار الحك هنا لائحة. وفي هامش (س)ما نصّه: «في نسخة ابن إدريس (من عبادتك) وهو أنسب بالمقام، بل يمكن إرجاع ما في الأصل إليه، كما في (رياض السالكين ٢: ٢٤٥، للسيّد المدني ولوامع الأنوار العرشية، للسيّد الشيرازي ٢: ٣٧٠)».

١) في (ش) (ف): «في» بدل «من».
٢) القرآن الكريم، سورة الأعراف٧: ٣٤، وسورة النحل ١٦: ٦١.
٣) لم ترد في (ك) (ش): «صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ و».
٤) في (ك) (ت) زيادة: «فيه».
٥) لم ترد في (ك): «عن».
٦) في (ك): «وَعن شَمَائِلِنَا»، أي احفظنا من الجهاتِ الأربع الّتي يحتمل هجوم العدو منها علينا، وهي ما ذكرت في سورة الأعراف: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾. (سورة الأعراف ٧: ١٧)، وانظر رياض السالكين ٢: ٢٤٩ ـ ٢٥٢.

نَواحِيْنَا، حِفْظاً[(١)] عَاصِماً[(٢)] مِنْ مَعْصِيَتِكَ، هَادِياً إلى طَاعَتِكَ، مُسْتَعْمِلاً[(٣)] لِمَحَبَّتِكَ[(٤)].

ومن توفيق الله تعالى: الحفظ والسلامة في النفس بالصحة والسلامة، وفي الوطن بالأمن والأمان؛ فانهما نعمتان مجهولتان، وأشار عليه السلام إلى أمرين من الجهات الّتي يجب التحفظ منها واهداف الحفظ، وهما:

الأول: خص الجهات الأربع الّتي يتوجه الخطر على الإنسان عادة منها، فيجب التحفظ منها من الشيطان الرجيم الذي قال: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾[(٥)] إشارة إلى الأمام الذي يكون بين يدي الإنسان، والخلف الذي يكون وراءه، وكذا اليمين والشمال، وهي حصانة ضرورية.

ثم أضاف الإمام عليه السلام قوله: «ومن جميع نواحينا» لتكون الحصانة تامة فتشمل الفوق والتحت أيضاً. وكذلك ما يتخلل بين الدرجات في الجهات الأربع والبالغة ٣٦٠ درجة، ففي كل درجة منها يفتقر الإنسان إلى حفظه تعالى.

وأما الثاني: فالحفظ ليس هدفاً في نفسه ـ كما عليه عبّاد المادة ـ إذا لم يخدم مصلحة إنسانية، ومن أجل ذلك يدافع الجنود عن أوطانهم ويستشهدون في سبيل ذلك، لأنهم يرون أن الأهداف الإنسانية أعلى وأنبل من أنفسهم، وبالنسبة إلى المسلم المسؤول يكون الحفظ في تحقق أهداف ثلاثة:

---

(١) حفظاً: مفعول مطلقاً: أي احفظ حفظاً، وعاصماً: أي مانعاً.

(٢) في حاشية (ج): «أي مانعا، ومنه: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ﴾. (سورة آل عمران ٣: ١٠٤)، أي امتنعوا من أعدائكم. وقوله: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾. (سورة هود ١١: ٤٣)، أي لايكون معصوما إلّا من رحمه الله. ذكره الكفعمي في كوكبه».

(٣) في (ك): «مستعمِلاً»، وفي رياض السالكين (٢: ٢٥٣): «مستعملاً» يروى بفتح الميم اسم مفعول، وبكسرها اسم فاعل، فعلى الأوّل معناهُ: حفظاً نستعملهُ لمحبتِكَ، وعلى الثاني: حفظاً يستعملنا لمحبتِكَ.

(٤) في (ش): «بمحبتك».

(٥) القرآن الكريم، سورة الأعراف ٧: ١٧.

١ ـ العصمة من المعصية، بالتجنب عن مزالق الشهوات المؤدية إلى المعصية.

٢ ـ الهداية إلى الطاعة، في كونه مقرّباً إلى طاعة الله.

٣ ـ العمل في سبيل الله، بأن يكون العمل من أجل محبة الله تعالى وليس لمصلحة ماديّة بحتة.

وهذا الهدف الأخير يعمّ جميع أعمال الخير الإسلامية التي يشير إليها الإمام عليه السلام في المقطع التالي:

[٩/٦ ـ المنهاج اليومي]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآله، و[١] وَفِّقْنَا فِي يَوْمِنَا هَذا ولَيلَتِنَا هذِهِ[٢] وَفِي جَمِيْعِ أيَّامِنَا[٣] لاسْتِعْمَالِ الخَيْرِ، وهِجْرَانِ[٤] الشَّرِّ، وشُكْرِ النِّعمِ[٥] [والتعوُّذِ مِنَ النِّقْمَةِ][٦]، وَاتِّبَاعِ السُّنَنِ، وَمُجانَبَةِ البِدَعِ[٧]، والأمْرِ بالمَعْرُوفِ، والنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، وَحيَاطَةِ[٨] الإسْلامِ، وَانتِقَاصِ[٩] البَاطِلِ[١٠] وإذلالِهِ[١١]، وَنُصْرَةِ الحَقِّ[١٢]

---

١) لم ترد في (ك): «صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ و».
٢) لم ترد في (ك): «هذه».
٣) في (ك) (ت) العبارة هكذا: «يَوْمِنَا هَذا، وليلتنا هذه، وَفِي جَمِيْعِ أيَّامِنَا ولياليِنا».
٤) الهجران: الترك والرفض.
٥) في (ك) (ش) (ف): «النِّعمة».
٦) ما بين المعقوفتين من (ف) فقط، وهو مناسب لما ورد في (ك) (ش).
٧) في (س): «البدعة: الحدث في الدين. فهي ضدّ السنّة». (حاشية ابن إدريس: ١٢٧).
٨) الحياطة: الحفظ والدفاع عن الشيء، والتعهُّد لهُ.
٩) في (ك): «ونقض».
١٠) في (ق) (ت): «وانتقاص الشركِ».
١١) لم ترد في (ك) (ق) (ت): «وإذلاله».
١٢) في (ق) (ت) هنا زيادة: «وإذلال الباطل».

وإعـزازِهِ[1]، [وتـركِ الآثـام][2]، وَإرْشَـادِ الـضـالِّ[3]، وَمُـعَـاوَنَـةِ الضَّعِيْفِ، وَإدرَاكِ اللَّهِيْفِ[4].

وهذا المقطع يتضمّن المنهاج اليومي لأعمال الخير، وبما ان اليوم في ذاته غير مقصود، بل هو ظرف لهذا المنهاج باعتباره تطبيقاً لاعمال الخير، صرّح الإمام عليه السلام باليوم بمعنى النهار والليلة وجميع الأيام؛ لأنّ المطلوب تطبيق الخير في أي ظرف زماني حصل، ومواد هذا المنهاج هي:

١ ـ استعمال الخير، وهو يعّم كل أنواع الخير، وأقلها: تعليم الجاهل ما يستكفي به في الحياة، فلا يكتفى بالقول.

٢ ـ هجران الشرّ بأنواعه، الّتي تؤول إلى تقويض اساس المجتمع الإسلامي.

٣ ـ شكر النعم؛ لأن الشكر موجب لزيادة الخير، كما قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[5].

٤ ـ اتّباع السنن، والسنّة: هي الطريقة الواضحة المعالم والمسلوكة من قبل، والمجرّبة في التاريخ.

---

(١) لم ترد في (ك) (ق) (ت): «وإعزازه».

(٢) ما بين المعقوفتين من (ف) فقط.

(٣) لم ترد في (ف): «وإرشاد الضال»، وفي (ك): «المضل»، وفي حاشية (ج): «في المتهجد: «المضل». ووجد بخط مؤلفه رحمه الله أيضاً: «المقيل»»، والمقيل: طالب الإقالة.

(٤) لم ترد في (ش) (ق) (ت) (ف): «وادراك اللهيف»، وفي (ف) زيادة: «وارشاده»، وفي (ك) العبارة هكذا: «ومداركةِ اللهيفِ»، وفي حاشية (ج): «وادراك اللهيف، أي المضطر، والملهوف: المظلوم...» واللهيف: الملهوف والمظلوم المضطر، والذي يستغيث ويتحسَّر، ومداركته: ادراكه واغاثته والمستغيث. ومنه: إغاثة الملهوف. واللاهف واللهفان: المضطرب يستغيث ويتحسر.

(٥) القرآن الكريم، سورة ابراهيم ١٤: ٧.

٥ ـ مجانبة البدع، والبدعة: ادخال ما ليس من الدين في الدين، من الأُمور لمستحدثة.

٦ ـ الأمر بالمعروف؛ فإنه تذكير بالمعروف لمن يعقل، وتعليم لمن يجهل.

٧ ـ النهي عن المنكر؛ إذ لولاه لسقط العتاب والعقاب وكثر الاجرام بين الأنام.

٨ ـ حفظ الإسلام؛ فإن الحياطة بمعنى الحفظ والتعهد، وذلك بما يراه الإنسان مصداقاً لذلك.

٩ ـ مقاومة الباطل واذلاله بمعارضته وانتقاصه وبيان نقاط الضعف فيه.

١٠ ـ نصرة الحقّ باليد والعمل واللسان والقلب، وهذا أضعف الإيمان.

١١ ـ ارشاد الضال ببيان الحقائق ونشر العلم.

١٢ ـ معاونة الضعيف بالمبادرة بمد يد العون اليه بما يمكن ماديا أو معنوياً؛ فإن الميسور لا يسقط بالمعسور.

وهذا المنهاج اليومي باجماله يعمّ واجبات الإنسان المسلم تجاه نفسه وأسرته ومجتمعه، وهو ما ورد تفصيله في كتب الفقة الإسلامي.

[٦/١٠ـ اليوم الميمون]:

أَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، و[١] واجْعَلْهُ أيمَنَ[٢] يَوْمٍ عَهِدْنَاهُ، وأفْضَل[٣] صَاحِبٍ صَحِبْنَاهُ[٤]، وَخَيْرَ وَقْتٍ ظَلِلْنَا[٥] فِيْهِ،

---

(١) لم ترد في (ك): «صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِ محمّد و».

(٢) في (ك) (ش) (ي) العبارة هكذا: «واجْعَلْهُ من أفْضَل»، وفي (ق) العبارة هكذا: «واجْعَلْهُ في أفْضَل»، وفي (ت) العبارة هكذا: «واجْعَلْهُ في أيمن».

(٣) في (ك) (ش) (ي): «وأيْمَن»، واليُمن: البركة والسعادة، والأيمن: أفعل تفضيل من اليُمن.

(٤) في حاشية (ج): «صاحبناه ـ س، وصحبناه أيضاً ـ خ».

(٥) في حاشية (ج): «الظلال معروف، والظل: ما اظلك من كتاب ونحوه، وظللت اعمل كذا ـ بالكسر ـ ظلولا: إذا عملته بالنهار، بغير الليل. صحاح»، وظل يظلُّ: دام واستمرَّ ليلاً، وسمعَ في الشعر: ظل نهارهُ، وقيل: ظلَّ بمعنى صارَ من دون تقييد بالليل أو النهار.

وَاجْعَلْنَا مِنْ(١) أرْضى مَنْ مَرَّ(٢) عَلَيْهِ اللَّيْلُ والنَّهارُ مِنْ جُملَةِ(٣) خَلْقِكَ، أشْكَرَهُم(٤) لِمَا أولَيْتَ(٥) مِنْ نِعَمِكَ، وأقْوَمَهُم(٦) بِمَا(٧) شَرَعْتَ(٨) مِنْ شَرائِعِكَ، وَأوْقَفَهُم(٩) عَمَّا حَذَّرْتَ(١٠) مِنْ نَهْيِكَ(١١).

اليوم ـ باعتباره الوقت الممتد من الصباح إلى المساء ـ يكون مصاحباً للإنسان الذي يظل ـ أي يعيش ـ خلال الوقت فيه، وهو بمنزلة البيتوتة في الليل، وهذا قد يتصف باليمن والفضيلة، كما قد يتصف بالنحوسة والصعوبة، وقد دعا الإمام عليه السلام ان يكون اليوم للإنسان المسلم أيمن يوم وافضل صاحب وخير وقت، ثم ذكر معايير لليمن والفضيلة والخير، وهي ان تكون متصفة بما يلي:

---

(١) لم ترد في (ي) وبعض النسخ: «من».

(٢) في (ف): «يمرّ».

(٣) لم ترد في (ك) (ش): «جملة»، وفي (ق) (ت) العبارة هكذا: «من جميع خلقك».

(٤) في (ق) (ف) (حاشية ابن إدريس): «وأشكرهم».

(٥) في (ك) العبارة هكذا: «وَأشْكَرَهُ لِمَا أبْلَيْتَ»، وفي (ش): «أشْكَرَهُ لِمَا أبْلَيْتَ»، وفي (ق) (ف) (س) العبارة هكذا: «وَأشْكَرَهُم لِمَا أوْلَيْتَ»، وفي (ف) العبارة هكذا: «وَأشْكَرَهُم لِمَا أبْلَيْتَ»، وفي هامش (س) ما نصّه: «في نسخة ابن إدريس: (أشكرهم)، جرّه مع ما عُطِف عليه على البدلية من (أرضى) كما حكاه المحدّث الجزائري في نور الأنوار: ٨٤، والمدني في رياض السالكين ٢: ٢٧٦، والشيرازي في لوامع الأنوار العرشية ٢: ٣٩٢»، وقوله: أبليت، أي امتحنت واختبرت. وقوله: أوليت، أي أعطيت.

(٦) في (ش) (ي): «وأقْوَمَهُ».

(٧) في (ق) (ف): «لما».

(٨) أقومهم: أي أشد الناس قياماً بما أظهرتهُ لنا من الشرائع، وهي أحكام الدين فرضاً كان أو سنَّة.

(٩) في حاشية (ج): «وأوقفَهُم، وأوقفِهِم- س»، وفي (ش): «وأوقفَهُ»، وفي (ف) (ت): «وأوفقَهُم». وأوقفهم: اسم تفضيل من وقفَ عن الشيء، بمعنى توقفَ وأمسكَ عنهُ ولم يرتكبهُ.

(١٠) في (ك): «جدَدْتَ»، وفي (ش) (ي): «حددت».

(١١) في (ك) العبارة هكذا: «وأقْوَمَهُم بِمَا شَرَعْتَ مِنْ شَرائِعِكَ، وَأوْقَفَهُم عَمَّا جَذَّرْتَ ـ كذا، ويحتمل: «حدَدْتَ» أو «حذَّرْتَ» ـ مِنْ نَهْيِكَ».

١ ـ رضى الله، فإذا كانت الأعمال الّتي يباشرها الإنسان في اليوم مرضية عند الله بأن يكون العامل فيه متقربا بها إلى الله تعالى، وكلما كان العمل أرضى للخلق كان اكثر يُمناً.

٢ ـ الشكر، فإن نعم الله تعالى لاتعّد ولا تحصى، ويغفل الناس عادة عن نعمة الحفظ والسلامة وكذا نعمة الحياة، ولا يمكن ان يكون الإنسان عارفا لقدر النعمة وشاكراً حقيقة إلّا عند تعرّضه لفقدانها.

٣ ـ القيام بالشريعة، فإن الشريعة هي الجادة الوسطى الّتي بها قوام المجتمع العادل، وكلما ابتعد الإنسان عنها يميناً أو شمالا حاد عن الطريق، فيكون الأقوم أكثر يمناً وبركة.

٤ ـ الوقوف عند المناهي، والمناهي سواءً كانت محرمة أو مكروهة انما نهي عنها لما فيما من المفاسد الّتي تؤثر على النفس والاسرة والمجتمع، فيكون الابتلاء بها ابتلاء نحوسة باختلاف الدرجات، ومن كان امسك عنها من غيره، كان اكثر يمناً وبركة.

وبالجملة: فهذه النقاط الأربع معايير للسعادة اليومية الّتي ينبغي ان يتمتع بها الإنسان؛ لانه في نهاية اليوم يشعر بأداء مسؤوليته تجاه نفسه واسرته ومجتمعه.

[٦/١١ ـ عهد يومي]:

اللّهُمَّ إنِّي أُشْهِدُكَ وكفى بك شهيداً[١] وَأُشْهِدُ سَمَاءَكَ[٢] وأرْضَكَ وَمَنْ أسْكَنْتَهُمَا مِنْ مَلائكَتِكَ، وَسَائِرَ[٣] خَلْقِكَ، فِي يَومِي

---

(١) لم ترد في (ك) (ي): «وكفى بك شهيداً».

(٢) في بعض النسخ: «أللّهُمَّ إنِّي أُشْهِدُ سَمَاءَكَ».

(٣) في حاشية (ج): «وسائر، وساير ـ معا» وفي حاشية (ج)ايضا: «أي باقيه، ولا اكلمه سائر اليوم، أي ما بقي منه، مأخوذ من سؤر الإناء، وهو ما بقي منه. والعامة تعني سائر اليوم جميعه، وهو غلط، لقوله صلى الله عليه وآله لعيلان: اختر منهن أربعا وفارق سائرهن. قاله الحريري في درّة الغوّاص».

هَذا، وسَاعَتِي هذِهِ، وَلَيلَتِي هذِهِ[(١)]، ومَسْتَقَرِّي[(٢)] هَذا: أنِّي أشْهَدُ أنَّكَ أنْتَ اللّه[(٣)] الّذي[(٤)] لَا إلَهَ إلَّا أنْتَ، قَائِمٌ بالقِسْطِ[(٥)]، عَدْلٌ[(٦)] فِي الحُكْمِ، رَؤوفٌ بالعبادِ[(٧)]، مَالِكُ المُلْكِ[(٨)]، رحيمٌ بالخَلقِ[(٩)]. وأنَّ مُحَمَّداً[(١٠)] عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، وَخِيَرَتُكَ مِنْ خَلْقِكَ، حَمَّلْتَهُ رِسَالَتَكَ[(١١)] فأدَّاهَا، وأمَرْتَهُ بالنُّصْحِ[(١٢)] لأُمَّتِهِ، فَنَصَحَ لَهَا.

وخصّ الإمام عليه السلام هذا المقطع بالشهادتين لانهما أساس العقيدة الّتي هي اساس الشريعة، ولا يمكن للمجتمع الإسلامي ان يكون مجتمعاً متكاملا من دون

---

(١) في (ف): «وليلة هذه»، ولم ترد في (ق): «هذه»، وفي بعض النسخ: «في سَاعَتِي هذه في مستقري».

(٢) العبارة في (ت) هكذا: «في يومي هذا وليلتي هذه ومستقري هذا وسَاعَتِي هذه أني أشهد..»، ولم ترد في (ك): «وسَاعَتِي هذه وليلتي هذه و»، ولم ترد في (ف): «و»، والمستقر: مكان الاستقرار.

(٣) لم ترد في (ش): «أنت الله».

(٤) لم ترد في (ف): «الذي».

(٥) أي قائم بالعدل، أي تجري العدل على سنن الإستقامة، أو مقيم بالعدل فيما تقسم من الأرزاق والآجال، و«عدلاً في الحكم» كالمفسر لهذهِ الجملة. (انظر رياض السالكين ٢: ٢٨٧).

(٦) في (ك) العبارة هكذا: «قَائِماً بالقِسْطِ عَدلاً»، وفي (ق) (ت) العبارة هكذا: «قَائِماً بالقِسْطِ عَادلاً».

(٧) في (ك): «بالخلق»، وفي (ق) العبارة هكذا: «رؤوفاً بالعبادِ».

(٨) في (ك) العبارة هكذا: «مَالِك للمُلْكِ»، وفي حاشية (ج) هكذا: «مَالِك للمُلْكِ ـ س».

(٩) في (ف) العبارة هكذا: «قَائِما بالقِسْطِ عَدْلا فِي الحُكْمِ، رؤوفاً بالعبادِ، مَالِكاً للمُلْكِ رحيماً بالخلقِ»، وفي (ش) وردت العبارة هكذا: «عادلاً في الحكم، وفيّاً بالحق، مالكاً للملك»، وفي (ق) العبارة هكذا: «رحيماً بالخلقِ»، ولم ترد في (ك): «رحيم بالخلق».

(١٠) في (ش) زيادة: «صلى الله عليه وعلى آله»، وفي (ف) زيادة: «صلى الله عليه وسلم»، وفي (ت) زيادة: «صلى الله عليه وآله».

(١١) العبارة في بعض النسخ هكذا: «رسالاتك».

(١٢) في (ك) العبارة هكذا: «وأمَّرْتَهُ بالنُّصْحِ»، والنصح: كلمة جامعة معناها: الدُّعاء إلى ما فيهِ الصلاح والنهي عما فيهِ الفساد. (رياض السالكين ٢: ٢٩٤).

ا الأساس الرصين في كل يوم، فالتأكيد على الشهادتين في كل صباح ومساء
د يومي، يأخذ المسلم فيه على نفسه تطبيق ما يستلزمه من الواجبات. واكّد
ى العهد باستشهاد الله تعالى ومخلوقاته من الارض والسماء والملائكة والخلق
معين في كل لحظة من اليوم أو الليل، وفي أي مكان يستقر فيه المسلم،
صوص الشهادتين مقتبسة من القران الكريم والسنة المطهرة.

فالشهادة الأولى بأن الله تعالى الذي:

١ ـ لا إله إلّا هو.

٢ ـ قائم بالقسط.

٣ ـ عدل في الحكم.

٤ ـ رؤوف بالعباد.

٥ ـ مالك الملك.

٦ ـ رحيم بالخلق.

وقد بينها المتكلمون في علم الكلام.

وأمّا الشهادة الثانية فإنّ محمداً صلى الله عليه وآله:

١ ـ عبد الله.

٢ ـ رسول الله.

٣ ـ خيرة الخلق.

٤ ـ أدّى الرسالة.

٥ ـ نصح الأُمّة.

وقد شرحت كتب السيرة هذه الصفات العطرة للرسول القائد صلى الله عليه وآله بعنوان:
حلية رسول الله صلى الله عليه وآله)[1].

) وحلية رسول الله (صلى الله عليه وآله) على ما رواه ابن عساكر، في كتاب: (تاريخ مدينة دمشق) كما يلي: أخبرنا أَبُو طاهر مُحَمَّد بن مُحَمَّد السّنجي وأَبُو مُحَمَّد بختيار بن عَبْد الله الهندي ـ واللفظ لحديثهما ـ قالا: أنبأنا أَبُو سعد مُحَمَّد بن عَبْد الملك بن عَبْد القاهر الأسدي، أنبأنا أَبُو علي الحسن بن أَحْمَد بن إِبْرَاهيم بن شاذان، قالا: أنبأنا أَبُو مُحَمَّد الحَسَن بن محمّد بن يَحْيَى بن الحَسَن بن جعفر بن عُبيد الله بن الحُسَين بن علي بن =

....

= الحُسَين بن علي بن أبي طالب ـ قال أَبُو عَبْد الله: الثقفي، صاحب كتاب النسب، وقال ابن شاذان: المعروف بابنأخي طَاهر العلوي: أنبأنا إِسْمَاعيل بن مُحَمَّد بن إِسْحَاق بن جعفر بن مُحَمَّد بن علي بن الحُسَين [بن علي بن أبي طالب ـ زاد أَبُو عَبْد الله: أَبُو مُحَمَّد ـ بالمدينة سنة ثلاث وستين ومائتين، حدَّثني علي بن جعفر بن مُحَمَّد ـ زاد ابن شاذان: ابن علي بن الحُسَين ـ عن أخيه موسى بن جعفر، عن جعفر بن مُحَمَّد، عن أبيه مُحَمَّد بن علي، عن علي بن الحُسَين] قال: قال الحَسَن بن علي: قال: سألت خالي هند بن أبي هالة عن حلية رَسُول الله (صلى الله عليه وآله)، وكان وصّافاً وأنا أرجو أن يصف لي منه شيئاً أتعلّق به.

قال: كان رَسُول الله (صلى الله عليه وآله) فخماً مُفَخَّماً، يتلألأ وَجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع. وأقصر من المشذب عظيم الهَامة، رَجِل الشعر، إن افترقت عنفقته وإلّا فلا يجاوز شعره شحمة أُذنيه إذا هو وفّره، أزهر اللّون، واسع الجبين، أزج الحواجب، سوابغ في غير فرق، بينهما عرق تدره الغضب]أقنى العرنين[له نور يَعلوه، يَحسَبُه من لميتأمله أشمّ، كثّ اللحية، أدعج، سهل الخدين، ضَليع الفم أشنب، مفلج الأسنان، دَقيقالمسربة، كأنّ عنقه جيد دمية في صفاء الفضة، معتدل الخَلق، بادن متماسك، سَواء البطن والصدر، فسيح الصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس، أنور المُتَجَرَّد، موصُول ما بين اللبة والسرّة بشعر يجري كالخط، عاري الثديين مما سوى ذلك. أشعَر الذَراعين والمنكبينوأعالي الصَّدر، طويل الزندين، رَحْبُ الرّاحة، شثن الكفين والقدمين، سَائل الأطراف، سبط القصب، خمصان الأخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء، إذا زالزال تقلّعاً، ويخطو تكفّأً ويمشي هوناً، ذريع المشيةإذا مشى كأنماينحط من صبب وإذا التفت التفت جميعاً، وإذا أقبل أقبل جميعاً، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جُلّ نظره الملاحظة، يسوق أصحابه، ويبدأ من لقي بالسّلام.

قلت: صِف لي منطقه.

قال: كان رَسُول الله (صلى الله عليه وآله) متواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليست له راحة، ولا يتكلم في غير حاجة، طويل السكوت، يفتتح الكلام، ويختمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لافضول فيه]ولا تقصير، ودمثاً[وليس بالجافي ولا المهين، يعظّم النعمة وإن دقّت، لا يذم منها شيئاً. لم يكن يذم ذوّاقاً ولا يمدحه، ولا يقوم ولا يقام لغضبه إذا تُعُرض للحق بشيء حتى ينتصر له، لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفّه كلها، وإذا تعجب قلبهَا، وإذا تحدث أفضل لها فضرب بإبهامه اليمنى باطن راحته اليسرى، وإذاغضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه، جُلّ ضحكه التبسّم، ويفتر عن مثل حب الغمام. =

قال: فكتمتها الحُسَين بن علي زماناً، ثم حدّثته بها فوجدته قد سبقني إليه، وسأل أباه عن مدخل رَسُول الله (صلى الله عليه وآله) ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع منه شيئاً.
قال الحُسَين: سألت أبي (عليه السلام) عن دخول رَسُول الله (صلى الله عليه وآله).
فقال: كان دخوله لنفسه مأذون له في ذلك، فكان إذا أوى إلى منزله جزّأ دخوله ثلاثة أجزاء: جزءاً للّه تبارك وتعالى، وجزءاً لنفسه، وجزءاً لأهله. ثم جزّء جزءه بينه وبين الناس، فيردّ ذلك على العامة بالخاصة لا يدّخر عنهم شيئاً.
فكان من سيرته من جزء الأمة: إيثار أهل الفضل بإذنه، وقسمه على قدر فضلهم في الدين: منهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج؛ يتشاغل بهم ويشغلهم فيما يصلحهم والأمة من مسألته عنهم، ويقول: «ليبلّغ الشاهد الغائب» و«أبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغي حاجته» و«من أبلغ سلطاناً حاجة مَن لا يستطيع إبلاغها، ثبّت الله تعالى قدميه يوم القيامة». لا يذكر عنده إلّا ذلك، ولا يقبل من أحد غيره. يدخلون رُوَّاداً، ولا يتفرقون إلّا عن ذواق، ويخرجون أدلّة ـ يعني فقهاء ـ.
قلت: أخبرني عن مخرجه، كيف كان يصنع فيه؟
قال: كان رَسُول الله (صلى الله عليه وآله) يخزُنُ لسانه إلّا ممّا يعنيهم ويُؤَلّفهم ولا يفرّقهم، يكرم كريم كل قوم ويُولّيه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم [من] غير أن يطوي عن أحَد بُشرَه ولاخُلُقَه. ويتفقّد أصحابه ويسأل الناس عمّا في الناس، ويحسّن الحَسَن ويقوّيه، ويقبّح القبيح ويُوهنه، معتدل الأمر غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يَملّوا. لكل حال عنده عتاد، لا يقصر عن الحقّ ولا يجاوز إلى غيره، الذين يَلونه من الناس خيارهم، وأفضلهم [عنده] أعمهم لنصحه، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مُواسَاة ومُؤَازرة.
فسألته عن مجلسه، عما كان يصنع فيه؟.
قال: كان رَسُول الله (صلى الله عليه وآله) لا يجلس ولايقوم إلّا على ذكر، ولايوطن الأماكن وينهي عن إيطانها، وإذا انتهى إلى القوم جلس حيث ينتهي المجلس، ويأمر بذلك. ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه. من جالسه أو قاومه لحاجة صاوبه حتى يكون هو المنصرف عنه. من سأله حاجة لم يردّه إلّا بها، أو بميسور من القول. قد وسع الناس بسطه وَخلقه، فصار لهم أباً، وصاروا له عنده في الحق متقاربين يتفاضَلون فيه بالتقوى، متواضعين يُوقرون الكبير، ويرحمون الصغير، ويرفدون ذا الحاجة، ويرحمون الغريب.
فسألته عن سيرته في جلسائه.
فقال: كان رَسُول الله (صلى الله عليه وآله) دائم البُشر، سهل الخُلُق، ليّن الجانب، ليس بفظّ ولا غليظ ولاسخّاب ولا فحّاش، ولا عيّاب، ولا مدّاح. ولا يتغافل عما لا يشتهي، =

[٦/١٢ـ الصلاة على النبيّ وآله]:

أللّهُمَّ فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ[(١)] أكْثَرَ مَا صَلَّيْتَ[(٢)] عَلَى أحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ، وَآتِهِ[(٣)] عَنَّا[(٤)] أفْضَلَ مَا آتيتَ[(٥)] أحَداً مِنْ عِبَادِكَ، وَاجْزِهِ[(٦)] عَنَّا أفْضَلَ وَأكْرَمَ[(٧)] مَا جَزَيْتَ أحداً مِن أنْبِيَائِكَ[(٨)] عَنْ

= ولا يؤيس منه. قد ترك نفسه من ثلاث: [المراء، والإكثار منه، وما لا يعنيه. وترك الناس من ثلاثة:] كان لا يذمّ أحداً، ولا يعيّره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، وإذا تكلّم سكتوا وإذا سكت تكلّموا، لا يسارعون عنده الحديث. من تكلّم نصتوا له حتى يفرغ. حديثهم عنده حديث إليهم، يضحك ممايضحكون منه، ويتعجّب مما يتعجبون منه، ويصبر الغريب على الجفوة في المنطق. ويقول: «إذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فأرفدوه»، ولا يقبل الثناء إلّا من مكافئ ولايقطع على أحد حديثه حتى يجوزه فيقطعه بانتهاء أو قيام.

قلتُ: فكيف كان سكوته عليه الصلاة والسلام؟

قال: كان سكوته عليه الصلاة والسلام على أربع: على الحكم، والحذر، والتقدير، والتفكّر.

فأمّا التقدير، ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس. وأمّا تفكّره، ففيما يفنى ويبقى، وجمع له] (صلى الله عليه وآله) الحلم والصبر[، فكان لا يغضبه شيء ولايستفزّه. وجمع له في الحذر أربع: أخذه بالحَسَن ليقتدى به، وتركه القبيح لينتهي عنه، واجتهاد الرأي فيما أصلح أُمّته، والقيام لهم فيما جمع لهم أمر الدنيا والآخرة (تاريخ مدينة دمشق ٣: ٣٣٨ ـ ٣٤٢).

وللتفصيل عن كل ذلك، راجع «موارد الاعتبار في سيرة النبيّ والائمة الاطهار»؛ للمؤلف، الجزء الأول، الصفحة: ٢١ وما بعدها.

(١) في (ش): «فَصلّ عليه».

(٢) في (ك) العبارة هكذا: «ألّلهُمَّ فصَلِّ عَلَيه كأتمّ ما صليت».

(٣) في (ق) (ت) العبارة هكذا: «وأنله».

(٤) لم ترد في (ش) (ق) (ت): «عَنّا».

(٥) في (ك) (ق) (ف) (ت) العبارة هكذا: «وأنله أفضل ما أنلت».

(٦) «أجزه»، أمر من جزى يجزي: إذا فعلَ بِهِ ما يقابل فعله.

(٧) في (ت) زيادة: «وأجزل».

(٨) في (ش) (ف): «من الأنبياء»، وفي (ك): العبارة هكذا: «وَاجْزِهِ عَنَّا أكْرَمَ مَا جَزَيْتَ نبياً مِنَ الأنْبِيَاءِ»، وفي بعض النسخ العبارة هكذا: «وَاجْزِهِ عَنَّا أجزلَ مَا جَزَيْتَ أحداً مِنَ الأنْبِيَاءِ».

ـهِ[١]. إِنَّكَ أَنْتَ[٢] المَنَّانُ بالجَسِيْمِ[٣]، الغَافِرُ[٤] لِلعَظِيْمِ[٥]، ـنْتَ أَرْحَمُ مِنْ كُلِّ رَحِيْمٍ، فَصَلِّ[٦] عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ[٧] ـطَّاهِرِينَ، الأَخيَارِ الأَنْجَبِينَ[٨].

وتعقيباً على الشهادة الثانية بالنبوّة لمن حمل الرسالة ونصح الأُمّة ختم ـمام عليه السلام هذا الدعاء بالصلوات على النبي محمد وآله؛ وحيث إنه صلى الله عليه وآله أُوذي في ـبل هذه الدعوة وهذه الأمة أكثر ممّن سبقه من الأنبياء حتى قال صلى الله عليه وآله: «ما أُوذي ـ مثل ما أُوذيت»[٩].

واكتفى بالصلاة عليه صلى الله عليه وآله من وجوه:

١ ـ الصلاة بأكثر ما صلى الله على أحد من الخلق، حيث لم يتحمّل في ـيل امته ما تحمّله صلى الله عليه وآله من البعثة إلى الهجرة وحتى الوفاة.

٢ ـ العطاء له من الله عن الأمة بما لا يمكن ان يعادله عطاء، فسأل الله ان

---

(١) في بعض النسخ هنا زيادة: «وأنله أفضل ما أنلت».
(٢) لم ترد في (ك): «أنتَ».
(٣) الجسيم: العظيم.
(٤) في بعض النسخ: «والغافر»، والأصل في الغفر: التغطية، ومنه سمي «المغفر»، لأنه يغفر الرأس، أي يلبسه ويغطيه. والمغفرة من الذنوب إنما هو إلباس الله الناس الغفران وتغمدهم به.
(٥) في (ف) وبعض النسخ: «العظيم».
(٦) في (ق): «وصلّ»، وفي (ف): «صلّ».
(٧) لم ترد في (ت): «الطاهرين».
(٨) في حاشية (ج): في نسخة: «المنتجبين»، ولم ترد في (ف): «الأنجبين»، ولم ترد في (ق) (ت): «الأخيار الأنجبين»، وفي (س): «رجل نجيب: أي كريم الأبوين». (حاشية ابن إدريس: ١٢٧). هذا، ولم ترد في (ك) (ش)عبارة: «وأنت أَرْحَمُ مِنْ كُلِّ رَحِيْم، فصَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ الطيّبين الطّاهرين، الأخيار الأنجبين»، وورد بدلها ما يلي: «وأنت الأرحم من كلّ رحيم».
(٩) بحار الأنوار ٣٩: ٥٦.

يعطه أفضل العطاء مما يعطى لأي فرد آخر من العباد؛ حيث أن العطاء بإزاء النصح للأمة، فكان يجب على الأمة ذلك، وحيث أنهم عاجزون عنه، فالمسؤول هو الله.

٣ ـ الجزاء على النبوّة، بأن يكون اكثر من غيره من الأنبياء عليهم السلام؛ لانه ما أوذي نبيٌ مثل ما أُوذي صلى الله عليه وآله، والله سبحانه هو المسؤول في كل ذلك؛ إذ لا يمكن المكافأة على ذلك لغيره تعالى المنّانّ بالجسيم الغافر للعظيم وأرحم الراحمين.

[الدُّعاءُ السابع]

وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام إذا عرضت له مهمّة أو نَزَلَتْ به مُلِمَةٌ وعند الكرب[1]

١/٧ ـ صفات المستغاث به]:

[أللّهُمَّ][2] يَا مَنْ تُحَلُّ بِهِ عُقَدُ[3] المَكَارِهِ، وَيَا مَنْ يُفْثَأُ[4] بِهِ حَدّ[5] الشَّدَائِدِ[6].

---

(١) وردَ هذا الدُّعاء في (ك) برقم (٢٦) بعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام إِذَا نَزَلَتْ به مُهِمَّةٌ»، وفي (ش) برقم (٣٠) بعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام إِذَا عرضت له مهمة أو نَزَلَتْ به مُلِمَّةٌ وعند الكرب»، وفي (ج) بعنوان: «السابع: وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام إِذَا عرضت له مهمة أو نَزَلَتْ به مُلِمَّةٌ وعند الكرب»، وفي (ق) بعنوان: (السابع)، وتحته عنوان: «إِذَا نَزَلَتْ به مُهِمَّةٌ»، وفي (ت) بعنوان: (السابع)، وتحته عنوان: «إِذَا نَزَلَتْ به مُهِمَّةٌ وعند الكرب»، وفي (ف) بعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام إِذَا نَزَلَتْ به مُهِمَّةٌ»، وفي (حاشية ابن إدريس) برقم (٧) وبعنوان: «دُعاؤُهُ في المهمات».

(٢) ما بين المعقوفتين من (ق) (ف).

(٣) في (ت): «يا مَن لا تَحِلُّ»، وهو مِن حَلّ بالشيء: إذا نزل به، والعقد: جمع عقدة، وهي الموضع الذي ينعقد فيهِ الحبل والخيط وأمثالهما، وهنا كناية عن الصعاب المتعقّدة. والمكاره: جمع مكرهة، وهو ما يكرههُ الشخص ويشقّ عليهِ. وحلّ العقد: نقضها.

(٤) في (ق) (ت): «يفلُّ»، وفي (ف): «تعبأُ»، وفي حاشية (ج): «أي يسكن»، وفي (س): «فثأت الرجل: إذا كسرته عنك بقول أو غيره وسكّنت غضبه». (حاشية ابن إدريس: ١٢٩).

(٥) في (ف): «حلُّ».

(٦) في (ك): «حمي الشدائد»، وفي (ش) العبارة هكذا: «ويا من تفرج به الشدائد». والحمى: الشدة والغضب، يقال: حمى عليهِ: إذا غضبَ عليهِ، ويفثأُ: يسكّن ويكسر، يريدُ عليه السلام: يا من بهِ يكسر سورة كلِّ ما اشتدَّ من الخطوب.

[وَيَا مَنْ بِيَدِهِ قَصْمُ[١] عُرَى النَّوَائِبِ][٢] وَيَا مَنْ يُلْتَمَسُ[٣] مِنْهُ[٤] المَخْرَجُ إلى رَوْحِ[٥] الفَرَجِ[٦]، ذَلَّتْ لِقُدْرَتِكَ[٧] الصِّعابُ، وَتَسَبَّبَتْ[٨] بِلُطْفِكَ الأسْبَابُ، وَجَرَى بِقدرتِكَ[٩] القَضَاءُ، وَمَضَتْ[١٠] عَلَى إرادتكَ[١١] الأشْيَاءُ، فَهِيَ بِمَشَيَّتِكَ[١٢] دُونَ

---

(١) كذا، ويحتمل: «فصم». من قولهم: دملج مفصوم، أي مكسور من غير بينونة، يقال: فصم وما قصم، وانفصمت الدرة: انصدعت ناحية منها، وإذا انصدع الجدار قيل: قد فصم، وفي الجدار فصمة، وقولهم: ما فيه قصم ولا فصم، وبه قصم وهو أقصم، وانقصمت ثنيته، ولو سألتني قصمة سواك ما أعطيتك، أي نفاثته ـ وهي بالفتح والكسر أيضاً ـ وهي الشظية منه تبقى في المستاك فينفثها، وفي الحديث: «استغنوا عن الناس ولو عن قصمة السواك»، وهذه الدرجة فيها ثلاثون قصمة، أي مرقاة، وفي النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٤: ٧٤)، في صفة الجنة: «ليس فيها قصم ولا فصم»، القصم: كسر الشيء وإبانته، وبالفاء: كسره من غير إبانة. والعرى بضم العين وفتح الراء: جمع العروة بالضم والسكون، وهي المَقْبِضُ، وعُرْوَةُ الدَّلْوِ والكوزِ ونحوه: مَقْبِضُه. وقوله: انفصام في العُرى أي ضَعْف فيما يَعْتَصِم به الناس. وقولهم: عَرَّى المَزادَةَ: اتَّخَذَ لها عُرْوَةً؛ هكذا هو مَضْبوطٌ في النسخ: «عَرَّى» بالتَّشْدِيدِ، أو «عَرَا» بالتَّخْفِيفِ كما هو نَصُّ المُحْكم. وفي التَّكْملةِ: عرِّ المَزادَةَ: أي اتَّخِذْ لها عُرْوَةً. وضَرَبَها اللَّهُ مَثَلاً لَمَا يُعْتَصَم بهِ مِن الدِّين فِي قوْلِهِ؛ ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ (سورة البقرة٢: ٢٥٦ وسورة لقمان٣١: ٢٢)، والنوائب: جمع نائبة، وهي ما ينوب الإنسان: أي ينزل به من المهمات والحوادث. (النهاية ٥: ١٢٣).

(٢) ما بين المعقوفتين من (ف) فقط.

(٣) يلتمسُ: يطلبُ.

(٤) في (ش) (ف): «به».

(٥) في (ك) (ش): «محلّ».

(٦) في (ف): «الفرح».

(٧) في (ش) (ق) (ف) (ت): «بقدرتك».

(٨) في (ش): «واتسقت».

(٩) في (ك) (ش) (ق) (ت): «بطاعتك»، وفي (ف): «طاعتك».

(١٠) في (ف): «ومضى»، ومضت: أي نفذت وتحققت.

(١١) في (ك) (ش): «ذكرك».

(١٢) في (ف): «لمشيتك»، وفي حاشية (ج): «بمشيتك، بمشيئتك ـ معا». والمراد بالمشيئة ـ هنا ـ علمه بما في الأفعال والموجودات من المصلحة.

ِلِكَ(١) مُؤتَمِرَةٌ، وَبِإِرَادَتِكَ دُونَ نَهْيِكَ(٢) مُنْزَجِرَةٌ. أَنْتَ المَدْعُوُّ مُهِمَّاتِ(٣)، وَأَنْتَ المَفْزَعُ(٤) فِي المُلِمَّاتِ(٥)، لَا(٦) يَنْدَفِعُ مِنْها ٠ مَا دَفَعْتَ، وَلَا يَنْكَشِفُ مِنْهَا(٧) إِلَّا مَا كَشَفْتَ.

موضوع الدعاء في نزول المهمّة، أي الحالة الموجبة للهم، والملمّة، أي حالة النازلة غير المتوقعة، والكرب: الغم الشديد، وهي حالات روحية شديدة ـقر الإنسان فيها إلى ما يسكن الروع ويرفع الهم وينفّس الكرب ويهوّن الغم.

وقد استفتح الدعاء بصفات إلهيّة لا تنحل هذه المشاكل الروحية إلّا بها، ادي السائل ربّه بها، وهي:

١ ـ مَن تحلّ به عُقدُ المكاره، والمكاره في أنفسها مشقّة، فكيف إذا ـدت! فيكون موضوع العُقدة أشد مشقة.

٢ ـ مَن يفثأ به حدّ الشدائد، والفثأ: التسكين. والشدائد في انفسها فضيعة خطب، فكيف بها إذا كانت حادة! فتفتقر إلى تسكين أكثر من الخطب الذي لا ون بهذه الشدة من الحدّة.

٣ ـ مَن يلتمس منه المخرج من تلك العقد والحدائد، حيث ان لكل مشكلة ـرج، دون تلك العقد والحدائد، حيث لا يكون منها راحة الفرج إلّا من الله

---

(١) في حاشية (ج) في نسخة: «وحيك».

(٢) في (ت): «دون زجرك»، وفي (ك) (ش) (ق) (ف): «دون وحيك»، أي أنَّها لا تحتاج في انتهائها عما لا تريدهُ إلى القول والوحي، بل مجرد الارادة كافية في تحققها.

(٣) في (س): «المهم: الأمر الشديد. وتلحقه التاء. س». (حاشية ابن إدريس: ١٢٩).

(٤) في (س): «المفزع: الملجأ». (حاشية ابن إدريس: ١٢٩).

(٥) في (ش) (ف) (ت): «للملمات»، والملمَّات: الشدائد، وفي حاشية (ج): «أي ما يلم بالإنسان من الأمور العسرة، أي ينزل، قاله المطرزي». وفي (س): «الملمّة: النازلة من نوازل الدنيا». (حاشية ابن إدريس: ١٢٩).

(٦) في (ق): «ما».

(٧) لم ترد في (ف): «منها».

تعالى وبقدرته الحاكمة على كل ما يحل تلك العقد، ويفرّج به عن تلك الحدائد بالراحة والسكينة؛ لانه على كل شيء قدير.

٤ ـ مَن تذل الصعاب لقدرته، فكل صعب يصبح ضعيفاً ويكون سهلا امام قدرته الكاملة.

٥ ـ مَن اصبحت الأسباب أسباباً بقدرته، ولولا لطفه بتقدير تلك الأسباب لما أثّرت في المسبّبات.

٦ ـ مَن القضاء والقدر المحتوم يكون بقدرته دون غيره.

٧ ـ مَن تنفذ ارادته على الأشياء، فتكون ارادته تعالى ماضية. والإمضاء يعني النفوذ في كل شيء تعلقت به ارادته، وذلك يستلزم ان تكون الأشياء مؤتمرة بالمشيئة دون القول، وانها مزدجرة بالارادة دون النهي باللفظ؛ وذلك لأن المؤثر الأصلي في تحقّق الأشياء بالنسبة إليه تعالى هو الإرادة والمشيئة.

وأما القول المعبّر عنه بالأمر والنهي فليس إلّا كاشفاً عن تلك الارادة، فلا يكون للقول اثر سوى الكشف والبيان عن الارادة المؤثرة، وقد أشرت إلى هذا البحث في «اوضح البيان» في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1] حيث اختلف المفسرون في ذلك. وعامة المفسرين على ان القول لا أثر له في التحقّق، بل المؤثر هو الارادة الإلهيّة، فيكون الشيء خارجاً، وان القول كاشف عن ذلك، وإلّا لاستلزم العجز والافتقار إلى اللفظ، وتعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

وبناء على ذلك تكون ارادة الله تعالى نافذة من دون حاجة إلى ما يكشف عن وجودها؛ لأن الأمر والنهي حقيقة تكون في مرتبة الارادة بالنسبة إليه تعالى.

فنصّ الدعاء يعني ان الأشياء تأتمر بالمشيئة الإلهيّة دون قوله تعالى؛ لأن القول كاشف عن المشيئة، وان الأشياء تنزجر بالارادة الإلهيّة دون النهي اللفظي الكاشف عن الزجر.

٨ ـ مَن يُدعى للمهمّات المستعصية من الأمور الّتي تشتد على الإنسان.

---

(١) القرآن الكريم، سورة يس ٣٦: ٨٢.

٩ ـ مَن يُفزع إليه في الملمّات، فهو الملجأ فيما يلمّ بالإنسان من الشدائد.

وهذه الصفات الّتي لا يمكن ان تتحقق إلّا لمن بيده القدرة المطلقة الحاكمة ى كل الاشياء والمخلوقات.

وبالنتيجة: لا تدفع من الملمّات والمهمّات إلّا بما يدفعه الله عن العباد، ' ينكشف منها الا ما يكشفه الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

/٢ ـ عِظَمُ المصيبة]:

وقَدْ[2] نَزَلَ بِي ـ يَا رَبِّ ـ مَا تكَأَدَّنِي[3] ثِقْلَهُ[4]، وَأَلَمَّ بِي مَا[5] بَهَظَنِي[6] حَمْلَهُ[7]، وَبِقُدْرَتِكَ أَوْرَدْتَهُ عَلَيَّ، وَبِسُلْطَانِكَ[8]

---

(١) القرآن الكريم، سورة الأنعام ٦: ١٧.

(٢) في (ك) (ف): «قد».

(٣) في (ك): «مَا تَكَأَدَّ بِي»، وفي (ق) (ف): «مَا تَكَآءَ دَنِي»، وفي (س): «ما قد تكأدني»، وفيه أيضاً: «تكأّدني الشيء وتكاءدني: أي شق عليّ». (حاشية ابن إدريس: ١٢٩)، وفي حاشية (ج): «عقبة كؤود: شاقة المصعد. وتكادني الشئ وتكاءدنى، أي شق علي، تفاعل وتفعل بمعنى، قاله الجوهري». (الصحاح ٢: ٥٢٩). وتكأَدَّ بالتشديد والهمز من باب التّفعل وبالمدّ أيضاً من باب التفاعل مضارع تكأد، يقال تكأّدني الأمر وتكائدني، أي شقّ عليّ، وعقبة كؤدة صعبة. وفي الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري (ص ٤٤٣): الفرق بين قولك: تكأدني الشيء، وقولك: شقّ عليّ: أن معنى قولك: تكأدني آذاني، ومعنى قولك: شقّ عليّ بعد، والأشق الطويل سمي بذلك لبعد أوله من آخره، والشقة: البعد والشقة من الثياب ترجع إلى هذا، وأما قولهم: بهظني الشيء، معناه شق عليّ حتى غلبني، والباهظ: الشاق الغالب.

(٤) في (ف): «نقله».

(٥) لم ترد في (ق) (ف) (ت): «قد».

(٦) ألَمَّ الرجل بالقوم: نزلَ بهم، وبهظني: أثقلني.

(٧) من بهضه الحمل: إذا أثقله، يقال: بهضه الحمل يبهضه بالضاد، أي أثقله وأعجزه، وبالظاء أكثر.

(٨) في (ك) (ر) (ش): «وسلطانِكَ»، والسلطان: قدرة المُلك، وهو أخص من مطلق القدرة.

وَجَّهْتَهُ إلَيَّ، فَلَا مُصْدِرَ[١] لِمَا أوْرَدْتَ[٢]، وَلَا صَارِفَ[٣] لِمَا وَجَّهْتَ، وَلَا فَاتِحَ لِمَا أغْلَقْتَ، وَلَا مُغْلِقَ لِمَا فَتَحْتَ[٤]، وَلَا مُيسِّرَ لِمَا عَسَّرْتَ، وَلَا ناصِرَ لِمَن[٥] خَذَلْتَ.

وقد وصف هذا المقطع عظم المصيبة بأوصاف يفتقر في حلها إلى عناية الله سبحانه لتهوين المصائب وحل الشدائد، وهي:

١ ـ الثقل الصعب. وتكأد بمعنى صعب، والثقل الروحي أشد وأصعب من الثقل المادي، حيث أنه قد يؤثر في الرؤية الحقيقية للواقع، وقد يستلزم اتخاذ قرار غير صائب بسبب الحالة الّتي يعيشها المكروب.

٢ ـ الحمل الشاق. وبهض بمعنى شقّ، والألم الروحي من المصائب أشد من الالم الحاصل من الجرح الجسدي، وهذان الوصفان يعبّران عن عمق الحاجة إلى العناية الربانية لكشف الضّر الذي وقع الإنسان فيه.

ثم أشار الإمام عليه السلام إلى ان الضرّ الذي وقع فيه الإنسان كان بإرادة إلهيّة، إمّا لتقصير الإنسان في بعض ما عليه من الحقوق، أو بتقصيره في اداء الواجبات الإنسانية تجاه نفسه واهله ومجتمعه، أو لامتحان عرّضه الله له وقاية عمّا هو أشد وأفدح.

ومهما كانت الأسباب فإنها بقدرة الله وارادته وردت على الإنسان، وبسلطانه تعالى وجهت اليه، فلا يكون مخرجاً له إلّا بقدرة الله سبحانه وسلطانه برفع الثقل وحط الحمل.

وقدرة الله سبحانه هي الحاكمة على كل ذلك، وبالنتيجة:

---

(١) في (ش) (ق) (ف): «ولا مصدر»، وفي حاشية (ج)في نسخة: «ولا»، والإصدار: الصرف بعد الورود. أي لا رادَّ لقضائِكَ ولا دافعَ لبلائِكَ.

(٢) في (ت): «لما أوردته».

(٣) صرفهُ عن وجهه: ردَّهُ وكفأهُ ودفعهُ.

(٤) لم ترد في (ف): «وَلَا مُغْلِقَ لِمَا فَتَحْتَ».

(٥) في (ف): «لما».

١ ـ لا مُصدر ـ بمعنى لا صارف ـ عمّا أورده تعالى سواه.

٢ ـ ولا صارف لما وجّهه تعالى غيره.

٣ ـ ولا فاتح لما أغلقه الله سواه.

٤ ـ ولا مغلق لما فتحه الله، غيره.

٥ ـ ولا ميسّر لما عسّره الله، سواه.

٦ ـ ولا ناصر لمن خذله الله، غيره.

فإن المذكورات تحققت بقدرة الله تعالى، ولولا ارادته ـ لأيّ سبب كان ـ تحققت في الخارج، فالمخرج من هذه الكروب لايكون إلّا بيد الله تعالى، الصارف الفاتح المغلق الميسّر والناصر الذي ينبغي ان ينحصر التوجّه إليه، ن سواه.

/٣ ـ طلب الفرج]:

فَصلّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وافْتَحْ لِي ـ يا رَبِّ ـ بَابَ[١] الفَرَجِ وْلِكَ[٢]، وَاكْسِرْ عَنِّي[٣] سُلطَانَ الهَمِّ بِحَوْلِكَ[٤]، وأنِلْنِي حُسْنَ نَظَرِ فِيْمَا شَكَوْتُ، وأذِقْنِي حَلَاوَةَ الصُّنْعِ[٥] فِيْمَا سَأَلْتُ [وَأَرِنِي جَابَةَ فِيمَا دَعَوْتُ][٦]. وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ رَحمَةً وفَرَجاً هَنِيئاً[٧]،

---

(١) في (ك) (ف) العبارة هكذا: «فافْتَحْ لِي بَابَ»، وفي (ش): «فافتح لنا باب».

(٢) الطول: الفضل، وباب الفرج: أي سببهُ، من باب الاستعارة.

(٣) في «ش»: «عنّا».

(٤) في (ش) زيادة: «وقوّتك»، والسلطان هنا: التسلّط، وسلطان الهمّ: استعارة عن تسلط الهم، والحول: القدرة على التصرُّف.

(٥) حلاوة الصنع: أي ما يوجبُ انبساط النفس وسرورها بما تصنعهُ بي كإجابة سؤلي.

(٦) ما بين المعقوفتين من (ف) فقط.

(٧) في حاشية (ج): «هنيئا، هنيّا ـ معا»، وفي (ك) (ش) العبارة هكذا: «وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ فرَجاً هَنِيْئَاً»، وفي (ف) (ت) العبارة هكذا: «وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ فرَجاً قريباً هَنِيْئَاً»، والهنيء: اليسير المتحقّق من غير مشقة وعناء.

وَاجْعَلْ لِي مِنْ عِنْدِكَ(١) مَخْرَجاً وَحِيّاً(٢)، وَلَا تَشْغَلْنِي بالاهْتِمَامِ عَنْ تَعَاهدِ فُرُوضِكَ(٣) وَاسْتِعْمَالِ سُنَّتِكَ(٤) [وَمُوَالاةِ أَولِيائِكَ، وَمُعادَاةِ أعدَائِكَ](٥)، فَقَدْ(٦) ضِقْتُ لِمَا نَزَلَ بِي(٧) - يا ربّ - ذَرْعاً(٨)، وامْتَلأتُ بِحَمْلِ مَا حَدَثَ عَلَيَّ(٩) هَمّاً، وَأَنْتَ القَادِرُ عَلَى كَشْفِ مَا مُنِيْتُ بِهِ(١٠)، وَدَفْعِ مَا وَقَعْتُ فِيْهِ، فافْعَلْ بِي ذَلِكَ(١١) وَإنْ لَمْ أسْتَوجِبْهُ مِنكَ(١٢) يَاذَا العَرْشِ العَظِيْمِ(١٣).

---

(١) في (ش): «من لدنك».

(٢) في (ق) (ف) (ت): «فَسيحاً وحِياً»، والوحيّ: السريع العاجل، من الوحا - بالقصر والمد - بمعنى السرعة.

(٣) في (ك) (ش) (ف) العبارة هكذا: «تَعَهدِ فُرُوضِكَ»، والاهتمام هنا. منالهمّ، وهو الحزن والقلق، وتعاهد الفروض: القيام بها، أي لا تشغلني بالهم والحزن حتى يكون ذلكَ سبباً لتركِ النوافل والسنن.

(٤) في (ك) (ق) (ت): «واستعمال سننك»وفي حاشية (ج): «سننك - س».

(٥) ما بين المعقوفتين من (ش) (ق) (ف) (ت).

(٦) في (ش): «وقد»، وفي (ف): «قد» بدون واو.

(٧) لم ترد في (ف): «بي».

(٨) في (ش) العبارة هكذا: «وَقَدْ ضِقْتُ يا رب لِمَا نَزَلَ بِي ذَرْعَاً»، وفي (ق) العبارة هكذا: «فَقَدْ ضِقْتُ يا رب بِمَا نَزَلَ بِي ذَرْعَاً»، وفي (ت) العبارة هكذا: «فَقَدْ ضِقْتُ يا رب بِمَا عراني ذَرْعَاً»، وضاق بالأمرِ ذرعاً: إذا لم يطقهُ ولم يقدر عليهِ، ولم يجد لما نزلَ به مخلصاً، وفي (س): «يقال: ضقت بالأمر ذرعاً، إذا لم تطقه ولم تقو عليه». (حاشية ابن إدريس: ١٢٩).

(٩) في (ك) زيادة: «حملا»، وفي الحاشية: «في نسخة: شطب على«حملا»».

(١٠) في (ف) العبارة هكذا: «وَأَنْتَ القَادِرُ [عَلَى] مَا مُنِنْتُ بِهِ»، وفي حاشية (ج): «أي بليت»، ومُنيت بهِ: ابتليتُ بهِ، وفي (س): «منوته ومنيته: إذا ابتليته». (حاشية ابن إدريس: ١٢٩).

(١١) في (ك) العبارة هكذا: «فافْعَلْ ذَلِكَ بِي»، وفي (ف) العبارة هكذا: «فصل على محمد وآل محمد وافْعَلْ ذَلِكَ».

(١٢) في (ت): «منكيا ربّ»، ولم ترد في (ف): «منك».

(١٣) في (ف) زيادة: «إنك على كل شيء قدير»، والعرش: اسم علم يحيط بجميع الأشياء، أو المحيط بجميع الأشياء. (انظر رياض السالكين ٢: ٣٢٢ و٣٢٣).

واستعرض عليه السلام صفات المستغاث، وذكر عظم الكرب وطلب الفرج منها، فتتحاً هذا المقطع بالصلاة على النبي؛ حيث أنّ بها قبول الدعاء في جمل تنبىءُ ن انّ الفرج لا يكون إلّا بما يختص به تعالى من الرحمة، وهي:

١ ـ فتح باب الفرج بطَوله، يعني بفضله تعالى.

٢ ـ كسر سلطان الهم المستولي على الإنسان بحوله، أي بقدرته تعالى.

٣ ـ إنالة حسن النظر، وهو كناية عن كمال الاعتناء بالشكوى.

٤ ـ إذاقة حلاوة الصنع في السؤال بطلب الفرج.

٥ ـ هبة الرحمة الإلهيّة الّتي وسعت كل شيء[١] والفرج الهنيء الميسور.

٦ ـ جعل المخرج وحيّا، والوحيّ بمعنى السريع.

٧ ـ عدم الانشغال بالهمّ، فإن الهمّ والكرب وكذا جميع الملمّات توجب شتغال البال بها، وذلك قد يستلزم عدم الاهتمام بتعاهد الفروض وعدم الاهتمام استعمال السنة والمستحبات، في حين أن عدم اشتغال البال بتلك الهموم يمكّن لإنسان من التركيز على الواجبات، كما ييسر استعمال السنن والمستحبات.

ثم أشار عليه السلام إلى ما يوجب استحقاق الإنسان استجابة الدعاء لبلوغه حالة لعجز التي لا ملجأ فيها سوى الله سبحانه، ولا مستغاث فيه سواه، وقد وصف حالة العجز بضيق الذرع وعدم الطاقة وامتلاء الحمل بحيث لا مجال لحمل ما هو كثر من ذلك، ولا طاقة لتحمّل ما هنالك، فلا كاشف لما مُني به ـ أي ابتُلي به ـ سواه، ولا دافع لما وقع فيه غيره، فإن كان الإنسان غير مستوجب لكشف الضرّ؛ فإنّ عظمة الباريء تعالى الذي هو ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾[٢] والحاكم الذي وسعت قدرته ورحمته كلّ شيء تقتضي أن يشمل عونه المضطرَّ الذي ليس له إلّا الله، حيث إنه لا مغيث سواه.

---

(١) كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾. (القرآن الكريم، سورة الأعراف ٧: ١٥٦).

(٢) القرآن الكريم، سورة البروج ٨٥: ١٥.

[الدُّعاءُ الثامن]

وَكان مِنْ دُعَائِهِ عليه السلام فِي الاسْتِعَاذَةِ من المكاره وسيّئ الأخلاق ومذامّ الأفعال[1]

[١/٨ ـ مبادئ الشرّ]:

أللّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ[2] بِكَ مِنْ هَيَجَانِ الحِرْصِ[3]، وَسَوْرَةِ الغَضَبِ[4]، وَغَلَبَةِ الحَسَدِ، وَضَعْفِ الصَّبْرِ[5]، وَقِلَّةِ القَنَاعَةِ[6]، وشَكَاسَةِ[7] الخُلُقِ،

---

(١) وردَ هذا الدُّعاء في (ك) بالرقم (٣)، وعنوانهُ فيها: «وَمِنْ دُعَائِهِ عليه السلام فِي الاسْتِعَاذَةِ»، وفي (ش) بالرقم (٥)، وعنوانهُ فيها: «وَمِنْ دُعَائِهِ عليه السلام فِي الاسْتِعَاذَةِ من المكاره وسيّئ الاخلاق ومذام الافعال»، وفي (ج) بعنوان: «الثامن: وَكان مِنْ دُعَائِهِ عليه السلام فِي الاسْتِعَاذَةِ من المكاره وسيّئ الاخلاق ومذام الافعال»، وفي (ق) بعنوان (الثامن)، وعنوانهُ فيها: «فِي الاسْتِعَاذَةِ من سيّئ الخلق»، وفي (ت) بعنوان (الثامن)، وعنوانهُ فيها: «فِي مكارم الأخلاق»، وسيأتي بنفس هذا العنوان في الدعاء العشرون من هذه النسخة أيضاً، وفي (ف) بعنوان: «وَكان مِنْ دُعَائِهِ عليه السلام فِي الاسْتِعَاذَةِ من كل ما يكره»، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (٨)، وعنوانهُ فيها: «دُعَاؤهُ فِي الاسْتِعَاذَةِ من المكاره».

(٢) في (ك) (ش) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ إنا نعوذ».

(٣) أي ثورة الجشع والبخل.

(٤) في حاشية (ج): «أي ثورته، أي حدته»، وسورة الشيء: شدتهُ وحدَّتهُ، وتأتي بمعنى البطش أيضاً، وفي (س): «سورة الشيء: حدته». (حاشية ابن إدريس: ١٣١).

(٥) في (ف): «وضعف البصر».

(٦) في (ك) العبارة هكذا: «وَقِلَّةِ القناعة وضعف الصبرِ».

(٧) في حاشية (ج): «أي عسرته»، والشكاسة: الشراسة وسوء الخلق، وفي (س): «رجل شكس ـ بالتسكين ـ أي صعب الخلق». (حاشية ابن إدريس: ١٣١).

ـحاحِ الشَّهْوَةِ[١]، وَمَلَكَةِ الحَمِيَّةِ[٢]، وَمُتَابَعَةِ الهَوَى، وَمُخَالَفَةِ ـدَى[٣]، وَسِنَةِ الغَفْلَةِ[٤]، وَتَعَاطِي الكُلْفَةِ[٥]، وإيْثَارِ البَاطِلِ عَلَى حَقِّ، [والمُدَاوِمَةِ عَلَى المَحَارِمِ][٦] والإصْرَارِ عَلَى المَأثَمِ[٧]، ستِصغَارِ المَعْصِيَةِ[٨]، واستِكبَارِ الطَّاعَةِ[٩]، وَمُبَاهَاةِ مُكْثِرِينَ[١٠]، وَالإزْرَاءِ[١١] بالمُقِلِّيْنَ[١٢]، وَسُوءِ الوِلَايَةِ لِمَنْ ـتَ أيْدِينَا، وَتَرْكِ الشُّكْرِ لِمَن اصْطَنَعَ العَارِفَةَ[١٣] عِنْدَنَا، أوْ أنْ ضُدَ[١٤] ظَالِماً، أوْ نَخْذُلَ مَلْهُوفاً[١٥]، أوْ نَرُومَ[١٦] مَا لَيسَ لَنَا

---

(١) الإلحاح: الدوام والمبالغة في الشيء، والشهوة: حركة النفس طلباً للملائم.
(٢) الحمية: الأنَفَة والغضب، وملكة الحمية: أن يكون التعصّب في غير الحقّ صفة راسخة في النفس.
(٣) في (ج): «الهدي».
(٤) الغفلة: متابعة النفس على ما تشتهيهِ. والسِنَةِ: الفتور، أي الضعف عمّا يقرّب إلى الله إهمالاً.
(٥) الكلفة: ما تكلّفتهُ من نائبة أو حقّ.
(٦) ما بين المعقوفتين من (ف) فقط.
(٧) في (ك) (ق) (ت): «المآثم»، وفي ظاهر (ف): «المآثم».
(٨) في (ف): «والاستكثار من المعصية».
(٩) في (ف): «والاستقلال من الطاعة»، وفي (ق) (ت): «واستكثار الطاعة»، وفي (ك) (ش) العبارة هكذا: «واستكثار الطاعة واستقلال المعصية».
(١٠) في (س): «المباهاة: المفاخرة». (حاشية ابن إدريس: ١٣١)، أي مفاخرة أصحاب الأموال الكثيرة.
(١١) في حاشية (ج): «الازراء: التهاون بالشيء، وازدريته: احتقرته»، والإزراء: الإحتقار.
(١٢) في (ق) (ت) (ف): «على المقلّين»، وفي حاشية (ج): «على المقلين ـ س».
(١٣) في (س): «العارفة: المعروف وهو العطاء». (حاشية ابن إدريس: ١٣١).
(١٤) في (ش) (ق) (ف): «وأن نعضد». ونعضد: نُعين وننصر.
(١٥) في (ف): «مظلوما»، وفي حاشية (ج): «أي مظلوما»، وفي (س): «الملهوف: المظلوم الّذي يستغيث، واللهيف: المضطر، واللهفان: المتحسّر». (حاشية ابن إدريس: ١٣١)، وخذله: ترك نصرته وإعانته.
(١٦) في (ك): «ونروم»، وفي (ش): «وأن نروم».

بِحَقٍّ[(١)]، أوْ نَقُولَ فِي العِلْمِ[(٢)] بِغَيْرِ عِلْم.

يتضمّن الدعاء الاستعاذة بالله تعالى من المكاره وسيّء الأخلاق ومذام الأفعال، والقاسم المشترك الأعظم لها هو الشرّ، وبيّن الإمام عليه السلام في مقاطع الدعاء ما للشر من مبادئ تكون سبباً له، والمبرّرات الشخصية النفسية الّتي تسوّغ للإنسان أعمال الشرّ، والعامل الاجتماعي الذي يساعد على الشر، والعامل الاقتصادي الذي يدعوا إلى الشر، وأخيراً فانّ نتائج الشرّ تطوّق عنق من يأتي بالشرّ عاجلا أو آجلا.

وفي المقطع الأوّل عدّد الأسباب والمبادئ الغالبة للشرّ، وهي في نفسها مذمومة، ولكن لا يوجب الاستعاذة منها إلّا بسبب ما تستلزمه من التعامي عن الحقّ والحقيقة والمسؤولية، وهي:

١ ـ هيجان الحرص. وهو طلب الشيء باجتهاد بالغ وبهيجان الثورة والغلبة.

٢ ـ سَورة الغضب. وهو فقدان ضبط النفس. والسَورة: الحدة، وللغضب مراتب، فالغضب ممن هو فوق الغاضب يدعو إلى الحزن، وممن هو نظيره يدعوا إلى الحقد، وممن هو دونه يدعو إلى الانتقام. وهذه الحالة لمن يتمكن من ضبطها مذموم، ولكنها لا توجب الاستعاذة إلّا من الحدّة منه، لأن المقدار العادي منه ضروري للإنسان للدفاع عن نفسه وشرفه وعقيدته.

٣ ـ غلبة الحسد. وهو كراهية النعمة للآخرين وتمّني زوالها عنهم، وغلبته على الإنسان هو المستعاذ منه.

٤ ـ ضعف الصبر. وهو ملكة حبس النفس على الأُمور الشاقة، والمطلوب قوّته، لا ضعفه.

٥ ـ قلة القناعة، وهي الرضا بالكفاية، وحيث ان للقناعة درجات، فالمستعاذ منه عدمها أو قلتها.

---

(١) أي ندعي أمراً باطلاً.

(٢) في (ش): «وأن نقول العلم».

٦ ـ شكاسة الخُلُق، وهو العادة والطبع، والشكاسة: الشراسة والصعوبة،
ن صعوبة العادة توجب صعوبة الرضوخ للحق، وكلما ترسّخت العادة كان ذلك
صعب، ومن هنا ولدت الحاجة إلى علم الأخلاق والحكمة العملية لتقويم الطبع
ترويضه للفطرة السليمة.

٧ ـ الحاح الشهوة، وهي حركة النفس طلباً للملائم، والالحاح: دوام
طلب؛ فإن التركيز عليها قد تعمي الإنسان عن مسؤولياته في الحياة.

٨ ـ ملكة الحميّة. والحميّة هي العصبية والتي هي حميّة الجاهلية،
ملكتها: استيلاؤها على الإنسان في سلوكه.

٩ ـ متابعة الهوى. والهوى هو ميل النفس إلى الملذّات الدنيوية، ومتابعتها:
الانقياد لها بما يخرج عن الحدود الشرعية والعقلية والعرفية.

١٠ ـ مخالفة الهدى، وهو طريق الصواب المستقيم الذي يوجد في كل عمل
يقوم به الإنسان.

١١ ـ سِنة الغفلة، وهي عدم الالتفات إلى الوظائف.

١٢ ـ تعاطي الكلفة، وهي المشقة، والتعاطي: التناول والتعامل فيما هو
غير ميسور.

١٣ ـ ايثار الباطل على الحق. والباطل: ما لا يجدي نفعاً، وضدّه الحق.
الايثار: التفضيل.

١٤ ـ الاصرار على المأثم، والمأثم: مصدر الإثم، وهو عمل ما لا يحلّ،
الاصرار عليه: المداومة على ما ليس بمشروع.

١٥ ـ استصغار المعصية، وهي التعمد في المخالفة ومعصية الله،
استصغارها: عدّها صغيرة، وهذا موجب للتعوّد عليها.

١٦ ـ استكبار الطاعة، وهي الانقياد مع العلم بأنها طاعة لله تعالى.
استكبارها: عدّها كبيرة مما يكون موجباً للغرور، أو استثقالها عند ارادة
تطبيقها، وهو ناشئ من ضعف الإيمان.

١٧ ـ مباهاة المكثرين، المكثر: مَن أكثر من الشيء، والمراد هنا: كثيروا المال، والمباهاة: التفاخر بالشيء.

١٨ ـ الإزراء بالمقلّين. المقلّ: من قلّت ذات يده، والمراد هنا الفقراء. والازراء: التهاون والاستهزاء.

١٩ ـ سوء الولاية لمن تحت أيدينا، والولاية: الادارة لمن يتولى الإنسان إدارته من الأفراد والأسرة والمجتمع، وضوابطها معروفة في الفقه. والاساءة فيها: عدم القيام بالمسؤولية الواجبة في الادارة.

٢٠ ـ ترك الشكر، والشكر: هو الثناء والدعاء والمكافئة، لمن اصطنع العارفة ـ أي المعروف ـ وترك ذلك يكون نكراناً للواجب والمسؤولية.

٢١ ـ معاضدة الظالم، والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه سواء بالنسبة إلى الأفراد أو الأسرة أو المجتمع، والمعاضدة: المعاونة؛ فإن ذلك من التعاون الذي نهى عنه القرآن الكريم بقوله: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[١].

٢٢ ـ خذلان الملهوف، وهو المضطر المظلوم، والخذلان: ترك النصر بما يتيسّر من اليد واللسان، وهو أضعف الإيمان.

٢٣ ـ قصد الباطل، بأن نروم ـ أي نقصد ـ ما ليس لنا بحق؛ وذلك بالادعاء الباطل زوراً وبهتاناً.

٢٤ ـ القول بغير علم، والمراد من العلم هنا: الاعتقاد المطابق للواقع، والقول في العلم بغير علم: هو إبداء الرأي من دون تثبّت وتحقيق فيما يفتقر إلى ذلك، وقد نهى عنه القرآن الكريم بقوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[٢] وعلّمنا الإمام علي عليه السلام المخرج منه بقوله: «لا أعلم، نصف العلم»[٣].

(١) القرآن الكريم، سورة المائدة ٥: ٢.
(٢) القرآن الكريم، سورة الاسراء ١٧: ٣٦.
(٣) ميزان الحكمة: ١٢١٩.

[٢/٨ ـ المبرّرات الشخصية]:

وَنَعُوذُ بِكَ أَنْ نَنْطَوِيَ(١) عَلَى غِشِّ أَحدٍ(٢)، وأَنْ نُعْجَبَ(٣) بِأَعْمَالِنَا(٤)، وَ(٥) نَمُدَّ(٦) فِي آمَالِنَا(٧).

كل من يضمر الشرّ ـ من الإنسان العادي حتى الظالم الغاشم ـ يعلم بأنّ ما يقوم به شرّ وظلم، ولكنه يبرّر عمله بما يجعله في ذهنه عملا جائزاً؛ ليسلب عن عمله صفة الظلم والشرّ، وقد أشار عليه السلام في هذا المقطع إلى ثلاث مبررات تتواجد في أنواع الشرور، هي:

١ ـ جهل الطرف الآخر، وحيث انه يجهل حقوقه وواجباته فيرى الظالم ان الطرف الآخر قد أصبح بمنزلة البهائم، وانه يجب ان يتعامل معه على هذا الاساس. وقد حارب الإسلام هذا المنطق في القرآن في استنكار قول من قالوا: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾(٨) والسيرة النبوية ناصعة في المواقف المحاربة لهذا المبرر، ومع الأسف هذا هو المنطق السائد في الأسواق، وقلّ ان تجد في عصرنا تعاملا إسلامياً صحيحاً، مع ان ذلك توهين للعصب الاقتصادي لأيّ مجتمع؛ فإن ما يراه اصحاب السوق من ان الغش في التعامل ربحٌ في المعاملة في حين أنه في الحقيقة خسارة فادحة. وعلى العكس الصدق في المعاملة ربح آني، وربح لمن

---

(١) في حاشية (ج): «أي نضمر»، وننطوي: نسرّ في باطننا.

(٢) في (ف): «غبن مسلم»، وفي (ك) (ش) (ق) (ت): «غشّ مسلم».

(٣) في (ق): «أو نُعجب»، وفي حاشية (ج): «الفرق بين العجبُ والرياء: أن الرياء مقارن للعبادة، والعجب متأخر عنها، فتفسد بالرياء، لا بالعجب». (راجع: القواعد والفوائد، للشهيد الأوّل ٢: ١٥٤).

(٤) في (ف): «بأموالنا».

(٥) في (ف) (ت): «أو»، وفي حاشية (ج): «أو ـ س».

(٦) في (ك): «أو نَمُدّ»، وفي (ش): «وأن نمد».

(٧) في (ق): «أو نُمدّ»، ونمدّ في آمالنا: يكون لنا أمل طويل في القينات الفانية ممّا يسبّب الإعراض عمّا ينفعُ في الآخرة.

(٨) القرآن الكريم، سورة آل عمران ٣: ٧٥.

يصبح معلناً عن حسن التعامل والذي يوجب كثرة التعامل من الاخرين معه لنصحه وعدم تزيين مادة التعامل بما ليس فيه.

٢ ـ العجب، وهو الترفع والتكبر والعجب في العمل وهو يوجب العمى أو التعامي عن أسباب الضعف؛ فإنه لا يكون الإنسان معجبا بعمله إلّا بعد اعتقاده بكمال نفسه، ومن الواضحات أنّ ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[١] وان الكمال لله وحده، والمعجب بنفسه لايمكنه ان يرى عوامل الفساد المتواجدة في كل فعل من أفعاله، والتي تفتقر إلى يقظة مستمرة.

٣ ـ طول الأمل. والأمل: رجاء ما هو مطلوب ومحبوب، فإذا كان المحبوب ممكن الحصول كان الآمل مبتغيا للأسباب والمسببات الموجبة لحصوله، ومستعداً لتحصيله، وأمّا إذا كان مستبعد الحصول فبطول الأمل يصبح الطالب في خبط، لجهله بالأسباب والمسببات؛ إذ بعدها الزمني يمنع من معرفة آثار كل سبب ومدى نجاحه في التأثير.

فهذه المبررات الثلاث مما تغلب على كل إنسان لا يعتبر بالتاريخ ولا يستعيذ بالله تعالى من الوقوع في مخالبها، ولا يمكن ذلك إلّا بالاستعاذة به تعالى.

[٣/٨ ـ العامل الإجتماعي]:

وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ سُوءِ السَّرِيْرَةِ[٢]، واحْتِقارِ الصَّغِيْرَةِ[٣]، وأنْ يَسْتَحْوِذَ[٤] عَلَيْنا الشَّيْطانُ، أو يَنْكُبَنا الزَّمانُ[٥]، أوْ يَتَهَضَّمَنا[٦] السُّلْطانُ.

---

(١) القرآن الكريم، سورة يوسف ١٢: ٧٦.

(٢) سوء السريرة: سوء النية.

(٣) في (ق) (ت) زيادة: «وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَماتَةِ الأَعْداءِ، ومِنَ الفَقْرِ إلى الأَكْفَاءِ».

(٤) في حاشية (ج): «أي يستولي، ومنه: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ (سورة المجادلة ٥٨: ١٩)، أي استولى»، أي يستولي علينا باستمالتنا إلى ما يريدهُ منّا.

(٥) في (ف): «أو ينكسنا الزمان»، وفي حاشية (ج): «نكبات الزمان: دواهيه وشروره».

(٦) في (ش): «أو يهضمنا»، وفي حاشية (ج): «هضمه حقه: إذا نقصه حقه...»، ويتهضّمنا: يظلمنا.

ثم اشار الإمام عليه السلام إلى العوامل الاجتماعية للشّر، وخصّ منها:

١ ـ سوء السريرة. وهي ما يسرّه الإنسان في نفسه من قبيح النيات، وسوء السريرة مرض نفسي بشع في المجتمع يحصل بسبب عوامل اجتماعية.

٢ ـ احتقار الصغيرة؛ فإن المجتمع المتعوّد على الاهمال في الأمور الصغيرة لابد وان يكون كذلك في مهام الأمور أيضاً.

٣ ـ استحواذ الشيطان؛ والاستحواذ أي الغلبة، فإن ما يغلب الإنسان في تنحّيه عن سلوك الصراط المستقيم، وفي أي عمل كان، يكون غلبة للشيطان على إرادة الإنسان.

٤ ـ نكبة الزمان. والنكبة: المصيبة؛ فإن المصائب الّتي تعم المجتمع كالحروب وويلاتها تكون من الأسباب المؤثرة في سلوك جادة الشر.

٥ ـ هضم السلطان. والهضم هو الظلم؛ فإذا كان السلطان ظالما في حكمه يكون المجتمع متأثراً به، فاما ان يكون فيهم من ضعاف النفوس من يتخذ السلطان الظالم قدوة؛ لأن الناس على دين ملوكهم، واما ان يكون مظلوماً مصطلي بنار الظلم، فيحفّزه ذلك على الانتقام والتعامل بالمثل أو الأشد، وذلك خروج عن تعاليم الإسلام.

فان هذه العوامل الاجتماعية من مزالق الشرّ، ويجب التوقّي منها واليقظة لأسبابها وآثارها، ولا يمكن ذلك إلّا بالاستعاذة به تعالى من ذلك.

[٨/٤ ـ العامل الاقتصادي]:

وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ تَنَاوُلِ الإسْرافِ، ومِنْ فُقْدانِ الكَفَافِ. وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَماتَةِ الأَعْداءِ، ومِنَ الفَقْرِ إلى الأَكْفَاءِ[١]، وَمِنْ معِيشَةٍ[٢]

---

١) ولم ترد في (ق) عبارة: «وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَماتَةِ الأَعْداءِ، ومِنَ الفَقْرِ إلى الأَكْفَاءِ» هنا، وقد تقدمت ضمن المقطع السابق، والأكفاء: الأمثال.

٢) في (ق) (ت) (ف): «ومن عيشة».

فِي شِدَّةٍ، وَمِيتَةٍ[(١)] عَلَى غَيْرِ عُدَّةٍ.

وفي هذا المقطع اشار الإمام عليه السلام إلى العامل الاقتصادي المؤدي إلى الشرور، وخصّ منها:

١ ـ الاسراف: وهو مجاوزة القصد في صرف المال، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[(٢)] فإن الفرد والمجتمع الذي لا توازن في اقتصاده، لابد وان يتضعضع كيانهُ يوماً مّا.

٢ ـ فقدان الكفاف: والكفاف هو قدر الحاجة، فإن الفاقد لذلك يَتولّد في نفسه الداعي إلى الشرّ؛ لسد الحاجة.

٣ ـ شماته الأعداء: وهذه من العوامل الاجتماعية، وربما ذكرها الإمام عليه السلام هنا، لأنّها من لوازم الاختلاف الطبقي في المجتمع بين الفقير والغني، مما يوجب شماتة العدوّ لمن فقد الكفاف.

٤ ـ الفقر إلى الأكفّاء، والأكفّاء: الأمثال والاقران، فإن الفقر بالذات يوجب الشعور بالنقص، فكيف إذا كان إلى الكفؤ الذي لا يأمن منه الشماتة، دون من كان أهلاً للكرم؛ فإنه يعلم بأنا جميعاً ﴿ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾[(٣)] وقد قال القائد الأعظم صلى الله عليه وآله: «كاد الفقر ان يكون كفراً»[(٤)].

٥ ـ المعيشة في الشدة والحياة في العسر، وهي أيضاً من العوامل الّتي تؤدّي إلى الشرّ، ومما شرّعت الحقوق الشرعية لأجله هو خلق التوازن بين طبقات المجتمع.

٦ ـ الموت على غير عُدة ماديّة، كالموت فقيراً؛ فإن الموت مصيبة في نفسه وكونه في الفقر يزيد المصيبة مصيبة، ومن الموت على غير عدّة: الموت على غير عدّة معنوية كالعمل الصالح؛ فإنه خسران الدنيا والآخرة.

---

(١) في حاشية (ج): «مَيتَة، مِيتَة ـ معا».

(٢) القرآن الكريم، سورة الأعراف ٧: ٣١.

(٣) القرآن الكريم، سورة فاطر ٣٥: ١٥.

(٤) الكافي ٢: ٣٠٧.

وهذه العوامل الاقتصادية للشر انما تؤثر فيمن لا يتحصّن بالوعي الإسلامي لايمان واليقظة للعمل الصالح، وترجع كلها إلى الفقر الماديّ، وهو يرجع ورِه إلى الفقر الروحي، ومن استعد نفسيّا لذلك تغلّب عليها جميعا، وعاش شة الرضا والقناعة، ومن لم يستعد لذلك فإنه سوف يكون في مهلكة الشرّ في نيا والآخرة، ولا يمكن التخلص منها إلّا بالاستعاذة بالله.

/١/٥ ـ نتائج الشرور]:

وَنَعُوذُ بكَ[١] مِنَ الحَسْرَةِ العُظْمَى[٢]، والمُصِيبَةِ الكُبْرَى[٣]، أشْقَى الشَّقاءِ، وسُوءِ المَآبِ[٤]، وَحِرْمَانِ الثَّوابِ، وَحُلُولِ عِقَابِ. اللهمّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ[٥]، وأعِذْنِي مِنْ كُلِّ ذَلِكَ[٦] حْمَتِكَ، وَجَمِيعَ المُؤمنِينَ وَالمُؤمِنَاتِ، يَا أرْحَمَ الرَّاحِمِينَ[٧].

وفي هذا المقطع الأخير اشارة إلى نتائج الشرور بما انها أعمال شريرة ادرة عن علم وقصد، وقد أشار الإمام عليه السلام منها الى:

---

(١) لم ترد في (ك): «بك».

(٢) وهي الحسرة الّتي تلحق الإنسان يوم القيامة عند مشاهدة الثواب والعقاب إذ قضي الأمر، وقد أنذرَ الله بها في سورة مريم ١٩: ٣٩.

(٣) المصيبة الكبرى: المصيبة بالدين، وأشقى الشقاء: الدخول في النّار.

(٤) في (ك) (ش) (ت): العبارة هكذا: «وَنَعُوذُ مِنَ الحَسْرَةِ العُظْمَى، والمُصِيبَةِ الكُبْرَى، وَمِنَ الشَّقاءِ الأشْقَى، وِمِنْ سُوءِ المَآبِ»، وفي (ق): العبارة هكذا: «وَنَعُوذُ بك مِنَ الحَسْرَةِ العُظْمَى، والشَّقاءِ الأشْقَى والمُصِيبَةِ الكُبْرَى، وِمِنْ سُوءِ المَآبِ»، وفي (ف): العبارة هكذا: «وَنَعُوذُ بك مِنَ الحَسْرَةِ العُظْمَى، والمصيبة الكبرى، والشَّقاءِ الأشْقَى فيهِ مِنْ سُوءِ المَآبِ»، والمآب: المرجع، وفي حاشية (ج): «أي المرجع».

(٥) في (ت): «اللهم صل على محمد وآل محمد».

(٦) في (ق): «من ذلك كله»، وفي (ت): «من ذلك».

(٧) لم ترد في (ك) (ش) عبارة: «اللهمّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد وأعذني من ذلك كلّه برحمتك، وجميع المؤمنين والمؤمنات، يا أَرْحَمَ الراحمين».

١ ـ الحسرة العظمى؛ فإنه عند الامتحان في يوم الحساب يرى الإنسان بعين اليقين أنّ هذه الأعمال الّتي صدرت منه لم تكن يستحسن ارتكابها. وهذه هي الحسرة على ما فات؛ حيث لا مجال للجبران. وتكون عظم الحسرة بانها غير قابلة للجبران.

٢ ـ المصيبة الكبرى: فانها كبيرة؛ حيث لا نجاة منها، لانه يوم الحساب.

٣ ـ أشقى الشقاء: فالشقاوة بارتكاب الشرّ في الدنيا تكون متأكّدة في الآخرة.

٤ ـ سوء المآب، وهو المرجع الذي حُذّر منه الإنسان في الدنيا وأقدم عليه بسوء اختياره.

٥ ـ حرمان الثواب من العمل الصالح الذي كان باختياره ان يسلك طريقهُ، وقد اختار الضد.

٦ ـ حلول العقاب الذي يستحقه على عمل الشرّ باختياره.

وهذه النتائج العادلة الّتي لا مردّ منها لسلوك طريق الشر، وقد فضلها باختياره على طرق الخير والصلاح.

ولا يمكن التخلص من هذه النتائج إلّا بالاستعاذة بالله تعالى من الوقوع في طريق الشر، ولا يتحقق ذلك إلّا برحمة الله الّتي وسعت كلّ شيء[1].

(١) كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾. (القرآن الكريم، سورة الأعراف٧: ١٥٦).

[الدُّعاءُ التاسع]

وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام فِي الاشتياق إلى طلب المغفرةِ من الله جلّ جلاله(١)

[١/٩ ـ بيان الشوق]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، و(٢) صَيِّرْنَا إلى مَحْبُوبِكَ(٣) مِنَ التَّوْبَةِ(٤)، وَأزِلْنَا عَنْ(٥) مَكْرُوهِكَ مِنَ الإصْرَارِ [عَلَى المَعْصِيةِ](٦).

إن الرجوع إلى الصراط المستقيم أملٌ يراود كل من انحرف عنه ـ مهما كانت الأسباب ـ فالشوق إلى المغفرة أمر طبيعي لأيّ إنسان ابتلي بما يوجب الانحراف، فالدعاء يفتتح ببيان هذا الشوق، ثم الميزان في حدّ الشوق، ثم السبب لهذا الشوق، ويختتم بالدعاء بما يرافق هذا الشوق.

---

(١) وردَ هذا الدُّعاء في (ك) بالرقم (٤)، بعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام فِي ذِكْرِ التَّوْبَةِ»، وفي (ش) بالرقم (٦)، بعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام فِي الاشتياق إلى طلب المغفرةِ من الله جلّ جلاله»، وفي (ج) بعنوان: «التاسع: وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام فِي الاشتياق إلى طلب المغفرةِ من الله جلّ جلاله»، وفي حاشية (ج): «عزّ وجل ـ س»، وفي (ق) (ت) بعنوان: (التاسع)، وتحته عنوان: «فِي طلب المغفرةِ»، وفي (ف) بعنوان: «وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام فِي التوفيق للطاعة والعصمة من المعصية وطلب الغفران والرحمة والابتهال بالرغبة والرهبة»، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (٩)، بعنوان: «دُعاؤهُ فِي الإشتِيَاقِ».

(٢) لم ترد في (ك) (ش): «صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِ محمّد و».

(٣) في (ش): «إلى محبتك».

(٤) أي حوِّلنا وأمِلنا إلى ما تحبهُ من التوبة .

(٥) في «ش»: «على» بدل «عن» .

(٦) ما بين المعقوفتين من (ف) فقط.

وابتدأ الإمام عليه السلام المقطع الأوّل ببيان الاشتياق إلى المغفرة، وأكّد فيه على امرين:

الأول: توفيق التوبة الّتي فتح الله بابها لمن انحرف عن الطريق، ولولا كونها محبوبة له لما فعل ذلك، وهذا يكون إما بإراءة الطريق الذي قد حصل بارسال الرسل والكتب، وإمّا بالايصال إلى المطلوب. وهذا هو المراد بأن يصيّرنا اليها، أي ينقلنا من حال الجهل إلى حال العلم والعمل، حيث لم نهتد بالعلم وحده.

الثاني: إزالة الإصرار على الذنب الذي هو مكروه عند الله؛ لما أوعد عليه من العقاب في الدنيا والآخرة، وانما يفتقر الاصرار إلى الازالة، لأنّه قد يصبح ذلك طبيعة ثانوية للمذنب بتعوّده عليه، فيفتقر إلى قوة اخرى تزيله وتحوّله من الحالة السابقة إلى حالة الصحة والعافية.

والأمران معاً ـ أي توفيق التوبة وإزالة الاصرار ـ نابعان من شدة الشوق إلى المغفرة، لتعوّد النفس على ما ألفتها من الحالة السابقة، وطلب التحوّل منها بما لا يلائمها يكشف عن اشتياق في الداعي لتصحيح الخطأ في الحياة، وبهذا القرار الشخصي للتصحيح أقدم على بيان هذا الشوق.

[٢/٩ ـ ميزان الشوق]:

أللّهُمَّ وَمَتَى وَقَفْنَا بَيْنَ نَقْصَيْنِ فِي دِين أو دُنْيَا[١]، فَأوْقِعِ النَّقْصَ[٢] بأسْرَعِهِمَا فَنَآءً[٣]، وَاجْعَلِ التَّوبَةَ[٤] فِي أطْوَلِهِمَا بَقاءً. وَإذَا هَمَمْنَا بِهَمَّيْنِ[٥]، يُرْضِيكَ أحَدُهُمَا عَنَّا وَيُسْخِطُكَ الآخَرُ[٦] عَلَيْنَا،

---

(١) في حاشية (ج): «"دنيا" لا تنوّن، لأنّها لا تنصرف. قال ابن الجوزي في تقويمه: والعامّة تقول: "دنيا" منوّنة. قاله ابن الجوزي في تقويمه»، وفي القاموس: «الدنيا» نقيض الآخرة، وقد تنون، والجمع: دني. ولعلّه عنى بذلك استعمال العامّة لها بالتنوين. (راجع: رياض السالكين٣: ٥٢٠).

(٢) في (ش): «بَيْنَ تَقْصيريْنِ فِي دِين ودُنْيَا فأوْقِعِ التَّقْصير».

(٣) في (ت): «بأسرعهما زوالاً».

(٤) في (ف) زيادة: «والتمام»، وفي (ك) بدل «التوبة»: «الزيادة».

(٥) في (ف) زيادة: «وإذا هممنا بأمرين وهمّين»، وهمَّ بالأمرِ: قصدهُ وعزمَ عليهِ.

(٦) في (ش) (ف): «أحدهما».

لْ بِنَا إلى مَا يُرْضِيكَ عنّا(١)، وَأَوْهِنْ(٢) قُوَّتَنَا(٣) عَمَّا يُسْخِطُكَ
ينا(٤)، وَلَا تُخَلِّ(٥) فِي ذَلِكَ بَيْنَ نُفُوسِنَا(٦) واخْتِيارِها، فإنَّهَا مُخْتَارَةٌ
اطِلِ إلَّا مَا وَفَّقْتَ(٧)، أَمَّارَةٌ(٨) بالسُّوءِ إلَّا مَا رَحِمْتَ(٩).

ثم أشار عليه السلام إلى ميزان الشوق إلى المغفرة، وملخصه: ان الرضا هو زان الشوق؛ فإذا كان القصد هو الله تعالى كان الشوق شوقاً حقيقياً مغفرة، وأما إذا كان الشوق لرضا النفس فلا يكون الشوق حقيقياً، ولا في مجرّد دعوى الشوق، كما لا تظهر حقيقة هذا الشوق إلا فيما إذا دار مر بين أمرين لا ثالث لهما، في احدهما رضا الله سبحانه، وفي الآخر ى النفس، وهي حالة امتحان تظهر فيها حقيقة الرضا فيما يختاره العبد، ن اختيار أحدهما ـ مهما تكن الأسباب ـ يكون بيانا لحقيقة شوقه مهما ت دعواه، وذكر الإمام لذلك موردين:

الأول: الخيار بين نقصين في دين أو دنيا، فالنفس لا تميل إلى نقص نيا، على العكس من الدين. وطالب المغفرة حقيقة يميل إلى إيقاع النقص في

---

(١) في (ش): «الى ما لا يرضيك عنا». ولم ترد في (ك): «عنّا».

(٢) وفي حاشية (ج): «أضعف»، وأوهِنْ، من الوهن، أي الضعف.

(٣) في (ف): «قوّتك».

(٤) لم ترد في (ك): «علينا».

(٥) في حاشية (ج): «ولا تَخَل ـ س»، وفي (ق): «وحُل»، وفي حاشية (د): «قد وجهه بعض المحشين ـ أي سيدنا الداماد باقر العلوم ـ بانه من تخليته بمعنى خليته، والكسر للدلالة على حذف الياء، ولكنه لا يخلو عن غرابة. وقال السيد علي خان في شرحه: قوله: لا تخلّ يجب ضبطه بضمّ التاء وكسر اللام المشدّدة. وأمّا ضبطه بفتح التاء وفتح اللام وجعله من تخلّيته، بمعنى خلّيته. فلم أقف عليه في شيء من كتب اللغة، وإن حكاه بعض المحشّين فالعهدة عليه. (رياض السالكين٢: ٤١٣).

(٦) في (ف): «وَحُلْ فِي ذَلِكَ بَيْنَ قُلُوبِنَا».

(٧) في (ق): «وفّقت»، وفي (ك) (ش): «عصمت» بدل «وفقت».

(٨) في (ش): «وأمارة».

(٩) في (ك) (ش): «ما وقيت».

الدنيا الّتي هي «أسرعهما فناءً» وان يكون التوبة عن ترجيح النقص في الدين الّتي هي «أطولهما بقاءً» في الدنيا والآخرة.

الثاني: الخيار بين همّين؛ في أحدهما رضى الله وفي الآخر سخطه، وطلب المغفرة حقيقة يعنى اختيار ما يرضي الله تعالى ووهن ما يسخطه تعالى.

وبما أنّ الأمر إذا أُنيط إلى النفس إختارت ما توافق طبعها، ولدت الحاجة إلى رحمة الله تعالى؛ لأن النفس أمّارة بالسوء إلّا ما رحم ربي[١] فلا محيص من السعي في ايجاد التوازن العادل، ولا يكون ذلك إلّا بالتوفيق من الله تعالى ورحمته للحصول على الأفضل في الحياة.

[٣/٩ ـ سبب الشوق]:

أللّهُمَّ وإنَّكَ[٢] مِنَ الضَّعْفِ[٣] خَلَقْتَنَا[٤]، وَعَلَى الوَهْنِ[٥] بَنَيْتَنَا[٦]، وَمِنْ مَاءٍ مَهِينٍ[٧] ابْتَدَأْتَنَا، فَلَا حَوْلَ لَنَا إلَّا بِقُوَّتِكَ، وَلَا قُوَّةَ لَنَا إلَّا بِعونكَ[٨]، فأيِّدْنَا[٩] بِتَوْفِيقِكَ، وَسَدِّدْنَا بِتَسْدِيدِكَ[١٠]،

---

(١) اقتباس من سوره يوسف ١٢: ٥٣.

(٢) في (ك): «إنّك».

(٣) في حاشية (ج): «الضَعف ـ س».

(٤) اقتباس من قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾. (سورة الروم ٣٠: ٥٤)، فقد خلقَ الإنسان بحسب المادّة من النطفة وهي ضعيفةٌ، كما أنّه ضعيف أيضاً عن مخالفة الهوى والصبر عن اتباعِ الشهواتِ.

(٥) في (ت): «ومن الوهن ابتنيتنا»، وفي هامش (ت): «وعلى ـ صح»، وفي حاشية (ج): «الضعف»، وفي (س): «الوهن: الضعف». (حاشية ابن إدريس: ١٣٣).

(٦) في (ق): «ابتنيتنا».

(٧) في (س): «مهين: أي حقير». (حاشية ابن إدريس: ١٣٣)، وهو المني حيث يحتقرُهُ الناس.

(٨) في (ف): «ولا قوّة عندنا إلّا بعونك»، وفي (ت): «ولا قوّة لنا إلّا بقدرتك»، وفي (ك) (ش): «ولا قوّة عندنا إلّا بعزتك».

(٩) في (ف): «فصل على محمد وآله وأيدنا»، وفي (س): «أيّدته تأييداً: أي قوّيته». (حاشية ابن إدريس: ١٣٣).

(١٠) في (س): «التسديد: التوفيق للسداد وهو الصواب، والمسدّد المقوّم». (حاشية ابن إدريس: ١٣٣).

ـمِ أبْصَارَ قُلُوبِنَا عَمَّا خَالَفَ مَحَبَّتَكَ[١]، وَلَا تَجْعَلْ لِشَيءٍ مِنْ ـارِحِنَا نُفُوذاً فِي مَعْصِيَتِكَ[٢].

وأشار الإمام عليه السلام إلى أنّ السبب الرئيسي للشوق إلى المغفرة هو معرفة ـساس الذي اوجب الانحراف، وهو الجهل النابع عن ضعف النفس الّتي لا ـوّى إلّا بقوة الله تعالى وعونه وتوفيقه وتسديده. وسرد حالات ثلاث من ـعف، هي:

١ ـ ضعف الخلق، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾[٣].

٢ ـ وهن البنيان، كما قال تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾[٤] فإن الإنسان ـكوم بالعوامل الطبيعة الّتي تؤدي به إلى المرض والضعف وبالنتيجة إلى ـت.

٣ ـ ابتداء الخلق من ماء مهين، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾[٥] ـنسان يبتدئ بشيء مهين ويعيش تحت رحمة من يربّيه صغيراً، وفي كَبرهِ تحت ـة العوامل الطبيعية من المرض والشيخوخة وغيرهما مما قد تقضي على حياته، ـمخلوق من ضعف ويعيش في ضعف وينتهي إلى ضعف، وفي كل هذه الحالات ـر إلى ما يسدده من قوة الله سبحانه وعونه وتوفيقه وتسديده، وبدون ذلك يكون ـسة للمغريات الّتي تتعارض مع محبة الله تعالى، ونحن نفتقر إلى ان لا تتوجّه ـنا إليها ولا تقترف جوارحنا ما يُوجب غضب الله ويتحقق به معصية الله.

وبالجملة: إذا عرفنا ان السبب الحقيقي للانحراف هو ضعف النفس، فلابدّ تقوية هذا الجانب بالوعي والتعبئة الروحية لمقاومة هذا الضعف، وتحصيل ـزن لسلوك الصراط المستقيم.

في (ق) (ف) (ت): «عن محبتك».

نفذ في الأمر: إذا مضى فيهِ. والمراد سؤال الحفظ عن المعصية بشيء من الجوارح والأعضاء.

القرآن الكريم، سورة الروم ٣٠: ٥٤.

القرآن الكريم، سورة النساء ٤: ٢٨.

القرآن الكريم، سورة المُرسلات ٧٧: ٢٠.

[٩/٤ ـ آثار الشوق]:

أَللّٰهُمَّ فصَلِّ[(١)] عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِه[(٢)]، و[(٣)] اجْعَلْ هَمَسَاتِ قُلُوبِنَا[(٤)]، وَحَرَكَاتِ أعْضَائِنَا، وَلَمَحَاتِ أعْيُنِنَا[(٥)]، وَلَهَجَاتِ أَلْسِنَتِنَا[(٦)] فِي مُوجِباتِ ثَوَابِكَ، حَتَّى لا تَفُوتَنا[(٧)] حَسَنَةٌ نَسْتَحِقُّ بِهَا جَزاءَكَ[(٨)]، وَلَا تبْقِيَ[(٩)] لَنا سَيِّئَةٌ نَسْتَوْجِبُ بِهَا عِقَابَكَ.

ثم ختم عليه السلام الدعاء بسرد أهم آثار الشوق إلى المغفرة الّتي بها يعرف حقيقة الشوق؛ فإن وجود هذه الآثار يكشف عن الصدق في دعوى الشوق، كما ان فقدانها يدل على العكس كذلك، وهي:

١ ـ همسات القلوب؛ فإن القلب السليم لابد وان ينضح منه العمل السليم، والمراد به هنا هو الوعي الكامل للمسؤولية الإسلامية. والهمس ما يخفى، فإذا كان الوعي والفكر الحر حاكما على حياة الإنسان فيؤثّر فيها كالهمس في الخفاء.

---

(١) في (ف): «صلّ».

(٢) في (ش): «وآل محمد».

(٣) لم ترد في (ك): «فصَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِه و».

(٤) في حاشية (ج): «الهمس: الصوت الخفي. وهمس الاقدام: أخفى ما يكون من صوت القدم. قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ (سورة طه ٢٠: ١٠٨)، قاله الجوهري». (راجع: الصحاح٣: ٩٩١)، وفي (س): «الهمس: الصوت الخفي». (حاشية ابن إدريس: ١٣٣). وهمسات قلوبنا: ما تخفيهِ قلوبنا.

(٥) لمح البصر: امتداده إلى الشيء، ولمح الشيء: أبصره أو اختلس النظر.

(٦) في حاشية (ج): «اللهجة: اللغة، قاله المطرزي». ولم ترد في (ك) (ش) (ق) (ت) (ف): «ولهجات ألسنتنا»، واللهجة: بفتح فسكون، جلهجات: طرف اللسان، لغة الإنسان التي جبل عليها فاعتادها، ومنه: فلان فصيح اللهجة. وصادق اللهجة». (راجع: المصطلحات: ٢٢٥٧).

(٧) في (ق) (ف): «لا يفوتنا».

(٨) في (ف): «ثوابك»، وفي (ك): «جزاك»، وفي (ق): «جزآك».

(٩) في (ك) (ق) (ت): «ولا تنفذ»، وفي (ف): «ولا ينفد»، وفي (ش): «ولا تبقى».

٢ ـ حركات الأعضاء بما يصدر منها من الأعمال؛ فإن الأعمال في الخارج تعكس ما في طبيعة الإنسان من خير أو شر وما يضمره من نية صالحة أو طالحة.

٣ ـ لمحات العيون، فإذا لم يتمكن الإنسان من العمل على ما يراه من فكر، لابد وان يظهر ذلك في نظراته، فإن النظرة غالبا مّا تكون معبّرة عن الباطن.

٤ ـ لهجات الألسن، فإذا لم يتمكن الإنسان من العمل أو النظر فيأتي دور الدرجة الثالثة، وهي تغيير البيان بوجه آخر يخدم مرامه، وهو استخدام أسلوب جديد ووجه جديد.

وهذه الآثار تكشف عن حقيقة الشوق، فإذا كان الشوق حقيقياً ترتّب عليه موجبات الثواب؛ من الأعمال الصالحة الّتي يترتب عليها جزاء الخير من الله تعالى، ومحو السيئات، فلا يكون هناك استحقاق للعقاب.

[الدُّعاءُ العاشر]

وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام في اللَّجأ إلى اللّهِ تعالى(1)

[١/١٠ ـ سبب الدعاء]:

أللّهُمَّ إنْ تَشَأ(2) تَعْفُ عَنّا فبِفَضْلِكَ(3)، وَإنْ تَشَأ(4) تُعَذِّبْنا(5) فبِعَدْلِكَ(6).

---

(1) ورد هذا الدُّعاء في (ك) بالرقم (٥) بعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام فِي التضرّع»، وفي (ش) بالرقم (٧) بعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام فِي اللجأ إلى الله»، وفي (ج) بعنوان: «العاشر: وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام فِي اللجأ الى الله تعالى»، وفي (د) بعنوان: «وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام فِي اللجأ الى الله تعالى» وفي (ق) (ت) بعنوان: (العاشر) وتحته عنوان: «فِي اللجأ إلى الله عز وجل»، وفي (ف)ورد في ذيل الدعاء السابق بدون عنوان، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (١٠)، بعنوان: «دُعاؤهُ فِي اللجأ الى الله تعالى»، واللجأ: الالتجاء والاعتصام.

(2) لم ترد في (ف): «تشأ».

(3) في (ش): «بفضلك».

(4) لم ترد في (ف): «تشأ».

(5) في حاشية (ج) (د): «تُعذبُنا ـ س»، وفي (ف): «تعاقبنا».

(6) في (ش): «تعاقبنا بعدلك»، وفي حاشية (د)ما نصه: «الفاء من قوله: «فبفضلك»: فصيحة، أي: إن عفوت فالعفو بفضلك. وكذا قوله: «فبعدلك»، ولا يصحّ كون «تعف» و«تعذّب» بدلي اشتمال من «تشأ» في الفقرتين والفاء رابطة للجواب، لعدم فهم معناهما لو حذفا. . .، إلّا ترى أنّك لو حذفت تعف وتعذّب، فقلت: إن تشاء فبفضلك وإن تشاء فبعدلك. لم يصحّ. . .، وتقديم المغفرة على التعذيب للإيذان بسبق رحمته غضبه، ولأنّها من مقتضيات الذات دونه، فإنّه من مقتضيات سيّئات العصاة، وهذا صريح في نفي وجوب التعذيب. والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له. وفي رواية ابن إدريس تعذّبنا بالرفع. قال بعضهم: وجهه غير ظاهر. قلت: بل هو ظاهر، وهو مثل قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ =

فَسَهِّل لَنَا عَفْوَكَ بِمَنِّكَ(١)، وَأَجِرْنَا مِنْ عَذابِكَ(٢) بِتَجاوُزِكَ، إِنَّهُ لَا طَاقَةَ لَنَا بِعَدْلِكَ، وَلَا نَجاةَ لأحَدٍ مِنَّا دُونَ عَفْوِكَ(٣).

استفتح الإمام عليه السلام الدعاء ببيان السبب في اللجأ إلى الله، أي الاعتصام بالله عالى، وانه سبحانه هو الملجأ؛ لاستجماعه صفتي الفضل والعدل المطلقين.

فإن ما يتصوره الإنسان اداءً لواجب العبودية غالبا ما لا يكون كذلك حقيقة؛ لأنّ نعم الله تعالى الّتي تعم حياة الإنسان لا تعدّ ولا تحصى، وأداء شكر هذه لنعم بأكملها غير ميسور لأحد؛ لعدم تناهي النعم، ومنها: حياة الإنسان. والعدالة تقتضي أداء شكر الواجب، والإنسان لا يمكنه أداء ذلك، وحيث انه تعالى منبع الفضل والعدل، والعدل يقتضي أداء الواجب، فيكون مقتضاه العذاب، والفضل يقتضي العفو، فلا يكون ملجأ للإنسان سوى اللجأ اليه تعالى، والدعاء بتسهيل العفو بمنّه تعالى، والاجارة من العذاب بتجاوزه عمّا يوجب ذلك.

ثم ذكر عليه السلام العلة في كل منها؛ حيث لا طاقة للإنسان بالعدل؛ فإنه يستلزم استيفاء الحقوق كاملا ولا نجاة بدون العفو عما يستحق من العذاب، فيكون اللجأ في ذلك إلى الله سبحانه دون غيره.

ثم ذكر عليه السلام أموراً ثلاثة يستحق الإنسان بسببها العفو، وهي:

١ ـ الفقر.

أَعۡبُدُ﴾. (سورة الزمر ٣٩: ٦٤)، والفضل: الإحسان. والعدل: الإنصاف. ولا شكّ أنّ مشيئته سبحانه للعفو تفضّل منه وإحسان لا باستحقاق من العبد. ومشيئته للعذاب والعقاب إنّما هو جزاء للمعاقب بما عمله، لا بظلم منه له وجور عليه، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٍ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ (سورة البقرة ٢: ٢٨١). (رياض السالكين ٢: ٤٢٩).

(١) في (ك) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ إنْ تَشأ تَعْفُ عَنّا بِفَضْلِكَ، وَإنْ تَشأ تُعاقِبْنا بِعَدْلِكَ، فَسَهِّلْ لَنا عَفْوَكَ بِمَنِّكَ».

(٢) في (ك): «عدلك».

(٣) في (ت): «وَلَا نجاةَ لِنا دُوْنَ عَفْوِكَ»، وفي (حاشية ابن إدريس): «وَلَا نجاةَ لِأَحَدٍ دُوْنَ عَفْوِكَ».

٢ ـ الاضطرار.

٣ ـ شماتة الشيطان.

[٢/١٠ ـ الأول ـ فقر الإنسان]:

يا غِنَى[(١)] الأغْنِياءِ، هَا نَحْنُ عِبَادُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَأفْقَرُ[(٢)] الفُقَراءِ إليْكَ، فاجْبُر فَاقَتَنا[(٣)] بوُسْعِكَ[(٤)]، وَلَا تَقْطَعْ رَجَآءَنَا[(٥)] بِمَنْعِكَ، فَتَكُونَ قَدْ أَشْقَيْتَ مَن اسْتَسْعَدَ بِكَ، وَحَرَمْتَ مَن

---

(١) كذا استظهرناه بعد مراجعة سائر النسخ المتوفرة لدينا، ففي (ك) (ق) (ت): «يا أغنى»، وفي (ف) (ط) (س): «يا غنيّ»، وما أثبتناه أنسب، ويؤيده: ما ورد في المقطع الأوّل من الدعاء (١٣) [طلب الحوائج إلى الله] من قوله عليه السلام: «تَمدَّحْتَ بِالغِنَى عَنْ خَلْقِكَ، وأنْتَ أهْلُ الغِنَى عَنْهُمْ، وَنَسَبْتَهُمْ إلى الفَقْرِ وَهُمْ أهْلُ الفَقْرِ إلَيْكَ...»، وفي بعض خطب الإمام علي (عليه السلام)، في نهج البلاغة، وفيه: (غِنَى كُلِّ فَقِيرٍ وعِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ وقُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ). (نهج البلاغة: ١٥٨). كما ورد في العديد من الأدعية المأثورة من: «لا إله إلّا أنت غِنَى كلّ فقير، لا إله إلّا أنت قُوةَ كلّ ضعيف» ومنها عبارة: «لا حول ولا قوة إلّا باللهعِزَّ كلّ ذليل، ولا حول ولا قوة إلّا باللهغِنَى كلّ فقير، ولا حول ولا قوة إلّا بالله، عَوْنَ كل مظلوم..» و«أنت يا رب موضع كل شكوى حاضر كل ملأ وشاهد كل نجوى منتهى كل حاجة مفرج كل حزن، غِنَى كلّ مسكين». (راجع: الدروع الواقية: ١٢٤، إقبال الأعمال ٢: ١٦١، مهج الدعوات: ١٢٥)، وكونه تعالى غِنَى كلّ فقير، بحمل الفقر على ما هو أعمّ من الفقر المتعارف وهو مطلق الحاجة ليعمّ التمجيد كما أنّ الغنى هو سلب مطلق الحاجة، وإذ ثبت أنّ كلّ ممكن فهو مفتقر في طرفيه منته في سلسلة الحاجة إليه، وأنّه تعالى المقيم له في الوجود ثبت أنّه تعالى رافع حاجة كلّ موجود بل كلّ ممكن وهو المراد بكونه غنى له، وأطلق عليه تعالى لفظ الغنى وإن كان الغنى به مجازا إطلاقا لاسم السبب على المسبّب. (وراجع: شرح نهج البلاغة، لابن ميثم البحراني٣: ٥١).

(٢) كذا في (ق)، وفي (ت): «أفقر الفقراء» بدون واو، وفي (ر): «ونحن أفقر الفقراء»، وفي (ش) (ك) (ف) «ونحن الفقراء»، وفي (د) (ج) (ط) (حاشية ابن إدريس): «وانا أفقر الفقراء».

(٣) في (س): «الفاقة: شدّة الفقر والحاجة». (حاشية ابن إدريس: ١٣٣)، والفاقة: الحاجة والفقر، والجبر: ردَّ ما ذهبَ أو التعويض عمّا فات، والمراد: أغننا.

(٤) في حاشية (ج): «أي غناك وقدرتك»، وفي (س): «الوسع والسعة يقالان على الجدة والطاقة». (حاشية ابن إدريس: ١٣٥).

(٥) في (ق): «رجآنا».

سْتَرْفَدَ[١] فَضْلَكَ[٢]، فَإِلَى مَنْ حِينَئِذٍ مُنْقَلَبُنَا عَنْكَ؟[٣] وَإِلى يْنَ مَذْهَبُنَا عَنْ بَابِكَ؟

إنّ أولى الأسباب الّتي توجب استحقاق العفو من الله هو فقر الإنسان، وان قايسة فقر الإنسان إلى غنى الله سبحانه يوجب العفو منه تعالى، وذلك بجبر الفقر الفاقة ممن له الغنى المطلق، ففي حالة كهذه لا ينبغي للمولى أن يقطع رجاء لعبد من العدل؛ حيث يستلزم ذلك ما ينافي الكمال والجلال في ذات الباريء عالى الذي ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[٤] وذلك لأُمور، منها:

١ ـ ان قطع الرجاء موجب لشقاء الراجي الذي استسعد برحمة الله.

٢ ـ ان قطع الرجاء موجب لحرمان من طلب الرفد والاحسان، ومنع لاحسان والخير ممّن أمر بالاحسان قبيح، وهما ليستا من صفات البارى تعالى.

ففي حالة كهذه لا يكون للعبد ملجأ آخر يلتجئ اليه، ولا باب آخر يطرقه لكونه حينئذ أفقر الفقراء إلى الله تعالى.

قال الشارح المدني (ت/ ١١٢٠هـ): «... غناه عبارة عن سلب مطلق الحاجة، واضافته إلى اغنى الأغنياء على معنى كبيرهم ورئيسهم، كما يقال: ملك الملوك وسيد السادات وعظيم العظماء ومولى الموالي»[٥]. فإنه تعالى أغنى الأغنياء حيث لا يتصوّر من هو في غنى مطلق سواه، والإنسان في هذه الحالة يكون أفقر الفقراء؛ حيث لا يتصوّر من هو أفقر إلى الله سبحانه منه في حالته، والله العالم.

وبالجملة: حيث إن الله يأمر بالعدل والإحسان والعفو[٦]، فيكون العبد مستحقاً لذلك.

---

(١) استرفدَ: طلبَ الرفد، وهو العطاء والعيلة، أي استعطى.

(٢) في (ك) (ش) (ق) (ت) العبارة هكذا: «من فضْلِكَ».

(٣) في (ف): «متقلّبنا».

(٤) القرآن الكريم، سورة الأنعام ٦: ١٢.

(٥) رياض السالكين ٢: ٤٣١.

(٦) كما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾. (القرآن الكريم، سورة النحل ١٦: ٩٠).

[٣/١٠ ـ الثاني ـ اضطرار الإنسان]:

سُبْحَانَكَ[١]، نَحْنُ المُضْطَرُّونَ الَّذِينَ أَوْجَبْتَ إِجَابَتَهُمْ، وَأَهْلُ السُّوءِ الذين وَعَدْتَ الكَشْفَ عَنْهُمْ[٢]، وَأَشْبَهُ[٣] الأَشْيَاءِ بِمشيَّتِكَ[٤]، وَأَوْلَى الأُمُورِ بِكَ[٥] فِي عَظَمَتِكَ رَحْمَةُ مَنِ اسْتَرْحَمَكَ، وَغَوْثُ مَن اسْتَغَاثَ بِكَ، فَارْحَمْ[٦] تَضَرُّعَنَا إِلَيْكَ، وأَغثنَا[٧] إِذْ[٨] طَرَحْنَا أَنْفُسَنَا بَيْنَ يَدَيْكَ.

ومن الأسباب الموجبة لاستحقاق العفو: اضطرار الإنسان؛ حيث لا حول له ولا قوة. فإن الله سبحانه وصف نفسه بإجابة المضطر وكشف السوء في قوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[٩] فيكون العبد في حالة اللجأ إلى الله تعالى من المضطرين الذين لا ملجأ لهم سواه، وفي حالة أهل السوء الموعودين بكشف السوء عنهم.

فمقتضى الحالة الّتي فيها العبد ـ حيث لا ملجأ له سوى الله ـ ان تشمله رحمة الله وغوثه، فإنّ ذلك من صفات الله سبحانه والأنسب لعظمته. وحيث ثبت الاضطرار من جانب العبد والحاجة إلى عفوه سبحانه، فلا يكون هناك أيّ أمل

---

(١) أي انزّهكَ عمّا لا يليق بكَ تنزيهاً.

(٢) في حاشية (ج): «هذا إشارة إلى قولهِ تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾، أي يكشف ضر المكروب المجهود ويجيبه ويكشف البلاء»، والآية من القرآن الكريم، سورة النمل ٢٧: ٦٢.

(٣) في (ف): «فأشبه».

(٤) في (ك): «بسنّتك».

(٥) لم ترد في (ت): «بك».

(٦) في (ف): «فصل على محمد وآل محمد، وارحم».

(٧) كذا في (ك) (ش) (ق) (ج) وحاشية (د)، وفي غيرها: «وأغننا».

(٨) في (ف): «إذا».

(٩) القرآن الكريم، سورة النّمل ٢٧: ٦٢.

ى ان يرحم سبحانه المتضرع اليه، كما هو مقتضى تعامله مع من تضرع اليه
دعاء وطرح نفسه بين يديه ليبرهن على كمال تضرعه في الدعاء.

١/٤ ـ الثالث ـ شماتة الشيطان]:

**أللّهُمَّ إنَّ الشَّيْطانَ قَدْ شَمِتَ بِنا[١] إذْ شَايَعْناهُ[٢] عَلى
ْصِيَتِكَ، فَصَلِّ عِلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ[٣] وَلَا تُشْمِتْهُ[٤] بِنا بَعْدَ تَرْكِنا إيَّاهُ
كَ[٥]، وَرَغْبَتِنا عَنْهُ إلَيْكَ[٦].**

ومن الأسباب الموجبة لاستحقاق العفو: شماتة الشيطان؛ فإن عفو الرحمن
ستلزم سخط الشيطان، وعدم العفو يستلزم شماتته؛ وذلك لأن التضرّع إلى الله
بحانه طاعة، وطاعة الرحمن يوجب سخط الشيطان، فإذا كان التضرع فاقداً
أثر المطلوب ـ وهو العفو يصبح موجباً لشماتة الشيطان.

وبالجملة: ان في معصية الرحمان يكون فرح الشيطان، وفي طاعة الرحمن
كون سخطه، وفي حالة اللجأ إلى الله تعالى لو لم يشمل العفو الإلهي الإنسان،
كون موجباً لفرح الشيطان وشماتته، فيما لو لم تشمل رحمته تعالى المتلجيء
لى الفرض. وبما أنّ اللجأ إلى الله سبحانه إعراض عن الشيطان ورغبة عنه،
في اللجأ إلى الله رغبةٌ إلى رحمة الله، فتكون هذه الحالة مستحقة للعفو لإرغام
لشيطان، وامتثال لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[٧].

---

١) في حاشية (ج): «أي فرح، والشماتة: فرح العدو بمصيبة تنزل بمن يعاديه»، وشمت به يشمت ـ من باب علم ـ. (راجع: رياض السالكين٢: ٤٣٨).

٢) في حاشية (ج): «أي اتبعناه، والمشايعة: الاتباع...».

٣) في (ف): «فصلّ على محمّد وآل محمّد»، ولم ترد في (ك) (ش) عبارة: «فصلّ على محمّد وآل محمّد».

٤) في (ك): «فلا تشمته».

٥) في (ك): «إليك».

٦) لم ترد في (ف) عبارة: «وَرَغْبَتِنا عَنْهُ إليكَ».

٧) القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ١٦٨.

[الدُّعاءُ الحادي عشر]

ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام بِخواتم الخيْرِ(1)

[1/11 ـ الدعاء بخاتمة الخير]:

يَا مَنْ ذِكْرُهُ شَرَفٌ لِلذَّاكِرِينَ، وَيَا مَنْ شُكْرُهُ فَوْزٌ(2) لِلشَّاكِرِينَ(3)، وَيَا مَنْ طَاعَتُهُ نَجاةٌ لِلْمُطِيعِينَ، صلّ على مُحَمَّدٍ وآله(4) وَاشغَلْ(5) قُلُوبَنَا بِذِكْرِكَ عَنْ كُلِّ ذِكْرٍ، وأَلْسِنَتَنَا بِشُكْرِكَ عَنْ كُلِّ شُكْرٍ، وَجَوَارِحَنَا بِطَاعَتِكَ عَنْ كُلِّ طَاعَةٍ.

---

(1) ورد هذا الدُّعاء في (ك) بالرقم (٦) بعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام فِي الرحمة»، وفي (ش) بالرقم (٨) بعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام فِي الثناء والتعظيم والختم بالخير»، وفي (ج) بعنوان: «الحادي عشر: وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام بخواتم الخير»، وفي (ق) (ت) بعنوان (الحادي عشر) بعنوان: «لخواتم الخير»، وفي (ف) ورد في ذيل الدعاء السابق بدون عنوان، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (١١)، بعنوان: «دُعاؤهُ بخواتم الخير»، وفي هامش (س)ما نصّه: «لم يذكر في النسخ شيء يتعلّق بهذا الدعاء، غير أنّه ورد في شرح الصحيفة (لوامع الأنوار العرشية ٢: ٥٨٣) في جملة من الدعاء وقوله عليه السلام: «ولا توقفنا بعدها...» [في المقطع الثالث من هذا الدعاء] وفي نسخة ابن إدريس: «ولا تقفنا» من الوقوف».

(2) في (ف): «قوت».

(3) لم ترد في (ش): «وَيَا مَنْ شُكْرُهُ فَوْزٌ للشَّاكِرِينَ».

(4) في (ف): «فصلّ على محمّد وآل محمد»، ولم ترد في (ك) عبارة: «صلّ على محمّد وآله».

(5) في (ش): «وأشغل».

إن الوقت الذي يستهلكه عمر الإنسان منذ تحمّله المسؤولية وحتى بلوغه سنّ كليف وإلى حين وفاته يمرّ بمراحل أربع:

١ ـ حين بلوغ التكليف، وهو بلوغ الخامسة عشر عادةً.

٢ ـ حين ما يقوم به من عمل، خيراً أو شراً.

٣ ـ حين فراغه عن أيّ عمل.

٤ ـ حين وداعه للحياة.

اما المرحلة الأولى، فهي مرحلة التكليف، حيث يتحمّل الإنسان المسؤولية يقوم به من عمل يعود منه الخير أو الشرّ على نفسه أو أسرته أو مجتمعه، وفي ه المرحلة يكون ـ بالتحديد ـ إنساناً مسؤولا، دون ما سبقه من ايام الطفولة صبا، فهذه المرحلة بداية للمسؤولية.

أما المرحلة الثانية، فهي مرحلة ما يكون الإنسان فيها مسؤولا عن عمله، راً أو شراً، وقد اشار الإمام عليه السلام إلى أنّ أيّ عمل يقوم به الإنسان يجب ان ن طاعة؛ لانه ان كان فيه خير فهو عائدٌ إلى صلاح الإنسان نفسه أو اسرته أو تمعه، فلا محالة يكون طاعة للرحمن، ويوجب السعادة للإنسان والمجتمع.

٢/١ ـ الوظيفة في الحياة]:

فإنْ قَدَّرْتَ لَنَا فَرَاغَاً منْ[١] شُغْلٍ[٢] فاجْعَلْهُ فَراغَ سَلَامَةٍ، لَا رِكُنَا[٣] فِيهِ تَبِعةٌ، وَلَا تَلْحَقَنا فِيهِ[٤] سَأَمَةٌ[٥]، حَتَّى يَنْصَرِفَ عَنَّا

---

(١) في (ك): «عن».
(٢) في (ج): «شُغُلٍ»، وفي حاشية (ج): «شُغْلٍ، شُغُلٍ ـ معا».
(٣) في (ت): «لا يدركنا».
(٤) في (ت): «ولا يلحقنا معها»، وفي (ق): «ولا تلحقنا معها»، وفي حاشية (ج)في نسخة: «معه».
(٥) في (ف): «سيئة».

كُتَّابُ(١) السَّيِّئاتِ بِصَحِيفَةٍ(٢) خَالِيَةٍ مِنْ ذِكْرِ سَيِّئَاتِنَا، وَيَتَوَلَّى(٣) كُتَّابُ الحَسَنَاتِ عنَّا مَسْرُورِينَ بِمَا كَتبُوا مِنْ حَسَنَاتِنَا(٤).

وقد لخّصها عليه السلام في ثلاث نقاط رئيسية، هي:

١ ـ ذكر الله، فإنّ الإنسان إذا ذكر الله كان الذكر له حافزاً على عمل الخير.

٢ ـ شكر الله، فإنّ الشكر يستلزم عملا يكون جزاءً وعرفاناً للنعمة.

٣ ـ طاعة الله، فانها هي عمل الخير بكل أنواعه ومفاهيمه.

وهذه النقاط هي العماد الأساس للإنسان المسؤول، وبها يمتاز عن الحيوانات الّتي همّها علفها، ولا يكون لها ذكر للخير ولا شكر على إحسان، ولا طاعة في عمل الخير، وعليه، يكون العائد على الإنسان من هذه النقاط هو نعمة الإنسانية المتميزة بما يلي:

١ ـ الشرف، فانّ شرف تحمل المسؤولية تكون مذكّرة بالله تعالى.

٢ ـ الفوز بالراحة النفسية لأداء المسؤولية «شكره فوز للشاكرين».

٣ ـ النجاة من تأنيب الضمير «طاعته نجاة للمطيعين».

اما المرحلة الثالثة ـ وهي مرحلة الفراغ ـ: فقد أشار الإمام عليه السلام إلى ثلاث نقاط رئيسية فيها، حتى تعتبر مرحلة فراغ حقيقية، فإذا لم تتصف هذه المرحلة بتلك النقاط فانها تكون مرحلة شغل ومشغولية، والنقاط هي:

١ ـ السلامة، فالفراغ بالمرض ـ مثلا ـ ليس فراغاً، بل مسؤولية لمعرفة قدر الصحة.

٢ ـ من دون تبعة، فالفراغ مع التبعة ـ أي الاثم ـ انما هو مسؤولية، لا فراغ حقيقي.

---

(١) في حاشية (ج) في نسخة: «كِتَابُ».

(٢) في (ك) (ش) العبارة هكذا: «وَلَا تَلْحقنا مَعَهُ سَيِّئةٌ، حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتَّابُ السَّيِّئاتِ عَنَّا بِصُحُفٍ».

(٣) في (ق): «وتتولى»، ويتولّى: يدبر ويذهب.

(٤) في (ف): «حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتَّابُ الحَسَنَاتِ عَنَّا مَسْرُورِينَ بِمَا كَتَبُوا مِنْ حَسَنَاتِنَا، وَيَتَوَلَّى كُتَّابُ السَّيِّئَاتِ عنا بِصحيفة خَالِيَة مِنْ ذِكْرِ سَيِّئَاتِنَا».

٣ ـ من دون سأمة، فالفراغ مع السأمة ـ أي التعب ـ من آثار الضجر.

فإذا تحققت هذه النقاط الثلاث يكون الفراغ فراغاً حقيقياً، حيث ان صحيفة لأعمال تكون بيضاء لكونها خالية عن ذكر السيّئات، والمسؤولون عن هذه صحائف لا يكتبون سوى الحسنات.

٣/١١ ـ ختام العمر]:

وإذا[١] انْقَضَتْ أيّامُ حَيَاتِنا، وتَصَرَّمَتْ مُدَدُ[٢] أعْمَارِنَا، استَحضَرَتْنَا[٣] دَعْوَتُكَ الَّتي لابُدَّ مِنْهَا ومِنْ إجَابَتِهَا[٤]، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ آلِهِ[٥] واجْعَلْ[٦] خِتامَ مَا تُحْصِي عَلَيْنا كَتَبَةُ أعْمَالِنَا تَوْبَةً مَقْبُولَةً، لا تُوقِفُنَا[٧]

---

١) في (ف) (ت): «فإذا».

٢) في (ش) (ق) (ف) (ت): «مدّة». وتصرّمت: انقضت.

٣) في (ت): «واستحضر».

٤) في (ف): «الّتي لا بُدَّ مِنْ إجَابَتِها».

٥) في (ق): «وآل محمد».

٦) في (ك) العبارة هكذا: «واستَحضَرَتْنَا دَعْوَتُكَ الَّتي لابُدَّ من إجَابَتِها فاجعل».

٧) في (ك): «لا نوقف»، وفي (ك): «ولا توقفنا»، وفي حاشية (ج): «تَقفْنَا ـ س»، وفي هامش (س)ما نصّه: «لم يذكر في «حاشية ابن إدريس على الصحيفة السجادية» شيء يتعلّق بهذا الدعاء، غير أنّه ورد في شرح الصحيفة (لوامع الأنوار العرشية٢: ٥٨٣) في جملة من الدعاء: وقوله عليه السلام: «ولا توقفنا بعدها...» وفي نسخة ابن إدريس: «ولا تقفنا» من الوقوف، فراجع»، وفي حاشية (د): «وقفنا: مضارع أوقف بالألف، هكذا في النسخ المشهورة، وفي نسخة: «تقفنا»، مضارع وقف متعدّيا، وأكثر أهل اللغة على إنكار أوقف بهذا المعنى. وروده في كلام المعصوم عليه السلام دالّ على صحّته وفصاحته، على أنّ بعض أئمّة العربية ذكر لأوقفت معنى يناسب هذا المقام، وهو ما في كتاب الإصلاح لابن السكّيت، قال أبو سعيد: قال أبو عبيدة: أوقفت فلانا على ذنوبه: إذا بكّته بها. وأوقفت الرجل: إذا استوقفته ساعة ثمّ افترقتما. لا يكون إلّا هكذا. انتهى. ولا يخفى أنّ المعنى الأوّل له تمام المناسبة هنا، فيكون معنى لا توقفنا بعدها على ذنب لا تبكّتنا عليه، أي: لا تؤنّبنا ولا توبّخنا ولا تستقبلنا بما نكره بسببه. ويكون معنى «لا تقفنا» كما في النسخة الأخرى: ولا تطلعنا بعدها على ذنب. والمعنيان متقاربان». (راجع: رياض السالكين ٢: ٤٥٩).

بَعْدَهَا عَلَى ذَنْبٍ اِجْتَرَحْنَاهُ[(١)] وَلَا مَعْصِيَةٍ اِقْتَرَفْنَاهَا[(٢)]، وَلَا تَكْشِفْ عَنَّا سِتْراً سَتَرْتَهُ[(٣)] عَلَى رُؤُوسِ[(٤)] الأَشْهَادِ، يَوْمَ تَبْلو[(٥)] أَخْبَارَ عِبَادِكَ[(٦)]. إِنَّكَ رَحِيمٌ بِمَنْ[(٧)] دَعَاكَ، وَ[(٨)] مُسْتَجِيبٌ لِمَنْ نَادَاكَ.

وأمّا المرحلة الرابعة، وهي اهم هذه المراحل الأربع - ومرحلة ختم العمر، وأهميتّها انما هي من جهة ان ما تقدم عليها من المراحل - سوى الأولى - كانت خاضعة للعمل وامكان لحوق التوبة بها، دون هذه المرحلة الأخيرة الّتي لا تتعقبها التوبة، وقد وصف الإمام هذه المرحلة بنقاط اساسية، هي:

١ - انقضاء أيّام الحياة.

٢ - انقطاع مدة العمر.

٣ - استحضار دعوة الحقّ بالموت.

وقد خصّ هذه النقطة الأخيرة بوصفين، هما:

أولاً: أنه «لا بدّ منها»؛ حيث إنّ ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[(٩)].

وثانياً: «لا بدّ من إجابتها» فإنه ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[(١٠)].

ففي هذه المرحلة الأخيرة الّتي لا مجال لشيء من العمل فيها سوى التوبة،

---

(١) في حاشية (ج): «اجترحت واقترفت واكتسبت نظائر، وجرح واجترح: اكتسب»، واجترحناهُ: اكتسبناهُ، ولا نوقف: لا نؤنّب ونعذل.

(٢) اقترفناها: عملناها.

(٣) لم ترد في (ش): «سترته».

(٤) في (ش): «رؤس».

(٥) في (ف): «يوم تبلى السرائر»، وفي حاشية (ج): «أي تختبر».

(٦) في (ش): «العباد». والعبارة في (ك) هكذا: «وَلاتَكْشِفْ لَنا سِتْرَاً عَلَى رُؤُوسِ الأَشْهَادِ يَوْمَ تُبْلى أَخْبَارُ العِبَادِ». أي يوم القيامة. وتُبلى: تُمتَحن وتُختبر وتعرف.

(٧) في (ت): «لمن».

(٨) لم ترد في (ك) كلمة: «و».

(٩) القرآن الكريم، سورة القصص ٢٨: ٨٨.

(١٠) القرآن الكريم، سورة الأعراف ٧: ٣٤، وسورة النحل ١٦: ٦١.

يفتقر الإنسان فيها إلى حسن الختام، فخصّه الإمام عليه السلام بالدعاء لتوبة مقبولة، اشار عليه السلام إلى أثرين هامّين من آثار قبول التوبة، هما:

أولاً: لا يحصل بعد ذلك ذنب أو معصية، فلا يكون بعد ذلك سوى موت.

وثانياً: لا يكشف على رؤوس الأشهاد ستراً ستره الله في الحياة برحمته تي ﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1]، وذلك لأن المحتَضِر في آخر لحظة من حياته يعاين موت، ويكون له مشهوداً حاضراً، وحينئذ يظهر ما في نفسه من علاقات المادة لماديات، ويكون حريصاً على إظهار ذلك معلناً ولاءهُ لها، ويكشف بنفسه سرَّه لى رؤوس الأشهاد، فيضيف إلى معاصيه معصية أخرى.

والداعي يطلب التوبة المقبولة الّتي لا يتَعقبها معصية ولا كشف ستر، بل ئون للوفود على الله الكريم والمدعوّ الرحيم.

اللهم ارزقنا حسن العاقبة بجاه محمد وآله الطاهرين.

---

(1) القرآن الكريم، سورة الأعراف ٧: ١٥٦.

[الدُّعاءُ الثَّانِي عشر]

ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام فِي الاعتراف وطلب التوبة إلى الله تعالى[1]

[١/١٢ ـ السؤال من الرب وأدب السؤال]:

أللّهُمَّ إنَّه يَحْجُبُنِي[2] عَنْ مسألَتِكَ خِلَالٌ[3] ثَلَاثٌ، وَتَحْدُونِي[4]

---

(١) ورد هذا الدُّعاء في (ك) بالرقم (٧) بعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام فِي المناجاة»، وفي (ش) بالرقم (٩) بعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام لنفسه فِي التضرّع والخشوع وطلب التّوبة إلى الله عزّ وجل»، وفي (ج) بعنوان: «الثاني عشر: وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام فِي الإعتراف وطلب التوبة الى الله تعالى»، وفي (ق) بعنوان (الثاني عشر) وبعنوان: «فِي الاعتراف»، وفي (ت) بعنوان (الثاني عشر) وبعنوان: «فِي طلب التوبة»، وفي (ف)ورد في ذيل الدعاء السابق بدون عنوان، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (١٢)، بعنوان: «دُعاؤهُ في الاعتراف وطلب التوبة الى الله تعالى».

(٢) في (ك): «أللّهُمَّ إنَّني يَحْجُبُنِي»، وفي (ف): «أللّهُمَّ إنّه فَحَمتنِي»، كذا.

(٣) خلال: خصال، وفي حاشية (ج): «الخلة: الخصلة، وقال بعض البلغاء: بئست واللهالخِلة [الخصلة] أن يمنع الخليل الخُلة [الصداقة] لأجل الخَلة [الفقر]»، وفي (س): «الخلّة: الخصلة، والخَلّة: الحاجة والفقر». (حاشية ابن إدريس: ١٣٩).

(٤) في (ك) (ق) (ف) (ت): «وَيَحْدُونِي». وفي حاشية (ج): «يحدوني- بالحاء المهملة- : أي يسوقني، ويقال للشمال: حدو، لأنها تسوق السحاب. ويحتمل أن يكون معنى يحدوني، أي يرغبني في مسألتك، فأتعمدها واجريها، ويجري ويحدو ويعمد نظائر»، وفي (س): «الحدو: سوق الإبل والغناء لها، فكان الأصل كذلك، واستعمل في كلّ ما يسوق إلى الشيء. س». (حاشية ابن إدريس: ١٣٩)، ويحدوني: أي يبعثني ويحرّضني. وفي هامش (ج) هنا حاشية غير معلّمة، لم يعرف محلها، وهي: «الفرق بين الانظار والتأخير: ان الانظار امهال لينظر صاحبه في امره، والتأخير خلاف التقديم من غير تضمين»، (وراجع: التبيان في تفسير القرآن، للشيخ الطوسي ٦: ١٠).

عليْهَا خَلَّةٌ وَاحِدَةٌ[١]. يَحْجُبني[٢] أمْرٌ أمَرْتَ[٣] بِهِ فَأبْطَأتُ عَنْهُ[٤]، وَنَهْيٌ نَهَيْتَنِي عَنْهُ فَأَسْرَعْتُ إليهِ، وَنِعْمَةٌ أنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ[٥] فَقَصَّرْتُ فِي[٦] شُكْرِها. وَيَحْدُونِي عَلَى مَسْأَلتِكَ تَفَضُّلُكَ[٧] عَلى مَنْ أقْبَلَ بِوَجْهِهِ إلَيْكَ، وَوَفَدَ بِحُسْنِ ظَنِّهِ إلَيْكَ[٨]، إذْ جَمِيْعُ إحْسَانِكَ تَفَضُّلٌ[٩]، وإذْ كُلُّ نِعَمِكَ[١٠] ابْتِداءٌ.

استفتح الإمام دعاء التوبة بما يقتضيه أدب السؤال، وهو التأكيد على ما وجب التوبة على من قصّر في أداء واجبه تجاه ربه، والسؤال له عوامل سلبية تمنع منه، وله عوامل ايجابية تحرّض عليه ـ كما في كل موضوع في الحياة ـ وقد ذكر الإمام من العوامل السلبية ثلاث، ومن الجانب الإيجابي واحدة تطغى عليها، فقال عليه السلام: ان العوامل السلبية الّتي تحجب ـ أي تمنع ـ العبد من السؤال هي ثلاث خصال:

١ ـ عدم طاعة الأوامر الإلهيّة بالترك أو الاهمال، وهما في الحقيقة إبطاء الطاعة في وقت التوبة.

٢ ـ ارتكاب المعصية في النواهي الإلهيّة بالفعل، فإنه في الحقيقة إسراع إليها بمجرد فعلها.

---

(١) لم ترد في (ت): «واحدة».

(٢) لم ترد في (ف): «يَحْجُبُني».

(٣) في (ك) (ش) (ق): «أمرتني»، وفي حاشية (ج): «أمرتني ـ س».

(٤) في (ك): «وَأَبْطَأتُ عَنْهُ».

(٥) في (ف): «وَنِعْمَةٌ أسديتها إليَّ».

(٦) في (ف): «عن»، وفي حاشية (ج)في نسخة: «عن»، وفي (ك) (ش) (ف): العبارة هكذا: «وَنعْمَةٌ أسْدَيْتَها إليَّ فَقَصَّرْتُ عَنْ شكرها».

(٧) في (ف): «بفضلك»، والعبارة في (ت) هكذا: «ويحدوني عليها خلة واحدة وهو تفضّلك».

(٨) في (ك) (ش) (ف) (ت): «عَلَيْك»، وفي حاشية (ج): «عليك ـ س».

(٩) في (ف): «بفضل».

(١٠) في (ك) (ق) (ت): «نعمتك».

٣ ـ عدم الشكر على النعمة؛ فإن ذلك وان لم يكن من الأوامر والنواهي، ولكنه في الحقيقة نكران للواجب الإنساني لمن له يد في عمل الخير، فإذا كان ذلك واجباً إنسانياً في الحياة العامة في الأمور الصغيرة، فكيف بالنسبة إلى المنعم بالحياة؟

فهذه العوامل الثلاث الواضحة تجعل الإنسان في يأس عن السؤال وطلب التوبة؛ لأن هذه العوامل السلبية تدين السائل وتمنعه عن ان يسأل أو يتقدم بطلب هو عارف بأسباب الرفض فيه، ولكن هناك عامل واحد إيجابي يدعوا الإنسان المذنب إلى السؤال وطلب التوبة، وهو عامل تفضّل الله سبحانه؛ فإن هذا العامل يطغى على غيره من العوامل السلبية، ويكون ذلك سبباً للوفود إلى الله بظن حسن؛ لحصول هذا التفضّل الذي يعمّ كل شيء في الحياة؛ لأن رحمته وسعت كل شيء وكل حالة، والّتي منها حالة التوبة، فيكون طلب التوبة مصداقاً لتفضّله تعالى؛ لأنها حالة جديدة تقتضي نعمة مبتدأة جديرة بالفضل مع قطع النظر عمّا سبقها من حالات.

[٢/١٢ ـ استحقاق التفضّل]:

فَهَا أنا ذَا ـ يَا إلهِي ـ وَاقِفٌ(١) بِبابِ عِزِّكَ وُقُوفَ المُسْتَسْلِمِ(٢) الذَّلِيلِ، وَسَائِلُكَ ـ عَلَى الحَيَاءِ مِنِّي ـ سُؤَالَ البَائِسِ(٣) المُعيلِ(٤)، مُقِرٌّ لَكَ بِأنّي لَمْ أسْتَسْلِمْ(٥) وَقْتَ إحْسَانِكَ

---

(١) في (ف) زيادة: «ومقيمٌ»، وفي حاشية (ك) في نسخة: «ومقيم ووقوف»، والعبارة في (ق) (ت) هكذا: «فَهَا أنا ذَا ـ يَا إلهِي ـ وَاقِفٌ بينَ يَدَيكَ، وَوَقُوفٌ بِبابِ عِزِّكَ وُقُوفَ المُسْتَسْلِمِ الذَّلِيلِ».

(٢) في (س): «استسلم: انقاد». (حاشية ابن إدريس: ١٣٩).

(٣) في حاشية (ج): «البائس أسوأ حالا من الفقير والمسكين، وبَئِسَ الرجل: اشتدت حاجته، والمعيل: كثير العيال»، وفي (س): «بئس الرجل فهو بائس: اشتدت حاجته». (حاشية ابن إدريس: ١٣٩).

(٤) المعيل: كثير العيال؛ فإنَّ من كثرَ عيالهُ زاد جهدهُ واشتدَ اضطرارهُ.

(٥) في (س): «استسلم: انقاد». (حاشية ابن إدريس: ١٣٩).

لّا بالإقْلاعِ[١] عَنْ عِصْيَانِكَ، وَ[٢] لَمْ أخْلُ في الحَالاتِ كُلِّها بن[٣] امْتِنَانِكَ[٤]، فَهَلْ يَنْفَعُنِي[٥] - يا إلهي - إقراري عِنْدَكَ[٦] سُوءِ مَا اكتَسَبتُ[٧]؟ وَهَلْ يُنْجِينِي مِنْكَ اِعْتِرافي لَكَ بِقَبِيحِ[٨] مَا رْتَكَبتُ؟ أمْ أوجَبتَ لِي فِي مَقَامِي هَذَا سُخْطَكَ؟ أمْ لَزِمَنِي فِي وَقْتِ دُعَائِيَ مَقْتُكَ[٩]؟

وفي هذا المقطع أشار الإمام عليه السلام إلى ما يوجب استحقاق التفضل بسرد صفات السائل والسؤال الموجبَة لذلك، ومنها:

---

(١) في (ق) (ت): «إلى الإقلاع»، وفي حاشية (د): «الإقلاع عن الأمر: الكفّ عنه، وأقلعت عنه الحمى: تركته. والباء: للملابسة والمعنى أنّي ما استسلمت وانقدت لأمرك وقت إحسانك إلّا متلبّساً بالكفّ عن عصيانك فقط، ولم تقع منّي طاعة أخرى، والغرض من ذلك الإقرار بأنّه لم يقم بجميع ما يقتضيه الاستسلام من امتثال الأوامر واجتناب المناهي، كما هو شأن المستسلم المنقاد. (رياض السالكين ٢: ٤٨٠).

(٢) لم ترد في (ف): «لَمْ أَسْتَسْلِمْ وَقْتَ إِحْسَانِكَ إلّا بالإقْلاعِ عَنْ عِصْيَانِكَ، وَ».

(٣) في حاشية (ج): «من - معا».

(٤) في (ك) (ش) العبارة هكذا: «مُقِرٌّ لك بِأنّي لَمْ أخْلُ فِيالحَالاتِ كُلِّها مِنْ اِحْسَانِكَ، وانِّي لَمْ أسْلَمْ فِي أوْقَاتِ إحْسَانِكَ مِنْ عِصْيَانِكَ»، وفي (ف) العبارة هكذا: «مُقِرٌّ لك بِأنِّي لَمْ أخْلُ فِيالحَالاتِ كُلِّها مِنْ اِحْسَانِكَ، الى الإقلاع أسْتسلِمْ وَقْت إحْسَانِكَ الى الاقلاع مِنْ عِصْيَانِكَ».

(٥) في (ك): «ينفع»، وفي (ف): « ينفع عبدك».

(٦) لم ترد في (ف): «عندك».

(٧) في (ك): «مَا اكتَسَبَ».

(٨) في (ف): «إغنائي تقبيح»، وفي حاشية (ج): «الفرق بين السوء والقبيح: ان السوء ما يظهر مكروهه لصاحبه، والقبيح: ما ليس للقادر عليه أن يفعله، قاله الطبرسي في مجمعه». ولم نقف عليه في مجمع البيان، وهو في «التبيان في تفسير القرآن»، للشيخ الطوسي ٦ : ٣٨.

(٩) في (ك) العبارة هكذا: «أمْ هَلْ يُنْجِيهِ مِنْكَ اِعْتِرافُهُ بِقُبْحِ مَا ارْتَكَبَ؟ أمْ وَجَبَ لَهُ فِي مَقامِهِ هَذَا سَخَطكَ؟ أمْ لَزِمَهُ فِي وَقْتِ دُعائِهِ مَقْتُكَ؟»، وفي (ش) العبارة هكذا: «وهَلْ يُنْجِيهِ مِنْكَ اِعْتِرافُهُ بِقبيحِ مَا ارْتَكَبَ؟ أمْ وَجَبَ لَهُ فِي مَقامِهِ هَذَا سُخطكَ؟ أمْ لَزِمَهُ فِي وَقْتِ دُعائِهِ مَقْتُكَ؟»، والمقت: أشدّ البغض، والمراد: أشدّ البغض، وفي (س): «مقته مقتاً: أبغضه». (حاشية ابن إدريس: ١٣٩).

١ ـ الوقوف بباب عزّ الله؛ فإن الكريم لا يرد السائل إذا وقف على باب داره.

٢ ـ حالة الوقوف «المستسلم الذليل» وليست بتجبّر وتحد.

٣ ـ السؤال على الحياء مما سبق منه من الاهمال أو النكران والعصيان وما شابه.

٤ ـ حالة السؤال «سؤال البائس المعيل».

٥ ـ الاقرار؛ فإن الاقرار بالذنب مع العلم بالامتنان والعفو يختلف عن الاقرار مع التجرّي والتحدّي. فهذه الصفات توجب استحقاق التفضّل في الحياة العادية مع الناس بالنسبة نكران بعض حقوقهم، ولكن بالنسبة إلى الله سبحانه لا يوجب شيئاً؛ لعظم المعصية بالنسبة إلى أوامره تعالى الّتي يعود بعضها على الإنسان نفسه ومجتمعه الذي يعيش فيه، فلا يكون للعبد سوى سرد الحالة كما هي، على أمل أن يشمله التفضل الإلهي من دون أيّ إلزام.

واختتم الإمام عليه السلام هذا المقطع بالسؤال: هل ينفع الاقرار، وهل ينجي الاعتراف، ام انّ المقت ـ أي البغض الشديد ـ قد حل؛ لما سبق من التحدي والعصيان. فإن كان كذلك فلا محيص من سوء العاقبة، ولو كان كذلك لما فتح الله باب التوبة لعباده.

[٣/١٢ ـ باب التوبة]:

سُبْحَانَكَ، لَا أَيْأَسُ[١] مِنْكَ[٢] وَقَدْ فَتَحْتَ لِي بَابَ التَّوْبَةِ

---

(١) في (ق): «لا آنَسَ»، وفي (ق): «لا أيأس»، وفي حاشية (ج): «أيأس ـ س»، وفي حاشية (د): «والرواية في الدعاء وردت بالوجهين: «لا أيئس منك» على مستقبل أيس، والأصل «أيأس» بهمزتين، الأولى للمضارعة والثانية فاء الكلمة، فليّنت وقلبت ياء للاستثقال، وهذه الرواية هي المشهورة في متون النسخ. و«لا أياس منك» على أنّه مستقبل يئس، وهي نسخة ابن إدريس رحمه الله». (رياض السالكين ٢: ٤٨٤).

(٢) في (ش): «من رحمتك».

ليكَ[١]، بَلْ أقُولُ مَقالَ[٢] العَبْدِ الذَلِيلِ، الظَالِمِ لِنَفسِهِ، المُسْتَخِفِّ حُرْمَةِ[٣] رَبِّهِ، الَّذِي عَظُمَتْ ذُنُوبُهُ فَجَلَّتْ[٤]، وَأَدْبَرَتْ أيّامُهُ وَلَّتْ، حَتَّى إذَا رَأى مُدَّةَ العَمَلِ قَدِ انْقَضَتْ، وَغايَةَ العُمُرِ قَدِ نْتَهَتْ، وأيْقَنَ أنّهُ لا مَحِيصَ[٥] لَهُ مِنْكَ[٦]، ولا مَهْرَبَ لَهُ مْنكَ[٧]، تَلَقَّاكَ بالإنابَةِ، وَأخْلَصَ لَكَ التَّوْبَةَ[٨]، فَقَامَ إلَيْكَ بِقَلْبٍ طاهِرٍ نَقِيٍّ[٩]، ثُمَّ دَعاكَ بِصَوْتٍ حائِلٍ[١٠] خَفِيٍّ، قَدْ تَطَأطَأَ[١١] لَكَ انْحَنَى، وَنكَّسَ[١٢] رَأسَهُ فانْثَنَى، قَدْ أرْعَشَتْ[١٣] خَشْيَتُهُ رِجْلَيْهِ، غَرّقَتْ دُمُوعُهُ خَدَّيْهِ.

إنّ الله سبحانه فتح باب التوبة للعباد، وهو يستلزم استحقاق التفضّل لمن نحرف عن الصراط المستقيم. فلا يمكن للإنسان العاصي ان ييأس من التفضّل

---

١) في (ش): «إليه».
٢) في (ك) (ش) (ف): «مقالة».
٣) في (ف): «حرمة».
٤) جلّت: عظمت قدراً وشأناً.
٥) في (ك) العبارة هكذا: «وأيقن أن لامَحيصَ لَهُ»، وفي (س): «حاص عنه يحيص حيصاً: أي عدل وحاد، يقال: ما عنه محيص، أي محيد ومهرب». (حاشية ابن إدريس: ١٣٩). والمحيص: الملجأ والمنجى.
٦) في (ت): «لا محيص له عنك»، وفي (ق): «لا محيص عنك».
٧) في (ق) (ت): «منك»، وفي (ك) العبارة هكذا: «وأن لا مَهْرَبَ لَهُ عنْكَ».
٨) في (ف) (ت): «بالتوبة».
٩) لم ترد في (ش): «نقيّ».
١٠) في (ك) (ش) (ق) (ف) (ت): «بصوت خامل»، وفي حاشية (ج): «خامل ـ س، والخامل: الخفي، وكرر لضرب من التأكيد واختلاف اللفظ»، والخامل: الخفي، وخملَ الإنسان: إذا كان بهِ خُمال، والخمال: الذهول والوقوع في الورطة العظيمة.
١١) في حاشية (ج): «طأطأ ـ س»، وطأطأ رأسهُ وغيرهُ: طامنه وخفضه عن الإشراف.
١٢) في (ش): «ونَكَسَ»، وفي حاشية (ج): «ونكس ـ س».
١٣) أرعشَ: أخذتهُ الرعدة، إرتعدَ، والخشية: الخوف من توقع العقاب.

مع انفتاح هذا الباب؛ لأن انفتاح باب التوبة يستلزم معرفة الله سبحانه بحالتي العبد في الماضي والحال، وبهما معاً يستحق قبول التوبة، وقد تحققت الحالتان في العبد التائب. أمّا في الحالة الماضية فأهم صفاتها:

١ ـ الظلم للنفس.

٢ ـ الاستخفاف بحرمة الرب.

٣ ـ عظم الذنوب.

والعبد يقرّ بهذا الماضي الأسود «مقال العبد الذليل».

وأمّا الحال، فأهم صفات العبد فيها:

١ ـ الإنابة ـ أي الرجوع ـ إلى الله تعالى.

٢ ـ الإخلاص بالتوبة.

٣ ـ القيام إلى الله بقلب طاهر نقيّ.

٤ ـ الدعاء بصوت حائل، أي متغيّر، يختلف عن حالته السابقة.

٥ ـ الذل (التطأطؤ) بما في الكلمة من معنى، حيث يستلزم الانحناء لعظمة الله ونكس الرأس والانثناء ـ أي زيادة الانحناء ـ مع رعشة مستولية على الجسم، ويظهر شدتها من ارتعاش الرجلين. وجريان دموع التوبة الّتي قد غرقت الخدين.

وهذه الصفات من التاريخ الماضي الأسود والحالة الحاضرة، تجعل العبد مستحقا للتفضل عليه لدخول باب التوبة الّتي فتحها الله لعباده المذنبين.

[٤/١٢ ـ افتتاح الدعاء]:

يَدْعُوكَ بيا(١) أَرْحَمَ الراحمين، [وَيَا أَرْحَمَ مَنِ(٢) انْتَابَهُ(٣)

---

(١) في (ق) (ف) (ت): «يا».

(٢) في (ك) (ش) العبارة هكذا: «يَدْعُوكَ: يا أرْحَمَ من».

(٣) في حاشية (ج): «انتابه أي أكثروا سؤاله، وانتاب كذا: أي أتاه مرة بعد أخرى»، وفي (س): «انتاب فلان القوم انتياباً: أي أتاهم مرة بعد أُخرى». (حاشية ابن إدريس: ١٣٩). أو غدا إليهِ وراح.

لِمُسْتَرْحِمُونَ، وَيَا أَعْطَفَ[(١)] مَنْ أَطَافَ بِهِ[(٢)] المُسْتَغْفِرونَ][(٣)]، وَيَا مَن عَفْوُهُ أَكْثَرُ[(٤)] مِنْ نِقْمَتِهِ، وَيَا مَنْ رِضَاهُ أَوْفَرُ[(٥)] مِنْ سَخَطِهِ[(٦)]، وَيَا مَنْ تَحَمَّدَ إِلى خَلْقِهِ بِحُسْنِ التَّجَاوُزِ[(٧)]، وَيَا مَنْ عَوَّدَ عِبَادَهُ قَبُولَ الإِنَابَةِ[(٨)]، وَيَا مَنِ اسْتَصْلَحَ فاسِدَهُم بالتَّوْبَةِ، وَيَا مَنْ رَضِيَ مِنْ فِعْلِهِم بِاليَسِيرِ، وَيَا مَنْ كَافَى[(٩)] قَلِيْلَهُمْ بالكَثِيرِ، وَيَا مَنْ ضَمِنَ لَهُمْ[(١٠)] إِجَابَةَ الدُّعاءِ، وَيَا مَنْ وَعَدَهُمْ عَلى نَفْسِهِ[(١١)] بِتَفَضُّلِهِ[(١٢)] حُسْنَ الجَزَاءِ[(١٣)].

وافتتح الإمام عليه السلام دعاء التوبة بأُلفاظ تستوجب ذلك، وهي:

١ ـ يا أرحم الراحمين، فرحمته تسع كل أحد، سواءً من استرحمه أم لا.

٢ ـ يا أرحم من انتابه ـ أي تكرر استرحامه ـ وليست حالة منفردة من الداعي فقط.

---

(١) في (س): «عطفت: أي ملتُ، وعطفت عليه: أي أشفقت. والإشفاق بمعنى خفت، وبمعنى الشفقة والرحمة. س». (حاشية ابن إدريس: ١٤٠).

(٢) في (س): «أطاف به: أي ألمّ به وقاربه». (حاشية ابن إدريس: ١٤٠)، وأطافَ بِهِ: ألمَّ أي نزلَ بِهِ، وأطافَ بِهِ: أحاطَ بِهِ.

(٣) ما بين المعقوفتين لم يرد في (ف).

(٤) في (ك): «أكبر»، وفي حاشية (ك) في نسخة: «أكثر».

(٥) وفرَ الشيء يفر: كثر واتسعَ، أي يا من رضاهُ أكثر وأوسع من سخطه.

(٦) في (ف) هنا زيادة: «وَيا أَرْحَمَ مَنِ انْتَابَهُ المُسْتَرْحِمُونَ، وَيا أَعْطَفَ مَنْ أَطَافَ بِهِ المُسْتَغْفِرونَ».

(٧) في (ف) زيادة: «عنهم».

(٨) في (س): «أناب إلى الله تعالى: أقبل وتاب». (حاشية ابن إدريس: ١٤٠).

(٩) في (ج): «كافيّ»، وفي (ف): «كافأ».

(١٠) في (ش): «له».

(١١) في (ك): «عن»، ولم ترد في (ش): «عن نفسه».

(١٢) لم ترد «بتفضّله» في بعض النسخ.

(١٣) في (ك) (ف): «وَيَا مَنْ وَعَدَهُمْ بفَضلِهِ حُسْنَ الجَزَاءِ».

٣ ـ يا أعطف من أطاف به المستغفرون، فهو تعالى اعطف بهم واشفق بهم.

٤ ـ يا من عفوه اكثر من نقمته، وكثرة العفو توجب كثرة الأمل به من العباد.

٥ ـ يا من رضاه أوفر ـ أي اوسع ـ من سخطه، ووسع الرضا يوجب كثرة الأمل به.

٦ ـ يا من تحمّد بحسن التجاوز؛ لأمره بالحمد بقوله: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾[1]. وحسن التجاوز هو الصفح الجميل، وذلك يستلزم قبول التوبة الصادقة.

٧ ـ يامن عوّد عباده قبول الإنابة، وذلك بقبول الرجوع اليه تعالى والاعراض عمّا سلف من التجاوز، وهو الصفح الجميل، وذلك يستلزم قبول التوبة الصادقة.

٨ ـ يا من استصلح فاسدهم بالتوبة؛ لأن في التوبة تقويم لما حصل من الانحراف.

٩ ـ يا من رضيَ باليسير، فأنّ أوامره تعالى بالواجبات أقل من المستحبات.

١٠ ـ يا من كافأ قليلهم بالكثير، فإن المكافاة ليست بالتساوي؛ لتفضّله تعالى.

١١ ـ يا من ضمن اجابة الدعاء بقوله: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[2] وذلك يستلزم القبول.

١٢ ـ يا من وعد حسن الجزاء بقوله: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾[3].

فهذه النداءات الاثني عشر تقتضي أن يكون طلب التوبة مقبولاً عند الله ومستجاباً منه.

---

(١) القرآن الكريم، سورة النمل ٢٧: ٩٣.
(٢) القرآن الكريم، سورة غافر ٤٠: ٦٠.
(٣) القرآن الكريم، سورة آل عمران ٣: ١٩٥.

١٢/٥ ـ حالة التائب]:

[يَا مَوْلَايَ][١] مَا[٢] أنا بأعْصَى مَنْ عَصَاكَ فَغَفَرْتَ لَهُ[٣]، وَمَا
ـا[٤] بألوَمِ[٥] مَنِ اعْتَذَرَ إليْكَ[٦] فَقَبِلْتَ مِنْهُ[٧]، وَمَا أنَا[٨] بِأظْلَمَ
ـنْ تَابَ إليْكَ فَعُدْتَ[٩] عَلَيْهِ[١٠].

أتُوبُ إليْكَ فِي مَقَامِي هَذا تَوبَةَ نَادِمٍ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُ[١١]،
ـشْفِقٍ[١٢] مِمَّا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ، خَالِصِ الحَيَاءِ[١٣] مِمَّا وَقَعَ فِيهِ[١٤]،
ـالِمٍ بِأنَّ العَفْوَ عَنِ الذَّنْبِ العَظِيْمِ لا يَتَعَاظَمُكَ[١٥]، وَأنَّ التَّجَاوُزَ

---

١) ما بين المعقوفتين من (ف).

٢) في (ك): «وما».

٣) في (ق) (ت): «لهم».

٤) في (ش): «فغفرت لهم، ولا أنا».

٥) في حاشية (ج) في نسخة: «بألأم»، وفي (س): «ألأمَ الرجل: إذا أتى بما يلام عليه. وهو هاهنا اسم تفضيل، هذا الفعل بمعنى المفعول، كأشهر بمعنى شهور. س». (حاشية ابن إدريس: ١٤٠).

٦) أي بأكثر المعتذرين ملامة، لإتيانه ما لم يكن لائقاً به.

٧) في (ق) (ت): «منهم».

٨) في (ش) (ف): «ولا أنا».

٩) في (ش) (ق) (ت): «عليهم». وعاد عليهِ بمعروفهِ: أي أفضلَ، والإسم «العائدة»، أي فعدت عليهِ بمعروفِكَ من قبول توبتهِ أو رضاكَ عنهُ. (رياض السالكين ٢: ٥٠٧).

١٠) في (ف): «إليه»، والعبارة في (ك) هكذا: «فَقَبِلْتَ مِنْهُم، وَمَا أنا بأظْلَم مَنْ تَابَ إليكَ فَعُدْتَ عَلَيْهِم».

١١) لم ترد في (ش): «منه»، وفي (س): «فرّط بالأمر يفرط فرطاً: أي قصّر فيه وضيّعه حتى فات، وكذلك التفريط، وفرّط عليه: أي عجّل وعدّى». (حاشية ابن إدريس: ١٤٠).

١٢) في (ش): «مشفقٌ»، وفي حاشية (ج): «أي خائف»، ومشفق: خائف حذر.

١٣) في (ف): «الحناء»، ولعله من الحنوّ، أو هو تصحيف.

١٤) في (ش): «به» بدل «فيه».

١٥) في (ق): «لا يتأكّدك»، وفي حاشية (ج): «أي لا يعظم عليك. ويستصعبك: أي يصعب عليك. ويتأكدك: أي يشق عليك»، وفي (س): «تعاظمه أمر كذا: أي عظم عنده، =

عَنِ الإِثْمِ الجَلِيْلِ لَا يَسْتَصْعِبُكَ(١)، وَأَنَّ احْتِمَالَ الجِنَايَاتِ(٢) الفَاحِشَةِ لَا يَتَكَأَّدُكَ(٣)، وَأَنَّ أحَبَّ عِبَادِكَ إِلَيْكَ مَنْ تَرَكَ الاسْتِكْبَارَ عَلَيْكَ، وَجَانَبَ(٤) الإِصْرارَ(٥)، وَلَزِمَ الاسْتِغْفَارَ. وَأَنَا(٦) أَبْرَأُ إِلَيْكَ(٧) مِنْ أنْ اَسْتَكْبِرَ، وَاَعُوذُ بِكَ(٨) مِنْ أَنْ أُصِرَّ، وَاَسْتَغْفِرُكَ لِمَا(٩) قَصَّرْتُ فِيهِ، وَاَسْتَعِينُ بِكَ عَلَى مَا(١٠) عَجَزْتُ عَنْهُ.

وبعد النداءات المستوجبة لقبول التوبة، وصف حالات التائب المستوجبة لقبول التوبة، وهذه الحالات على قسمين، بالقياس إلى غيره من التائبين وبالنسبة إلى نفسه، وهي:

أمّا بالنسبة إلى غيره من التائبين:

١ ـ ليس التائب بألوم من قرع باب التوبة بالاعتذار فقبلت توبته.

٢ ـ وليس بأظلم من تاب فعاد الله عليه بالقبول.

= وتقول: أصابنا مطر لا يتعاظمه شيء، أي لا يعظم عنده شيء». (حاشية ابن إدريس: ١٤٠).

(١) في (ف): «لا يتأكدك ولا يتصاعدك»، وفي (ك): «لا يتصعّبك»، وفي (ش): «لا يكبر عليك»، ولا يتصعّبك: أي لا يكون صعباً عليكَ، وفي (س): «استصعب عليه: أي صعب. واستصعبه الأمر: صعب عنده، كما في يتعاظمه. س». (حاشية ابن إدريس: ١٤١).

(٢) لم ترد في (ف): «الجنايات».

(٣) تكأَّدَه الشيء: صعبَ عليهِ وشقَّ.

(٤) في (ش): «فجانب».

(٥) في (س): «أصررت على الشيء: قمت ودمت على فعله». (حاشية ابن إدريس: ١٤١).

(٦) في (ش) (ف): «فأنا».

(٧) في (ف): «أتوب إليك».

(٨) في (ك): «وأعوذ».

(٩) في حاشية (ك) في نسخة: «ممّا».

(١٠) في (ف): «عمّا».

وأما بالنسبة إلى نفسه من الصفات المستوجبة للقبول، فهي:

١ ـ الندم على ما فرط وسبق من العصيان والنكران.

٢ ـ الاشفاق والحذر مما وقع فيه واجتمع عليه من الذنوب.

٣ ـ الحياء من الذنوب والأخطاء الّتي وقع فيها.

٤ ـ العلم بالعفو من الله للذنب مهما عظم؛ لأن عفو الله أعظم.

٥ ـ والعلم بأن التجاوز عن الإثم لا يستصعب على الله؛ لانه على كل شيء لدير.

٦ ـ والعلم بأن احتمال الجنايات الفاحشة ـ أي العفو عن الذنوب القبيحة ـ لا يتكأد الله ـ أي لا يشق عليه ـ لقدرته.

٧ ـ العلم بأن أحب العباد إلى الله، هو من اجتمعت فيه ثلاث خصال، هي: ترك الاستكبار، ومجانبة الاصرار، ولزوم الاستغفار.

وفي حالة التوبة هذه قد تحقق للتائب هذه الحالات، وخاصة الخصال لثلاث، وهي:

أولاً: البراءة من الاستكبار، حيث يرى العبد حدود نفسه وقد عرف قدرة خالقه.

ثانياً: الاستعاذة من الاصرار على المعصية، وذلك بترك المعاصي جانباً مبتدئاً بالمسيرة الجديدة الّتي يقودها التوبة.

ثالثاً: لزوم الاستغفار مما قد قصّر فيه في حياته الماضية قبل حالة التوبة هذه.

ورابعاً: قد زاد الإمام عليها خصلة رابعة لا يستغني عنها العبد على كل حال من الحالات ـ بما فيها حالة التوبة هذه ـ وهي الاستعانة بالله على ما يعجز عنه في تحقق هذه الخصال كلها؛ فإنه لا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم.

[٦/١٢ ـ قبول التوبة]:

أللّهُمَّ صَلِّ(١) عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وهَبْ لِي(٢) مَا يَجِبُ عَلَيَّ(٣) لَكَ، وَعَافِنِي مِمَّا أستَوجِبُهُ مِنْك(٤)، وَأَجِرْنِي مِمَّا يَخَافُهُ أهْلُ الإسَاءَةِ، فإنَّكَ مَلِيٌّ(٥) بالعَفْوِ، مَرْجُوٌّ للمَغْفِرةِ(٦)، مَعْرُوفٌ بالتَّجَاوُزِ، لَيْسَ لِحَاجَتِي مَطْلَبٌ سِوَاكَ(٧)، وَلَا لِذَنْبِي غَافِرٌ غَيْرُكَ(٨) حَاشَاكَ(٩)، وَلا أخَافُ عَلَى نَفْسِي إلَّا إيَّاكَ، إنّكَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ(١٠)، صَلِّ(١١) عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ(١٢) وَاقْضِ حَاجَتِي، وَأَنْجِحْ طَلِبَتِي(١٣)، وَاغْفِرْ ذَنْبِي، وَآمِنْ خُوْفِ نَفْسِي(١٤)،

---

(١) في (ق) (ت): «فصلّ».

(٢) في (ش): «أللّهُمَّ فهب لي».

(٣) لم ترد في (ف): «عليّ».

(٤) أي أعفني من العقاب الذي استحقهُ منكَ بسبب ذنوبي وأخطائي.

(٥) في (ج): «مليءٌ»، وفي حاشية (ج): «ملي الرجل: صار مليا، بالهمز، أي ثقة، قاله الجوهري. وقال المطرزي: المليء: القادر، واختر املاهم، أي اقدرهم».

(٦) في (ش): «بالمغفرة».

(٧) إنما قصر عليه السلام موضع طلب حاجته عليهِ تعالى؛ لانّها لم تكن حاجة في أمر دنيوي يمكن للمخلوقين قضاؤها، فلم يكن لها محل سؤال وطلب غيره تعالى، أولم ير غيره أهلاً لها وإن كانت دنيوية. (رياض السالكين ٢: ٥١٧).

(٨) لم ترد في (ك) (ق) (ت): «غيرك».

(٩) لم ترد في (ف): «حاشاك»، وفي حاشية (ج): «حاشاك، أي سبحانك، ويجوز أن يكون بمعنى: سواك».

(١٠) لم ترد في (ف): «إنكِ أَهِلُ التَّقْوَى وَأَهِلُ الْمَغْفِرَةِ».

(١١) في (ف): «فصلّ».

(١٢) في (ق) (ف) (ت): «وآله».

(١٣) في (س): «الطلبة ـ بكسر اللام ـ ما تطلبه من شيء. والنجح والنجاح: الظفر بالحوائج، وقد أنجحت حاجته: إذا قضيتها له». (حاشية ابن إدريس: ١٤١).

(١٤) في (ق): «وآمن خوفي».

كَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير [١]، وَذَلِكَ عَلَيكَ يَسِيرٌ، آمِينَ رَبَّ [٢] الَمِيْنَ.

وقبول التوبة يظهر من آثارها، وقد عددها الإمام عليه السلام كالآتي:

١ ـ غفران الذنوب «هب لي ما يجب عليّ» فإن الواجب على الله تعالى ب العاصي، فيكون غفرانه تعالى هبة منه.

٢ ـ العافية «ممّا استوجبه منك» أي عدم المؤاخذة على ما استوجبه من قوق الإلهيّة.

٣ ـ الأمان ـ أي الاجارة ـ مما يخافه اهل الإساءة.

وهذه الآثار الثلاث للتوبة الحقيقيّة، يشعر بها الإنسان التائب من نفسه هارة ضميره من أداء حقوق الله وحقوق الناس في النفس والاسرة والمجتمع، ينئذ تطيب نفسه بذكر الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[٣] ولا يكون ء من ذلك إلّا من الله سبحانه؛ لأنّه تعالى هو الملي بالعفو، دون سواه، مرجوّ للمغفرة الحقيقية دون سواه، وهو المعروف بالتجاوز الحقيقي دون اه، وعليه فلا يكون للذنب غافر سواه تعالى، فلا يكون الخوف على نفس ئب الّا من أناة الله تعالى، والله هو اهل التقوى وأهل المغفرة.

وختم عليه السلام هذا الدعاء بالنقاط الرئيسية الّتي تفتقر إليها أية توبة حقيقية، ي:

١ ـ قضاء الحاجة، والتي منها قبول التوبة.

٢ ـ نجح الطلبة بقضاء ما يطلبه الداعي.

٣ ـ غفران الذنب بمحو السيئات والصفح عما سلف.

) في (ف): «إنّكَ عَلَى ذلك قَدِيرٌ».

) في (ش): «يا ربّ».

) القرآن الكريم، سورة الرعد ١٣: ٢٨.

٤ ـ الأمن من الخوف، ولا يكون الأمن والسلامة إلّا بذكر الله تعالى على كل حال ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[1] أنه على كل شيء قدير، وذلك عليه يسير، آمين.

---

(١) القرآن الكريم، سورة الرعد ١٣: ٢٨.

[الدُّعاءُ الثالث عشر]

وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام فِي طَلَبِ الحَوَائِجِ إلى الله تعالى[1]

[١/١٣ ـ طلب الحوائج إلى الله]:

أللهمّ، يَا مُنْتَهَى مَطْلَبِ[2] الحَاجَاتِ، وَيَا مَنْ عِنْدَهُ نَيْلُ الطَّلِبَاتِ[3]، وَيَا مَنْ لَا يَبِيعُ نِعَمَهُ بِالأَثْمَانِ[4]، وَيَا مَنْ لَا يُكَدِّرُ[5] عَطَايَاهُ[6] بِالامْتِنَانِ، وَيَا مَنْ[7] يُسْتَغْنَى بِهِ وَلَا يُسْتَغْنَى عَنْهُ، وَيَا

---

(١) ورد هذا الدُّعاء في (ك) بالرقم (٢٢) بعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام عِند الحوائج»، وفي (ش) بالرقم (٢٦) بعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام عِند الحوائج إلى الله»، وفي (ج) بعنوان: «الثالث عشر: وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام في طلب الحوائج إلى الله تعالى»، وفي (ق) (ت) بعنوان (الثالث عشر)، وتحته عنوان: «في طلب الحوائج»، وفي (ف)ورد في ذيل الدعاء السابق بعنوان: «وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام عِند طلب الحوائج»، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (١٣) بعنوان: «دُعاؤهُ في طلب الحوائج».

(٢) في (ك) (ش) (ف) العبارة هكذا: «يَا مُنْتَهَى طَلَبِ»، وفي حاشية (ج): «منتهى مطلبها: أي غايتها، فلا تطلب إلّا من عنده ولا تقضى إلّا من لدنه». انتهى. وسرُّ ذلك أنَّ لكلِّ شيء مستقرّاً يستقرُّ فيه إذا بلغ إليه، ومستقرُّ القلوب والفؤاد الّذي إذا بلغت إليه تطمّنُّ ولا تطلب سواه، هو الله تعالى شأنه.

(٣) في (ف): «الطيبات»، والنيل، من نال ينالُ: أي الإصابة وإدراكَ الشيء، والطلبات: جمع طلبة، وهو المطلب، والمعنى: أنَّ المطالب والمقاصد لا تُنالُ إلّا عندهُ.

(٤) في (ف): «وَيَا مَنْ لَا يتبعُ نِقمتَهُ بِالأَيْمَانِ».

(٥) التكدير: التنغيص.

(٦) في (ف): «عطاؤه».

(٧) لم ترد في (ك): «من».

مَنْ يُرْغَبُ إليْهِ وَلَا يُرْغَبُ عَنْهُ، وَيَا مَنْ لَا تُفْنِي[(١)] خَزَائِنَهُ المَسَائِلُ، وَيَا مَنْ لَا تُبَدِّلُ حِكْمَتَهُ[(٢)] الوَسَائِلُ[(٣)]، وَيَا مَنْ لا تَنْقَطِعُ[(٤)] عَنْهُ[(٥)] حَوَائِجُ المُحْتَاجِيْنَ، وَيَا مَنْ لا يُعَنِّيهِ[(٦)] دُعَاءُ الدَّاعِينَ[(٧)].

تَمدَّحْتَ بِالغِنَى[(٨)] عَنْ خَلْقِكَ، وأنْتَ أهْلُ الغِنَى عَنْهُمْ، وَنَسَبْتَهُمْ إلى الفَقْرِ[(٩)] وَهُمْ أهْلُ الفَقْرِ إلَيْكَ، فَمَنْ حَاوَلَ[(١٠)] سَدَّ

---

(١) في (ف) (ت): «لا يفني».

(٢) في (ك) (ف) (ت): «لا يبدل حُكمُهُ»، وفي (ق): «لا تُبَدِّلُ حِكَمَهُ»، والوسائل، جمع وسيلة: والمعنى أنَّ حكمتهُ إذا اقتضت وقوع أمر فلا يمكن لأي وسيلة أو سبب ردِّ ذلكَ أو المنع منهُ.

(٣) في حاشية (ج): «الوسائل: جمع وسيلة، وهي ما يتقرب به الى الغير، ومن هنا علم جواب سؤال، وتقريره: أن الله يقول: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ (سورة غافر ٤٠: ٦٠)، ونرى كثيرا من لا يجاب دعاؤه؟ قلنا: وقع الدعاء لا على وجه الحكمة، إذ شرطه عدم المفسدة، ولهذا قال عليه السلام: «يا من لا تبدل حكمته الوسائل». لانها قد تقع لا على وجه الحكمة». انتهى. ويقال: وسل إلى ربه وسيلة، إذا تقرب بعمله إليه، والوسيلة: المنزلة عند الملك.

(٤) في (ك) العبارة هكذا: «وَيَا مَنْ لا تَتقَطَّعُ»، وفي (ش) (ف) (ت): «ويا من لا ينقطع».

(٥) في حاشية (ج)في نسخة: «عنده».

(٦) في (ك) (ق) (س): «يُعييهِ»، وفي (س): «عيٌّ ـ بالياء -: تَعَبٌ ونَصَبٌ، وبالنون مكسورة مثله، وبالنون مشدّدة مثله. وفي الحديث: «مِن حُسنِ إسلام الرجل تركه ما لا يعنيه» أي يهمّه. عيّ بأمره وعيي: إذا لم يهتد لوجهه، والإدغام أكثر». (حاشية ابن إدريس: ١٤٤)، وفي (ش): «يُعنيه»، وفي حاشية (ج)في نسخة: «وَيَا مَنْ لا يُعَنِّيهِ سؤال السائلين، ويا من لا تعييه دُعَاءُ الدَّاعِينَ». ويعنّيه: من العناء، وهو التعب، وفي هامش (س) ما نصّه: «في نسخة ابن إدريس: (يعنّيه) العين المهملة والنون المشدّدة من باب التفعيل ـ بمعنى التتعيب، كما في (لوامع الأنوار العرشية ٣: ٧٣)».

(٧) في (ش): «الراغبين».

(٨) في غير (ك) (ق): «بالغناء»، وفي حاشية (ج): «بالغنى ـ س».

(٩) أي خلقتهم ممكنات، والإمكان هو عين الفقر سواء إلى الوجود أو العدم.

(١٠) في حاشية (ج): «أي أراد».

لَّتِهِ[١] مِنْ عِنْدِكَ، وَرَامَ[٢] صَرْفَ الفَقْرِ[٣] عَنْ نَفْسِهِ بِكَ، فَقَدْ بَ حَاجَتَهُ فِي مَظَانِّها[٤]، وَأَتَى طَلِبَتَهُ مِنْ وجْهِهَا[٥]، وَمَنْ تَوَجَّهَ اجَتِهِ[٦] إلى أحَد مِنْ خَلْقِكَ، أوْ جَعَلَهُ[٧] سَبَبَ نُجْحِهَا دُونَكَ، دَ تَعَرَّضَ [مِنْكَ][٨] لِلْحِرْمَانِ، واسْتَحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَوتَ إحْسَانِ.

يستفتح الدعاء بتقديم ما يوجب طلب الحاجة من الله تعالى دون سواه، لك بعرض سلسلة نداءات يتعقبها صفة المحتاج، وهي الفقر، أمّا النداءات ي:

١ ـ يا منتهى مطلب الحاجات؛ لانه تعالى هو الكمال المطلق الذي يفتقر ما في الوجود إليه.

٢ ـ يا من عنده نيل الطلبات، فكل ما يطلب لا ينال إلّا به تعالى.

٣ ـ يا من لا يبيع نعمه بالأثمان، فإن ما يصدر من رحمته ليست مقايضة ا هو بين العباد.

٤ ـ يا من لا يكّدر عطاياه بالامتنان؛ فإن الامتنان من صفات المخلوقين، ن الكمال المطلق.

---

(١) في حاشية (ج): «أي فقره» والخلّة: الفقر والحاجة.
(٢) رامَ: حاولَ وطلبَ.
(٣) في (ش): «الفاقة».
(٤) في (ف) العبارة هكذا: «فَقَدْ طلب حَاجَته فِي مَطلبها»، وفي (ك) (ش) العبارة هكذا: «فَقَدْ طلب حَاجَته فِي مَظَنّتِها»، وفي حاشية (ج): «أي أماكنها». والمظنَّة: موضع الشيء ومألفهُ الذي يظنُّ كونهُ فيهِ.
(٥) في (ك) (ش): «وجهتها»، والوجه: الجهة الّتي يؤتى منها.
(٦) في (ك) (ف): «بحاجة».
(٧) في (ف): «أو جعل».
(٨) ما بين المعقوفتين من (ق) (ت).

٥ ـ يا من يستغنى به ولا يستغنى عنه، والاستغناء والإكتفاء به لكماله، وعدم الاستغناء عنه لنقصان المخلوقين.

٦ ـ يامن يرغب إليه ولا يرغب عنه؛ والرغبة اليه لتفضّله، وليس في الرغبة عنه إلّا الخسران.

٧ ـ يا من لا تفني خزائنه المسائل؛ فإن الغنيّ المطلق لا فناء لغناه مهما كثرت المسائل.

٨ ـ يا من لا تبدّل حكمته الوسائل؛ فإن أيّة وسيلة استخدمت، لا تستطيع من تبديل حكم الله النافذ.

٩ ـ يا من لا تنقطع عنه الحوائج؛ لكون الحاجة انما هي وليدة النقص إلى الكمال المطلق.

١٠ ـ ويا من لا يعنّيه الدعاء؛ فإن العناء والتعب انما يكون في الممكنات دون الواجب تعالى.

وقد بيّن عليه السلام في هذا الدعاء: ان السبب الرئيسي لطلب الحاجة هو الفقر، والله سبحانه لكونه الكمال المطلق هو الغني، وذلك يوجب ان لا يكون طلب الحاجة إلّا إليه تعالى دون سواه.

بيان ذلك: إن المحتاج لفقره يحاول سدّ حاجته بمن له الغنى، وليس لهذا المحتاج في تحصيل مراده سوى طريقين:

أحدها: التوجه إلى احد من خلق الله ممن انعم الله عليه بالغنى حتى يكون ذلك الغنى سبب لنجح الحاجة، من دون التوجه إلى ما أمر الله سبحانه في طلب الحاجة من الأسباب المشروعة، وهذه هي الطريقة الغالبة في الحياة، ولكن من الواضح ان من له الغنى من المخلوقين لم يصبح غنياً الّا بالشحّ والبخل، ولا يقضي حاجة الناس إلّا باستبقاء ما يحافظ على رأس ماله ورغباته الشخصية؛ لئلا ينعدم رأس ماله. ولا يلين للطلب إلّا بعد الوثوق بذلك، والمفروض ان طالب الحاجة فاقد لها، فيكون قد تعرّض للحرمان، فلو تأمل السائل الطالب للحاجة للسبب في غنى المخلوقين لما توجه إليهم أوّلا وبالذات؛ لعلمه بالنتائج مسبقا،

يستحق بالإضافة إلى الحرمان: فوت الاحسان من الله، حيث لم يطرق باب أوّلا وبالذات.

وثاني الطريقين: التوجه إلى الله سبحانه أوّلا وبالذات دون المخلوقين؛ ، تعالى «أهل الغنى عنهم» وهم جميعاً الفقراء إليه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[1] فيكون هذا الطريق هو الصائب، فيكون طالب ـاجة قد طلب حاجته من مظانها، وأتى طلبته من وجهها؛ وهذا لا يعني ـال الرجوع إلى من أمر الله تعالى بالرجوع إليهم في أمر الدين والدنيا ن جمع الصلاح وسعى في عمل الخير واستهدى بقول النبيّ صلى الله عليه وآله: «خير س أنفعهم للناس»[2].

٢/١ ـ حالة شخصية]:

أللّهُمَّ، وَلِي إلَيكَ حَاجَةٌ قَدْ قَصُرَ عَنْهَا جُهْدِي[3]، وَتَقَطَّعَتْ دُوْنَها لِي[4]، وَسَوَّلَتْ[5] لِي نَفْسِي رَفعَهَا[6] إلى مَنْ يَرْفَعُ حَوائِجَهُ[7] إلَيْكَ،

---

(١) القرآن الكريم، سورة فاطر٣٥: ١٥.

(٢) مستدرك الوسائل ١٢: ٣٩١.

(٣) في (ك) (ش) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ وَلِي حَاجَةٌ قَدْ قَصرَ عَنْهَا جُهْدِي»، وفي حاشية (ج): «جُهدي، جَهدي ـ معا»، وفي حاشية (ج) أيضاً: «الجُهْد، بالضّمّ والفتح: الطّاقة، ومنه: والذين لا يملكون إلّا جُهدهم ـ إلّا جَهدهم، وقرئ بهما. قاله المقداد في كنزه. والجَهْد المبالغةُ». (كنز العرفان ١: ٣٤٠، ونقله المجلسي في البحار ٣٩: ٥٩٣، والاية من سورة التوبة ٩: ٧٩). وفي (س): «الجَهد والجُهد: الطاقة، وقال الفراء: الجُهد ـ بضم الجيم ـ الطاقة، والجهَد ـ بالفتح ـ الغاية من قولك: إجهد جَهدك في هذا الأمر، أي أبلغ غايتك، والجِهد ـ بالكسر ـ المشقة». (حاشية ابن إدريس: ١٤٤). والجهد: الوسع والطاقة، وقصر الجهد: إذا لم يبلغُ الجهد قضاء الحاجة.

(٤) في (ق) (ت) العبارة هكذا: «حيلتي»، وفي حاشية (ج): «حيلتي ـ س»، والحيل، جمع حيلة، وهي التدبير.

(٥) في حاشية (ج): «أي زيّنت».

(٦) في (ك) (ف) العبارة هكذا: «وَسَوَّلَتْ لِي نَفْسِي أن أرفعَهَا».

(٧) في (ش) (ف): «حوايجه».

وَلَا يَسْتَغْنِي فِي طَلِبَاتِهِ(١) عَنْكَ، وَهِيَ(٢) زَلَّةٌ(٣) مِنْ زَلَلِ الخَاطِئِيْنَ(٤)، وَعَثْرَةٌ مِنْ عَثَرَاتِ المُذْنِبِيْنَ، ثُمَّ انْتَبَهْتُ(٥) بِتَذْكِيرِكَ لِي(٦) مِن غَفلَتِي(٧)، وَنَهَضتُ(٨) بتَوْفِيْقِكَ مِنْ زَلَّتِي(٩)، وَرَجَعتُ(١٠)، وَنَكَصْتُ(١١) بِتَسْدِيْدِكَ عَنْ عَثْرَتِي(١٢)، وَقُلْتُ: سُبْحانَ رَبِّي(١٣)، كَيْفَ يَسأَلُ مُحْتَاجٌ مُحْتَاجاً؟! وأَنَّى(١٤) يَرْغَبُ(١٥) مُعْدِمٌ(١٦) إلى مُعْدِمٍ(١٧)؟ فَقَصَدْتُكَ(١٨) ـ يا إلهِي ـ

---

(١) في (ف): «في حاجته»، وفي (ك) (ش): «في خاصّته»، والخاصة، من خصَّ الرجل: إذا افتقرَ.

(٢) في حاشية (ج): «وِهْيَ، وَهِيَ ـ معا».

(٣) في (ك): «مزلّة»، والمزلَّة: محل الزلل، وأصلهُ من زلَّت القدم: إذا زلقت في طين ونحوهِ.

(٤) في حاشية (ج): «الخطّائين ـ س»، وفي هامش (س) ما نصّه: «في نسخة ابن إدريس (الخطّائين) بتشديد المهملة، بدل الخاطئين، كما في (لوامع الأنوار العرشية ٣: ٧٨)».

(٥) في (ك): «ثمّ انتهيت».

(٦) في (ف): «إياي»، ولم ترد في (ت): «لي».

(٧) في (ق) (ف) (ت) العبارة هكذا: «عن غفلتي».

(٨) في (ف): «ونكصت».

(٩) في (ك) العبارة هكذا: «ثُمَّ انْتَهَيْتُ بِتَوْفِيْقِكَ مِنْ زَلَّتِي».

(١٠) لم ترد في (ك) (ق) (تن): «ورجعت».

(١١) لم ترد في (ف): «ونكصت»، وفي حاشية (ج): «أي رجعت»، وفي (س): «النكوص: الإحجام عن الشيء والرجوع عنه». (حاشية ابن إدريس: ١٤٤).

(١٢) لم ترد في (ش) العبارة من قوله: «ثمّ انتبهت» إلى هنا، والعثرة: الخطيئة والسيئة، من عثرَ الرجل، إذا كبا وسقطَ في الإثمِ.

(١٣) في (ق): «سبحانك».

(١٤) في حاشية (ج): «أي كيف؟».

(١٥) في حاشية (ج): «يرغب [كذا]- س».

(١٦) في (ت): «معدوم»، وفي حاشية (ج): «أي فقير»، وفي (س): «أعدم الرجل: افتقر، فهو معدَم». (حاشية ابن إدريس: ١٤٤).

(١٧) في (ت): «إلى معدوم».

(١٨) في (ش) (ف): «فقصدت لك».

بالرَّغْبَةِ، وَأَوْفَدْتُ عَلَيْكَ رَجَآئِي[1] بالثِّقَةِ بِكَ[2]، وَعَلِمْتُ أَنَّ كَثِيْرَ ما أَسْأَلُكَ يَسِيْرٌ فِي وُجْدِكَ[3]، وَأَنَّ خَطِيْرَ مَا أَسْتَوهِبُكَ حَقِيْرٌ فِي وُسْعِكَ[4]، وَأَنَّ كَرَمَكَ لَا يَضِيْقُ عَنْ سُؤالِ أَحَدٍ، وَأَنَّ يَدَكَ بالعَطَايَا[5] أَعْلى مِنْ كُلِّ يَدٍ.

وهذا المقطع حالة شخصية للداعي من مصاديق ما تقدم في السابق؛ فإن السائل له حاجة لم يتمكن من انجازها بجهده الشخصي، والحيل والوسائل الشخصية لتحققها قد تقطّعت، فتوسل في تحقق حاجته إلى الطريقين المتقدم ذكرهما:

أولاً: سلك الطريقة الأولى برفع حاجته إلى المخلوقين؛ ظناً منه بالخير وبقدرتهم على انجازها، وغفلةً عن أنّ ذلك زلة وعثرة وجهل، فإنهم لا يسعون في حاجة غيرهم إلّا بقدر ما يدرّ على أنفسهم من نفع مادي أو شخصي أو ما شابه.

وثانياً: بعون الله وتذكيره وتوفيقه، والرجوع إلى مبادي دينه بسلوك الطريقة الثانية، حيث تساءل قائلاً: (سبحان ربي، كيف يسأل محتاجٌ محتاجاً؟!)؛ فإن من رفع حاجته إليه من المخلوقين هم محتاجون إلى الله، فهم مع السائل من المحتاجين المعدمين، وليس من الحكمة الرجوع اليهم، بل الحكمة هو الرجوع إلى مَنْ الكل يحتاج اليه وهو الله سبحانه الغني عن عباده، وقد وصف الإمام الله سبحانه بما يؤكّد سعة الغنى فيه تعالى، فقال:

---

(١) لم ترد في (ف): «بالرَّغْبَةِ، وَأَوْفَدْتُ عَلَيْكَ رَجَآئِي».

(٢) لم ترد في (ك): «بك»، وفي (ف) زيادة: «ووفدت عليك بالرغبة».

(٣) في حاشية (ج): «أي غناك وسعتك، ورجل واجد أي غني، والجدة في المال: السعة والقدرة. قاله الهروي»، وفي (س): «وجد في المال وُجداً ووَجداً ووِجداً وجدة: أي استغنى». (حاشية ابن إدريس: ١٤٤)، والوُجْد: الجدة، والسعة في المال والقدرة.

(٤) أي أنَّ الشيء العظيم عندي، هو حقيرٌ صغيرٌ عندَكَ.

(٥) في (ش) (ف): «بالعطاء».

١ ـ ان كثير ما أسألك يسير في وُجدك، أي سعة المال.

٢ ـ ان خطير ما استوهبك حقير في وسعك.

٣ ـ ان كرمك لا يضيق عن سؤال أحد.

٤ ـ ان يدك بالعطايا أعلى من كل يد.

فما يتفضّل الله به كثير وخطير، وكرم عال. على النقيض مما يمّن به المخلوق، فهو يسير وحقير وسافل، والعاقل الحصيف لا يقدّم الأفضل على المفضول.

[٣/١٣ ـ فضل الله]:

أللّهُمَّ فصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ[١]احْمِلْنِي[٢] بِكَرَمِكَ عَلَى التَفَضُّلِ[٣]، وَلَا تَحْمِلْنِي بِعَدْلِكَ عَلَى الاسْتِحْقَاقِ. فَمَا أنَا بأوَّلِ رَاغِبٍ رَغِبَ إليْكَ فأعْطَيْتَهُ[٤] وَهُوَ[٥] يَسْتَحِقُّ المَنْعَ، ولا بأوَّلِ سَائِلٍ سَأَلَكَ فَأَفْضَلْتَ عَلَيْهِ[٦] وَهُوَ يَسْتَوْجِبُ الحِرْمَانَ.

وفضل الله تعالى ورحمته الواسعة تقتضي ان يشمل التفضّل هذا الحالة الشخصية التي ركّز الداعي فيها على الرغبة والرجاء والثقة بالله وحده، دون المخلوقين، وان كان العدل يقتضي استحقاق القصاص، وذلك ان فضل الله اوسع

---

(١) لم ترد في (ك) عبارة: «فصلّ على محمّد وآله و».

(٢) في (ش): «أللّهُمَّ فاحملني».

(٣) في (ف): «على الفضل»، والتفضُّل: الابتداء بالفضل، ومعناهُ: عاملني بالتفضّلِ لا بالعدلِ.

(٤) في (ش): «فَمَا أنَا بأوَّلِ رَاغِبٍ رَغَبَ إليْكَ أعْطَيْتَهُ»، وفي (س): «رغبت في الشيء: إذا أردته، ورغبتُ عن الشيء: إذا لم ترده وزهدت فيه، والرغبة: العطية، والجمع الرغائب». (حاشية ابن إدريس: ١٤٥).

(٥) في حاشية (ج): «وَهُوَ ـ س».

(٦) في (ك) (ش) (ت) العبارة هكذا: «وَهُوَ يَسْتَحِقُّ المَنْعَ، وأفْضَلْتَ عَلَيْهِ».

ـمل، وقد شمل فضل الله من سبق الداعي إلى قضاء حاجته ممّن رغب في ، فأعطاه بفضله، في حين انه كان ممّن يستحق المنع بعدله، وكذلك سبق ل الله على من سأله وهو يستحق الحرمان فقضى حاجته بفضله في حين انه كان ـحق الحرمان لعدله، كل ذلك لأنّ فضل الله تعالى أوسع من عدله؛ إذ ليس ـل إلّا من فضل الله، فإذا قبلت التوبة ومحيت السيئة كان الفضل هو العدل.

٤/١ ـ دعاء الحاجة]:

أللّهُمَّ صَلِّ[١] عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ[٢]، وَكُنْ لِدُعَائِي مُجِيباً، وَمِنْ ائِي قَرِيباً، ولِتَضَرُّعِي رَاحِماً[٣]، وَلِصَوتِي سَامِعاً، وَلَا تَقْطَعْ[٤] ـائِي[٥] عَنكَ[٦]، وَلَا تَبُتَّ[٧] سَبَبِي[٨] مِنْك[٩]، وَلَا تُوَجِّهْنِي[١٠]

في (ف): «فصلّ».

في (ق) (ت) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِ محمّدٍ».

في (ف): «وَكُن لِدُعَائِي مُجِيباً، ولِتَضَرُّعِي رَاحِماً، وَمِن نِدَائِي قَرِيباً»، وفي (س): «ضرع الرجل ضراعة: أي خنع وذلّ، وأضرعه غيره أذلّه، وتضرّع إلى الله تعالى: أي ابتهل، تضرّع يتضرّع، جاء فلان يتضرّع (ويتحرض بمعنى): إذا جاء يطلب إليك الحاجة». (حاشية ابن إدريس: ١٤٥).

) في (ت): «ولا تصرف».

) في (ج): «رجأي».

) في (ت): «منك»، ولم ترد في (ف): «عنك».

) في حاشية (ج): «أي تقطع، وبتت الشيء وبتّلته وتبرّته وتبكّته: قطعته، وسمي الراهب متبتلا، لقطعه نفسه عن الناس. قاله السيد المرتضى في شرحه». انتهى. (راجع: رسائل الشريف المرتضى ٤: ٨٤)، وفي (س): «البتّ: القطع. والسبب: الحبل، والسبب أيضاً: كلّ شيء يتوصّل به إلى غيره». (حاشية ابن إدريس: ١٤٥).

) في (ف): «سنتي»، والسبب: كلّ ما يتوصل بهِ إلى الشيء، أي لا تقطع رجائي ولا ترد عليّ دعائي.

) في (ك) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ فَلَا تَقْطَعْ رَجَائِي مِنْكَ، وَلَا تَبُتَّ سَبَبِي عَنْك»، وفي (ش) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ فَلَا تَقْطَعْ رَجَائِي عنْكَ، وَلَا تَبُتَّ سَبَبِي مِنْك».

١) يقال: وجّههُ إلى كذا، إذا جعلَ وجهه إليهِ، أي لاتجعلني متوجّهاً في هذهِ الحاجة إلى غيرِكَ.

فِي حَاجَتِي هَذِهِ وَغَيْرِهَا[١] إلى سِوَاكَ[٢]، وَتَوَلَّنِي[٣] بِنُجْحِ[٤] طَلِبَتِي، وَقَضَاءِ[٥] حَاجَتِي، وَنَيْلِ سُؤلِي قَبْلَ زَوَالِي[٦] عَنْ مَوْقِفِي هَذَا[٧] بِتَيْسِيرِكَ لِيَ العَسِيرَ، وَحُسْن تَقْدِيرِكَ[٨] لِي فِي جَمِيعِ الأُمُورِ[٩]. وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ[١٠] صَلاةً دَائِمةً نَامِيةً زَاكِيَةً[١١]، لَا انْقِطَاعَ لأبَدِهَا[١٢]، وَلَا مُنْتَهَى لأمَدِهَا[١٣]، واجْعَلْ ذلِكَ عَوْنَا لِي، وَسَبَبَاً[١٤] لِنَجَاحِ طَلِبَتِي، إنَّكَ وَاسِعٌ[١٥] كَرِيْمٌ[١٦].

---

(١) في (ك) (ش) (ق) (ت): «وَفي غَيْرِهَا».

(٢) في حاشية (ج): «سؤال سواك، وان فتحت مددت، قاله الجوهري».

(٣) في (ف): «وتولّي»، وتولاهُ: صارَ لهُ ولياً، أي معيناً قائماً بأمرهِ كافلاً بمصلحتهِ.

(٤) في (ف): «نجح»، وفي (ك): «في نجح».

(٥) في (ف): «وقضى».

(٦) زال عن مكانهِ: تنحَّى.

(٧) لم ترد في (ك) (ش) (ف): «هذا».

(٨) في (ك) العبارة هكذا: «بِتَيْسِيرِكَ وَحُسْنِ تَقْدِيْرِكَ».

(٩) لم ترد في (ش): «لي في جميع الأمور».

(١٠) في (ش): «وآل محمد».

(١١) عبارة: «زاكية» من (ق)، وفي (ت): «ناميةً تامةً زاكيةً».

(١٢) في (ت): «لأمدها»، وفي (س): «الأبد: الدهر، والجمع الآباد، والأبد: الدائم، والتأبيد: التخليد». (حاشية ابن إدريس: ١٤٥).

(١٣) في (ت): «لأبدها»، وفي (ك) العبارة هكذا: «لَا انْقِطَاعَ لِمَدِدِهَا وَلَا مُنْتَهَى لأمَدِهَا»، وفي (ف) العبارة هكذا: «لَا انْقِطَاعَ لَهَا وَلَا مُنْتَهَى لِمَدَاهَا»، والمدد ـ في الأصل ـ: ما يزادُ بهِ الشيء ويكثر، ومنهُ: العون والغوث والجيش، ويراد هنا: أنَّ الصلاة على الرسول وآلهِ تترى وتتبع بعضها بعضاً بلا انقطاعٍ. والأمد: الوقت والغاية، أي لاغاية لها تقف عندها.

(١٤) في (ف) العبارة هكذا: «ووسيلة».

(١٥) في حاشية (ج): «الواسع: الغني الذي وسع غناه سائر عباده، ووسع رزقه جميع خلقه. ذكره الشهيد في قواعده». انتهى. (راجع: القواعد والفوائد، للشهيد الأوّل ٢: ١٧٠).

(١٦) في (ك) زيادة: «سميع الدعاء قريب مجيب». وبها ينتهي الدعاء في (ك).

١/٥ ـ طلب الحاجة وذكر السجود]:

ومن[١] حاجتي ـ يَا رَبِّ ـ كذا وكذا، وتذكر حاجتك[٢]، ثمّ سجُدْ وَتقوُلُ في سجودك[٣]: «فَضْلُكَ آنَسَنِي[٤]، وَإِحْسَانُكَ نِي[٥]، فأسأَلُكَ بك وَبمُحَمَّدٍ وَآلِهِ ـ صَلَوَاتِكَ عَلَيهِم ـ أَنْ لا دَّني خَائِباً[٦] [إنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ، قَرِيبٌ مُجِيبٌ][٧].

وختم الدعاء لقضاء الحاجة بمقطعين:

الأول: في الحالة العادية؛ **والثاني**: في حالة السجود.

والمقطع الأوّل يتضمّن الطلب لأمور بالإثبات وأُخرى بالنفي:

١ ـ إجابة الدعاء كما قال تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٨].

٢ ـ قرب النداء، لأنه تعالى أقرب من حبل الوريد[٩].

---

(١) في (ق) (ت) العبارة هكذا: «ثمّ من».

(٢) لم ترد في (ف): «وتذكر حاجتك»، وفي (ش): «ويذكر حاجته ويسميها». وبهذا ينتهي الدعاء في (ش).

(٣) في (ف) العبارة هكذا: «ويخر ساجداً ويقول»، وفي (ك) بدل عبارة: «ومن حاجتي يا ربّ كذا وكذا ـ وتذكر حاجتك ثمّ تسجُدْ وَتقوُلُ في سجودك: «فَضْلُكَ آنَسَنِي، وَإِحْسَانُكَ دَلَّنِي، فأسأَلُكَ بك وَبمُحَمَّد وَآلِهِ صلواتك عليهم أنْ لا تَرُدَّنِي خائباً» ما يلي «واسجد وقل: فَضْلُكَ آنَسَنِي، وَإِحْسَانُكَ دَلَّنِي، فأسأَلُكَ أنْ لا تَرُدَّنِي خائباً».

(٤) الأنس: خلاف الوحشة، وهو سكون القلب واطمئنانه.

(٥) أي انَّ إحسانكَ إليَّ دلَّني عليكَ، ورجائي لَكَ صار دليلاً لي إلى توقع قضاء حاجتي منكَ ونجحَ مطلوبي.

(٦) في (ف) العبارة هكذا: «فأسألك بحق محمدوآله، إلّا تَرُدَّنِي»، وفي (ق) (ت) العبارة هكذا: «فأسأَلُكَ بك وَبمُحَمَّد وَآلِهِ عليهم السلامأن لا تَرُدَّنِي خائباً».

(٧) ما بين المعقوفتين من (ق) (ك) (ت).

(٨) القرآن الكريم، سورة غافر٤٠: ٦٠.

(٩) اقتباس من القرآن الكريم، سورة ق ٥٠: ١٦.

٣ ـ الرحمة للمتضرع إلى الله تعالى، الذي هو ﴿أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[1].

٤ ـ سماع صوت الداعي وعدم إهماله.

٥ ـ عدم قطع الرجاء؛ لأن الله لا يخيّب من رجاه.

٦ ـ لا يبتُّ السبب، أي لا يقطع الوسائل لتحقيق الحاجة.

٧ ـ لا يوجَّه الحاجة إلى سواه، أي عدم تعليق الإجابة على شرط أو سبب غير الله سبحانه.

٨ ـ التولّي لنجح الطلبة؛ أي الإعانة على النجاح في المطلوب.

٩ ـ نيل السؤال حالاً قبل الزوال عن الموقف.

١٠ ـ الصلاة على محمد واله بالصلاة الدائمة التامة الأبدية؛ لأنها العون والسبب في نجاح الطّلبة.

وهذه العشرة الكاملة انما تتحقق بتيسيره تعالى العسير من الموقف، وحسن تقديره تعالى في جميع الأمور، ومنها الحاجة الخاصة الّتي يقصدها الداعي في الحالة العادية وفي حالة السجود.

وأما في حالة السجود بعد ذكر الحاجة، فيذكر الإمام ثلاث فقرات يتلخّص فيها الدعاء بأكمله، بما فيها النقاط العشر المتقدمة، وهي:

١ ـ فضل الله، الذي هو المؤنس للداعي دون سواه.

٢ ـ احسان الله، الذي هو الدليل الحقيقي في الحياة دون غيره.

٣ ـ الرجاء من الله، الذي بدونه يكون الإنسان خائباً، وحاشاه ان يرد السائل خائباً وهو أرحم الراحمين ـ بعد السؤال به تعالى نفسه وبمحمد وآله الذين بذكرهم يستجاب الدعاء.

---

(١) القرآن الكريم، سورة يوسف ١٢: ٦٤.

[الدُّعاءُ الرابع عشر]

وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام إِذا اعتُدِيَ عَلَيهِ أو رَأى مِنَ الظَّالِمِينَ مَا لا يُحِبُّ[1]

[١/١ ـ الدعاء على الظالم]:

يَا مَنْ لَا يَخْفَى[2] عَلَيْهِ أَنْبَاءُ[3] المُتَظَلِّمِيْنَ[4]، وَيَا مَنْ لَا [يَحْ]تَاجُ فِي قِصَصِهِمْ[5] إلى شَهَادَاتِ[6] الشَّاهِدِيْنَ، وَيَا مَنْ قَرُبَتْ[7]

---

(١) ورد هذا الدُّعاء في (ك) بالرقم (٢٣) بعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام إذا ظُلِمَ»، وفي (ش) بالرقم (٢٧) بعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام إذا ظَلَمُوهُ»، وفي (ج) بعنوان: «الرابع عشر: وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام إِذَا اعتُدِيَ عَلَيهِ أو رَأى مِنَ الظَّالِمِينَ مَا لا يُحِبُّ»، وفي (ق) بعنوان (الرابع عشر)، وتحته عنوان: «في التظَلُّم»، وفي (ت) بعنوان (الرابع عشر)، وتحته عنوان: «إذا رأى ظلماً»، وفي (ف)ورد في ذيل الدعاء السابق بعنوان: «وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام إِذَا اعتُدِيَ عَلَيهِ أو رَأى مِنَ الظَّالِمِينَ مَا لا يُحِبُّ»، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (١٤)، بعنوان: «دُعاؤهُ على الظالمين».

(٢) في (ك): «لَا تَخْفَى».

(٣) في (ف): «نبأ»، وفي حاشية (ج): «الانباء: الاخبار، والنبأ: الخبر، وسمي النبي نبيا لأنه أنبأ عن الله، أي أخبر، قاله الهروي». انتهى. وأوحى الله إليه، اي: أرسل إليه ملكا. والإيحاء: الإلهام، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾. (سورة النحل ١٦ : ٦٨)، وقوله ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾. (سورة الزلزلة ٩٩ : ٥) معناه: ألقى إليها معنى ما أراد منها.

(٤) في (ف): «الظالمين والمظلومين»، والمتظلِّم: من يشتكي من ظلمهِ، وفي (س): «الظلم في الأصل وضع الشيء في غير محلّه وموضعه، وتظلّمني فلان أي ظلمني، وتظلّم منه: اشتكى ظلمه». (حاشية ابن إدريس: ١٤٧).

(٥) في (ش): «قصّتهم»، وفي حاشية (ج) (د): «قِصَصِهِم- س».

(٦) في (ف): «شهادة».

(٧) في (ف): «قرنت» وهو تصحيف.

نُصْرَتُهُ مِنَ المَظْلُومِيْنَ، وَيَا مَنْ بَعُدَ عَونَهُ عَنِ[١] الظَّالِمِيْنَ. قَدْ عَلِمْتَ - يا إلهي[٢] - مَا نَالَنِي[٣] مِن[٤] فُلانِ بن[٥] فُلان مِمَّا حَظَرْتَ[٦] [عَلَيهِ][٧]، وانْتَهَكَهُ[٨] مِنِّي مِمَّا حَجَزْتَ[٩] عَلَيْهِ[١٠]، بَطَراً[١١] فِي نِعمَتِكَ[١٢] عِندَهُ، واغْتِرَاراً[١٣] بِنكِيْرِكَ[١٤] عَلَيْهِ[١٥].

---

(١) في (ش): «على».

(٢) في (ف): «يا سيدي».

(٣) لم ترد في (ق) عبارة: «ما نالني».

(٤) في (ك) (ش) (ف): «به».

(٥) في حاشية (د): «لعله طاب ثراه كتب بهذا النهج لفظة «بن»، لوجودها في سائر النسخ».

(٦) في (ت): «خطرت»، وفي (س): «الحظر: الحجر، وهو خلاف الإباحة، والمحظور المحرّم». (حاشية ابن إدريس: ١٤٧).

(٧) ما بين المعقوفتين من (ش) (ق) (ت) (ف).

(٨) في (س): «يقال: نهكته الحمى: إذا أجهدته وأضنته ونقصت لحمه، ونهكه: أي بالغ في عقوبته، وانتهاك الحرمة: تناولها بما لا يحلّ». (حاشية ابن إدريس: ١٤٨).

(٩) في (س): «حجزه يحجزه: أي منعه». (حاشية ابن إدريس: ١٤٨).

(١٠) في (ك) العبارة هكذا: «مِمَّا خَطَرْتَ عَنْهُ، وانْتَهك مِنِّي مِمَّا حَجَزْتَ عليه»، وفي (ش) العبارة هكذا: «مِمَّا حَظَرْتَ عَلَيْه، وانْتَهك مِنِّي ما حَجَزْتَ عليه»، وفي (ق) العبارة هكذا: «مِمَّا حَظَرْتَ عَلَيْه، وانْتَهكه مِنِّي ما حَجَرْتَ عليه»، وفي (ف) العبارة هكذا: «مِمَّا خَطَرْتَ عَلَيْه، وانْتَهك مِنِّي ما حَجَرْتَ عليه»، وفي الصحاح: حجر عليه القاضي يحجر حجراً: إذا منعه من التصرّف في ماله. (الصحاح: ٦٢٣).

(١١) البطر: الطغيان بالنعمة، وفي (س): «البطر: الأشر وهو شدة المرح». (حاشية ابن إدريس: ١٤٨).

(١٢) في (ك): «نعمك».

(١٣) في (ت): «واعتذاراً»، وفي حاشية (د): «الاغترار بالشيء: عدم الخوف منه وترك التحفظ منه، ويمكن ان يكون: اجتراءً على نكيرك. كذا يستفاد من شرح السيد علي خان رحمه الله. وقال السيد الداماد رحمه الله: «الاغترار» إما افتعال من الغرة، بالكسر، وهي الغفلة...»، وفي (س): «الغرّة: الغفلة، والغار: الغافل، تقول منه: اغتررت يا رجل». (حاشية ابن إدريس: ١٤٨).

(١٤) في (ت): «بتكثّرك»، وفي (ف): «بتكرّمك»، وفي حاشية (ج): «أي انكارك»، وفي (س): «النكير والإنكار: تغيير المنكر». (حاشية ابن إدريس: ١٤٨).

(١٥) في (ق) العبارة هكذا: «واعْتذَاراً بِنكِيرك عليه»، وفي (ك) العبارة هكذا: «واغْتِرَاراً بِتَأخّر نكيرك عليه»، والمعنى: أمنا من انكارِكَ عليهِ ومعاقبته على فعلهِ.

في المقطع الأوّل يكنّي عليه السلام عن الظالم، مشيراً إلى السبب الحقيقي في
ـلمه، بعد ان يستفتح الدعاء بنداءات متتابعة يذكر فيها صفات الله سبحانه الّتي
ـتلزم نصر المظلوم، وهي:

١ ـ يا من لا تخفى عليه أنباء المتظلمين، فحالة المظلوم الذي يتظلّم إلى
ـ غير خافية عليه في الحقيقة، وان انخدع الخلق بالدعايات الكاذبة للظالم لتبرير
ـلمه أو التغطية عليه.

٢ ـ يا من لا يحتاج إلى شهادات الشاهدين؛ لانه عالم السرّ وأخفى، وانما
ـقر إلى شهادة الشاهدين الحكام الذين تخفى عليهم الحقائق.

٣ ـ يا من نصرته قريبة من المظلومين؛ لانه على كل شيء قدير مهما كانت
ـة الظالم.

٤ ـ يا من بَعُد عونه عن الظالمين؛ لانهم بعيدون عن العدل في قراراتهم
ـظالمة.

وهذه الصفات الأربع في الحقيقة هي السبب في رفع الدعاء إلى الله تعالى
ـن غيره ممن لا يلتزم بأوامره.

كنّى عليه السلام عن الظالم، ولم يسمّه، وذلك: إمّا خوفاً عن زيادة ظلمه، أو
ـحقيراً له لظلمه، والذين ظلموا الإمام في حياته عليه السلام من ولاة المدينة كثيرون،
ـن اظهر بعضهم التكريم الذي فرضته شخصية الإمام الروحيّة عليهم.

وفي سبب الظلم: أشار عليه السلام إلى أهم الأسباب، وهما البطر، أي الطغيان،
لاغترار؛ أي عدم الخوف. وهو يكون على إثر الأول، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ
ـنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ * أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾[1]، والاستغناء الجسمي في الشباب، والمادي في
ـحياة يؤدّي إلى الطغيان، وفي كل إنسان حسب حاله، وهو يستلزم عدم الخوف
ـن النكير، أي النهي من الله سبحانه. واكتفى عليه السلام بذكر الطغيان سبباً؛ لأن
ـأسباب الماديّة الأُخرى الداعية إلى الظلم ترجع إليه.

---

(1) القرآن الكريم، سورة العلق ٩٦: ٦ ـ ٧.

[٢/١٤ ـ الأخذ على الظالم في نفسه]:

أللّهُمَّ فصَلِّ[١] عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَخُذْ ظَالِمِي وَعَدُوِّي عَنْ ظُلْمِي بِقُوَّتِكَ[٢]، وَافْلُلْ حَدَّهُ[٣] عَنِّي بِقُدْرَتِكَ، واجْعَلْ لَهُ شُغْلاً[٤] فِيما يَلِيْهِ[٥]، وَعَجْزاً عَمَّا يُناوِيْهِ[٦].

وخصّ هذا المقطع بالدعاء على الظالم بما يخصّ نفس الظالم، وهي أمور:

١ ـ منع الظالم عن الظلم «خذ ظالمي وعدوّي عن ظلمي» فإن الأخذ عن الظلم يعني حبسه ومنعه.

٢ ـ كسر حدّه «وافلل حدّه» فالفل هو الكسر.

٣ ـ إشغاله بما يخصّه، «اجعل له شغلا بما يليه» وما يليه أي ما يقرب منه ويخصّه؛ فإن أهم أسباب الظلم كما تقدم هو الطغيان، وهو ينتج من أُمور، منها: الفراغ وعدم المسؤولية بأداء شيء آخر.

٤ ـ العجز عن العداوة «وعجزاً عمّا يناويه» والمناواة: العداوة.

وهذه الحالات الّتي تخص نفس الظالم وهو في أوج طغيانه لا يمكن لأحد

---

(١) في (حاشية ابن إدريس): «فصل اللهم».

(٢) في (ك) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ فخذه عن ظلمي بعزّتك»، وفي (ش) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ وَخُذْ ظَالِمِي وَعَدُوِّي عَنْ ظُلْمِي بِعزّكَ»، وفي (ف) العبارة هكذا: «وَخُذْ ظَالِمِي وَعَدُوِّي عَنْ ظُلْمِي بِعزّتكَ».

(٣) في حاشية (د): «وافلل: الفل ـ بالفتح- واحد، وفلول السيف: هي كسور في حده»، وفلَّ حد السيف: أي ثلمهُ وكسرهُ، وفي حاشية (ج): «أي اكسر»، وفي (س): «الفَل ـ بالفتح ـ: واحد فلول السيف، وهي كسور في حدّه». (حاشية ابن إدريس: ١٤٨).

(٤) في (ش): «شُغُلاً».

(٥) «يليه»: أي يقرب منهُ، أي اجعل لهُ شغلاً فيما يقرب منهُ ويدانيهِ ليشتغل بهِ عنِّي. (رياض السالكين ٣: ٥٣).

(٦) في (ش): «عمن يناويه». ويناويهِ: يعاديه، وفي (س): «ناواه: أي عاداه، وأصله الهمزة، لأنّه من النوء، وهو النهوض». (حاشية ابن إدريس: ١٤٨). وهذه الفقرة بأكملها لم ترد في (ت).

ـها او تغييرها سوى الله وقوّته تعالى، فيقدر له حالات طارئة يركّز طغيانه ـها، ويَنشغل بها كي يعجز عن الاستمرار في الظلم ويكف عن المظلوم شرّه.

٣/١ ـ وأمّا بالنسبة إلى المظلوم]:

اَللّهُمَّ وَصَلِّ[١] عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَلا تُسَوِّغْ لَهُ[٢] ظُلْمِي، وَأَحْسِنْ ـهِ عَوْنِي، وَاعْصِمْنِي مِنْ مِثْلِ أفعَالِهِ[٣]، وَلَا تَجْعَلْنِي فِي مِثْلِ[٤] حَالِهِ.

وفي هذا المقطع اشارة إلى الدعاء على الظالم فيما يخصّ المظلوم، وهو ـر:

١ ـ جعل الظلم شاقاً «لا تسوّغ له ظلمي» والتسويغ: التسهيل؛ فإن في كون ـلم شاقاً يكون مانعاً له عن الظلم.

٢ ـ العون عليه «واحسن عليه عوني» فإنّ إعانة المظلوم في مقاومته يكون ـعاً عن تمادي الظالم في الظلم.

٣ ـ العصمة من فعله «اعصمني من مثل افعاله» فإن المظلوم يفتقر إلى هذه ـصمة لئلا يلتجئ إلى الانتقام بالظلم.

٤ ـ التبرّي من الظالم «لاتجعلني في مثل حاله» فإن السبب الذي دعاه إلى ـلم ـ كما تقدم ـ هو الطغيان، ويفتقر كل إنسان إلى العصمة عن ان يكون في ـ حال الظالم؛ إذ لو ابتلي المظلوم بالطغيان لكان مثله.

وهذه الحالات الأربع تحفّز المظلوم لان يتحصّن ضدها، لئلا يصبح ـلماً.

---

(١) في (ق) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ صلِّ»، وفي (ف) (ت) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ فصلِّ».

(٢) في (ك) (ش) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ لا تسوّغ له»، وفي (ف) العبارة هكذا: «ولا تسوّغه». ولا تسوّغ له، أي لا تجوّز ولا تيسِّر، وفي (س): «ساغ له ما فعل: أي جوّزه ذلك». (حاشية ابن إدريس: ١٤٨)، وفي الصحاح: (أي جاز له ذلك، وأنا سوّغته له، أي جوّزته). (الصحاح: ١٣٢٢).

(٣) في (ك): «عن مثل أفعاله»، وفي (ت): «عن مثل فعاله»، وفي (ك): «من فعاله».

(٤) في (ك) (ش) (ف) العبارة هكذا: «وَلَا تَجْعَلْنِي بِمِثْلِ».

[٤/١٤ ـ وبالنسبة إلى الظالم]:

أَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ(١)، وَاعدِنِي(٢) عَلَيْهِ عَدوَىً(٣) حَاضِرَةً، تكُونُ مِنْ غَيْظِي بِهِ(٤) شِفَاءً، وَمِنْ حَنَقِي(٥) عَلَيْهِ وَفَاءً(٦).

وفي هذا المقطع خصّ عليه السلام علاقة المظلوم على الظالم بخصلة واحدة، وهي العدوى، أي النصر عليه ليكف عن ظلمه، ولا أكثر من ذلك، حتى لا يتسلسل الظلم من الطرفين؛ فإنه ليس الغرض من الدعاء على الظالم سوى العصمة من ظلمه وعدوانه، وحيث ان من الطبيعي ان يولد الظلم الغيظ والحنق في المظلوم على الظالم، وهو قد يجرّ إلى التعدي عليه. فقد أكّد عليه السلام في هذا المقطع على ان تكون العدوى الحاضرة، أي النصر شفاء للغيظ من دون حنق وغيظ، والنصر نفسه وفاءً من الحنق؛ من دون حنق، وبذلك يتوقف الظلم وينتهي الخلاف.

[٥/١٤ ـ التعويض عن الظلم]:

أَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ(٧) عَوِّضْنِي مِنْ ظُلْمِهِ لِي

---

(١) لم ترد في (ك) (ش) (ف) عبارة: «صلّ على محمّد وآله».

(٢) في (ف): «واعدي»، وفي حاشية (د): «اعداه عليه: نصره وأعانه، والعدوى ـ بالفتح -: النصرة والمعونة»، وفي (س): «العدوى: طلبك إلى والٍ ليعينك على من ظلمك، أي ينتقم منه، يقال: استعديت على فلان الأمير فأعداني (عليه)، أي استعنت به عليه، فأعانني عليه، والاسم منه العَدوى، وهي المعونة». (حاشية ابن إدريس: ١٤٩).

(٣) لم ترد في (ف): «عدوى».

(٤) لم ترد في (ف): «به».

(٥) في حاشية (ج)في نسخة: «حقّي»، وفي (س): «الحنق: الغيظ، والجمع: حناق، كجبل وجبال». (حاشية ابن إدريس: ١٤٩).

(٦) في (ش) زيادة: «يا حنّان». وفي (ك) العبارة هكذا: «مِنْ غَيْظِي شَفاءً، ومِنْ حَقّي عَلَيْهِ وَفَاءً». ولم يرد في (ق) عبارة: «أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِواعدني عَلَيْهِ عَدوَىً حَاضِرَةً، تَكُونُ مِنْ غَيْظِي بِهِ شفاءً، ومِنْ حَنَقِي عَلَيْهِ وَفَاءً».. وهذه الفقرة بأكملها لم ترد في (ت).

(٧) لم ترد في (ك) (ش) عبارة: «صلّ على محمّد وآله و».

نْوَكَ(١)، وأبْدِلْنِي(٢) بِسُوءِ صَنِيْعِهِ(٣) بِي رَحْمَتَكَ، فَكُلُّ مَكْرُوهٍ لَلٌ(٤) دُونَ سَخَطِكَ، وَكُلُّ مَرْزِئَةٍ(٥) سَوَاءٌ(٦) مَعَ مَغْفِرَتِكَ(٧).

---

(١) في (ت): «عونك».

(٢) في حاشية (ج) (د): «وأبدَلَنِي ـ س»، وفي هامش (س)ما نصّه: «نسخة ابن إدريس: (أبدله) وهي أنسب بالسياق. (نور الأنوار، للجزائري: ١٠٨)».

(٣) في «ش»: «صنيعته».

(٤) في «ف»: «خلل»، والجلل: الأمر العظيم، أي أنَّ كل مكروهٌ عظيم دون سخطِكَ، وفي (س): «الجلل: الأمر العظيم، والجلل أيضاً: الهيّن، وهو من الأضداد ـ فكلّ مكروه جلل دون سخطك .- قال امرؤ القيس لمّا قتل أبوه: إلّا كلّ شيء سواه جلل، أي هيّن يسير». (حاشية ابن إدريس: ١٤٩).

(٥) في (ك) (ف) (ت): «مزرية»، وفي حاشية (ج): «أي مصيبة»، والمرزيةوالمرزئة: المصيبة، وفي (س): «الرزء: المصيبة، والجمع الأرزاء، ورزأت الرجل أرزؤه رزءاً أو مرزئة، إذا أصبت منه خير ما كان». (حاشية ابن إدريس: ١٤٩)، وفي حاشية (د): «والمرزئة بفتح الميم وكسر الزاي مهموزة: المصيبة. وسواء بالفتح والمدّ، على ما في النسخ المشهورة: أي سهلة، من قولهم: أرض سواء، أي: مستوية يسهل سلوكها، ومنه: أرض الكوفة أرض سواء، سهلة معروفة. أو هو على تقدير حذف المعطوف، أي: كلّ مرزئة سواء والعدم مع كلّ موجدتك، يقال: مررت برجل سواء والعدم، أي: وجوده وعدمه سواء. ودليل التقدير في عبارة الدعاء: أنّ الاستواء لا يكون إلّا بين شيئين، كما قيل في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾. (سورة الحديد٥٧: ١٠)، أي: ومن أنفق من بعده، فحذف المعطوف لدلالة الاستواء على تقديره. وفي نسخة: «وكلّ مرزئة شوى»، بالشين المعجمة والقصر، أي: هيّن يسير. قال الجوهري: والشوى هو الشيء الهيّن اليسير. والموجدة بفتح الميم وكسر الجيم: الغضب، وجد عليه وجدا بالفتح وموجدة: أي غضب. وقيل: الموجدة: حال دون الغضب وفوق العتب، والعتب دون الغضب. و«مع» ـ هنا ـ لمجرّد الاجتماع من غير ملاحظة الزمان والمكان، أي: كلّ مصيبة سهل، أو عدمه ووجوده سواء لا يعبأ به، أو هو هيّن حقير مع حصول غضبك. وفي نسخة: «مع مغفرتك»، فالمعنى كلّ مصيبة هيّنة عليّ مع حصول مغفرتك لي، أي: لا أبالي بالمصائب إذا غفرت لي. من الشرح». (رياض السالكين٣: ٥٨ ـ ٥٩).

(٦) في (ك): «شوى»، وفي (ج): «سوى»، وفي (س): «السوآء: الخلّة القبيحة». (حاشية ابن إدريس: ١٤٩)، وفي حاشية (ج): «أي عدل»، وشوى: أي هيِّن يسير.

(٧) في غير (ك) (ش): «مع موجدتك»، وفي حاشية (ج): «مغفرتك ـ س». والعبارة في (ف) هكذا: «وَكُلُّ مَزْرِية سوى موجِدَتِكَ ميسَّرَةمَعَ مَغْفِرَتِكَ»، وفي (ك) العبارة هكذا: «وَكُلُّ =

وحيث ان من الطبيعي ان الظلم يؤثر في نفسيّة المظلوم فيكون توّاقاً إلى الانتقام تعويضاً عن الظلم الذي وقع عليه، أكّد عليه السلام في هذا المقطع على التعويض بأمرين، هما اعظم اثراً في نفسية المظلوم من الانتقام، وهما:

١ ـ عفو الله عمّا صدر من خطايا المظلوم.

٢ ـ التعويض برحمة الله بدلا عن الانتقام بسوء صنيع الظالم.

فان الانتقام فيه سخط الله، وهو موجب للموجدة، أي غضب الله.

وبالجملة: ما تعرض اليه المظلوم من الظلم وان كان مرزية، أي مصيبة، وهي مكروهة طبعاً لكل إنسان، وخاصة في حالة الظلم، ولكن ما يعوّض الله عنه من العفو والرحمة جزاء مضاعف للكف عن الانتقام والالتزام بالعفو.

[٦/١٤ ـ الوقاية من الظلم]:

أللّهُمَّ فَكَمَا كَرّهْتَ إليَّ أنْ أُظْلَمَ فَقِنِي من أنْ أَظْلِمَ[١].

وفي هذا المقطع الصغير اكد الدعاء على أنّ الظلم من المزالق الّتي تجر إلى الظلم؛ فإن المظلوم قد ينجر إلى الظلم بسبب حبّ الانتقام؛ ولكن الانتقام هو ظلم آخر يجب ان يعصم الله المظلوم منه، بأن يكتفي بالعدل ويكبح جماح نفسه من التعدي. ويكفي واعزاً له انه: كره الظلم من الظالم، ولكن مع ذلك يفتقر إلى الدعاء في الوقاية من الظلم.

قال الشارح رحمه الله: «الرواية المشهورة ببناء (أظلم) الأوّل للمفعول، والثاني للفاعل. وفي رواية بالعكس، والمعنى ظاهر»[٢].

= مَرْزِية شَوى مَعَ مَغْفِرَتِكَ»، وفي الصحاح: وجد عليه في الغضب موجدة، ووجداناً أيضاً. (الصحاح: ٥٤٤)، وجاء في حاشية بعض النسخ المخطوطة ما ترجمته: قال مير محمّد باقر الداماد في الحواشي: أن «موجدة» بفتح وكسرٍ، كلاهما بمعنى: الغضب والسخط. (انتهى)، وفي (س): «وجد عليه موجدة: إذاً غضب». (حاشية ابن إدريس: ١٤٩).

(١) في (ك) (ق) (حاشية ابن إدريس) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ فَكَمَا كَرهْتَ إليَّ أنْ أَظْلِمَ فَقِنِي من أُظْلَمَ»، وفي (ف) (ت): «أللّهُمَّ فَكَمَا كَرّهْتَ لي أنْ أَظْلِم فَقِنِي من أنْ أُظْلَم»، وفي حاشية (ج): «أللّهُمَّ فَكَمَا كَرّهْتَ إليَّ أنْ أُظْلَمَ فَقِنِي من أنْ أَظْلِمَ ـ س».

(٢) رياض السالكين ٣: ٥٩.

قال الجلالي: الأوّل هو الأوفق بعقد مقطع خاص مبتدأ بقوله: «اللهم» مع
ـمره، بل لا يعهد مقطع أقصر منه في الدعاء كله، وما ذلك إلّا لكونه من
مزالق العامة، وقد ورد في الدعاء بالنسبة إلى المظلوم انه قد يتعدى حدود
ـدعاء في مظلمته فيصبح ظالماً، وراجع ما شرحته في المقام في معجم
ـأحاديث، اللهم قنا من ان نَظلم أو نُظلم، آمين.

١٤/٧ ـ الشكوى من الظلم]:

أللّهُمَّ، لَا أشْكُوا إلى أَحَدٍ سِوَاكَ[1]، وَلَا أسْتَعِينُ بِحَاكِمٍ ـيرِكَ[2] حَاشَاكَ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ[3] صِلْ[4] دُعَائِي ـلإجَابَةِ، وَأقْرِنْ شَكَايَتِي[5] بالتَّغْيِيرِ.

من العادة عند حصول الظلم الشكوى إلى من بيده الحكم من المخلوقين أو
ـن له الصحبة من الناس، وهذا المقطع يؤكّد أن الشكوى إليهم ليس لهما تأثير
ـاشر في ردع الظلم؛ وذلك لأن أصحاب المحاكم تجعل الشكوى في ضمن ما
ـرر في قوانينها وأعرافها المرعية الّتي تستلزم وقتاً قد يكون طويلا، واما من له
ـصحبة من الناس، فلا يأتي منهم شيء سوى التعرف على عورات المشتكي
ـقاط الضعف فيه، وقد يستخدمونها لمصالحهم الخاصة، خصوصاً إذا ما إنقلب
ـصديق عدواً، فأكّد هذا المقطع على امتناع المظلومين من الشكوى إلى غير الله

---

(١) في حاشية (ج): «سِوا ك، سَواك ـ معا».

(٢) لم ترد في (ك) (ق) (ت): «غيركَ».

(٣) لم ترد في (ك) عبارة: «فصلّ على محمّد وآله و».

(٤) صِل: فعل أمر من وصلَ يصل، أي اجعل دعائي متصلاً بالإجابة.

(٥) في (ك) العبارة هكذا: «فَصل دعائي بالإجابة وَانْظِمْ شكاتي»، وفي (ش) العبارة هكذا: «وصل دعائي بالإجابة وَانْظِمْ شكايتي»، وفي هامش (س)ما نصّه: «في نسخة ابن إدريس: «شكاتي»، كما في (نور الأنوار: ١٠٨)»، وفي (ف) العبارة هكذا: «وصل دعاي بالإجابة وَانْطِقْ سكاني[شكاتي ـ ظ]»، ونظم الشيء إلى الشيء: ضمَّهُ وألَّفهُ، والشكاة: الشكاية، والمعنى: اجعل دعائي متصلاً بالاجابة واجعل شكايتي مقرونة بالتغيير وإزالة الشيء عما كان عليهِ، أي أزل ظلامتي.

تعالى، بقوله: (حاشاك) أي انزّهك تنزيها لائقاً بك عن ان استعين بحاكم غيرك، بل المشتكى ابتداءً إلى الله تعالى فقط، والدعاء بأن تكون الاجابة مقترنة بالشكوى، وذلك بالتغيير في حالة الظلم وايقاف الظالم عند حدّه.

[٨/١٤ ـ الإبتهال إلى الله]:

أللّهُمَّ(١) لَا تَفْتِنِّي بالقُنُوطِ(٢) مِنْ إنْصَافِكَ، وَلَا تَفْتِنْهُ بالأمْنِ مِنْ إنْكَارِكَ(٣)، فَيُصِرَّ عَلَى ظُلْمِي، وَيُحَاضِرَنِي(٤)

---

(١) في (ك) زيادة: «صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ و».

(٢) الفتنة: الابتلاء والامتحان، والقنوط: اليأس، وفي (س): «القنوط: اليأس». (حاشية ابن إدريس: ١٤٩).

(٣) في (ك) (ش) (ق) (ف) (ت) العبارة هكذا: «بالأمْنِ لإنْكَارِكَ»، وفي حاشية (ج) (د) في نسخة: «لإنكارك».

(٤) في (ق) (ت): «ويحاصرني»، وفي (ج): «ويخاصرني»، وفي حاشية (ج): «يخاصرني، يحاصرني ـ معا»، وفي (س): «حاضرته: جاثيته عند السلطان، وهو كالمغالبة والمكاثرة. وكأنّه هنا بمعنى الممانعة. س». (حاشية ابن إدريس: ١٥٠)، وفي حاشية (د): «ويحاضرني: يروى بالحاء المهملة والضاد المعجمة، من المحاضرة. قال في القاموس: والمحاضرة: المجادلة والمجاثاة عند السلطان، وأن يغالبك على حقّك فيغلبك، انتهى. وكلّ من هذه المعاني محتمل هنا، والأخير أنسب. وفي رواية: «يحاصرني» بالحاء والصاد المهملتين، من الحصر بمعنى التضييق والحبس، ومنه: محاصرة العدوّ. وفي رواية: «يخاضرني» بالخاء والضاد المعجمتين، أي: يذهب بحقّي باطلا، من قولهم: ذهب دمه خِضرا مِضرا بكسرهما، وككتف، أي: هدرا باطلا، أي: لا قود فيه، أو يأخذه بلا عوض، من قولهم: أخذه خِضرا مِضرا، أي: بغير ثمن. ويروى: «يخاصرني» بالخاء المعجمة والصاد المهملة، من المخاصرة، وهو أن يأخذ صاحبك في طريق وتأخذ أنت في غيره حتّى تلقيا في مكان، أي: يأخذ هو في طريق الظلم بحقّي وآخذ أنا في طريق الانظلام حتّى نلتقي في المحشر. أو هو من خاصر الرجل صاحبه، إذا أخذ بيده في المشي أو مشى إلى جنبه، أي: يأخذ بيدي مماشيا لي وهو ملتبس بحقّي، أو يمشي إلى جنبي ولا أستطيع الانتقام منه». (رياض السالكين٣: ٦٢ ـ ٦٣). وفي تاج العروس: والمُحَاضَرَةُ: المجَالَدَةُ، المُحَضَرَة المُجاثَاةُ. وحاضَرْتُه: جاثَيْتُه عِنْدَ السُّلْطَانِ، وهو كالمُغالَبَة والمُكاثَرة. المحَاضَرَةُ: أَنْ يَعْدُوَ مَعَك، وقال اللَّيْثُ: هو =

حقِّي[١]. وَعَرِّفْهُ عَمَّا قَلِيلٍ مَا أوعَدْتَ[٢] الظَّالِمِيْنَ، وَعرِّفْنِي ا وَعَدْتَ مِنْ[٣] إجَابَةِ[٤] المُضْطَرِّيْنَ[٥].

الظلم فتنة ـ أي امتحان ـ لكلٍّ من الظالم والمظلوم، وكل منهما يفتقر إلى عناية الله بالخلاص عنها، بنجاح، وفتنة المظلوم أنّه على أثر الظلم قد يقنط ييأس من الانصاف، وفتنة الظالم: ان طغيانه قد يؤدّي به إلى أن يأمن من عقاب والانكار عليه، فيصرّ على الظلم. والمظلوم المتأدّب بأدب الدعاء يدعوا نفسه بالأمل في انصاف الله، ويدعوا على الظالم بأن يقف على ما أوعد الله ظالمين فيكفّ عن ظلمه، إذا علم ان الطغيان لا يمكن ان يستمر إلى الأبد، وانّ اقبة الظالمين في الدنيا ـ كما سجّله التاريخ ـ هو الخسران، وفي الآخرة ـ كما بئ عنه الاديان ـ العقاب. وكذلك المظلوم إذا عرف إجابة الله للمضطرين الذي و منهم.

تنبيه: وردت كلمة «يحاصرني» مهملة، فهي بمعنى التضييق والحبس، بالخاء المعجمة من فوق.

وقال الشارح: «من المحاصرة، وهي ان يأخذ صاحبك في طريق وتأخذ ت في طريق الانظلام حتى الملتقى في المحشر»[٦].

أن يُحَاضِرَك إنسانٌ بحَقَّك فيذهَبَ به مُغالَبةً أو مُكابَرَةً. قال غيرُه: المُحَاضَرَةُ والمُجَالَدَةُ: أَنْ يُغَالِبَكَ عَلَى حَقِّك فَيَغْلِبَك عليه ويَذْهَبَ به. (تاج العروس ٦: ٢٨٨).

(١) في (ف): «ويمنعني حقّي»، وفي (ك): «ويحاصرني بحربه»، ويحاصر: من الحصر، بمعنى الحبس والتضييق، والحرب: الأخذ والسلب ومصادرة الأموال.

(٢) في (ت): «ما وعدت»، وفي (ق): «وعدت بِهِ»، والوعد في اجابة المضطر فيهِ، والايعاد للظالم بالانتقام منه.

(٣) في (ك) (ش): «في».

(٤) في (ق) العبارة هكذا: «من إحسانك».

(٥) في (س): «اضطر إلى الشيء: أي أُلجئ إليه، واضطر إلى الشيء: أي مسه ضرر لا يزول إلّا بوجوده». (حاشية ابن إدريس: ١٥٠).

(٦) راجع: رياض السالكين ٣: ٦٣.

[٩/١٤ ـ وبالنسبة إلى نفس المظلوم]:

أللّهُمَّ، صَلِّ(١) عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ(٢) وَفِّقْني لِقَبُولِ مَا قَضَيْتَ لِي وَعَلَيَّ، وَرَضِّنِي(٣) بِمَا أَخَذْتَ لِي وَمِنِّي، وَاهْدِنِي لِلَّتي هِيَ أَقْوَمُ، واسْتَعْمِلْني بِمَا هُوَ أَسْلَمُ.

وحيث ان الظلم الحاصل ما هو إلّا نتيجة أسباب ومسببات طبيعية في الحياة، والإنسان يكون امام الأمر الواقع، فيفتقر المظلوم إلى أن يتعامل معه كموارد القضاء والقدر بالخطوات التالية الّتي هي بدورها تفتقر إلى توفيق إلهي، وهي:

١ ـ (قبول ما قضيت لي وعليّ)، وهو الايمان بالقدر خيره وشره.

٢ ـ (رضّني بما أخذت لي ومنّي)، وهو الرضا بالقضاء الإلهي خيراً أو شراً.

٣ ـ (اهدني للّتي هي اقوم)، وفي هذه الحالات يفتقر الإنسان إلى الهداية الإلهيّة.

٤ ـ (استعملني بما هو اسلم)، في سلوك طرق مقاومة الظلم، حيث يفتقر الإنسان إلى سلوك الطريق الأسلم لنفسه واسرته ومجتمعه.

[١٠/١٤ـ مقاومة الظلم]:

أللّهُمَّ، وإنْ(٤) كَانَتِ الخِيَرَةُ لِي(٥) عِنْدَكَ فِي تَأخِيرِ الأخْذِ

---

(١) في (ق) (ف) العبارة هكذا: «اللهم فصلّ».

(٢) لم ترد في (ك) (ش) عبارة: «صلّ على محمّد وآله و».

(٣) في (ت): «وأرضني»، وفي (ف): «والرضا»، وفي (ش) العبارة هكذا: «ما قضيت عليّ ولي وارضني»، وفي حاشية (ك) في نسخة «وأرضني»، وفي (س): «ورضّني من أرضيته عني ورضّيته بالتشديد أيضاً فرضي، وترضّيته: أرضيته بعد جُهدٍ». (حاشية ابن إدريس: ١٥٠).

(٤) في (ك) (ف): «أللّهُمَّ إن».

(٥) في (ف): «الخيرة»، والخيرة: اسم من الاختيار، والمعنى: إن كان الخير لي عندَكَ هو التأخير في أخذِ الظالم وترك التعجيل في الانتقام فافعل.

لِي[١]، وَتَرْكِ الانْتِقَامِ مِمَّنْ ظَلَمَنِي إلى يَوْمِ الفَصْلِ وَمَجْمَعِ الخَصْمِ[٢]، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ[٣]، وَأَيِّدْنِي[٤] مِنْكَ بنيَّةٍ صَادِقَةٍ، وَصَبْرٍ دَائِمٍ، وأَعِذْنِي مِنْ سُوءِ الرَّغْبَةِ[٥]، وَهَلَعِ[٦] أَهْلِ[٧] الحِرْصِ، وَصَوِّرْ فِي قَلْبِي مِثَالَ[٨] مَا ادَّخَرْتَ لِي مِنْ ثَوابِكَ، وأَعْدَدْتَ لِخَصْمِي مِنْ جَزَائِكَ[٩] وَعِقَابِكَ[١٠]، وَاجْعَل ذلِكَ سَبَباً لِقَنَاعَتِي[١١] بِمَا قَضَيْتَ، وَثِقَتِي[١٢] بِمَا تَخَيَّرْتَ[١٣]. آمِّينَ رَبَّ العَالَمِينَ[١٤]، إِنَّكَ ذُو الفَضْلِ العَظِيْمِ، وأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ[١٥].

وفي هذا المقطع الأخير إشارة إلى مقاومة الظلم الذي لا يمكن رفعه في الدنيا، وان كان الله اختار بالقضاء والقدر تأخير القضاء إلى يوم الفصل ويوم

---

١) في (ك) (ق) (ت): «الأخذ بحقّي».
٢) في حاشية (ج)في نسخة: «الحكم»، وفي (ف) العبارة هكذا: ومجتمع الحكم».
٣) في (ق) (ت) العبارة هكذا: «وآل محمد».
٤) في (ك) (ش) العبارة هكذا: «يَوْمِ الفَصْلِ وَمَجْمَعِ الحكم، فأيّدني».
٥) في (ف): «الرعة».
٦) الهلع: الجزع، وفي (س): «الهلع: أفحش الجزع ـ وهو الخوف -». (حاشية ابن إدريس: ١٥٠).
٧) لم ترد في (ت): «أهل».
٨) المثال: الشكل والصورة.
٩) في (ف): «حزبك» وهو تصحيف.
١٠) في (ك) (ش) العبارة هكذا: «وأَعْدَدْتَ لِخَصْمِي مِنْ عِقَابِكَ».
١١) في (ف): «لقنوعي».
١٢) في (ف): «وثقةً».
١٣) في (ف): «تخيرت لي»، وفي (ش): «بما غيّرت»، وتخيّرت: أي اخترتَ لي.
١٤) لم ترد في (ك) (ش): «آمين ربّ العالمين».
١٥) لم ترد في (ك): «وأنت على كلّ شيء قدير»ولم ترد في (ف): «إِنَّكَ ذُو الفَضْلِ العَظِيْمِ، وأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ».

القيامة، وذلك حين مواجهة أنواع الظلم من الطغاة الذين لا يمكن صدهم لقوة طغيانهم، وقد سرد عليه السلام نقاطاً في المقاومة، هي:

١ ـ النية الصادقة، والنية: القصد، وصدقها: حسنها، بأن يكون قصد المقاوم واضحاً ومتصفاً بالحُسن.

٢ ـ صبر دائم، بأن لا يأخذ بالعاطفة في قراراته.

٣ ـ الاعتصام من سوء الرغبة، والاستعاذة هي الاعتصام. والرغبة الشخصية غالبا ما تلازم العواطف الّتي لا تحمد عواقبها.

٤ ـ الاعتصام من هلع أهل الحرص، والهلع: الجزع، والحرص: الرغبة المذمومة، فإن الظلم سبب مباشر فيهما.

٥ ـ تصوير ثواب الآخرة للصابر، فإن الوعد وان كان صادقاً يكون بالتصوير آكد.

٦ ـ وتصوير عقاب الخصم في الآخرة؛ فإنه يؤكّد العدالة في الجزاء.

٧ ـ القناعة بالقضاء بإرادة الله تعالى.

٨ ـ الثقة بما اختاره الله لمصلحة عليا في علمه بأنّه سوف يعود بالصالح على المجتمع بما فيه المظلوم.

وهذه النقاط خطوات للمقاومة شخصية واجتماعية، حيث لا يمكن مقارعة الظلم، ولا يمكن سلوك هذه الخطوات إلّا بفضل الله العظيم الذي هو على كل شيء قدير.

[الدُّعاءُ الخامس عشر]

وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام إذَا مَرِضَ أو نَزَلَ بِهِ كَرْبٌ أو بَلِيَّةٌ[1]

١٥/١ ـ الصحة والمرض]:

أللّهُمَّ لَكَ[2] الحَمْدُ عَلَى مَا لَمْ أزَلْ أتَصَرَّفُ[3] فِيْهِ مِنْ سَلامَةِ
دَنِي، وَلَكَ الحَمْدُ عَلَى مَا أحْدَثْتَ[4] بِي[5] مِنْ عِلَّةٍ فِي[6]
سَدِي، فَمَا أدْرِي ـ يَا إلهِي ـ أيُّ الحَالَيْنِ[7] أحَقُّ بالشُّكْرِ
كَ[8]؟ وَأيُّ الوَقْتَيْنِ أوْلَى بالحَمْدِ لَكَ[9]؟ أَ وَقْتُ الصِّحَّةِ الَّتي

---

(1) ورد هذا الدُّعاء في (ك) بالرقم (٣٠) بعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام إذا مرض»، وفي (ش) بالرقم (٣٣) بعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام إذَا مَرِضَ أو نَزَلَ بِهِ كَرْبٌ أو بَلِيَّةٌ»، وفي (ج) بعنوان: «الخامس عشر: وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام إذَا مَرِضَ أو نَزَلَ بِهِ كَرْبٌ أو بَلِيَّةٌ»، وفي (ق) بعنوان (الخامس عشر)، وتحته عنوان: «في المَرَضِ»، وفي (ت) بعنوان (الخامس عشر)، وتحته عنوان: «إذا مرض»، وفي (ف)ورد في ذيل الدعاء السابق بعنوان: «وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام إذَا مرض أو نزل به كرب»، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (١٥)، بعنوان: «دُعاؤهُ عند المرض».

(2) في (ف): «فلك».

(3) لم أزل أتصرف: أي لم أبرح أتقلَّب.

(4) في (ف): «أخديت».

(5) في (ش) (ت): «لي».

(6) لم ترد في (ق) (ت): «في».

(7) في (ك): «الحالتين».

(8) في (ف): «أحق لك بالشكر».

(9) في (ك) (ش): «اليك»، ولم ترد في (ف): «لك».

هَنَّأتَنِي(١) فِيْهَا طَيِّبَاتِ رِزْقِكَ(٢)، وَنَشَّطْتَنِي(٣) بِهَا(٤) لابْتِغَاءِ مَرضَاتِكَ وَفَضْلِكَ، وَقَوَّيْتَنِي مَعَهَا(٥) عَلَى مَا وَفَّقتَنِي لَهُ(٦) مِنْ طَاعَتِكَ(٧)؟ أمْ وَقْتُ العِلَّةِ التِي مَحَّصْتَنِي(٨) بِها، والنِّعَمِ(٩) الَّتِي أتحَفْتَنِي بِها(١٠)، تَخْفِيْفاً لِمَا(١١) ثَقُلَ

---

(١) هنَّأتني: جعلتهُ لي لذيذاً سائغاً.

(٢) في (ش): «طيّباً برزقك»، وفي (ف): «بطيّبات رزقك».

(٣) في (ف): «وبسطتني فيه»، وفي (ق) العبارة هكذا: «ونشطتني فيها»، وفي (ت) العبارة هكذا: «ونشطني فيها»، وفي هامش (س) ما نصّه: «في نسخة ابن إدريس: (بسطتني)، من البسط مقابل القبض، كما في (لوامع الأنوار العرشية ٣: ١١٩)»، وفي حاشية (ج): «وبسطتني ـ س»، ونشّطتني: جعلتني طيِّب النفس وجعلتني أُسرع في العمل، والابتغاء: الطلب.

(٤) في (ت) وحاشية (ج) (د) في نسخة: «فيها».

(٥) لم ترد في (ف): «معها».

(٦) في (ف): «وفقته لي».

(٧) في (ك) العبارة هكذا: «وأنشَطتَنِي بِهَا لابْتِغَاءِ فَضْلِكَ، وَقَوَّيْتَنِي عَلَى مَا أهَبْتَ بِي مِنْ طَاعَتِكَ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «ونشَّطتَنِي بِهَا لابْتِغَاءِ مرضاتكَ، وقَوَّيْتَنِي عَلَى مَا أهَبْتَ بِي اليه مِنْ طَاعَتِكَ»، وأهابَ بالابل إهابة: إذا زجرها، وبالخيل: دعاها أو زجرها.

(٨) في (ف): «أفدتني»، وفي (س): «محصت الذهب بالنار: خلصته ممّا يشوبه، والتمحيص: الابتلاء والاختبار». (حاشية ابن إدريس: ١٥٢)، وفي هامش (س)ما نصّه: «وجاء في الهامش: التمحيض ـ بالضاد المعجمة -: الابتلاء والاختبار. ص»، وفي الهامش أيضاً ما ترجمته: «والتمحيص ـ بالصاد المهملة ـ من باب التفعيل: التنظيف وتخليص الذهب من الشوائب الرديئة، وهنا [جاء] بالمعنيين».

(٩) في (ف): «والسقم».

(١٠) في (ف): «اَتْحَفْتَنِيبِه»، وفي (س): «التحفة: ما أتحفت به غيرك من البرّ واللطف وكلّ شيء نفيس أهديته إليه». (حاشية ابن إدريس: ١٥٢)، والاتحاف: الاكرام، من اتحفهُ: إذا وصلهُ بتحفة، وهي البرّ واللطف، ولم ترد في (ق) (ت)عبارة: «والنّعم الَّتِي اَتْحَفْتَنِيبِها»، وفي (ك) العبارة هكذا: «أمْ وَقْتُ العِلَّةِ التي أفْدْتَنِيْهَا، والسُّقْم الَّذِي اَتْحَفْتَنِي بِهِ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «أمْ وَقْتُ العِلَّةِ تَنبِيْهَا [كذا]، والسقم الَّتِي اَتْحَفْتَنِي بِهِ».

(١١) في حاشية (د): «اللام يحتمل ان تكون للتعليل، أي تخفيفا عني لأجل ما ثقل على ظهري، وأن تكون مقوّية للعامل لكونه فرعا في العمل، مثل ضربي لزيد حسن. من الشرح». (رياض السالكين ٣: ٨٨).

،[1] عَلَى[2] ظَهْرِي[3] مِنَ الخَطِيئَاتِ[4]، وَتَطْهِيْراً لِمَا انغَمَسْتُ[5] فِيْهِ نَ السَّيِّئَاتِ، وَتَنْبِيهاً لِتَنَاوُلِ التَّوْبَةِ[6]، وتَذْكِيراً لِمَحْوِ الحَوْبَةِ[7] بِقَدِيمِ لنِّعْمَةِ[8]. وَفِي خِلالِ[9] ذَلِكَ مَا كَتَبَ[10] لِي الكَاتِبَانِ مِنْ زَكِيِّ[11] لأعْمَالِ، مَا لَا قَلْبٌ فَكَّرَ فِيْهِ، وَلَا لِسَانٌ نَطَقَ[12] بِهِ، وَلَا جَارِحَةٌ

---

١) في (ت): «نقلته»، وكلمة: «به» من (ش) (د) وغيرهما، وهي موجودة في (ج) أيضا، إلّا أنه مشطوب عليها، وفي حاشية (ج) كتب الجباعي رحمه الله ما نصه: ««به»مشطوب عليها» .

٢) لم ترد في (ف): «على»، فتكون العبارة حسب ما أثبت هناك هكذا: «تَخْفِيْفَاً لِمَا ثَقُلَ به ظهري مِنَ الخَطِيئَاتِ»، وفي حاشية (د): «على ـ س».

٣) كلمة: «ظهري» من (ج) (د)، والعبارة في (ج) هكذا: «تَخْفِيْفَاً لِمَا ثَقُلَ عَلَى ظهري»، وفي حاشية (ج): «عليّ ـ س»، فتكون العبارة حسب ما أثبته هناك هكذا: «تَخْفِيْفَاً لِمَا ثَقُلَ عَلَيّ ظهري مِنَ الخَطِيئَاتِ»، والعبارة في (د) هكذا: «تَخْفِيْفَاً لِمَا ثَقُلَ به عَلَي ظّهري».

٤) في (ق) العبارة هكذا: «تَخْفِيْفَاً لما ثقّلتهُ على ظهري من الخطيئات».

٥) انغمستُ: غطست فيها، وعمّتني بكثرتها، وفي (س): «غمسته في الماء وغيره إذا واريته فيه، س». (حاشية ابن إدريس: ١٥٢).

٦) تناول التوبة: تعاطيها.

٧) في (ف): «وتذكيراً لمحي الحوبة»، وفي (ش): «وتذكيراً بمحي التوبة»، وفي (س): «الحُوب ـ بالضم -: الإثم». (حاشية ابن إدريس: ١٥٢)، والحوبة: الخطيئة، أي لأجل محو الخطيئة.

٨) في بعض النسخ: «بقدم النعمة»، وفي (ف): «بقديم النعمة محتسبا»، ولم ترد في (ك) (ش): «بقديم النعمة»، أي تذكيراً بقديم النعمة ـ وهي العافية قبل المرض ـ لأجل محو الخطيئة.

٩) في حاشية (ج): «أي أثناء»، أي: وفي أثناء ما ذكرت من السلامة والسقم الّتي اتحفتني بهما.

١٠) كذا في (ق) (س)، وفي غيرهما: «ما يكتب».

١١) في (ك) العبارة هكذا: «وتَذْكِيرَاً لِمَحْوِ الحَوْبَةِ تقديم النعمة، وَفِي خِلالِ ذَلِكَ مَا كتب لِي الكَاتِبَانِ مِنْ زَكِيٍّ».

١٢) في (ق): «أعلن».

تَكَلَّفَتْهُ[(١)]، بَل[(٢)] إِفْضَالاً مِنْكَ عَلَيَّ، وَإِحْسَاناً مِنْ صَنِيْعِكَ إِليَّ[(٣)].

الصحة والمرض حالتان تعرضان كل إنسان في فترة من الحياة، وهما وان كانتا متأثرتين بأسباب ماديّة توجب الصحة للجسم أو علة تودّي إلى المرض والسقم، لكن لهما دلالات روحية يغفل الناس عنها عادة. وكلا الحالتين تقتضي الحمد لتلك الدلالات الروحية.

ويشير الدعاء إلى تعادل الدلالتين الماديّة والروحية، وبالنتيجة بتعادل اقتضاء الحمد في الحالتين؛ ولأجل هذا التعادل قال عليه السلام: «لا أدري يا إلهي أيّ الحالتين أحقّ بالشكر، وأي الوقتين أولى بالحمد» فإن لكل من الحالتين خصائص موجبة للشكر والحمد معادلة للحالة الأخرى.

فمن خصائص الصحة:

١ ـ الهناء بطيّبات الرزق.

٢ ـ النشاط بسبب تلك الطيبات لابتغاء مرضات الله.

٣ ـ القوة على طاعة الله.

ومن خصائص العلة والمرض:

١ ـ التمحيص، أي تخليص الجسم من الفضلات الماديّة والذنوب الروحية.

٢ ـ التذكير بالنعم، وأقلها نعمة المعرفة بأن الصحة نعمة يجب اغتنامها قبل فواتها، ولولا المرض لما علم ذلك علماً يقيناً.

٣ ـ التخفيف من الخطيئات، فالمرض في نفسه يكفّر الذنوب ويخفّف منها.

٤ ـ التطهير من السيّئات، والمريض بدعائه يطهّر نفسه من السيّئات.

٥ ـ التنبيه لتناول التوبة، ولولا المرض لما انتبه الإنسان إلى لزوم التوبة.

---

(١) في (ق): «تكلفتها».

(٢) لم ترد في (ك) (ف): «بل».

(٣) إشارة إلى ما وردَ في الحديث: من «أنَّ العبد المؤمن يكتب لهُ في حالِ مرضهِ مثل ماكان يعمل في حالِ الصحة من الخير». (انظر رياض السالكين ٣: ٩٢).

٦ ـ التذكير لمحو الحوبة، أي الإثم، ولولا المرض لما سعى الإنسان في حو الاثم بالتقرب إلى الله سبحانه بالطاعات.

وهذه الخصائص الروحية تظهر للمريض، وهي ضرورية لحصول العلم ليقيني له بأن حالة الصحة ليست دائمة، فهو يقع فريسة للمرض من حيث لا شعر، وحيث أنه لا يدري نتيجة ذلك، فلابد أن يستعد لما بعد المرض أيضا، هذا الاستعداد نعمة لم يكن قد عرفها من قبل، ولتخفيف المرض من خطيئاته ان ان متلبساً بها في حال الصحة، ويطهّر نفسه من السيئات بالدعاء والتضرع الانابة لعودة الصحة والشفاء من المرض. والمرض نفسه يكون منبّها للتوبة قبل وات الأوان، ومذكّراً لمحو الآثام بأداء حقوق الله وحقوق الناس.

وكل ذلك تمحيص وتخليص روحي وجسمي لشخص المريض، وكل ذلك (من كّي الأعمال) الّتي لم تكن تحصل في حال الصحة والغفلة، وتكون زيادة في الاعمال لصالحة التي يدوّنها الكاتبان من الملائكة الموكلة بتسجيل أعمال العباد في الحياة ليومية. ولم يكن يحصل شيء من هذا الاحسان والإفضال لولا حالة المرض.

٢/١٥ ـ دعاء المريض]:

أللّهُمَّ صَلِّ[١] عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ[٢] حَبِّبْ[٣] إلَيَّ مَا رَضِيْتَ بي، وَيَسِّرْ لِي[٤] مَا أحْلَلْتَ بِيَ، وَطَهِّرْنِي مِنْ دَنسِ[٥] مَا سْلَفْتُ[٦]، وامْحُ عَنِّي شَرَّ[٧] مَا قَدَّمْتُ، وَأوْجِدْنِي حَلَاوَةَ العَافِيَةِ،

---

١) في (ق) (ج) (ف) (س) (ت) العبارة هكذا: «اللهم فصلّ».
٢) لم ترد في (ك) عبارة: «فصلّ على محمّد وآله و».
٣) في (ك) (ش): «أللّهُمَّ فحبّب».
٤) في (ك) (ش) (ف): «عليّ».
٥) في (ق) (ت) العبارة هكذا: «من الدنس».
٦) في (ك) (ش) العبارة هكذا: «وَطَهِّرْنِي مِنْ ذميمِ مَا أسْلَفْتُ»، وأسلفت: قدّمت من الأعمال، ومنها: جهلي بنعمةِ العافية.
٧) في (ك) (ق) (ت): «سيِّئَ».

وَأَذِقْنِي بَرْدَ السَّلَامَةِ(١)، واجْعَلْ مَخْرَجِي عَنْ عِلَّتي إلى عَفْوِكَ، وَمُتَحَوَّلِي عَنْ صَرْعَتِي(٢) إلَى تَجَاوُزِكَ، وخلاصي منْ كَرْبِي إلَى رَوْحِكَ(٣)، وَسَلامَتِي مِن هٰذِهِ الشِّدَّةِ إلَى فَرَجِكَ. إنَّكَ المُتَفَضِّلُ(٤) بالإحْسَانِ، المُتَطَوِّلُ(٥) بالامْتِنَانِ، الوَهَّابُ، الكَرِيمُ، ذُو الجَلَالِ وَالإكْرَامِ(٦). [وَصَلّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ النبيِّ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطاهِرِينَ الأَخْيَارِ](٧).

وبعد ان شرح في المقطع الأوّل حالتي الصحة والمرض وآثارهما الماديّة والروحية، سرد في هذا المقطع الأخير ما ينبغي الدعاء به في حالة المرض أو الكرب أو البلية؛ فانها حالات متشابهة، حيث ان المرض حالة ضارة بالجسم، والكرب همّ يشق على النفس، والبلية: الاصابة بالمكروه، وأسبابها على الأغلب تكون ماديّة، وآثارها الروحية واحدة. فجمع عليه السلام بينها في الدعاء لتقوية روح المناعة للتغلب على آثارها بسرد نقاط هي:

١ ـ (حبّب إليّ ما رضيت لي)، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾(٨).

٢ ـ (يسّر لي ما أحللت بي)؛ فإذا كان المرض خيراً فليكن في يسر.

---

(١) هذهِ استعارة لطيب السلامة وهناءها.

(٢) في (ف): «وتحوّلي من مصرعي»، وفي (ك): «ومتحوّلي عن مصرعي»، وفي (ش): «وتحولي عن مصرعي». ومتحولي: منصرفي.

(٣) لم ترد في (ك) (ش): «وخلاصي منْ كَربِي إلَى رَوحِكَ»، وفي (س): «الرَوح: الراحة، وروح وريحان: أي رحمة ورزق». (حاشية ابن إدريس: ١٥٢).

(٤) المتفضّل: المبتديء بالفضلِ بما لا يلزمهُ.

(٥) في (ك): «والمتطول»، والمتطوّل: ذو الطول: وهو الفضل والعطاء، والقدرة والغنى والسعة.

(٦) لم ترد في (ك) (ش): «ذو الجلال والاكرام»، وفي (ك) زيادة: «خَيْرُ مُعِيْن وَمُسْتَعان»، والمستعان: من يطلب منهُ العون.

(٧) ما بين المعقوفتين من (ف) فقط.

(٨) اقتباس من القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ٢١٦.

٣ ـ (طهّرني من الدنس)؛ فيكون المرض سببا للنقاء من الأوساخ المعنوية.

٤ ـ (امح عنّى شرّ ما قدمت)، فيصح الجسم بروح طاهرة من أدناس ماضي.

٥ ـ (أوجدني حلاوة العافية)؛ فإنه قبل فقدها لم يكن قد شعر بها الإنسان، عد الشفاء من المرض تبدو حلاوتها.

٦ ـ (اذقني برد السلامة)، فالمرض يصاحب عادةً ارتفاع حرارة الجسم، ن حالة السلامة.

٧ ـ (واجعل المخرج إلى عفوك)، وذلك بسبب التضرع والدعاء في حالة مرض.

٨ ـ (واجعل متحوّلي إلى تجاوزك)، ونتيجة المرض والدعاء حال المرض ، تحول الإنسان إلى حالة تجاوز الله عنه.

٩ ـ (واجعل خلاصي من كربي إلى روحك)، وذلك بتعقّب الكرب ـ أي شدة ـ بالروح، أي الراحة بعد الكرب والشدّة.

١٠ ـ (واجعل سلامتي إلى فرجك)، أي تعقيب حالة المرض بالفرج، وهو شف الشدة المصحوبة بالسلامة.

وهذه النقاط العشر في الآثار الّتي يطلب الإمام تعقبّها حالة المرض تجعل مريض الذي اعتمد على الله في كشف حالة المرض أو الكرب أو البلية في حالة ىديدة تسوده روح معنوية جديرة بأن تساهم ايجابياً في بناء المجتمع بقوة الله متفضّل المبتدي بالفضل، والمتطوّل المبتدي بالاحسان والامتنان، الوهاب بكثرة طاياه الخالصة، الكريم الجواد الذي لا ينفد عطاؤه، ذو الجلال في ذاته، وذو لاكرام في مقامه.

[الدُّعاءُ السادس عشر]

وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام إذَا استَقَالَ مِن ذُنُوبِهِ أوْ تَضَرَّع فِي طَلَبِ العَفوِ عَن عيوبه[1]

[١/١٦ ـ دعاء الاستقالة]:

أللّهُمَّ، يَا مَنْ بِرَحْمَتِهِ يَسْتَغِيْثُ المُذْنِبُونَ، وَيَا مَنْ إلى ذِكْرِ إحسَانِهِ يَفْزَعُ المُضْطَرُّونَ، وَيَا مَنْ لِخِيْفَتِهِ يَنْتَحِبُ الخَاطِئُونَ[2]، يَا أُنْسَ[3] كُلّ مُسْتَوْحِشٍ غَرِيْبٍ، وَيَا فَرَجَ كُلّ مَكْرُوبٍ كَئِيبٍ[4]، وَيَا غَوْثَ[5] كُلِّ

(١) ورد هذا الدُّعاء في (ك) بالرقم (٢٤) بعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام إذا تضرّع»، وفي (ش) بالرقم (٢٨) بعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام إذَا استَقَالَ مِن ذُنُوبِهِ أو تَضَرَّع فِي طَلَبِ السترِ عَن عيوبه»، وفي (ج) بعنوان: «السادس عشر: وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام إذَا استَقَالَ مِن ذُنُوبِهِ أو تَضَرَّع فِي طَلَبِ العَفوِ عَن عيوبه»، وفي (ق) بعنوان: (السادس عشر)، وتحته عنوان: «إذَا استَقَالَ مِن ذنوبه»، وفي (ت) بعنوان: (السادس عشر)، وتحته عنوان: «في طلب العفو»، وفي (ف)ورد في ذيل الدعاء السابق بعنوان: «وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام إِذَا استَقَالَ مِن ذُنُوبِهِ أو تَضَرَّع فِي حاجة»، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (١٦)، بعنوان: «دُعاؤهُ إذا استقال من ذنوبه».

(٢) في (ك) (ش) (د): «الخاطئون»، وفي (ف) وحاشية (ج) (د): في نسخة: «الخطّاؤون»، والانتحاب: أشد البكاء، والخطّاؤون جمع الخطّاء، وهو مبالغة في الخاطيء.

(٣) في (ش): «يا أنيس».

(٤) في (ك) (ف): «حريب»، وفي (ش): «حريب كئيب»، والحريب: الذي أُخِذَ مالهُ وتُرِكَ بلا شيء.

(٥) في (ش) (ق) (ت): «ويا عون».

مَخْذُولٍ فَرِيدٍ، وَيَا عَضُدَ[١] كُلّ مُحْتَاجٍ طَرِيْدٍ[٢].

استفتح الدعاء بنداءات الطالب المستقيل، والاقالة هي التجاوز عن الذنب، هذه النداءات تعبّر عن واقع حاله، وهي:

١ ـ (يا من برحمته يستغيث المذنبون)، فلولا رحمته الّتي وسعت كلّ شيء[٣] لما كان هناك أمل في الاقالة.

٢ ـ (يا من إلى ذكر إحسانه يفزع المضطرّون)، ولولا ذلك لكانت حالة الاضطرار قاضية على روح المقاومة.

٣ ـ (يا من لخيفته ينتحب الخاطئون)؛ فإنّ الخاطئ بمعنى من تعمّد ارتكاب ما نهي عنه، دون المخطئ، وبدرجة أهمية المنهي عنه والناهي يكون عظم الخطيئة، والمرتكب لنواهي الله سبحانه يلزمه الانتحاب وهو شدة البكاء.

٤ ـ (يا أُنس كلّ مستوحش غريب)؛ فإن ألم الغربة إذا قورن بالوحشة يشتد ألماً؛ لاجتماع البعد عن الوطن مع فقدان الأنيس، وحينئذ لا يكون له ملجأ سوى الله تعالى.

٥ ـ (يا فرج كلّ مكروب كئيب)، والكرب: الغم الذي ياخذ النفس لشدته، وهو مؤلم كالجمرة، والكآبة: الانكسار من الحزن، ومن يصطلي بذلك لا ملجأ له سوى الله تعالى.

٦ ـ (يا غوث كل مخذول فريد)، والنصر للوحيد الذي خذله الآخرون لا يكون إلّا من الله تعالى.

٧ ـ (يا عضد كل محتاج طريد) والمحتاج الذي طرده الآخرون لا لشيء سوى حاجته، لا ناصر له سوى الله.

---

١) في (ك) (ف): «وياعاضد»، والعاضد: الناصر والمعين، وهذهِ الاعتبارات الأربعة مفادها أنّ الله تعالى ملجأ كلّ مضطرّ ومفزع كلّ مستوحش.

٢) في (ك) العبارة هكذا: «وَيَا عَاضِدَ كُلِّ مُحْتَاجٍ طَرِيْدٍ».

٣) كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾. (القرآن الكريم، سورة الأعراف ٧: ١٥٦).

وهذه النداءات المتتالية نداءات من يطلب الاقالة من الله تعالى ليتجاوز عن ذنوبه، حيث لا يمكن ذلك من أي أحد آخر، فالمستقيل يوجّه نداءه إلى من له الاجابة دون غيره، والله هو المستعان دون غيره.

[٢/١٦ ـ صفات المقيل]:

أنْتَ الَّذِي وَسِعْتَ كُلَّ شَيءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً[(١)].

وَأنْتَ[(٢)] الَّذِي جَعَلْتَ لِكُلِّ مَخْلُوقٍ فِي نِعَمِكَ[(٣)] سَهْماً.

وَأنْتَ[(٤)] الَّذِي عَفْوُهُ أعْلى مِنْ عِقَابِهِ.

وَأنْتَ الَّذِي تَسْعَى[(٥)] رَحْمَتُهُ أمَامَ غَضَبِهِ[(٦)].

وَأنْتَ الَّذِي عَطَاؤُهُ أكْثَرُ مِنْ مَنْعِهِ.

وَأنْتَ الَّذِي اتَّسَعَ الخَلائِقُ كلّهم فِي وُسْعِهِ[(٧)].

---

(١) كما ورد في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾. (سورة المؤمن٤٠: ٧)، وقوله تعالى: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾. (سورة الأعراف ٧: ١٥٦).

(٢) في (ك) (ش): «أنت» بدل «وأنت» هنا وفي الموارد التالية.

(٣) في (ك) (ق) (ت): «في نعمتك».

(٤) في (ك) بدل «وأنت»: «أنت» هنا وفي الموارد التالية.

(٥) في (ف): «يسعى».

(٦) أي: انك جعلت رحمتك قبل غضبك.

(٧) في (ك) العبارة هكذا: «أنت الذي اتَّسَعَ الخَلائِقُ فِي وُسْعِهِ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «أنت الذي الخَلائِقُ كلّهم فِي وُسْعِهِ» أي انَّ غنى الخلائق كلّهم بفضلِكَ وغناكَ وجِدتِكَ، وكل ماعند الخلائق فهو منكَ، ولولاكَ لما كان لهم شيء.

وَأَنْتَ الَّذِي لَا يَرْغَبُ فِي جَزاءِ[1] مَنْ أَعْطَاهُ[2].

وَأَنْتَ الَّذِي لَا يُفْرِّطُ[3] فِي عِقَابِ مَنْ عَصَاهُ.

ويتضمن هذا المقطع من صفات المقيل سبحانه وتعالى الّتي توجب توجه العبد اليه لطلب الاقالة، وهي:

١ ـ (انت الذي وسعت كل شيء رحمة وعلماً)، فالله هو العالم بكل شيء، ومنها الأسباب التي دعت العبد إلى ارتكاب الخطايا، واهمها الجهل فيستحق جهله ان تشمله رحمة الله التي وسعت كلّ شيء[4].

---

١) في (ف): «في غنى».

٢) في حاشية (د) ما نصه: «لما كان تعالى هو الغنيّ المطلق في كلّ شيء عن كلّ شيء، صدق أنّه لم يعط من أعطاه رغبة في جزائه، بل بمحض جوده، وهو فيضان الخير عنه على كلّ قابل بقدر ما يقبله، من غير بخل ولا منع ولا شائبة غرض ولا ضميمة علّة. من الشرح». (راجع: رياض السالكين٣: ١١٧).

٣) في (ك) (ق) (د): «لَا يُفرِطُ»، وفي هامش (س) ما نصّه: «في نسخة ابن إدريس: (لا يُفرّط) من باب التفعيل، من فرّط في الأمر يفرّط تفريطاً، أي قصّر فيه وضيّعه حتى فات. (لوامع الأنوار العرشية ٣: ١٤٤)»، وفي حاشية (ج) (د): «لَا يُفرِّطُ- س»، ولَا يُفْرِطُ: أي لا يترك ولا يهمل، والمعنى أنَّ الله لا يقتصر في الثواب على قدر الاستحقاق بما يكون جزاءً لهُ، بل يزيد عليهِ، وربما يعفو عن الذنب منّاً وتفضُّلاً، وان عاقبَ فإنه يعاقب على قدرَ الاستحقاق، ولا يترك عقاب من عصاهُ إهمالاً وتقصيراً منهُ، بل يجازي العاصي بمعصيتهِ. (انظر رياض السالكين ٣: ١١٨). وقال المولى محمد صالح المازندراني في قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ (سورة الأنعام ٦: ٣٨)، ما نصه: فرط وفرَّط بالتخفيف والتشديد يتعدّيان بـ «في»، يقال: فرط في الأمر يفرط فرطاً من باب نصر، وفرَّط فيه تفرطاً: أي قصّر فيه وضيّعه حتّى فات، ولذا قال القاضي: «من» مزيدة و«شيء» في موضع المصدر، فإنَّ «فرط» لا يتعدّى بنفسه وقد عدّي بفي إلى الكتاب، والمقصود أنَّ الكتاب تامٌّ غير ناقص في البيان، إذ كلُّ شيء من أمر الدّين وغيره فهو مذكور في الكتاب مفصّلاً في اللّوح المحفوظ. (شرح أصول الكافي، للمولى محمد صالح المازندراني ٥: ١٩٥).

٤) كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾. (القرآن الكريم، سورة الأعراف ٧: ١٥٦).

٢ ـ (انت الذي جعلت لكل مخلوق في نعمك سهما)؛ حيث أنّ نعم الله لا تحصى، ومنها نعمة الهواء الطلق الذي يعم الخلق أجمعين، ولكل منهم فيه سهم وحصة، ولو كانت مملوكة للآخرين لما تنعم به الفقراء والمحتاجون.

٣ ـ (انت الذي عفوه أعلى من عقابه) والعلوّ هنا بمعنى الغلبة، والله سبحانه ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾[1].

٤ ـ (انت الذي تسعى رحمته امام غضبه)، فإن الرحمة من الله طبيعية، دون الغضب الذي يكون بسبب طاري.

٥ ـ (انت الذي عطاؤه اكثر من منعه)، وذلك لأنّ المنع انما يكون لسبب يستحقه الممنوع، دون العطاء.

٦ ـ (انت الذي اتسع الخلائق كلهم في وسعه)، والوسع: الغنى، فالخلائق من دون استثناء متنعمة بنعمة الحياة.

٧ ـ (انت الذي لا يرغب في جزاء)؛ فإن الراغب في الجزاء محتاج إلى ذلك، وهو من صفات الممكن، والله واجب الوجود المستغني عن كلّ شيء.

٨ ـ (انت الذي لا يفرط في عقاب)، حيث ان العقاب انما هو لغرض التأديب، ومتى حصل الغرض ينتفي ضرورة العقاب، والله سبحانه يقدّر العقاب بقدره من دون افراط أو تفريط، بل حسب ما يستحقه العاصي.

وهذه الصفات تقتضي اقالة العاصي فيما ارتكبه من الذنوب فيما إذا صدق في استقالته وتحققت فيه صفات المستقيل الصادق.

[٣/١٦ ـ صفات المستقيل]:

وَأَنَا[2] ـ يا إِلهِي[3] ـ عَبْدُكَ[4] الَّذِي أَمَرْتَهُ بالدُّعَاءِ، فَقَالَ:

---

(١) القرآن الكريم، سورة الشورى ٤٢: ٣٠.

(٢) في (ش): «أنا» بدل «وأنا».

(٣) في (ف): «يا سيدي».

(٤) لم ترد في (ش): «يا إلهي عبدك».

لَبَّيْكَ وَسَعدَيْكَ(١)**، هَا أَنَا ذَا - يَا رَبِّ - مَطْرُوحٌ**(٢) **بَيْنَ يَدَيْكَ.**

أَنَا الَّذِي أَوْقَرَتِ(٣) **الخَطَايَا ظَهْرَهُ.**

وَأَنَا(٤) **الَّذِي أَفْنَتِ**(٥) **الذُّنُوبُ عُمْرَهُ.**

وَأَنَا(٦) **الَّذِي بِجَهْلِهِ عَصَاكَ، وَلَمْ تَكُنْ مِنْهُ أَهْلاً لِذَاكَ**(٧)**.**

وفي هذا المقطع حدّد صفات المستقيل الصادق الذي يستوجب قبول دعائه وإقالته، وهي:

١ - (أنا عبدك الذي أمرته بالدعاء)، وهذه أُولى الصفات؛ حيث استجاب لأمر: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾(٨).

٢ - (انا مطروح بين يديك) وحيث ان استجابة الأمر كما يمكن أن يكون باللفظ بقول: «لبّيك وسعديك»، أيضاً يمكن أن يكون بالعمل، بأن يكون مستسلماً لأوامر الله تعالى في غاية الذلّ؛ بأن يكون مطروحاً بين يدى الله تعالى؛ لامتثال أمره.

٣ - (أنا الذي أوقرت الخطايا ظهره)، والوقر: هو الثقل، وحمل الثقل عجز عملي أظهره لله بالاقرار.

---

(١) لم ترد في (ف): «وسعديك».

(٢) عبارة: «يَا رَبِّ مَطْرُوحٌ» وردت في (ك) في الهامش.

(٣) أي أثقلت، من الوقر، بمعنى الثقل، يُقال: أوقرهُ الدين: إذا كثُرَ عليهِ، وفي (س): «أوقره: أي أثقله، والوقر - بالفتح -: الثقل في الأذن، والوِقر - بالكسر -: الحمل». (حاشية ابن إدريس: ١٥٦).

(٤) في (ك) بدل «وأنا»: «أنا»، وكذا فيما يلي.

(٥) الكلمة غير واضحة في (ف)، وتحتمل: «أفنت».

(٦) في (ش): «أنا» بدل «وأنا».

(٧) في (ف) العبارة هكذا: «وَلَمْ يَكُنْ أَهْلاً مِنْهُ لِذَاكَ»، وفي (ك) (ت) العبارة هكذا: «وَلَمْ تَكُنْ أَهْلاً مِنْهُ لِذَاكَ»، أي انَّكَ لم تكن أهلاً لان تعصى معَ جزيل إنعامِكَ وفضلكَ وقدرتِكَ.

(٨) القرآن الكريم، سورة غافر ٤٠: ٦٠.

٤ ـ (أنا الذي أفنت الذنوب عمره)؛ فإن ما يستغرقه الذنب من حياة الإنسان يسلبه الفرصة لأن يقوم بخدمة في بناء نفسه واسرته ومجتمعه، وفوات هذه الفرص إفناء للعمر فيما لا فائدة فيه، مع ان استخدام العمر في البناء يكون إدامة للصحة، وهي بناء النفس وإطالة العمر وبناء الاسرة والمجتمع، وهو إدامة لذكرى الخير في الحياة وبعد الممات.

٥ ـ (أنا الذي بجهله عصاك)، وكلّما حصل من العصيان انما هو مستند إلى الجهل، معترفاً بأنّ الله تعالى لم يكن مستوجباً للعصيان مع صفاته الّتي تقدمت، بل كان في كل هذه الحالات مستحقاً للطاعة، لا العصيان وإنّما ذلك حصل عن الجهل.

وهذه الصفات للمستقيل توجب ان يكون مستحقاً للاقالة؛ لاعترافه بالخطأ بالقول والفعل، والإقرار بأنّه لا مصير للخروج عنها إلّا بالإقالة.

[١٦/٤ ـ الخيارات]:

هَلْ أنْتَ ـ يا الهِي[١] ـ رَاحِمٌ مَنْ دَعَاكَ، فأَبْلِغَ[٢] فِي الدُّعَاءِ؟

أمْ أنْتَ غَافِرٌ لِمَنْ بَكاكَ[٣]، فأسْرِع[٤] فِي البُكَاءِ؟

---

(١) في (ف): «يا مولاي».

(٢) في (ف): «فأجتهد»، وفي حاشية (ج): «فأُبلغُ، وأُسرعُ، أيضاً ـ س». وورد الضبط في بعض النسخ: «فأبلغ»، بإسناد «أبلغ» إلى ضمير الغائب، على أنّهُ فعل ماضٍ معطوف بالفاء على «دعاك»، ويحتمل: «أُبلغ»، أي أفعل ذلك بمبالغة، وهو فعل مضارعٍ منصوب بأنَّ مقدرة بعد الفاء السببية في جواب الإستفهام، وفي هامش (س)ما نصّه: «وفي نسخة ابن إدريس (فأَبْلَغَ) بإسناده إلى ضمير الغائب، فهو فعل ماضٍ معطوف بالفاء على (دعاك). (لوامع الأنوار العرشية ٣: ١٥٠)».

(٣) في (ك) (ش) (ق) (ف) (ت): «أمْ أنْتَ غَافِرٌ لِمَنْ بَكَى إليْكَ».

(٤) في (ق): «فأُسْرِعَ»، وفي (ف): «فأشرع»، وفي (ك) (ش): «فأُسْرِفَ»، والإسراف: تجاوز الحدِّ.

أَمْ أَنْتَ مُتَجَاوِزٌ عَمَّنْ عفَّرَ لَكَ وَجْهَهُ[١] تَذَلُّلاً[٢]؟

أَمْ أَنْتَ مُغْنٍ مَنْ شَكَا[٣] إِلَيْكَ فَقْرَهُ تَوَكُّلاً؟

واحتمالات الخيار محدودة، وقد لخصها هذا المقطع بأربع أُمور حددت صفات المقيل والمستقيل، وهي:

١ ـ الرحمة من الله الذي وسعت رحمته كلّ شيء[٤]، وقد امتثل العبد أمر الله سبحانه بالدعاء وأبلغ فيه.

٢ ـ المغفرة من الله سبحانه؛ لاستحقاق العبد ذلك باسراعه في البكاء لطلب المغفرة.

٣ ـ التجاوز عن الخطايا، حيث ان العبد مرّغ وجهه في التراب بالسجود لعظمة الله وطلب التجاوز منه، وهو متذلّل لقبول استقالته.

٤ ـ إغناء العبد الفقير المتوكل على الله، بعد استحقاقه بالفقر إلى العفو والرحمة والمغفرة.

فقد اجتمعت في الداعي كل صفات الاستحقاق للاقالة، والله سبحانه هو المستجمع لصفات الكمال والجمال الّتي تقتضي قبول الاستقالة.

وهل يخيّب الله عبده الذي امره بالدعاء؟!! كلّا ثم كلّا، حيث ان العبد كان له خيارات فاستنفذ خيارات المستقيل الصادق واتصف بتلك الصفات عن

---

(١) في (ك) العبارة هكذا: «أَمْ أَنْتَ مُتَجَاوِزٌ عَمَّنْ عَفَّرَ وَجْهَهُ لَكَ»، وفي (س): «العَفَر ـ بالتحريك ـ: التراب، وعفَرهُ تعفيراً: أي مرّغه في التراب». (حاشية ابن إدريس: ١٥٧)، وعفرَّ وجههُ: مرغهُ في العفر، وهو وجه الأرض، والمراد: سجدَ.

(٢) في (ش): «تذليلاً»، وفي (ف): «متذللاً».

(٣) في (ك) (ش): «اشْتَكَى».

(٤) كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾. (القرآن الكريم، سورة الأعراف ٧: ١٥٦).

استحقاق، ولا يمكن لمن كتب على نفسه الرحمة ان يهمل هذه الحالة ويمنع رحمته من ان يشملها إلّا بسبب أهم، وهو العدل في الحكم.

[٥/١٦ ـ الآثار السلبية]:

يا إلهي[١]، لا تُخيِّبْ[٢] مَنْ لا يَجِدُ مُعْطِياً غَيْرَكَ، وَلَا تَخْذُلْ[٣] مَنْ لَا يَسْتَغني عَنكَ[٤] بأحَدٍ دُوْنَكَ[٥].

وفي هذا المقطع وما يليه من المقاطع سردٌ للأسباب الّتي تستوجب تقديم الرحمة على العدل في الحكم من الآثار السلبية، منها: الخيبة بعد استنفاذ كل الوسائل لتقويم ما سبق من الانحراف، فيكون ردّها موجباً للخيبة والله لا يخيّب من رجاه.

ومنها: الخذلان، حيث يكون العبد مخذولا، ولا يجد من ينقذه من الانحراف الذي يريد التخلص منه سوى الله سبحانه، الذي لا ناصر سواه.

[٦/١٦ ـ آثار اخرى]:

إلهِي، فصَلِّ[٦] عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَلَا تُعْرِضْ عَنِّي[٧] وَقَدْ

---

(١) في (ك) (ق) (ت) (حاشية ابن إدريس): «إلهي»، بدون «يا».
(٢) في (ف): «إلهي لا يخيب»، وفي حاشية (ج): «لا تَخيب، لا تُخيّب ـ معا»، وفي (س): «خاب الرجل خيبة: إذا لم ينل ما طلب». (حاشية ابن إدريس: ١٥٧).
(٣) في (ف): «ولا يخذل»، وفي حاشية (ج): «لا تَخذل، لا تُخذل ـ معا».
(٤) في (ك): «وَلَا تَخْذُلْ مَنْ لَمْ يَسْتَعِن»، وفي (ش): «وَلَا تَخْذُلْ مَنْ لَا يَسْتَعين».
(٥) في (س): «يقال: هذا دون ذاك: أي أقرب منه». (حاشية ابن إدريس: ١٥٧).
(٦) في (ف): «يا الهي صلّ».
(٧) في (ف): «ولا يعرض»، وفي (ك): «يا إلهي لا تعرض عنّي»، وفي (ش): «يا إلهي لا تدبر عنّي»، أي لا تهنّي ولا تسخط عليَّ، فإنَّ الإعراض هنا مجاز عن الصّد والتولّي والادبار، كما انَّ الإقبال كناية عن الانابة والرجوع إلى الله سبحانهُ.

أقْبَلْتُ عَلَيْكَ، وَلَا تَحْرِمْنِي[١] وَقَدْ رَغِبْتُ إلَيْكَ، وَلَا تَجْبَهْنِي[٢] بالرَدِّ وَقَدِ انْتَصَبْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ.

أنْتَ الذي وَصَفْتَ نَفْسَكَ بالرَّحْمَةِ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَارْحَمْنِي[٣].

وأنْتَ الَّذي سَمّيْتَ نَفْسَكَ بالعَفُوِّ[٤]، فَاعْفُ عَنِّي[٥].

ومن الآثار السلبية الّتي تنافي رحمة الله المطلقة:

١ ـ الإعراض عن العبد في حين أنه قد أقبل على الله بروح المطيع النادم.

٢ ـ الحرمان، في حين ان العبد جاء راغبا إلى رحمته تعالى.

٣ ـ الرد، في حين انه قد انتصب مطيعا لما أُمر به في الحال.

وكل ذلك لا تتلائم مع صفة الرحمة الّتي وصف الله نفسه بها، حيث قال: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ وهو ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وقد سمعها الداعي المستقيل.

وحيث وصف الله نفسه بالعفوّ، أي الكثير العفو، حيث قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[٦].

---

(١) أي لا تمنعني.

(٢) في (ف): «ولا تجبني»، ويُقال: جبههُ: إذا استقبلهُ بما يكرهُ، والانتصاب: القيام، والمعنى: لا تقابلني بالحرمان وقد وقفتُ بين يديكَ، وفي (س): «جبهته بالمكروه: إذا استقبلته به». (حاشية ابن إدريس: ١٥٧).

(٣) في (ك) (ش) العبارة هكذا: «أنْتَ وصفْتَ نفسك بالرَّحْمَةِ فارْحَمْنِي».

(٤) في (ج): «بالعَفْوِ»، وفي حاشية (ج): «بالعَفُوّ ـ س»، وفي هامش (س) ما نصّه: «في نسخة ابن إدريس (بالعفوّ) بضمّ الفاء وتشديد الواو، وهذا أظهر لخلوصه عن تكلّف المجاز. (لوامع الأنوار العرشية ٣: ١٦٠)».

(٥) في (ك) (ش) العبارة هكذا: «وأنْتَ الَّذي نَسَبتَ نَفْسَكَ إلى العَفو، فَاعْفُ عَنِّي».

(٦) القرآن الكريم، سورة النساء ٤: ٩٩.

فلا بدّ ان يكون المستقيل من المعفوين، كما تقتضيه دلالة صيغة المبالغة.

[٧/١٦ ـ شواهد الحال]:

قَدْ[١] تَرَى ـ يا إلهي ـ فَيضَ[٢] دَمْعِي[٣] مِنْ خِيفَتِكَ[٤]، وَوَجِيبَ قَلْبِي[٥] مِنْ خَشْيَتِكَ، وَانْتِفَاضَ[٦] جَوَارِحِي مِنْ هَيْبَتِكَ، كُلُّ ذَلِكَ حَياءً[٧] مِنْكَ، لِسُوءِ عَمَلِي، وَلِذَاكَ[٨] خَمَدَ صَوْتِي عَنْ الجأرِ[٩] إليْكَ، وكَلَّ لِسَانِي عَنْ مُنَاجَاتِكَ[١٠].

---

(١) في (ق) (ت): «فقد».

(٢) في (ك) (ش): «فيضان»، والفيض والفيضان: الجريان.

(٣) في (ق) (ت): «دموعي»، وفي حاشية (ج): «دموعي ـ س»، وفي هامش (س)ما نصّه: «في نسخة ابن إدريس: (دموعي). (لوامع الأنوار العرشية ٣: ١٦٠)».

(٤) في (ك): «مِنْ خِيفَتِكَ»، وفي (ش): «مِنْ خشيَتِكَ».

(٥) في (ش): «مِنْ خِيفَتِكَ»، وفي (س): «وَجَبَ القلب وجباً: اضطرب». (حاشية ابن إدريس: ١٥٧).، والوجيب: الرجفة والخفقان والاضطراب.

(٦) كذا في (ش) (س)، وفي غيرهما: «وانتقاضِ»، والانتقاض: الانفكاك والانحلال، والجوارح: الأعضاء، وفي (س): «نفضت الثوب والشجر أنفضه نفضاً: إذا حرّكته ليقع ما عليه. وانتفض بنفسه: أي تحرّك حركةً قويةً سريعة. س». (حاشية ابن إدريس: ١٥٧).

(٧) في (ك): «حياً»، وفي حاشية (ج): «حياً، حياءً ـ معا»، وفي حاشية (د) ما نصه: «وفي رواية: «حياء»، بالنصب على أنّه مفعول لأجله، فيكون خبر المبتدأ محذوفا، أي كلّ ذلك كائن منّي لأجل الحياء. وفي رواية ابن أبي الحديد: «وخجلا منك لكثرة ذنوبي» وهي تعيّن رواية النصب في حياء، والمشار إليه بقوله عليه السّلام: «ولذلك» الحياء المذكور. من الشرح». (رياض السالكين ٣: ١٣٣).

(٨) في (ت) العبارة هكذا: «وَلِذَلِكَ».

(٩) في (ت) وحاشية (ج) في نسخة: «الجؤار»، وفي (س): «جأر الرجل إلى الله أي تضرّع إليه بالدعاء، وجأر الثور: أي صاح». (حاشية ابن إدريس: ١٥٧).

(١٠) في (ك) العبارة هكذا: «وَلِذَلِكَ كَلَّ لِسانِي عَنْ مُنَاجَاتِكَ وَخَمَدَ صَوْتِي عَنِ الجُؤُورِ إلَيْكَ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «وَلِذَلِكَ كَلَّ لِسَانِي عَنْ مُنَاجَاتِكَ وَغَمَدَ صَوْتِي عَنْ الجوابِ إلَيْكَ»، وفي (ف) العبارة هكذا: «وَلِذَلِكَ كَلَّ لِسَانِي عَنْ مُنَاجَاتِكَ وَخَمَدَ صَوْتِي عَنْ الجُوابِ لكَ»، والجؤآر: رفع الصوت بالدُّعاء والتضرُّع والاستغاثة.

وتعرض عليه السلام في هذا المقطع لشواهد الحال الدالة على صدق الاستقالة من جانب العبد، وهي:

١ ـ فيض الدمع من خيفة الله.

٢ ـ وجيب القلب، أي خفقانه من خشية الله.

٣ ـ انتقاض الجوارح، أي ارتعاش الأعضاء من هيبة الله.

وهذه الشواهد تدل على حياء السائل من سوء عمله الذي أدّى إلى الدعاء باللسان أوّلا، حتى خَمُد الصوت عن الجؤور، بسبب رفع الصوت، وكلّ اللسان عن المناجاة، ثم أثّر ذلك في الأعضاء فأوجب خفقان القلب والبكاء وارتعاش الأعضاء.

[١٦/٨ ـ حالات مماثلة]:

يا إلهِي، فلَكَ الحَمْدُ[١]، فَكَمْ مِنْ عائِبَةٍ[٢] سَتَرْتَها

١) في (ك) (ش) (ف) العبارة هكذا: «يا إلهِي لَكَ الحَمْدُ».

٢) في حاشية (د) ما نصه: «و«من» لبيان الجنس على الصحيح، لا زائدة كما زعم بعضهم، حتّى ذهب الفرّاء إلى أنّها إذا لم تكن مذكورة لفظا فخفض التمييز بها تقديرا لا بالإضافة، وعمل الجارّ المقدّر وإن كان في غير هذا الموضع نادرا، إلّا أنّه لمّا كثر دخول «من» على مميّز الخبريّة، نحو: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ﴾ (سورة الاعراف ٧: ٤) و﴿كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍ﴾ (سورة البقرة ٢: ٢١١) ساغ عمله مقدّرا، لأنّ الشيء إذا عرف في موضع جاز تركه لقوّة الدلالة عليه، على أنّ المشهور من مذهب النحويّين ما عدا الأخفش: أنّ «من» لا تزاد في غير الإيجاب. وفي رواية ابن إدريس: «فكم عائبة» من دون «من» بإضافة «كم» إلى «عائبة»، فالجرّ بالإضافة عند الجمهور حملا لـ «كم» على ما هي مشابهة له من العدد والمميّز فيه إنّما يخفض بالإضافة. و«كم»: في موضع رفع على الابتداء، كما في قولك: زيد ضربته، وجملة «سترتها» هو الخبر، ويجوز أن تكون في موضع نصب بفعل محذوف مماثل لسترتها مفسّر به، فيكون من باب الاشتغال، والتقدير: كم من عائبة سترت سترتها، أو سترت كم من عائبة سترتها. والتقدير الأوّل أولى، للزوم «كم» التصدّر، والثاني لا مانع منه، لأنّ المقدّر معدوم لفظا، والتصدّر اللفظي هو المقصود كما نصّ عليه الرضيّ. والوجه الأوّل ـ أعني الرفع ـ أرجح، لسلامته من التقدير بلا مقتض، ومن ثمّة أوجبه بعض النحويّين في نحو زيد ضربته. ويردّه أنّه قرئ: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا﴾ (سورة النور ٢٤: ١) بالنصب. ومن العجيب قول بعض من تصدّى لإعراب الصحيفة الشريفة: إنّ «كم» هنا خبريّة، واشتغال الفعل بعدها أوجب تقدير عامل لها من جنسه. وهو غلط فاحش فاحذره. =

عَلَيَّ[١] فَلَمْ تَفْضَحْنِي. وَكَمْ مِنْ ذَنْب[٢] غَطَّيْتَهُ[٣] عَلَيَّ فَلَمْ تَشْهَرْنِي.

وَكَمْ مِنْ شَائِنَةٍ[٤] أَلْمَمْتُ[٥] بِهَا فَلَمْ تَهْتِكَ عَنِّي سِتْرَهَا، وَلَمْ تُقَلِّدْنِي مَكْرُوهَ شَنَارِهَا[٦]، وَلَمْ تُبْدِ[٧] سَوْءاتِها[٨] لِمَنْ يَلْتَمِسُ مَعَايِبِي[٩] مِنْ جِيْرَتِي[١٠] وَحَسَدَةِ نِعْمَتِكَ عِنْدِي، ثُمَّ لَمْ يَنْهَنِي[١١] ذلك عَنْ أن جَرَيْتُ إلى أسوء[١٢] مَا عَهِدْتَ مِنِّي[١٣].

= من الشرح». (راجع: رياض السالكين٣: ١٣٤ -١٣٥)، وفي هامش (س)ما نصّه: «في نسخة ابن إدريس: (فكم عائبة) من دون (من)، كما حكاه السيّد المدني في رياض السالكين ٣: ١٣٤». والعائبة بمعنى العيب، ويحتمل: «غائبة»، أي ما غابَ وخفي عن الناس، وفي (س): «المعايب: العيوب. والعائب: ذو العيب، والعائبة: ذات العيب، وكأنّ العائبة صفة لموصوف، أي الخصلة العائبة. س». (حاشية ابن إدريس: ١٥٧).

(١) لم ترد في (ك) (ف): «عليّ»، ووردت في حاشية (ك) في نسخة.

(٢) في (ف): «وكم من ذنب عظيم»، وفي (د): «كم ذنب».

(٣) في (ش): «غطيت»، وفي (ف): «عطيته عليّ».

(٤) في (ت): «شانئة»، وفي (ك) (ش) (ف): «فاحشة»، وفي (حاشية ابن إدريس): «شائبة»، وفي حاشية (ج): «شائنة، شائبة ـ معا».

(٥) يُقال: ألمَّ بالشيء، إذا فعلهُ، والفاحشة: الخلّة القبيحة.

(٦) وفي (ف): «مكروه ومنن ستارها»، وفي (س): «الشنار: العيب والعار». (حاشية ابن إدريس: ١٥٨)، والشنار: العيب والعار، وفي حاشية (ج): «أي عيبها».

(٧) في (ف): «يبد».

(٨) في (ج): «سوآتها»، وفي (ك) (ت): «سوءتها»، والسوءة: كل ما يستحيى منهُ إذا ظهرَ، من قول أو فعل.

(٩) في (ش): «معائبي»، والتمسَ المعايب، أي طلبها، والجيرة: جمع جار، وهو المجاور في المسكن، وانما خص الجيرة بالتماس العيوب؛ لأنَّ الحسد فيهم أكثر. (رياض السالكين ٣: ١٣٧).

(١٠) في حاشية (ج): «جيراني ـ س».

(١١) في (ف): «تنهنهُنِي».

(١٢) كذا في (ف) ظاهراً، والعبارة في غيرها هكذا: «سُوء مَا عَهِدْتَ مِنِّي»، وفي (ق) (ت) العبارة هكذا: «الى شرّ مَا عَهِدْتَ مِنِّي».

(١٣) في (ف) العبارة هكذا: «ثمَّ لَمْ تنهنِهني ذَلِكَ حتى صرت إلى أسْوَاء مَا عَهِدْتَ مِنِّي»، وفي =

ومما يوجب استحقاق قبول الإقالة: أنّ حالات مماثلة لهذه الحال قد سبق أن شملتها الرحمة الإلهيّة الواسعة، فينبغي ان تلحق هذه الحالة بها، وهي:

١ ـ (كم من عائبة سترتها عليَّ فلم تفضحني)، فإن الله عالم السرّ واخفى، لا يخلو حياة إنسان في عمره منها بحيث لو انكشفت لكانت فضيحة «لو تكاشفتم ما تدافنتم»(١)

٢ ـ (كم من ذنب غطّيته عليَّ فلم تشهرني)، وكان غطاؤه سبباً للاقلاع عنه.

٣ ـ (كم من شأئنة ألممتُ بها فلم تهتك عني سترها)، والشائنة: ما يوجب لشين، فإن الذي فعله المذنب اصبح مستوراً؛ لأنَّ الله ستّار العيوب، ولولا ستره كانت أسبابا يتذرّع بها من يحاول التماس المعايب للايقاع بالإنسان، ولا يخلو نها صاحب نعمة في الحياة. وعلى النقيض لو لم تستر هذه الشوائن، أي لأقذار، أو الشواني، أي العيوب، لكانت وسائل وحجج للأعداء لامتهان لإنسان؛ حيث كانت كالقلادة في عنق الإنسان تثبت عليه الجريمة، وطبيعيّ ان كون مكروها لكل إنسان؛ لأنها سوءة، أي خلّة قبيحة، وقد سترها الله برحمته.

وهذه الحالات كلها تقتضي العدل، وقد شملتها الرحمة بالعفو، وكان ينبغي ن تكون هذه الرحمة سبباً للتنبيه، والحالة الحاضرة لا تقلّ عنها في استحقاق حمة مماثلة؛ لوحدة السبب فيها جميعاً، وهو الجهل.

١٦/٩ ـ الجهالة في الغفلة]:

فَمَنْ أجْهلُ مِنِّي ـ يا إلهِي ـ بِرُشْدِهِ(٢)؟!

(ك) العبارة هكذا: «ثُمَّ لَمْ ينهنِهني ذَلِكَ عَنْ العَوْدِ إلى أسْوَء مَا عَهِدْتَ مِنِّي»، وفي (ش) العبارة هكذا: «فلَمْ ينهنِهني ذَلِكَ عَنْ سوء مَا عَهِدْتَ مِنِّي»، ونهنه عن الشيء: كفَّ وزجر عن فعلِهِ وارتكابه.

١) نهج البلاغة، الحكمة ٢٠٠.

٢) في (ك) العبارة هكذا: «فَمَنْ أجْهلُ ـ يا إلهِي ـ مِنِّي بِرُشْدِهِ»، وفي (ف) العبارة هكذا: «فَمَنْ أجْهلُ مني ـ يا إلهِي ـ بالعمى عن رُشْدِكَ»، وفي (س): «الرشاد: خلاف الغيّ». (حاشية ابن إدريس: ١٥٨).

وَمَنْ أغْفَلُ[١] مِنِّي عَنْ حَظِّهِ[٢]؟!

وَمَنْ أبْعَدُ مِنِّي مِنِ استِصْلَاحِ نَفْسِهِ، حِيْنَ أُنْفِقُ مَا[٣] أجْرَيْتَ عَلَيَّ[٤] مِنْ رِزْقِكَ فِيْمَا نَهَيْتَنِي عَنْهُ مِنْ مَعْصِيَتِكَ؟!

وَمَنْ أبْعَدُ غَوْرَاً[٥] فِي البَاطِلِ، وَأشَدُّ إقْدَامَاً عَلَى السُّوءِ[٦] مِنِّي، حَيْنَ أقِفُ بَيْنَ دَعْوَتِكَ وَدَعْوَةِ الشَّيْطَانِ، فأتَّبِعُ[٧] دَعْوَتَهُ عَلَى غَيْرِ عَمَىً مِنِّي في[٨] مَعْرِفَةٍ بِهِ، وَلَا نِسْيَانٍ مِنْ حِفْظِي لَهُ[٩]، وَأنَا[١٠] حِيْنَئِذٍ مُوْقِنٌ بأنَّ[١١] مُنْتَهَى دَعْوَتِكَ إلى الجَنَّةِ، وَمُنْتَهَى[١٢] دَعْوَتِهِ إلى النَّارِ.

---

(١) أغفل: افعل تفضيل من غفل، إذا غابَ عن الذهن ولم يتذكرهُ الإنسان عندَ الحاجة إليهِ.

(٢) في (س): «الحظ: النصيب والجد». (حاشية ابن إدريس: ١٥٨).

(٣) في (ك): «ممّا».

(٤) في (ش): «عليك»، وفي حاشية (ق): «عليّ ـ نسخة».

(٥) غور كل شيء: قعرهُ وعمقهُ، وغار في الأمر إذا دقق النظر فيهِ، فكأنهُ وصلَ إلى غورهِ. (رياض السالكين٣: ١٤٠).

(٦) أي أشد اجتراءً على الهجوم على السوء، فإن الإقدام هو الهجوم على الشيء.

(٧) في حاشية (ج) (د): «فأتبعُ ـ س»، وفي هامش (س) ما نصّه: «في نسخة ابن إدريس (فأتبع) من الثلاثي المجرّد. (لوامع الأنوار العرشية: ٣ / ١٦٨)».

(٨) في (ك) (ش) العبارة هكذا: «عَلَى غَيْرِ عَمَىً من»، وفي (ت) العبارة هكذا: «عَلَى غَيْرِ عَمَىً في»، وفي (ف) العبارة هكذا: «عَلَى غَيْرِ عَمَىً عن معرفتي به»، وفي حاشية (ك) في نسخة: «مِنّي في». أي معَ غير عمىً منّي، والمراد بالعمى ـ هنا ـ: الجهل، أي: والحال إني لا أجهل حقيقة دعوته.

(٩) في (ت) العبارة هكذا: «من حظي له»، وفي الهامش: «من حفظي ـ صح»، أي انَّ اتباع دعوته لم يكن عن جهل من معرفتي بهِ ولا عن نسيان لهُ لما حفظتهُ سابقاً من مكره وخداعه، بل تبعتهُ على علم وذكر.

(١٠) في (ق) العبارة هكذا: «فأنا».

(١١) في (ك): «أنّ».

(١٢) في (ك): «وان مردّ»، ومنتهى الدعوة: غايتها، ومردّ الشيء: مرجعهُ وما ينتهي إليهِ.

والسبب الرئيسي لهذه الانحرافات والحالات هو الجهل والغفلة عما تتولد نها من الأمور، واهمها أثران:

الأول: عدم استصلاح النفس، فإن الفرصة الّتي يتيحها ينبغي ان تستغل قويم الانحراف، والغفلة عن هذا الحظ يجعل الإنسان بعيداً عن إصلاح نفسه، يث يستعمل ما أنعم الله عليه من الرزق فيما نهاه عنه، وكان مقتضى الشكر أن تغلها في استصلاح النفس.

الثاني: متابعة الشيطان، حيث كان بالامكان استغلال الفرصة في اجتناب باطل والسوء برفض هوى النفس الّتي هي متابعة الشيطان، والغفلة عن هذا جعل الإنسان في عمق الباطل ومستخدماً ما يوجب السوء، أي الحزن، لو لم كن متابعة الشيطان نابعة عن التعامي أو الجهل به وبحيله، بل كانت عن علم معرفة بالشيطان وأساليبه، ولذلك لم تكن المتابعة عن نسيان من التحفظ عنه التصدي له ولأساليبه، وقد جعلت المتابعة مع الايقان والعلم بأن متابعة الشيطان اقض طاعة الرحمن من حيث المبدأ والسلوك والهدف، فمبدأ متابعة الشيطان: جهل، فسلوك هوى النفس، وآخرها: المصير في نار جهنّم، ومبدأ طاعة رحمن: الرشد، فسلوك استصلاح النفس، والانتهاء بالجنّة.

ولهذا التعمد في ارتكاب الخطايا يستحق المستقيل عدم الإقالة، وبمقتضى عة الرحمة الإلهيّة يستحقّ الإقالة؛ لأن السبب الرئيسي هو الجهل، فينبغي ان ملهُ رحمة الله الواسعة، وفضله العميم.

١٦/١٠ـ فضل الله]:

سُبْحَانَكَ![1]، مَا أعْجَبَ مَا أشْهَدُ بِهِ[2] عَلَى نَفْسِي!، وَأُعَدِّدُهُ نْ مَكْتُومِ[3] أمْرِي!

---

(1) في (ك) (ق) (ت): «فسُبْحَانَكَ».

(2) في (ف): «ما أشهده».

(3) المكتوم: المستور.

وأعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ: أناتَكَ[١] عَنِّي!، وَإبْطاؤُكَ مِنْ مُعَاجَلَتِي![٢]، وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ كَرَمِي عليك[٣]، بَلْ تَأَنِّياً مِنكِ لِي[٤]، وتَفَضُّلاً مِنْكَ عَلَيَّ، لأَنْ أَرتَدِعَ[٥] عَنْ مَعْصِيَتِكَ المُسخِطَةِ، وَأقلعَ[٦] عَن سَيِّئَاتي المُخلِقَةِ[٧]، وَلأنَّ عفوكَ عَنِّي أَحَبُّ إلَيكَ مِن عُقُوبَتِي.

وبعد ان أقرّ المستقيل باستحقاق العقاب العادل لاقترافه الخطيئة عن علم وعمد، أشار إلى أنّ فضل الله هو الموجب لاستجابة هذه الاستقالة، وان كان هذا الاستدعاء موجباً للعجب؛ حيث ان المستقيل يشهد على نفسه ويعدّد ما يوجب العقاب العادل مما هو مكتوم على الآخرين من أمره، وفي نفس الوقت يطلب الإقالة عالما باستحقاقه العقاب؛ فإنّ هذا أمر عجاب.

واعجب من ذلك ان استحقاق العقاب يستلزمه عادة من دون تأخير، وقد أخّر سبحانه هذا العقاب حتى حال الاستقالة، مما يكشف انّ الأناة وتأخير

---

(١) الأناة: التمكّثُ والتريُّث في الأمر وعدم الاستعجال.

(٢) في (ش) (ف) (ت): «عن معاجلتي»، وعاجلهُ بذنبهِ: عاقبه سريعاً ولم يمهلهُ.

(٣) في (ق) (ت) العبارة هكذا: «وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ كَرَامتِي عليك»، وفي (ك) العبارة هكذا: «وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ كَرَمِكَ بالبِدْعِ، وَلَا مِنْ حِلْمِكَ بالبَدِيّ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ كَرَمِكَ بالبديع، وَلَا مِنْ حِلْمِكَ بالبَدِيّ»، وفي (ف) العبارة هكذا: «وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ مكرَمك بالبديع، ولا من خُلُقِكَ بالبدي»، والبدع: الغريب العجيب، والأمر الذي يكونُ أوّلاً، أي: ليس ذلكَ من كرمِكَ بالعجيب، والبديّ: الشيء الذي يبتدأ بهِ.

(٤) في (ف) العبارة هكذا: «بل تائباً منك إليّ».

(٥) في (س): «ردعته عن الشيء أردعه ردَعاً فارتدع: أي كففته فكفّ». (حاشية ابن إدريس: ١٥٨).

(٦) في (س): «الإقلاع عن الأمر: الكفّ عنه، يُقال: أقلع فلان عمّا كان عليه». (حاشية ابن إدريس: ١٥٨).

(٧) في (ت) العبارة هكذا: «المحلّقة» أي الحالقة للدين، ولم ترد في (ف): «عَنْ مَعْصِيَتِكَ المُسخِطَةِ، وَأقلعَ عَن سَيِّئَاتي المُخلِقَةِ»، وفي (س): «خَلُقَ الثوب ـ بالضم ـ خلوقة: أي رثَ وبَلِيَ. وأخلقته أي جعلته خلقاً». (حاشية ابن إدريس: ١٥٨).

لعقاب وابطاء المعاجلة فيه لم يكن لسبب عدم استحقاق العقاب، بل لسبب آخر هو التفضل على العبد بالاقالة لكي يرتدع عن المعصية الّتي توجب الغضب، يقلع عن السيئة الّتي توجب الذل. فالأناة في العقاب وتأخيره يكشف عن اعطاء لفرصة لشمول العفو الإلهي عن العاصي، وان العفو أحب عند الله من العقوبة، هذا من فضل الله العميم الذي اوجب أن يذكر المستقيل في طلبه بعض خطاياه.

١١/١٦ـ سائر الخطايا]:

بل[١] أنَا ـ يا إلـهِي ـ أكْثَرُ ذُنُوبَاً، وأقْبَحُ آثاراً، وَأشْنَعُ[٢] فِعَالاً، وأَشَدُّ فِي البَاطِلِ تَهَوُّرَاً[٣]، وَأضْعَفُ عند طَاعَتِكَ[٤] يقُّظَاً[٥]، وَأَقَلُّ لِوَعِيْدِكَ[٦] انْتِبَاهَاً وارتِقَابَاً[٧] مِنْ أنْ اُحْصِيَ لَكَ ذُنُوبِي، أوْ أَقْدِرَ عَلى ذِكْرِ ذُنـُوبِي، وإنَّمَا اُوبِّخُ[٨] بِهَذَا نَفْسِي طَمَعَاً في رَأفَتِكَ الَّتي بِهَا صَلاحُ أمْرِ[٩] المُذْنِبِينَ، وَرَجاءً لِرَحْمَتِكَ[١٠] الَّتي بِهَا فكاكُ رِقَابِ الخَاطِئِيْنَ[١١].

---

١) لم ترد في (ك) (ش): «بل».

٢) الشنيع: القبيح والكرية، والأشنع: ذو الشناعة، وفي (س): «الشناعة: الفظاعة (والقباحة)، وقد شُنع الشيء ـ بالضم ـ فهو شنيع وأشنع». (حاشية ابن إدريس: ١٥٨).

٣) في (س): «التهور: الوقوع في الشيء بقلّة مبالاة». (حاشية ابن إدريس: ١٥٩).

٤) في (ك) (ش) العبارة هكذا: «وَأضْعَفُ لطَاعَتِكَ».

٥) التيقّظ: التفطّن والتنبّه للأمر، وفي (س): «رجلٌ يَقِظٌ ويَقَظ: أي متيقظ حذر، وأيقظته من نومه: أي نبهته». (حاشية ابن إدريس: ١٥٩).

٦) الوعيد: التهديد والاخبار بإنالة الشر، والمراد: قلّة الانتباه والارتقاب للوعيد.

٧) لم ترد في (ك) (ف): «وارْتِقَابَاً»، وفي (س): «الترقّب والارتقاب: الانتظار». (حاشية ابن إدريس: ١٥٩).

٨) في (س): «التوبيخ: التهديد والتأنيب والتغيير». (حاشية ابن إدريس: ١٥٩).

٩) صلاح الأمر: الحصول على الحالة المستقيمة.

١٠) في (ك) (ش) (ف): «لِعِصْمَتِكَ».

١١) في (ك): «الخطائين»، وفي حاشية (ج) (د): «الخطائين ـ س».

والإنسان بحكم كونه إنساناً معرض للخطأ، فلايمكن ان يحصي خطاياه في كل صادرة وواردة من أفعاله اليومية تجاه نفسه واسرته ومجتمعه، فإذا اعترف ببعض منها فقد اعترف بالتقصير، اضافه إلى انه في نفس الوقت يعترف بانه:

١ ـ (أكثر ذنوباً) مما ذكره.

٢ ـ (أقبح آثاراً)، بما يترتب على تلك الذنوب وآثارها الأخلاقية.

٣ ـ (أشنع أفعالا)، وذلك لما يترتب عليها من المفاسد الاجتماعية.

٤ ـ (أشد في الباطل تهوّراً)، أي قلّة المبالاة به.

٥ ـ (أضعف تيقّظاً) بأداء العبادات كطقوس مجردة عن الوعي لأهدافها.

٦ ـ (أقل انتباها للوعيد) من المساويء والآثار في الدنيا والآخرة.

٧ ـ (وأقل ارتقاباً)، أي انتظاراً للوعيد، على اثر الإهمال وعدم الاهتمام به.

وغيرها من العيوب والذنوب الّتي لا يمكن إحصاؤها ولا ذكرها لكثرتها الموجبة للنسيان، والسبب في ذلك كله يرجع إلى الجهل الذي أوقع الداعي في طاعة النفس الأمّارة، فكما ان هذه الذنوب على كثرتها تستوجب العقاب العادل، فإن رحمة الله الواسعة أوسع منها، وهي مما توجب الطمع في رأفته تعالى الّتي تعمّ المذنبين؛ لإصلاح أمرهم، ورحمته التي لولاها لما كان فكاك رقاب الخاطئين ممكنا.

[١٢/١٦ـ عفو الله]:

أللّهُمَّ، وهَذِهِ[1] رَقَبَتِي قَد أرَقَّتْهَا[2] الذُّنُوبُ[3] فصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَ[4] أعْتِقْهَا بِعَفْوِكَ.

---

(١) في (ك): «هذه» بدون «واو».

(٢) في (ت): «أوبقتها».

(٣) الرق: العبودية، وأرقّتها: أي ملكتها، والمراد: جعلت الذنوب نفسي رقّاً، وفي (س): «استرقّ مملوكه وأرقّه، وهو نقيض أعتقه». (حاشية ابن إدريس: ١٥٩).

(٤) في (ف) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ وهَذِهِرَقَبَتِي قَد أرَقَّتْهَا الذُّنُوبُ فأعْتِقْهَا بِعَفْوِكَ».

وَهذَا ظَهْرِي قَد أَثْقَلَتْهُ الخَطَايَا[١]، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ خَفِّفْ[٢] عَنْهُ[٣] بِمَنِّكَ[٤].

والحالة الّتي يعيشها العبد المذنب الداعي يفتقر إلى العفو من الله سبحانه ه، وذلك لأمرين:

الأول: عظم الذنوب، فإنها لكثرتها جعلت رقبة المذنب رقّاً لا يمكن خلّص منها بنفسه، بل يفتقر إلى من يحرّرها من هذه الرقيّة، وليس من قدرة كن من ذلك سوى قدرة الله سبحانه بأن يعتق رقبته بالعفو.

الثاني: ثقل الخطايا روحياً على المذنب، وهذا ممّا يؤثر في تفكيره وسلوكه النفس والمجتمع ولا قدرة يمكنها حط هذا الثقل سوى منّ الله سبحانه خفيفها بقبول الاستقالة.

١٣/١ـ جزاء السيئات]:

يا إلهي، لَو بَكَيْتُ إلَيكَ حَتَّى تَسْقُطَ[٥] أشْفَارُ عَينَيَّ[٦]، وَانْتَحَبْتُ[٧]

) لم ترد في (ف): «هذا ظهري»، والعبارة فيها هكذا: «وقد اثقلها الخطايا».

) في (ق) العبارة هكذا: «فخفّف».

) في (ف): «وخفّف عنها»، وفي حاشية (ج) (د): «عنّي ـ س».

) في (ك) العبارة هكذا: «قد أرقّتها الذنوب فاعْتِقْهَا بِعفْوِكَ، وَأثْقَلَتْهَا الخَطَايَا، فَخَفِّفْ عَنْهَا بِمَنِّكَ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «قد أرقّتها الذنوب فاعْتِقْهَا بِعَفوِكَ، وَأنْفَلَتْهَا، فَخَفِّفْ عَنْهَا بِمَنِّكَ».

) في (ج) (ف): «يسقط، تسقط ـ معاً».

) في (ق) (ف): «أشفَار عيني»، وفي (ك) (ش): «أشْفَاري»، والأشفار: منابت الهدب وحروف العين الّتي ينبت عليها الشعر، وفي (س): «الشفرة ـ بالضم ـ واحد أشفار العين، وهي حروف الأجفان التي ينبت عليها الشعر، وهو الهدب». (حاشية ابن إدريس: ١٥٩).

) في (س): «النَحب: المدة والوقت، يقال: قضى فلان نحبه، والنحيب: رفع الصوت بالبكاء، والانتحاب مثله». (حاشية ابن إدريس: ١٥٩).

[لكَ][١] حَتَّى يَنْقَطِعَ صَوْتِي، وَقُمْتُ لَكَ حَتَّى تَتَنَشَّرَ[٢] قَدَمَايَ[٣]، وَرَكَعْتُ لَكَ حَتَّى يَنْخَلِعَ[٤] صُلْبِي[٥]، وَسَجَدْتُ لَكَ حَتَّى[٦] تَتَفَقَّأَ حَدَقَتايَ[٧]، وأكَلْتُ تُرَابَ الأرْضِ[٨] طُولَ عُمْرِي، وَشَرِبْتُ ماءَ الرَّمادِ آخِرَ دَهْرِي[٩]، وَذَكَرتُكَ فِي خِلالِ ذِلَكَ حَتَّى يَكِلَّ[١٠] لِسَانِي، ثُمَّ لَمْ[١١] أرْفَعْ طَرْفِي إلَى آفاقِ[١٢] السَّمَاءِ اسْتِحْياءً مِنْكَ[١٣]، مَا استَوجَبْتُ بِذَلِكَ مَحْوَ سَيِّئَةٍ وَاحِدَةٍ مَنْ سَيِّئَاتِي.

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ق) (ت).

(٢) في (ت): «تيئس»، وفي (ف): «ينتر»، وفي (ج): «تتنشّر»، وفي حاشية (ج) (د): «تنتشر ـ س»، وتنتشّر: تنتفخ.

(٣) في (ف): «قدمي»، وفي (ش): «تيبس قدماي»، وفي (ك) العبارة هكذا: «وانْتَحَبْتُ لك حَتَّى تَنْقَطِعَ صَوْتِي، وَقُمْتُ لكَ حَتَّى ييبس قَدَمي»، وفي (س): «الانتشار: انتفاخ في عصب الدابة، و (قد) يكون ذلك من أعظم التعب». (حاشية ابن إدريس: ١٥٩).

(٤) في (ت): «تنخلع»، وفي حاشية (ج): «أي ينفصل»، والخلع: زوال المفصل من غير بينونة.

(٥) في (س): «الصُلب: الظهر». (حاشية ابن إدريس: ١٦٠).

(٦) في (ف) زيادة: «يعفر خدي، و».

(٧) في (ت): «تتقفّأ»، وفي (ش): «ويتفقّأ حدقتي»، وفي (ف): «حتى يعفر خدي ويتفقّأ حدقتي»، وفي (ش): «تتفقّى حدقتاي»، وفي (ك): «تتفقّأ حَدَقَتي»، يقال: فقأ عينهُ: إذا خسفها، والحدقة: سواد العين، وتطلق على كلِّ العين أيضاً، وفي (س): «تفقأ: أي انفجر وسال فيه. حدقة العين: سوادها الأعظم، والجمع: حُدق وأحداق». (حاشية ابن إدريس: ١٦٠).

(٨) في (ف): «وأكلت التراب».

(٩) ماء الرماد: أي الماء المخلوط بالرماد، وآخر دهري: أي دائماً وأبداً.

(١٠) في (ت): «تكلّ»، وفي (س): «كللت من الشيء: أي أعييت». (حاشية ابن إدريس: ١٦٠)، وكلّ اللسان: تعب وأعيا.

(١١) في (ش): «ولم».

(١٢) في (ك): «أعنان»، وأعنان جمع عنان، وعنان السماء: ما بدا للناظر منها، وما علا وارتفعَ، وفي (س): «الآفاق: النواحي». (حاشية ابن إدريس: ١٦٠).

(١٣) في (ك) (ق) (ت) العبارة هكذا: «ثُمَّ لَمْ أرْفَعْ طَرْفِي إلى آفاقِ السَّمَاءِ حياءً مِنْكَ».

وإنْ كُنْتَ تَغْفِرُ لِي حِينَ اسْتَوْجِبُ مَغْفِرَتَكَ، وَتَعْفُو عَنِّي حِينَ[١] اسْتَحِقُّ عَفْوَكَ، فإنَّ ذَلِكَ غَيْر وَاجِبٍ لِي باسْتِحْقَاقٍ[٢]، وَلَا أنا[٣] أهْلٌ لَهُ باسْتِيْجَابٍ[٤]؛ إذْ كَانَ جَزَائِي مِنكَ فِي أَوَّلِ مَا عَصَيْتُكَ النَّارَ[٥]، فَإنْ تُعَذِّبْنِي فَأنْتَ غَيْرُ ظَالِمٍ لِي[٦] [وَإنْ تَرحَمْنِي فَإنِّي غَيْرُ مُسْتَأهِلٍ][٧].

والجزاء العادل للسيّئات الّتي ارتكبها العاصي بالعلم والعمد هو العقاب العادل، وهو العذاب بالنار في أول معصية صدرت عنه من دون تأخير، وليس ذلك ظلماً، بل هو العدل في الحكم لمن يستحق ذلك، فالعفو المرجوّ من الله في هذه الحالة ليس من باب قبول التوبة؛ فإن من شرائط قبول التوبة أن تكون الخطيئة عن جهالة والتوبة من قريب، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾[٨] ولم يتحقق شيء من ذلك هنا في باب الاقالة، ومهما حاول الداعي فإنه لا يمكنه محو الذنوب الا بالطرق الشاقة، وذكر منها في الدعاء:

١ ـ البكاء حتى سقوط أشفار العين.

٢ ـ النحيب حتى ينقطع الصوت.

---

١) في (ف): «فإنْ كُنْتَ يا سيدي إنّما يَغْفِر لِي حِيْنَ أستوجبت مغفرتك ويعفو عني حين»، وفي (ش): «فإنْ كُنْتَ لا تَغْفِر لِي إلّا حِيْنَاسْتَوْجِبُ مَغْفِرَتَكَ ولا تعفو عني إلّا حين».

٢) في (ك) (ش) (ف): «بالاستحقاق».

٣) في (حاشية ابن إدريس): «ولأنا»، ولعلّه خطأ إملائي.

٤) في (ك) (ف): «على الاستيجاب».

٥) لم ترد في (ت): «النار»، وفي حاشية (ج): «النارُ ـ س».

٦) في (ك) (ق) (ت) العبارة هكذا: «إذْ كَانَ جَزَائِي فِي أوَّلِ مَا عَصَيْتُكَ أنْ تُعَذِّبَنِي وَأنْتَ غَيْرُ ظَالِمِ لِي»، وفي (ش) العبارة هكذا: «إذْ كَانَ جَزَائِي منك فِي أوَّلِ مَا عَصَيْتُكَ أنْ تُعَذِّبَنِي وَأنْتَ لِي غَيْرُ ظَالِم»، وفي (ف) العبارة هكذا: «إذْ كَانَ جَزَائِي فِي أوَّلِ مَا عَصَيْتُكَ النار فإنْ تُعَذِّبَنِي فَأنْتَ لي غَيْرُ ظَالِم».

٧) ما بين المعقوفتين من (ف) فقط.

٨) القرآن الكريم، سورة النساء ٤: ١٧.

٣ ـ القيام بالعبادة حتى تنتشر وتنتفخ القدمان.

٤ ـ الركوع حتى ينخلع الصلب وينفصم العمود الفقري.

٥ ـ السجود حتى تتفقأ الحدقتان أي تتفجّرا.

٦ ـ أكل التراب بدلا من نعم الله الظاهرة.

٧ ـ شرب الماء المشوب بالرماد، بدلا من الشراب السائغ الهنيء للشاربين، مدى العمر.

٨ ـ ذكر الله حتى يكّل اللسان.

٩ ـ غاية الاستحياء من الله حتى لا يرفع النظر إلى السماء استحياءً.

فان هذه الوسائل الشاقة لمحو الذنوب الصادرة عن علم وعمد لا توجب محو سيئة واحدة منها، فكيف بها جميعاً؟! فهي لا توجب استحقاق العفو من الله، ولا تجعل المذنب أهلا للعفو بوجوبه على الله؛ لأن العدل يقتضي العقاب الصارم السريع، بل الموجب للعفو هو فضل الله ورحمته الّتي وسعت كلَّ شيء[1]، والتي تعمّ المستقيل.

[١٦/١٤ـ فضل الله]:

إلهي[2]، فإذْ قَدْ[3] تَغَمَّدْتَنِي[4] بِسِتْرِكَ[5] فَلَمْ تَفْضَحْنِي[6]،

---

(١) كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾. (القرآن الكريم، سورة الأعراف ٧: ١٥٦).

(٢) في (ك) (ش): «اللهمّ».

(٣) لم ترد في (ت): «قد».

(٤) في (ف) العبارة هكذا: «إلهيَ فإذْ تقدمتني»، وفي (ق) العبارة هكذا: «إلهيَ إذْ تغمدتني»، وفي (ت) العبارة هكذا: «إلهيَ فإذا تغمدتني»، وفي (ش) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ فإذْ قد تغمدتني»، وفي حاشية (ك) في نسخة: «إلهي فإذْ قد تَغَمَّدْتَنِي»، وتغمّدهُ الله برحمتهِ: سترهُ بها، وفي (س): «تغمّده الله برحمته: غمره بها، وتغمدّت فلاناً: أي سترت ما كان منه وغطّيته». (حاشية ابن إدريس: ١٦٠).

(٥) في (ف): «سترك».

(٦) في (س): «فضحه فافتضح: إذا انكشفت مساويه، والاسم الفضيحة والفضوح». (حاشية ابن إدريس: ١٦٠).

وتَأَنَّيْتَنِي بكَرَمِكَ[١] فَلَمْ تُعَاجِلْنِي[٢]، وَحَلُمْتَ[٣] عَنِّي بِتَفَضُّلِكَ[٤] فَلَمْ تُغيِّرْ نِعَمَتَكَ[٥] عليَّ، وَلَمْ تُكَدِّر[٦] مَعرُوفَكَ[٧] عِنْدِي، فَارْحَمْ طُولَ تَضَرُّعِي[٨]، وَشِدَّةَ مَسْكَنَتِي[٩] وَسُوءَ مَوْقِفِي.

فالسبب الوحيد الذي به يستحق المستقيل قبول الإقالة هو فضل الله ورحمته التي وسعت كل شيء، ويدل على وسع هذه الرحمة للمستقيل أُمور:

١ ـ ان الله سبحانه تغمّده بالستر ولم يفضحه.

٢ ـ ان الله لم يعاجله بالعقوبة، بل تأنّاه بكرمه تعالى.

٣ ـ ان الله سبحانه حلم عنه بين فترة المعصية إلى حين طلب الاقالة بفضله تعالى، حيث لم يغير نعمته عليه، ومنها نعمة الصحة، ولم يكّدر معروفه، وأهمها الستر على العاصي. وعليه فيستحق المستقيل الإقالة بفضل الله سبحانه، لأُمور ثلاثة متداخلة، وهي:

---

(١) في (ك) (ش): «وتأنيت بي عن كرمك»، وفي (س): «أناه يؤنيه إيناءً: أي أخّره وحبسه وأبطاه، وأناة مثل قناة، وآناء الليل: ساعاته، قال الأخفش: واحدها «إنيً» مثل «مِعىً وأمعاء». تأنى في الأمر: أي ترفّق وتنظر، واستأنى به: أي انتظر به». (حاشية ابن إدريس: ١٥٨)، وأيضاً في (س): «تأنّى في الأمر أي ترفّق وتنظّر». (حاشية ابن إدريس: ١٦١)، وتأنّى في الأمر: تمكّث ولم يعجل، والمراد: أمهلتني.

(٢) عاجلهُ بذنبِهِ: أخذهُ بهِ، ولم يمهلهُ.

(٣) في حاشية (ج) (د): «وحملت ـ س»، وفي (س): «الحِلم ـ بالكسر -: العفو وترك المؤاخذة في الحال. س». (حاشية ابن إدريس: ١٦١).

(٤) في (س): «الإفضال: الإحسان، وأفضل عليه وتفضّل عليه بمعنىً، أي أحسن إليه». (حاشية ابن إدريس: ١٦١).

(٥) في (ف): «نعمك».

(٦) كدّر النعمة: نقيض صفا: نغّصها وأزال صفاءها.

(٧) لم ترد في (ف): «عليَّ، وَلَمْ تُكَدِّر مَعرُوفَكَ».

(٨) في (ك) العبارة هكذا: «فَلَمْ تُكَدِّرْ نِعَمَكَ عِنْدِي، وَارْحَمْ طُولَ تَضَرُّعِي»، وفي (ش) العبارة هكذا: «فَلَمْ تُكَدِّرْ نِعَمَكَ عِنْدِي، فَارْضَ طُولَ تَضَرُّعِي»، وفي (س): «الكدر: خلاف الصفو، وكذلك تكدّر». (حاشية ابن إدريس: ١٦١).

(٩) المسكنة: الخضوع والذُل.

١ ـ طول التضرّع بالدعاء لقبول الإقالة لفترة طويلة.

٢ ـ شدة المسكنة وشدة الخضوع على اثر العصيان.

٣ ـ سوء الموقف والحالة المزرية الّتي يعيشها المستقيل.

[١٥/١٦ـ قبول الإقالة]:

أللّهُمَّ صَلِّ[١] عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَقِنِي[٢] مِنَ المَعَاصِي، واسْتَعْمِلْنِي بالطَّاعَةِ[٣]، وَارْزُقْنِي[٤] حُسْنَ الإِنَابَةِ[٥]، وَطَهِّرْنِي بالتَّوْبَةِ، وَأَيِّدْنِي بِالعِصْمَةِ، واسْتَصْلِحْنِي بالعَافِيَةِ[٦]، وَأَذِقْنِي حَلَاوَةَ المَغْفِرَةِ، وَاجْعَلْنِي طَلِيْقَ[٧] عَفْوِكَ وَعَتِيقَ رَحمَتِكَ[٨]، وَاكْتُبْ لِي[٩] أَمَاناً مِنْ سَخَطِكَ، وَبَشِّرْنِي بِذلِكَ فِي العَاجِلِ دُونَ الآجِلِ بُشْرَىً أعْرِفُهَا[١٠]، وَعَرِّفْنِي فِيهِ[١١] عَلَامةً أتبَيَّنُهَا[١٢].

---

(١) في (ف): «فصل».

(٢) في (ف) العبارة هكذا: «وَأنقذني»، وفي (ك) (ش) العبارة هكذا: «اللهمّ وَنقّنِي»، وقني من وقا يقي، يقال: وقاهُ الله السوء: إذا حفظهُ منهُ، وعدّي بـ «من» لتضمّنهِ معنى الحفظ والصون.

(٣) أي وفقني للعمل بالطاعة.

(٤) في (ق) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِ محمدٍ، وَارْزُقْنِي».

(٥) الإنابة: الرجوع إلى الله تعالى.

(٦) أي قدّر لي الصلاح بالعافية، وذلك بدفع المكروهات عن الظاهر والباطن.

(٧) في (س): «الطليق: الأسير الّذي أطلق عنه أساره وخُلّي سبيله». (حاشية ابن إدريس: ١٦١)، والطليق: فعيل بمعنيالمفعول، من أطلقت الأسير: إذا حللتَ أسارهُ وخلّيت عنهُ فانطلقَ. (رياض السالكين ٣: ١٦٣).

(٨) لم ترد في (ك) (ف): «وعتيق رحمتك»، وفي (س): «العتق: الكرم والحريّة». (حاشية ابن إدريس: ١٦١).

(٩) أي أوجب لي، وحقّق لي.

(١٠) في (ف): «وأعرفها».

(١١) في (ك): «منه»، و في (ف): «فيها».

(١٢) في (ف): «أثبتها».

إنَّ ذَلِكَ لَا يَضِيْقُ عَلَيْكَ فِيمَا لَدَيكَ[١]، وَلَا يَتَكَأدُكَ[٢] فِي قُدْرَتِكَ [وَلَا يَتَصَعَّدُكَ فِي أنَاتِكَ[٣]، وَلَا يَؤُودُكَ[٤] فِي جَزِيْلِ هِبَاتِكَ الَّتِي دَلَّتْ عَلَيْها آيَاتُكَ، إنَّكَ تَفعَلُ مَا تَشَآءُ وَتَحكُمُ مَا تُرِيدُ][٥]، إنَّكَ[٦] عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيْرٌ [وَبِالإجَابَةِ جَدِيرٌ][٧] [وصَلّى الله عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ المُطَهَّرِينَ][٨].

وهذا المقطع الأخير يكشف عن قبول الاقالة بعد ثبوت استحقاقها بالتفضّل فيما إذا تحققت آثار القبول، وهي:

١ ـ الوقاية من المعاصي، فإن الاستمرار فيها يكشف عن عدم الاقالة.

٢ ـ استعمال الطاعة، بأن يستخدم جوارحه في عمل الطاعات وفعل الخيرات.

٣ ـ حسن الانابة، أي الرجوع إلى الله بتطبيق أحكامه في النفس والأُسرة والمجتمع.

---

١) العبارة في (ك) (ق) (ف) (ت) هكذا: «لَا يَضِيْقُ عَلَيْكَ في وُجدك»، وفي (ج) (د) (حاشية ابن إدريس): «لَا يَضِيْقُ عَلَيْكَ في وُسعك»، وفي حاشية (ج) (د) في نسخة: «وُجدك»، وفي (ش) العبارة هكذا: «ان ذلك لا يضيق عليك في قدرتك، وأنت على كلّ شئ قدير»، وبه ينتهي الدعاء في (ش). والوجد: الغنى والسعة والمحبّة.

٢) ولا يتأكّدك: أي لا يشقّ عليك.

٣) التصعُّد: اشتداد الأمر وصعوبتهِ، وفي رواية: «يتصعبُّكَ» بالباء من الصعوبة، والأناة: الحلم. (رياض السالكين ٣: ١٦٦).

٤) أي لا يثقل عليك.

٥) عبارة: «وَلَا يَتَصَعَّدُكَ فِي أنَاتِكَ» ـ إلى قوله: «ما تريد»، لم ترد في (ش) (ج) (ق) (ت)، وإنما وردت في حاشيتي نسختي (ش) (ج).

٦) في (ش) (ق) (ف) (ت): «وَأنتَ».

٧) ما بين المعقوفتين من (ف) وقد أضيف ذلك في آخر الدعاء.

٨) ما بين المعقوفتين من المشهورة، ووردت أيضاً في حاشية (ج)، واما في (ف) فقد أضيف في آخر هذا الدعاء عبارة: «وبالإجابة جدير».

٤ ـ التطهّر بالتوبة، بأداء حقّ كل ذي حقّ من الناس اليه، وكذا أداء حقوق الله تعالى.

٥ ـ العصمة في الفكر والقول والعمل.

٦ ـ العافية بالصحة والسلامة في البدن.

٧ ـ حلاوة المغفرة؛ فإن في الوجدان بعد الحرمان حلاوة خاصة لا يشبهها شيء.

٨ ـ العفو عمّا سبق من الذنوب.

٩ ـ الرحمة الشاملة لحالة المستقيل في المستقبل.

١٠ ـ الايمان من السخط والغضب؛ لما تقدم.

١١ ـ البشارة في العاجل سريعاً؛ فإن البشارة بما يكون آجِلا ومؤخراً لا تعد بشارة.

١٢ ـ ان تكون البشرى بعلامة معروفة للمستقيل يتبيّنها بنفسه.

وطبيعيّ أنّ ذلك كله لا يضيق على الله ولا يتكأّد، أي لا يضعف في قدرة الله، ولا يتصعّد ـ أي لا يتصعّب في أناة الله ـ أي حلمه ـ تعالى، ولا يؤود، أي لا يثقل في هبة الله الجزيلة التي دلّت عليه آيات كتاب الله؛ لأنّ ذلك كلّه داخل تحت قدرة الله، وهو على كل شيء قدير.

[الدُّعاءُ السابع عشر]

وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام إذَا ذُكِرَ الشَّيْطَانَ فَاستَعَاذَ مِنهُ وَمِن عَدَاوَتِهِ وَكَيدِهِ(١)

[١/١٧ ـ أساليب الشيطان]:

أَللّٰهُمَّ إنَّا نَعُوذُ(٢) بِكَ مِنْ نَزَغَاتِ(٣) الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ(٤) وَمَكَائِدِهِ(٥)،

---

(١) ورد هذا الدُّعاء في (ك) بالرقم (٢٩) بعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام إذا ذكر الشيطان»، وفي (ش) بالرقم (٣٢) بعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام إِذَا ذَكَرَ الشَّيْطَانَ فَاستَعَاذَ مِنهُ وَمِن عَدَاوَتِهِ وَكَيدِهِ»، وفي (ج) بعنوان: «السابع عشر: وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام إِذَا ذُكِرَ الشَّيْطَانَ فَاستَعَاذَ مِنهُ وَمِن عَدَاوَتِهِ وَكَيدِهِ»، وفي (ق) بعنوان (السابع عشر)، وتحته عنوان: «عند ذكر الشَّيْطَانَ»، وفي (ت) بعنوان (السابع عشر)، وتحته عنوان: «إذا ذكر الشَّيْطَانَ»، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (١٧)، بعنوان: «دُعاؤهُ على الشيطان»، هذا، ولم يرد هذا الدعاء هنا في (ف)، بل ورد بعد الدعاء التالي (١٨) بدون رقم، وبعنوان: «وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام إِذَا دُفِعَ عَنْهُ مَا يُحذرُ»، وأيضاً: حيث أنه وردت بعض الفقرات من هذا الدعاء في النسخ بتقديم وتأخير، فنحن نقتصر على ذكر الاختلافات في الفقرات والكلمات حسب ورودها بترتيب المشهورة.

(٢) في (ق) العبارة هكذا: «إني أعوذ».

(٣) النزغاتِ: الوساوس والإفساد بين الناس، وفي (س): «نزغ الشيطان بينهم ينزغ نزغاً: أي أفسد وأغرى». (حاشية ابن إدريس: ١٦٣).

(٤) لم ترد في (ك): «الرجيم».

(٥) في (بعض النسخ) العبارة هكذا: «وكيده ومكائده»، وفي (ك) زيادة: «ومصائده»، والمكائد: جمع مكيدة، وهي الاسم من كاد يكيد: إذا خدعَ ومكر، وفي (س): «الكيد: المكر، كاده يكيده (كيداً و) مكيدة، والمكايد جمع مكيدة. والكيد هو أن يفعل من جنى عليك فعلاً يقابل جنايته بغير شعوره. س». (حاشية ابن إدريس: ١٦٤).

ومن الثِّقَةِ(١) بِأَمَانِيِّهِ وَمَوَاعِيدِهِ(٢) وغُرُورِهِ وَمَصَائِدِهِ(٣)، وَأَنْ يُطْمِعَ(٤) نَفْسَهُ فِي إِضْلالِنَا عَنْ طَاعَتِكَ، وَامتِهَانِنَا(٥) بِمَعْصِيَتِكَ، أو أَنْ يَحْسُنَ(٦) عِنْدَنَا مَا حَسَّنَ لَنَا(٧)، أو أَنْ(٨) يَثْقُلَ عَلَيْنَا مَا كَرَّهَ(٩) إِلَيْنَا.

الاستعاذة هي طلب العوذ، أي الاعتصام بالله من أساليب الشيطان لإغواء الإنسان وهي الأُمور الّتي تبعده عن الحقّ وتقرّبه إلى الباطل؛ ليشاكل الشيطان في المسير والمصير، وقد استفتتح الدعاء بسرد أساليبه الّتي يجب الاستعاذة منها بالله سبحانه، وهي:

١ ـ (نزغات الشيطان)، والنزغ: الازعاج بالإغواء والوسوسة واختراع الشبهات.

٢ ـ (مكائِدهُ)، وهي طرق الاحتيال الّتي تختلف باختلاف حالات الإنسان علما وثقافة وقوّة وضعفاً.

٣ ـ (أمانيه)، الّتي يرغب الإنسان في حصولها، سواءً كانت ممكنة ام لا.

---

(١) الثقة: الاطمئنان والركون، وأماني الشيطان: الأهواء الباطلة، وفي (س): «الأمنية: واحدة الأماني، تقول (منه): تمنيت الشيء ومنّيت غيري (تمنية)، وتمنيت الكتاب: قرأته، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾. (سورة البقرة ٢: ٧٨)». (حاشية ابن إدريس: ١٦٤).

(٢) في (ق) العبارة هكذا: «ومواعده».

(٣) في (ك): «ومواعده»، ولم ترد: «وغروره ومصائده».

(٤) في (ك): «نطمع»، واطماع الشيطان الإنسان بالاستخفاف بأوامر الله ونواهيهِ، ومنها: عدم الاكتراث ببعض المستحبّات كالتسمية عندَ الشروع في أي عمل.

(٥) امتهاننا: استخدامنا واستعمالنا.

(٦) في (ق) العبارة هكذا: «يحسُنَ»، وفي حاشية (ج) (د): «يُحَسِّنَ ـ س».

(٧) في (ق) العبارة هكذا: «حَسُنَ لنا»، وفي حاشية (ج) (د): «حسُنَ ـ س».

(٨) في (ق) (ت) العبارة هكذا: «وأن»، وفي حاشية (ج) (د): «وأن ـ س».

(٩) في (ك): «ما كرّههُ»، وفي حاشية (ج) (د): «كُرِّهَ ـ س».

٤ ـ (مواعيده)، الّتي تسهل وتشجّع على العمل الباطل وتبعّد الإنسان عن كل ما هو ممكن كالمغفرة من الله.

٥ ـ (غروره)، وهو إيهام النفع فيما فيه ضرر.

٦ ـ (مصائده)، من الشهوات والعناوين الخيالية.

٧ ـ (إضلاله)، فإنه لو طمع في أحد فإنه يحاول بمختلف الطرق الحصول على مآربه، بخلاف ما لو لم يطمع فيه، فيقطع بذلك عن إغوائه.

٨ ـ (طمع الامتهان بالمعصية)، فإنّ التحصّن بالمعرفة لخططه يكشف عن أنّ خططه انما كانت لايقاع الإنسان في طمع الامتهان.

٩ ـ (تحسين الأعمال الباطلة وتزيينها) كي يرغب فيها الإنسان.

١٠ ـ (تثقيل ما كره من الأعمال الصالحة) فيوهم أنّها كبيرة، فتكون كبيرة إلّا على الخاشعين.

فهذه الأساليب العشر هي الّتي يستخدمها أصحاب المطامع لإيقاع المغفّلين في فخهم، واستخدامهم لاغراضهم الخاصة، وبعد ان يستنفذوا أغراضهم يطرحوهم جانباً، أو يقضوا عليهم، ومرجع ذلك كله هو عدم الوعي والثقافة والمعرفة، والاستعاذة من ذلك يختص بالله تعالى من أحابيل الشيطان ومن سار على خطاه من أصحاب المطامع.

[٢/١٧ ـ مقاومة الشيطان]:

أللّهُمَّ، إخْسَأهُ[١] عَنَّا بِعِبَادَتِكَ، وأكْبِتْهُ[٢] بِدُؤُوبِنَا[٣] فِي

---

(١) في (ق) العبارة هكذا: «أخسئهُ»، وفي حاشية (ج): «أي أبعده»، وأخسأه: أي اطردهُ وامنعهُ، وفي (س): «خسأت الكلب خسأً: أي طردته». (حاشية ابن إدريس: ١٦٤).

(٢) اكبتهُ: اصرفهُ ذليلاً مخزيًا، وفي (س): «الكبت: الصرف والإذلال، يقال: كبت الله العدو، أي صرفه وأذله، وكبته لوجهه: أي صرعه. والتكبيت كالتقريع والتعنيف. وبكتّه بالحجة: أي غلبه». (حاشية ابن إدريس: ١٦٤).

(٣) بدؤوبنا: باستمرارنا وملازمتنا.

مَحَبَّتِكَ، وَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِتْراً لَا يَهْتِكُهُ[(١)]، وَرَدْمَا مُصْمَتاً[(٢)] لَا يفْتُقُهُ[(٣)].

وفي هذا المقطع وما يتبعه يستعرض الإمام الخطوط العامة في المقاومة ضد الشيطان وخططه الّتي لا يمكن التخلّص منها إلّا بالتحصين من الله تعالى للإنسان، وهي لا تحصر تحت عدد خاص، ومنها:

١ ـ عبادة الله، فإنها تنقض كل خطط الشيطان؛ لأن العبادة تقرّب إلى الله، فينتقض بها الهدف الأساس للشيطان، وهو إبعاد الإنسان عن الله، فيخسأ، أي يطرد.

٢ ـ محبة الله، والاستمرار فيها، فإن الذنوب والاجتهاد في محبة الله يكبت الشيطان، أي يهلكه.

٣ ـ ستر الله، فيكون ما يجعله الله ساتراً واقياً من الشيطان، فلايمكنه ان يرفع الستر الواقي.

٤ ـ حصن الله، والردم: الحصن، والمصمت: المغلق، فإذا تحصّن بثقافة إلهيّة، فإنه لا يمكن للشيطان نقضه أو فتقه أو نقبه.

وهذه العنايات الإلهيّة مدورسة في خطوطها العريضة في الكتاب والسنة.

[٣/١٧ ـ المقاطعة التامة]:

أَللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ[(٤)] اشْغَلْهُ عَنَّا[(٥)] بِبَعْضِ

---

(١) في (ت) وحاشية (ج): «لا تهتكه ـ س»، أي لا يتمكّن من نزع الستر.

(٢) في (س): «ردمت الثلمة أردمها ـ بالكسر ـ أي سددتها، والرَدم وهو السدّ. والمصمت: الّذي لا جوف له». (حاشية ابن إدريس: ١٦٥)، والردم: السد المنيع، والمصمت: المغلق الذي لا فرجة فيهِ.

(٣) في (ت) وحاشية (ج): «لا تفتقه ـ س»، وفي (س): «فتقت الشيء فتقاً أي شققته». (حاشية ابن إدريس: ١٦٥) ولا يفتقهُ: أي لا يتمكن من التخلل من خلالهِ، والنفوذ فيهِ بإيجاد فتق فيهِ.

(٤) لم ترد في (ك) عبارة: «صلّ على محمّد وآله و».

(٥) لم ترد في (ق): «عنّا».

أعْدَائِكَ، وَاعْصِمنَا مِنْهُ بِحُسْنِ رعَايتِكَ[1]، وَاكْفِنَا خَتْرَهُ[2]، وَوَلِّنَا ظَهْرَهُ، وَاقْطَعْ عَنَّا أثْرَهُ[3].

إنّ المقاطعة التامة لخطوات الشيطان تكون بأسباب، منها:

١ ـ انشغال الشيطان بما يعيقه عن اغواء الإنسان المؤمن، بأن يلازم الاعداء فينشغل عن الأصدقاء.

٢ ـ العصمة منه برعاية الله وحفظه تعالى.

٣ ـ دفع خديعته والكفاية بالدفع عنه. والختر: الخديعة، وذلك بمعرفة أهدافه والتجنّب عنها.

٤ ـ تولية ظهره، وهو كناية عن انهزامه؛ حيث ان المنهزم يولي ظهره فاراً.

٥ ـ قطع أثره عن الإنسان.

فان كل هذه الأنواع من المقاطعة انما تكون بعناية الله وبمعرفة اهداف الشيطان وخططه كي يتجنّبها الإنسان.

[٤/١٧ ـ التثقيف ضدّ الشيطان]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأمْتِعْنَا[4] مِنَ الهُدَى[5]

---

(١) في (ك): «إرعائك»، والإرعاء: الرعاية والحفظ.

(٢) في حاشية (ج) في نسخة: «خطره»، والختر: الغدر، أو أشد الغدر، وهو أن يأتي الإنسان على حين غفلة، وفي (س): «الختر: الغَدر. وهو الانتقام على غير معرفة المنتقم منه. س». (حاشية ابن إدريس: ١٦٥).

(٣) في (ك): «أمره». وهذا المقطع بأكمله لم يرد في (ت).

(٤) في (ك) (ش) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ متّعنا»، وفي (ق) (ت) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ صل على محمد وآله ومتّعنا»، وفي (د) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ متّعنا»، وفي حاشية (د) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ صل على محمد وآله وأمتّعنا»، وفي حاشية (ج) في نسخة: «ومتّعنا»، وفي (س): «أمتعه الله بكذا، ومتعه بمعنىً. وهو الانتفاع بالشيء، متعنا من الهدى بمثل ضلالته من غير نكد ولا تشويش. س». (حاشية ابن إدريس: ١٦٥)، والتمتيع: إطالة الانتفاع بالشيء. أي متّعنا من الهدى بهدى ثابت دائم مثل ثبوت ضلالتهِ ودوامهِ.

(٥) في (س): «الهدى: الرشاد والدلالة على الصواب». (حاشية ابن إدريس: ١٦٥).

بِمِثْلِ[١] ضَلالَتِهِ، وَزَوِّدْنَا[٢] مِن التَقوَى[٣] ضِدَّ[٤] غَوَايتِهِ[٥]، وَاسْلُكْ بِنَا من التُقَى خِلَافَ سَبِيْلِهِ مِنَ الرَّدَى[٦].

من أنواع الثقافة والوعي الذي يفتقر إليها الإنسان في مقاومة الشيطان ما أشار عليه السلام إليه في هذا المقطع:

١ ـ الهدى بمثل ضلالته؛ فإن درجة الوعي لأهداف الشيطان وخطط مقاومتها يجب أن تكون متكافئة، فالهداية والوعي يجب ان تكون بمستوى ما يقوم به الشيطان من الضلالة.

٢ ـ التقوى ضدّ غوايته، فالوقاية والتحذّر ضدّ ما يقوم به الشيطان من الغواية، وهي الانهماك في الجهل يجب ان يكون متكافئاً.

٣ ـ السلوك في المقاومة، حيث ان المقصد من الرحمن والشيطان متناقضان، فيجب ان يكون السلوك في المقاومة مناقض للخطط الشيطانية تماماً؛ ليكون البُعد عن الشيطان مضموناً بأقصى حدّ؛ حيث ان التقى والردى لا يلتقيان؛ لأنهما سائران في خطين متوازيين.

[٥/١٧ ـ الحصانة الشخصية]:

أللّهُمَّ لَا تَجْعَلْ لَهُ فِي قُلُوبِنَا مَدْخَلاً[٧]، وَلَا تُوطِنَنَّ[٨] لَهُ

---

(١) في (ت) العبارة هكذا: «مثل»، ويحتمل أيضاً: «بمثلٍ».
(٢) التزويد: إعطاء الزاد، ويستعمل غالباً لما يتخذهُ المسافر في السفر من الطعام.
(٣) في (ج) (د): «من التقوّي».
(٤) في (ت) العبارة هكذا: «بضدِّ».
(٥) الغواية: خلاف الرشد.
(٦) في (ك) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ مَتِّعْنَا بِمِثْلِ ضَلالَتِهِ مِنَ الهُدَى، وَزَوِّدْنَا ضِدَّ غِوَايَتِهِ مِنَ التُّقى، وَاسْلُكْ بِنَا خِلَافَ سَبِيْلِهِ مِنَ الرَّدَى»، وفي (ش) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ مَتِّعْنَا مِنَ الهُدَى بِمِثْلِ ضَلالَتِهِ، وَزَوِّدْنَا ضِدَّ غِوَايَتِهِ مِنَ التُّقى، وَاسْلُكْ بِنَا خِلَافَ سَبِيلِهِ مِنَ الرَّدَى»، والردى: الهلاك، والمراد هنا: النار في الآخرة.
(٧) المدخل: اسم لموضع الدخول.
(٨) في (ك): «ولا تُوطِن»، وفي (ش): «ولا تَوطِن»، وفي حاشية (ج): «تُوَطِّنْ ـ س»، =

ـمَا لَدَيْنَا[١] مَنْزِلاً[٢].

وقد خص هذا المقطع بأهم خطوات الشيطان، وهو التأكيد على الذات ـنا) حيث يتحكّم في الحياة فلسفتان: العدالة الاجتماعية والمصلحة الشخصية.

وتناصر الأديان برمّتها والإسلام بصفة خاصة، وسيرة اهل البيت على ـأخص، على المسؤولية الاجتماعية بتطبيق العدالة الإسلامية في المجتمع وكبح ـماح حب الذات والأنانية.

وعلى النقيض، فالفلسفات الماديّة برمّتها تناصر المصلحة الشخصية، وتعمل ـلى تعميق هذه الروح في المجتمع بحيث يصبح الإنسان آلة صمّاء لتنفيذ مآربها ـصالحها الشخصية من الشهوات والعناوين الخيالية، بحيث تجعل الإنسان ـلكلب الجائع الذي يتبع صاحبه من دون أية رعاية للاخلاق والأدب إلّا بقدر ما ـمن له تلك المصالح الشخصية.

وهذا المقطع يؤكّد على ان لا يكون للشيطان طريقاً إلى قلب الإنسان ـعتباره الشخصي، فيتوطن في قلب الإنسان، ويؤكد على رعاية المصلحة ـشخصية للإنسان كي يهمل مسؤوليته الاجتماعية.

ـ١١/٦ ـ محاربة خطوات الشيطان]:

أللّهُمَّ ومَا سَوَّلَ[٣] لَنَا[٤] مِنْ بَاطِلٍ فَعَرِّفْنَاهُ، وَإِذَا عَرَّفْتَنَاهُ ـقِنَاهُ[٥]، وبَصِّرْنَا مَا نُكَائِدُهُ[٦] بِهِ، وَأَلْهِمْنَا مَا نُعِدُّهُ لَهُ، وأَيْقِظْنَا

والتوطين: التمهيد.

(١) فيما لدينا: أي في الذي لدينا، وهو نفوسنا.

(٢) في حاشية (ج): «مُنزَلاً».

(٣) في (ك) (ش): «سوّل»، وفي (س): «سوّلت له نفسه أمراً: أي زيّنته له». (حاشية ابن إدريس: ١٦٥)، وسوَّلَ: أي زيَّنَ.

(٤) في (ش) زيادة: «الشيطان».

(٥) من وقى يقي: إذا صانهُ وحَفِظَهُ.

(٦) في (ش): «ما نكايده»، وكايدهُ: خادعهُ وماكرهُ، ويكون بمعنى كادهُ.

عَنْ سِنَةِ الغَفلَةِ بالرُّكُونِ[(١)] إليْهِ، وَأحْسِنْ بِتَوْفِيْقِكَ عَوْنَنَا عَلَيْهِ.

ومحاربة خطوات الشيطان الّتي يجب الاجتناب عنها أمر ضروري في المقاومة، وتكون بالطرق التالية:

١ ـ معرفة الباطل، فإن من خطوات الشيطان هو تلبيس الحقّ بالباطل، والتسويل للإنسان بعمل الباطل على انه حق، فالمعرفة أمر أساس في المقاومة، وهي الثقافة الإسلامية الواعية، وبعد أن يعرف الباطل يأتي دور الوقاية من تسويل الشيطان بعون الله تعالى.

٢ ـ البصيرة بطرق المقاومة والمكايدة الخادعة، فبعد ان يعرف الباطل يأتي دور أسلوب المقاومة، فلابد ان يكون عن بصيرة بها، بأن لا تكون عاطفية أو عشوائية.

٣ ـ الاستعداد، فإن المعرفة والبصيرة وحدهما لا يكفيان، بل لابد من الاستعداد لمقاومة الخطوات قبل حصولها؛ وذلك باعداد ما تفتقر إليها المقاومة من الأسباب الّتي تكفل نجاحها.

٤ ـ اليقظة، فإن الاستعداد وما قبله من دون يقظة يكون فاشلا في تحقيق الهدف من المقاومة؛ فإن الإنسان محل السهو والغفلة والنسيان، فلابد من اليقظة الدائمة لعدم الانخداع بالركون إلى الشيطان من حيث لا يشعر.

٥ ـ عون الله تعالى وتوفيقه؛ إذ بدون عون الله قد تنحرف المقاومة وتتحوّل إلى رغبة شخصية.

[٧/١٧ ـ وعي القلوب]:

اللّهُمَّ[(٢)] وأشْرِبْ[(٣)] قُلُوبَنَا إنْكَارَ عَمَلِهِ، وَالْطُفْ

---

(١) في (ك) (ش): «عن سنة الركون»، والسنة: حالة الفتور الّتي تكون قبل النوم، والركون: الميل، وفي (س): «ركن إليه يركن ركوناً: أي مال إليه وسكن ووثق به». (حاشية ابن إدريس: ١٦٥).

(٢) هذه الفقرة وما تليها وردت في (ك) بعد قوله: «أللهم وما سوّل... إلى آخرها».

(٣) في (ك): «أشرب» بدون واو، و«اشرب قلوبنا»: خالط وداخل قلوبنا، وقال أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ (سورة البقرة ٢: ٩٣) عرضوا الشرب العجل =

ا[١] فِي نَقْضِ حِيَلِهِ[٢].

وحيث إن محاربة الخطوات إذا لم تستند إلى وعي القلب كما تقدم من
ـمل المسؤولية الاجتماعية واهمال المصلحة الشخصية تكاد ان تزيغ أو تفتر،
لبيعيّ أن الطبيعة البشرية ترغب في المصلحة الشخصية، وهي الوسيلة الفعّالة
ي يستخدمها الشيطان في التأثير على القلوب والعقول؛ فإذا سكن القلب بأنْ
ـرب ـ أي أُشبع ـ بحبّ الله وانكار عمل الشيطان فلا تؤثر فيه حينئذ خطط
ثيطان؛ فإن حبّ الله تعالى يكون لطفا في نقض حيل الشيطان المختلفة، حيث
ون الوعي سبباً في معرفتها ثم نبذها.

١١/٨ ـ طلب تحصين الفرد]:

اللهمّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ[٣] وَحَوِّلْ[٤] سُلطَانَهُ[٥] عَنَّا،
اقْطَعْ رَجَاءَهُ مِنَّا، وَادْرأْهُ[٦] عَنِ الوُلُوعِ[٧] بِنَا.

الذي عبدوه حتى وصل ما شربوا من ذلك إلى قلوبهم. وقال أبو عبيدة: أي سقوه حتى غلب عليهم وهو من مجاز الحذف أي اشربوا في قلوبهم حب العجل. (مجازات القرآن لأبي عبيدة: ٢٥٥و٣٠٢). أي حل فيها محل الشرب وقبلوه، يقال: ثوب مشرب أي مصبوغ، وقال الشريف الرضي: هذه استعارة، والمراد بها صفة قلوبهم بالمبالغة في حب العجل، فكأنها تشربت حبه، فمازجها ممازجة المشروب، وخالطها مخالطة الشيء الملذوذ. وحذف «حب العجل» لدلالة الكلام عليه، لأن القلوب لا يصح وصفها بتشرب العجل على الحقيقة. (تلخيص البيان في مجازات القرآن، للشريف الرضي: ٧).

(١) في (ت) العبارة هكذا: «بنا».
(٢) نقضَ حيله: إبطال الحيل الّتي يحتال بها لإضلالنا.
(٣) لم ترد في (ق) (ت) عبارة: «اللهمّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ».
(٤) في (ش) العبارة هكذا: «اللهم حول»، ووردت العبارة في (ك) ملحقة بقوله: «الدنيا منزلاً» المتقدم في المقطع (٥)، ولم ترد فيها: «اللهم».
(٥) السلطان: القدرة والحجة والتسلّط.
(٦) في (س): «الدرء: الدفع». (حاشية ابن إدريس: ١٦٥).
(٧) في (ش): «وأرداه عن ولوعه»، وفي (ك): «وأزوه عن ولوعه»، وفي (س): «ولعت به أولع ولعاً وولوعا، الولوع الحرص، أي ما زلت مغرىً به ومحبّاً لفعله». (حاشية ابن =

وطبيعي أن موقف الشيطان الذي قال: ﴿...فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾(١) كان موقفاً حازماً لإغواء الإنسان وإلهائه عن مسؤولياته تجاه نفسه واسرته ومجتمعه، ومن ثم يفتقر الإنسان إلى الاستعانة بالله والتحصن الفردي ضده في قباله، وذلك:

١ ـ بتحويل سلطة الشيطان عن الإنسان.

٢ ـ بقطع رجائه بالاغواء.

٣ ـ دفع الولوع وشدة الرغبة في الإنسان، حتى يصبح الإنسان من المخلصين الذين لا يتمكّن الشيطان من اغوائهم.

[٩/١٧ ـ طلب تحصين المجتمع]:

أَللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْ آبَاءَنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَأَوْلادَنَا وَأَهَالِينَا وَذَوِي أَرْحَامِنَا وَقَرَاباتِنَا(٢) وَجِيْرَانَنَا(٣) مِنَ الْمُؤمِنِينَ(٤) وَالْمُؤمِنَاتِ مِنْهُ فِي حِرْزٍ حَارِزٍ(٥)، وَحِصْنٍ(٦) حَافِظٍ، وَكَهْفٍ

= إدريس: ١٦٥)، وأَزْوِ: أي نحِّ واصرف، والولوع: الحب وشدة التعلُّق.

(١) القرآن الكريم، سورة ص ٣٨: ٨٢ ـ ٨٣.

(٢) كذا صحح في (ق)، وكانت العبارة فيها هكذا: «وقرابتنا».

(٣) في (س): «الصاحب بالجنب: صاحبك في سفر، وأمّا الجار الجنب، فهو جارك من قوم آخرين». (حاشية ابن إدريس: ١٦٦).

(٤) في بعض النسخ العبارة هكذا: «وجيراننا المؤمنين».، وفي هامش (س) ما نصّه: «حاشية ابن إدريس، وفيه: الظاهر انّ المؤلّف هو الّذي سها في وضع الرمز (س) وليس السهو من الناسخين، لوجود رمز (ص) في كلتا النسختين، فالنص إنّما هو من كلام المؤلّف وكان اللازم وضع رمز (س)، على انّه لم يرد في المتن ما يشير إليه، بل ورد (وجيراننا المؤمنين)، وأين هذا مما ذكره ابن إدريس!». (راجع: حاشية ابن إدريس: ١٦٦).

(٥) في (ك) العبارة هكذا: «أَللّهُمَّ اجْعَلْ آباءنا وَأُمَّهَاتَنَا وَأَهَالِينَا وَأَوْلادَنَا وَذَوِي أَرْحَامِنَا وَجِيْرَانَنَا مِنْهُ فِي حِرْز حَارِز»، وفي (ش) العبارة هكذا: «أَللّهُمَّ اجْعَلنا وآباءنا وَأُمَّهَاتَنَا وَأَهَالِينَا وَأَوْلادَنَا وَذَوِي أَرْحَامِنَا وَجِيْرَانَنَا مِنْهُ فِي حِرْز حَارِز»، والحرز: المكان المنيع الذي يخزن فيهِ الأشياء النفيسة، والحرز الحارز: الكهف المنيع.

(٦) الحصن: المكان المرتفع أو المحكم الذي لا يُقدرَ عليهِ لارتفاعهِ واستحكامهِ.

انِعٍ[١]، وألْبِسْهُمْ مِنْهُ[٢] جُنَناً وَاقِيَةً[٣]، وَأعْطِهِمْ عَلَيْهِ[٤] أسْلِحَةً اضِيَةً[٥].

بما أن الهدف الأساس للشيطان هو تقويض المسؤولية الاجتماعية، فتفتقر لأسرة والمجتمع إلى الحصانة من الشيطان بقدر ما يفتقر إليها الفرد.

وقد ذكر عليه السلام في هذا المقطع من الأسرة:

١ ـ الآباء.

٢ ـ الأمهات.

٣ ـ الأولاد.

٤ ـ الأهل.

٥ ـ ذوي الأرحام.

٦ ـ القرابات.

كما وسرد من المجتمع ثلاث طبقات، هي:

١ ـ الجيران، وقد حدّدوا بأربعين داراً من الجوانب الأربع، فيبلغ المجموع ا يقارب (١٦٠) داراً.

٢ ـ المؤمنين، وهم لا يتحدّدون في مساحة مكانيّة، فتشمل الصغير والكبير ن افراد المجتمع.

٣ ـ المؤمنات، وهنّ كذلك، فتشمل المسؤولية الاجتماعية المفروضة على

---

١) الكهف: الملجأ، والمانع: ما يمنعُ الإنسان من أن يتأثر بما لا يستسيغهُ.

٢) في (ك) العبارة هكذا: «ألْبِسْنَا وَإيَّاهُمْ مِنْهُ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «وألْبِسْهم وَإيَّانا مِنْهُ».

٣) الجُنن: جمع جنّة، وهو ما يحفظ الإنسان من درع وغيره، والمراد: ألهمنا سلوكاً في الحياة وأعمالاً صالحةً تقينا من الشيطانِ.

٤) في (ك) العبارة هكذا: «وَأعْطِنَا وَإيَّاهُمْ عَلَيْهِ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «وَأعْطِنَا عَلَيْهِ».

٥) في (ت) العبارة هكذا: «مانعة»، والماضية: المؤثرة والقاطعة. قال السيّد المدني: والمراد بالأسلحة: الاذكار والأعمال الصالحة التي يدفع بها وساوس الشيطان وتسويلاته. (رياض السالكين٣: ٢٠٤).

الإنسان جميع الأفراد، ويكون مسؤولا حتى تجاه اقل فرد من الأفراد، والمطلوب من الله أن يجعل كل هؤلاء في:

١ ـ الحرز الحارز، وهو الحفظ المؤثر.

٢ ـ الحصن الحافظ، الذي لا يمكن التطاول عليه.

٣ ـ الكهف المانع، وهو الملجأ المنيع.

٤ ـ الجُنة الواقية، وهو الموضع الواقي للدفاع.

٥ ـ السلاح الماضي، وهو السلاح البتّار للهجوم.

وهذا التحصّن الجماعي للمجتمع الإسلامي يكون نتيجة للتحصّن الفردي؛ حيث ان المجتمع يتكوّن من الأفراد.

[١٧/١٠ـ طلب تحصين الأمم]:

أللّهُمَّ واعْمُمْ بِذَلِكَ[١] مَنْ شَهِدَ لَكَ بالرُّبُوبِيَّةِ، وَأخْلَصَ لَكَ بالوَحْدَانِيَّةِ، وَعَادَاهُ لَكَ بِحَقِيقَةِ العُبُودِيَّةِ، وَاسْتَظْهَرَ بِكَ عَلَيْهِ[٢] في مَعرِفَةِ العُلُومِ الربَّانِيَّةِ[٣].

أشار هذا المقطع إلى ضرورة تحصّن الأمم الأُخرى من غير المجتمع الإسلامي من خطوات الشيطان؛ فإن خطط الشيطان كالمرض المعدي، فإذا أصاب فرداً قد يتعدى إلى آخر، وإذا أصاب أُمة قد يتعدى إلى اخرى، فيجب طلب الحصانة لجميع الأمم؛ فإن المسؤولية الاجتماعية الملقاة على عاتق الفرد المسلم لا تختص بنفسه واسرته ومجتمعه، بل تتّسع لتشمل سائر الناس، وقد خصّ في المقطع من الطوائف:

---

(١) أي اجعل ذلكَ شاملاً وعامّاً.

(٢) في (ش): «عليه بك».

(٣) في (ك) العبارة هكذا: «وَأخْلَصَ لَكَ الوُحْدَانِيَّةَ، وَعَادَاهُ لَكَ وَاسْتَظْهَرَ بِكَ عَلَيْهِ»، أي عادى الشيطان امتثالاً لأمرِكَ، واستنجد بكَ وجعلَكَ ظهيراً لهُ على الشيطانِ.

١ ـ من شهد بالربوبية، فيعم كل الأديان والطوائف والمذاهب.

٢ ـ من أخلص بالوحدانية، فيعم اصحاب الديانات السماوية الّتي تقر بالتوحيد من اليهودية والنصرانية والإسلام.

٣ ـ من عادى الشيطان بالعبودية لله، وهم اصحاب المذاهب الصوفية الّتي تتعبّد بالرياضات.

٤ ـ من استظهر عليه بالعلوم الربانية، وهم اصحاب العلوم العرفانية بالتأملات والفراغ.

فإن التحصّن من الشيطان ضروري لهذه الطوائف؛ إذ قد يستخدمها الشيطان للانحراف عن مسؤولياتها في خدمة المجتمع وتحريف مبادئها.

[١١/١٧ـ مقاومة الشيطان]:

أللّهُمَّ احْلُلْ مَا عَقدَ، وأفْتُقْ مَا رَتَقَ[١]، وَافْسَخْ مَا دَبَّرَ، وَثَبِّطْهُ[٢] إذَا عَزَمَ، وأنْقضْ مَا أبْرَمَ[٣].

وحيث ان كلا من الأفراد والمجتمعات والأمم والطوائف قد تقع فريسة لخطط الشيطان، فالملجأ في دفعها هو الله سبحانه القدير على كل شيء، وذلك بالطرق التالية:

١ ـ حل ما عقده الشيطان من العقد في طريق المجتمع.

٢ ـ فتق ما رتقه، أي شقّ ما ضمّه من المواثيق.

---

(١) أي انقض ما بناهُ وشيَّدهُ لاغوائِنا.

(٢) في (س): «ثبّطه عن الأمر تثبيطاً: شغله عنه. وثبّطه عن النهوض إلى أمر كذا: رغّبه في القعود. س». (حاشية ابن إدريس: ١٦٦)، والتثبيط: التعويق والإبطاء في إنجاز العمل، وهو خلاف العزم في الأمر: الاجتهاد فيهِ والجدَّ في تحقيقِهِ.

(٣) في (ك) (ش) العبارة هكذا: «وَافْسَخْ مَا دَبَّرَ، وانْقُضْ مَا أبْرَمَ، وَثَبِّطْهُ إذَا عَزَمَ»، والفسخ: النقض وازالة الشيء عما بني عليهِ، والإبرام: الإحكام.

٣ ـ فسخ ما دبّر من الخطط لتنفيذ مآربه.

٤ ـ تثبيط عزائمه، أي تعويق ارادته المؤكدة.

٥ ـ نقض ما أبرم، أي ما احكمه من مؤامرات.

فان ذلك ممكن بقدرة الله العليا؛ فإنه على كل شيء قدير.

[١٢/١٧ـ جنود الشيطان]:

أللّهُمَّ واهْزِمْ جُنْدَهُ، وَأَبْطِلْ كَيْدَهُ، وَاهْدِمْ كَهْفَهُ[١]، وأرْغِمْ[٢] أنْفَهُ.

خصّ من خطط الشيطان الّتي يفتقر في القضاء عليها إلى نصر الله تعالى أموراً أربعة:

١ ـ جند الشيطان، وهم اتباعه ممن لا يهتم إلّا بمصالحه الشخصية وإن أثّرت على المجتمع بسوء.

٢ ـ كيد الشيطان، حيث ان طريقته الوحيدة: الدعاية الكاذبة والكيد والخديعة حيث لا رصيد له من الحقيقة.

٣ ـ كهف الشيطان، فهو يعمل في خفاء، وله كهف يلجأ إليه بعيداً عن الناس خوفاً منهم.

٤ ـ كبرياء الشيطان، فهو لحقارة نفسه وخططه وجنده يستخدم الكبرياء والغطرسة كوسيلة للهيمنة على من لا يسير على خطواته، وهذه الكبرياء الكاذبة تؤثر على عامة الشعب.

فالله هو المستعان للقضاء على كل هذه الخطط بهزيمة الجند، وابطال المكيدة، وهدم الملجأ، وارغام أنفة الشيطان الكاذبة وسلب كبريائه.

---

(١) في (س): «الكهف، كالبيت المنقور في الجبل، يقال: فلان كهف، أي ملجأ». (حاشية ابن إدريس: ١٦٦).

(٢) في حاشية (ج): «وارْغَم ـ س».

والتاريخ يشهد بأنّ الطغاة الذين يتأثرون بأساليب الشيطان هذه يواجهون هذا المصير عاجلا أم آجلا، حتى يقعوا في مزبلة التاريخ، وذلك باتباعهم خطوات الشيطان الذي هو للإنسان عدوّ مبين(١).

[١٧/١٣ـ الامتحان]:

أَللّٰهُمَّ اِجْعَلْنَا(٢) فِي نَظْمِ(٣) أَعْدَائِهِ، وَأَعْزِلْنَا عَنْ عِدَادِ(٤) أَوْلِيَائِهِ.

لَا نُطِيْعُ(٥) لَهُ(٦) إِذَا اسْتَهْوَانَا(٧)، وَلَا نَسْتَجِيْبُ لَهُ(٨) إِذَا دَعَانَا.

نَأْمُرُ(٩) بِمُنَاوَاتِهِ(١٠) مَنْ أَطَاعَ أَمْرَنَا، وَنَعِظُ(١١) عَنْ مُتَابَعَتِهِ مَنِ اتَّبَعَ زَجْرَنَا(١٢).

ولكثرة وساوس الشيطان يقع الإنسان في الامتحان في كل حالة من حالات حياته اليومية، حيث يقع على مفترق طريق الخير والشر، ولذلك يفتقر إلى عناية

---

(١) اقتباس من القرآن الكريم، سورة يوسف ١٢ : ٥.

(٢) في (ق) (ت) العبارة هكذا: «اللهم واجعلنا».

(٣) النظم: الصف والجماعة، أي اجعلنا في صفّ أعدائهِ.

(٤) في (ت): «عدد»، وفي (ك): «عدّ»، أي لا تجعلنا فيمن يعدّ من أولياء الشيطان.

(٥) في (ق): «ولا نطيع»، وفي (ش) (ت): «فلا نطيع»، وفي هامش (ج): في نسخة: «ولا نطيع».

(٦) في (ك): «نطيعه».

(٧) في (ت): «استغوانا»، واستهوانا: استمالنا وزيّنَ لنا الهوى.

(٨) أي لا نطيعه.

(٩) في (ق) (ت): «فنأمر».

(١٠) في حاشية (ج): «بمناواته، بمناوءته ـ معا»، وفي (س): «ناواه: أي عاداه». (حاشية ابن إدريس: ١٦٦)، وبمناواتهِ: أي بمعاداتهِ.

(١١) في (ت): «ونعظ»، والوعظ: النصح.

(١٢) الزجر: المنع والنهي.

الله تعالى بالقرار الحاسم من جانبه باختيار الخير والعمل الصادق، فيطلب الإمام عليه السلام من الله:

١ ـ ان يكون في صف اعداء الشيطان (اجعلنا في نظم اعدائه).

٢ ـ مقاطعة اصدقاء الشيطان (اعزلنا عن عداد اوليائه).

٣ ـ عدم اطاعته (لا نطيع له إذا استهوانا).

٤ ـ رفض استجابته (ولا نستجيب له إذا دعانا).

٥ ـ اعلان الرفض (نأمر بمناواته من أطاع امرنا).

٦ ـ الوعظ (نعظ عن متابعته من اتبع زجرنا).

وهذه النقاط الست تحدّد خصائص من يخاف الرحمان وتميّزه عمّن يتبع في الاختيار والعمل، وليس بالقول فقط.

[١٧/١٤ـ الاستعاذة]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَسَيِّدِ المُرسَلِينَ وَعَلَى أهْلِ بَيْتِهِ الطيِّبينِ الطاهِرِينَ وَأعِذْنَا[(١)] وأهالينا وإخْوَانَنَا وَجَمِيعِ المُؤمِنِينَ وَالمُؤمِنَاتِ مِمَّا اسْتَعَذْنَا مِنْهُ، وَأجِرْنَا مِمَّا اسْتَجَرْنَا بِكَ مِنْ خَوْفِهِ[(٢)].

واسْمَعْ[(٣)] لَنَا مَا دَعَوْنَا بِهِ[(٤)]، وَأعْطِنَا مَا أغْفَلْنَاهُ[(٥)]، واحْفَظْ

---

(١) العبارة في (ق) (ت) هكذا: «أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وآله، وأعذنا...».

(٢) في (ك) بدل هذه الفقرة ما يلي: «أللّهُمَّ أعِذْنَا مِمَّا اسْتَعَذْنَا مِنْهُ»، وفي (ك): «أللّهُمَّ أعِذْنَا مِمَّا اسْتَعَذْنَاك مِنْهُ».

(٣) في حاشية (ج) (د): «واسْمِع- س»، وفي هامش (س) ما نصّه: «في نسخة ابن إدريس: (أسمع) بهمزة القطع، من الإسماع. (نور الأنوار، للجزائري: ١١٦)».

(٤) في (ش) (ق) (ت): «ما دعوناك به».

(٥) في (ق) زيادة: «وأجرنا»، وأغفلناهُ: أي غفلنا عنهُ أو تركناهُ وسهونا عنهُ. أي أعطنا ما أغفلنا سؤالهُ منكَ.

لَنَا مَا نَسِيْنَاهُ[١]، وَصَيِّرْنَا بِذَلِكَ فِي دَرَجَاتِ الصَّالِحِينَ[٢]، وَمَرَاتِبِ الْمُؤْمِنِينَ[٣]، آمِيْنَ[٤] رَبَّ[٥] الْعَالَمِيْنَ.

وفي ختام الدعاء لخّص المقطع الأخير من الاستعاذة من الشيطان الرجيم بنقاط، وهي بالنسبة إلى المستعيذ:

١ ـ النفس.

٢ ـ الأهل.

٣ ـ الاخوان.

٤ ـ جميع المؤمنين والمؤمنات.

وحيث ان هذه النقاط لا تستقصي كل الأسباب والآثار، ختم الدعاء بقوله:

١ ـ (اسمع لنا ما دعونا به)، حيث إنه تعالى ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[٦].

٢ ـ (واعطنا ما اغفلناه) من خطط الشيطان ومقاومته لكثرتها.

٣ ـ (واحفظ لنا ما نسيناه) من أنواع طلب الاستعانة بالله.

٤ ـ (وصيّرنا بذلك في درجات الصالحين)، حيث أنّ درجات الصلاح ترتبط ارتباطاً مباشراً بدرجات مقاومة الشيطان وخططه، والله سبحانه هو العاصم منها.

---

(١) في (ك): «ما نسيْنَا»، أي افعل بنا من الخير ما لم يعزب عن علمِكَ، ممّا نسينا أن ندعوكَ بهِ.

(٢) صيّرنا: اجعلنا، ودرجاتِ الصالحين: المقامات الرفيعة الّتي يمنحها الله للقائمين بحدود الله.

(٣) لم ترد في (ك) (ش): «ومراتب المؤمنين».

(٤) لم ترد في (ش): «آمين».

(٥) في (ش): «يا ربّ».

(٦) القرآن الكريم، سورة آل عمران ٣: ٣٥.

[الدُّعاءُ الثَامن عشر]

وكانَ مِنْ دُعائِهِ عليه السلام إذَا دُفِعَ عَنْهُ مَا يَحذرُ أو عُجّلَ لَهُ مَطلَبُهُ(١)

[١/١٨ ـ دفع البلاء، وحسن القضاء]:

أَللّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ عَلَى حُسْنِ قَضَائِكَ، وبِمَا(٢) صَرَفْتَ(٣) عَنِّي مِنْ بَلائِكَ، فَلَا تَجْعَلْ(٤) حَظِّي(٥) مِنْ رَحْمَتِكَ(٦) مَا عَجَّلْتَ لِي مِنْ عَافِيَتِكَ، فأَكُونَ قَدْ شَقِيْتُ بِمَا أَحْبَبْتُ، وَسَعِدَ غَيْرِي بِمَا كَرِهْتُ(٧).

---

(١) ورد هذا الدُّعاء في (ك) بالرقم (٣١) بعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام إذَا دُفِعَ عَنْهُ مَا يُحَاذِرُ»، وفي (ش) بالرقم (٣٤) بعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام إذَا دُفِعَ عَنْهُ مَا يُحذرُ أو عجّل له مطلبه»، وفي (ف) بدون رقم، وبعنوان: «وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام إذَا دُفِعَ عَنْهُ مَا يُحذرُ»، وفي (ج) بعنوان: «الثامن عشر: وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام إذَا دُفِعَ عَنْهُ مَا يَحذرُ أو عُجِّلَ لَهُ مَطلَبُهُ»، وفي (ق) بعنوان (الثامن عشر)، وتحته عنوان: «في الحذر»، وفي (ت) بعنوان (الثامن عشر)، وتحته عنوان: «إذا دفع عنه ما يحذر»، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (١٨)، بعنوان: «دُعاؤهُ إذا دُفِع عنه ما يحذر».

(٢) في (ك) (ش) (ق): «بِمَا»، وفي (ف): «وما».

(٣) في (ك): «صرّفت». وصرفَ: ردَّ وكفَّ ودفعَ.

(٤) في (ف): «اللهم فصلّ على محمد وآله، ولا تجعل».

(٥) الحظ: النصيب.

(٦) في (ف): «من عملي».

(٧) أي فتكونَ العافية المعجّلة سبباً في فوات عظيم الأجر والثواب الأخروي، وأكون قد شقيتُ شقاوةً أُخرويّة بسبب ما أحببتُ من تعجيل العافية في الدُّنيا، ويكونُ غيري ممّن صبرَ على البلاء قد سعدَ بنيل الثواب العظيم والأجرِ الجزيل بتحمّله وعدم تعجّله العافية.

كل إنسان في حياته يبتلي بما يكره من البلاء، ويدعوا للتخلص منه. وكل مصيبة يواجهها الإنسان له جانبان: سلبي وايجابي، والجانب السلبي هو الذي يدعوا الإنسان إلى محاولة التخلص من المكروه بأية وسيلة ممكنة من الدعاء وغيره؛ لصعوبة المصيبة، وقد تكون الوسيلة طبيعية كالبكاء على المصاب، وقد تكون قانونية كمراجعة الحاكم لتحقيق العدالة، وقد تكون روحية حينما ييأس الإنسان من كل الوسائل.

والجانب الايجابي مغفول عنه غالباً، وهو ان الإنسان لمواجهة المصيبة يسعى في التمرّن على الصبر والتغلّب على العواطف ودراسة الأسباب الّتي أوصلته إلى هذه المصيبة والنتائج المترتبة عليها، ويتعلم كيف يتجنّبها في المستقبل لنفسه أو أولاده أو مجتمعه، فالمصيبة وان كانت مكروهة في نفسها، ولكنها في نفس الوقت درس عملي يفتقر إليها الإنسان، كالطالب الذي يمرّ بمرحلة الامتحان، فيسعى في الاعداد للدروس الّتي يراها صعبة، وكالمجاهد الذي يلزمه مواجهة العدوّ في ساحة المعركة الّتي هي صعبة فيستعد لذلك بالتدريب، فإن كلّ ذلك ضروري لايجاد المناعة والاستعداد حتى تصل إلى مرحلة الرشد لاتخاذ القرار الصائب في مواجهة المشاكل كما يقتضيه كلمة «البلاء»؛ فانها ـ في اللّغة ـ : بمعنى الامتحان، والإمام عليه السلام في هذا الدعاء يشير إلى الجانبين السلبي والايجابي في دفع البلاء وحصول العافية باستجابة الدعاء.

أمّا الجانب السلبي، فهو أنّ الداعي يحصل على العافية، وذلك يوجب (الحمد على حسن القضاء)؛ في صرف البلاء المكروه الذي دعا لرفعه، وقد حصل.

واما الجانب الايجابي، وهو ان مواجهة المكروه بالصبر يوجب قوة الاستعداد للتغلّب على المشاكل، وهذا لا يحصل مع العافية والنعمة والسلامة فانها توجب الكسل عادة، في حين ان مواجهة المكروه توجب النشاط للتغلب عليه، وطبيعي ان فقدان هذا الجانب من حياة الإنسان خسارة لمن يقدرها.

فأي الجانبين اهم؟ أجانب الصحة والسلامة الداعية إلى الكسل، أم جانب الصبر على المكروه المؤدي إلى النشاط؟

والإنسان بطبعه يميل إلى جانب السلامة، وقد استجاب له الله. ولكن ذلك لا يستلزم ان تكون هي الأفضل لحياته ومستقبله، بل قد يكون العكس هو الصحيح كما تقدم في مثال الطالب والجنديّ.

وبما ان الله سبحانه هو الأعلم بمصلحة الإنسان في مسعاه، فيكون هو الحاكم في القرار بما هو الأصلح.

وقد استفتح الإمام عليه السلام الدعاء بالحمد على استجابة الدعاء بدفع ما يحذر، وتعجيل المطلب كما يقتصر الواجب من الحمد والشكر على صرف البلاء المكروه، وفي نفس الوقت يراه من (حسن القضاء) الذي رآه سبحانه انه الأصلح بحال الداعي من التوازن بين الجانبين: الايجابي والسلبي في صرف المكروه.

فالمطلوب هو الأخذ بعين الاعتبار للجانبين معاً؛ فانهما معاً رحمة من الله.

واشار عليه السلام إلى أهمية الجانب الايجابي للمكروه بقوله: (لاتجعل حظّي من رحتمك) خصوص الجانب السلبي، وهو: (ماعجّلت لي من عافيتك) من دون أي اهتمام بالجانب الايجابي للمكروه من تنمية روح المقاومة والصبر؛ فإن نتيجة الجانب السلبي فقط ان (أكون قد شقيت بما احببت) وهو العافية من دون صبر، ويكون قد (سعد غيري) من الصابرين (بما كرهت) من تحمل الصبر؛ فإن من صبر ظفر، وعاقبة الصبر محمودة الأثر، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾[1].

[٢/١٨ ـ الجانب الإيجابي للبلاء]:

وَإِنْ يَكُنْ[2] مَا ظَلَلْتُ فِيْهِ[3] أَوْ بِتُّ فيه[4] مِنْ هَذِهِ العَافِيَةِ بَيْنَ

---

(١) القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ٢١٦.

(٢) في (ت): «أو يكون».

(٣) في (ت): «طلبت فيه»، وفي (ف): «ظللت عليه»، وفي (س): «ظَللت أعمل كذا ـ بالكسر ـ ظُلولاً: إذا عملته بالنهار، دون الليل». (حاشية ابن إدريس: ١٦٧).

(٤) في (ق): «أو بتّ بِهِ»، ولم ترد في (ك): «فيه»، وظللتُ: كنتُ فيهِ نهاراً، والبيتوتة: الإقامة في المكان ليلاً.

ـيْ بلاءٍ لَا يَنْقَطِعُ، وَوزْرٍ[1] لَا يَرْتَفِعُ، فَقَدِّمْ لِي مَا أَخَّرْتَ، وَأَخِّرْ عَنِّي ـا قَدَّمْتَ، فَغَيْرُ كَثِيْرٍ مَا عَاقِبَتُهُ[2] الفَنَاءُ، وَغَيْرُ قَلِيْلٍ مَا عَاقِبَتُهُ[3] ـبَقَاءُ[4]، وصَلّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ[5] [يَا أَرْحَمَ الراحِمِينَ][6].

ولأهمية الجانب الايجابي في المكروه ختم الحمد على العافية بالدعاء، ـى العكس فيما إذا لم يكن قد حصل التوازن بذلك بين الجانبين، وذلك بتقديم ـا أخرت) أي تقديم المكروه على العافية (وأخر عنّي ما قدّمت) أي تأخير العافية ـن المكروه، وذلك فيما إذا لم تكن العافية عافية متوازنة، بل استلزمت (بلاءً لا ـنطع ووزراً لا يرتفع) في الحياة اليومية؛ حيث يظل نهاراً في البلاء ويبيت ليلا ـ الوزر من دون انقطاع أو ارتفاع.

وقد علل هذا الدعاء الأخير المشروط بسبب مفهوم لمن تأمل الحياة الفانية، ـو ان ما ينقضي ـ مهما كثر ـ لا قيمة له؛ لانّ عاقبته الفناء المحتوم، كما هو مفروض. وان القليل إذا كان غير منقطع، فإنه يكون خيراً؛ لدوامه وبقائه.

وبالنتيجة: تكون العافية من دون تعلم أسباب الصحة وآثارها تكون فانية؛ ـدم تعلم الصيانة من التعرض لأسبابها في المستقبل، وبالعكس الصبر على مكروه مع تعلّم الأسباب والآثار تكون باقية لتعلم كيفية الوقاية من الأسباب ـوام الآثار من هذا التعلم ما دام الوعي لها مستمراً في الحياة اليومية.

---

(1) في (ك): «ورزء»، والرزء: المصيبة أو المصيبة العظيمة، والوزر: الذنب، وفي (س): «الوِزر: الإثم والثقل». (حاشية ابن إدريس: ١٦٧).

(2) في (ت): «ما عاينه»، وفي (ق) العبارة هكذا: «ما غايته»، وفي حاشية (ج)في نسخة: «غايته».

(3) في (ت): «ما عاينه»، وفي (ق) العبارة هكذا: «ما غايته»، وفي حاشية (ج)في نسخة: «غايته»، وفي حاشية (ج) (د): «عافيته ـ س».

(4) في (ف): «الفناء» [كذا] أيضا!!، والمعنيعلى ما في المتن: ليس الكثير الذي يفنى بكثير، ولا القليل الباقي بقليل.

(5) في (ق) العبارة هكذا: «وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وسلّم»، ولم ترد في (ك) (ش) (ف): «وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ».

(6) ما بين المعقوفتين من (ف) فقط.

[الدعاءُ التاسع عشر]

وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام عند الاستسقاء بعد الجدب[1]

[١/١٩ ـ دعاء الاستسقاء]:

أللّهُمَّ اسْقِنا الْغَيْثَ، وَانْشُرْ عَلَيْنا رَحْمَتَكَ بِغَيْثِكَ[2] الْمُغْدِقِ[3] مِنَ السَّحابِ الْمُسَاقِ إلى نَباتِ[4] أرْضِكَ، الْمُونِقِ[5] في جَمِيعِ الآفَاقِ، وَامْنُنْ عَلى عِبادِكَ بِإينَاعِ الثَّمَرَةِ[6]، وَأحْيِ بِلادَكَ بِبُلُوغِ الزَّهرَةِ.

الجدب حالة طبيعية تعرض على الأرض بانقطاع المطر ويبس الأرض، وتخلّف آثاراً سيئة على الزراعة والرعي والحياة العامة، ولا يستعرض الدعاء الأسباب الداعية إلى هذه الحالة الطبيعية كالعلل الماديّة وغير الطبيعية كالذنوب، فإن ذلك ليس مقصد الدعاء.

---

(١) ورد هذا الدُّعاء في (ق) (ت) بعنوان (التاسع عشر)، وتحته عنوان: «في الإستسقاء»، وفي (ج) بعنوان: «التاسع عشر: وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام عند الاستسقاء بعد الجدب»، ولم يرد هذا الدعاء في (ك) (ش)، وورد في ملحق (ك) بالرقم (٤٢) بالعنوانأعلاه، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (١٩)، بعنوان: «دُعاؤهُ في الاستسقاء».

(٢) في (س): «الغيث: المطر. المغدِق والغَدق: هو الماء الكثير. س». (حاشية ابن إدريس: ١٦٩).

(٣) المغدق: الكثير المطر.

(٤) في غير (ق) (ت) وملحق (ك): «المنساق لنبات».

(٥) في (س): «شيء أنيق: أي حسن معجب، وآنقني الشيء: أعجبني، وتأنّق في الأمر إذا عمله بإتقان. فالمونق: المعجب المحسن. س». (حاشية ابن إدريس: ١٦٩).

(٦) في (س): «ينع الثمر، ينع ويينَع يَنعاً ويُنعاً وينوعاً: أي نضج، وأينع مثله». (حاشية ابن إدريس: ١٦٩).

وقد تضمّن هذا المقطع امرين: الدعاء بالاستسقاء، وصفات السقي المطلوبة لتغيير الحال، ومن الأمر الأول:

١ ـ السقي بالغيث، أي المطر؛ فإن السقي بالدلاء مثلا ـ وان كان محصلا للغرض إلّا أنه ليس كالسقي الطبيعي بالمطر النازل من السماء من حيث الكثرة والشمول.

٢ ـ نشر الرحمة، فإن الغيث إذا تعدى حدّ السقي كان طوفاناً، ولم يكن رحمة، بل ان الرحمة، انما تتحقق بصفات:

الأولى: ان يكون غدقاً أي يكون كثرة الماء فيه منشأه السحاب، لا من البحر مباشرة أو بواسطة غير السحاب كالطوفان.

الثانية: ان يكون منساقاً، أي مسوقاً لغرض نبات الأرض، لا لغرض آخر سواه، كالعذاب.

الثالثة: ان يكون مونقاً، أي معجبا من تأثيره في جميع الآفاق، فلا يختص ببلد دون بلد، بل يكون لمصلحة جميع البلاد ولمصلحة العامة اينما وجدوا.

٣ ـ ايناع الثمرة، فإن الغرض من السقي ان تثمر الأشجار الاثمار اليانعة الّتي تنفع المجتمع في حياتها الغذائية، فتعم النعمة هذه العباد عامّة.

٤ ـ بلوغ الزهرة، فيكون في الدرجة الثانية الزهرة الّتي ليست عادة ثماراً للأكل، بل هي ادوية للطب؛ فإن بلوغها لأداء آثارها الطبيعية ضرورية ايضاً، ولا تحصل عادة إلّا في جو طبيعيّ وبالسقي الطبيعيّ بالغيث.

[٢/١٩ ـ صفات السقي]:

وَأَشْهِدْ مَلآئِكَتَكَ الْكِرامَ الْبَرَرَةَ[١] السَّفَرَةَ بِسَقْيٍ مِنْكَ نافِعٍ،

---

(١) لم ترد في (ق): «البررة».

دائِمٍ غُزْرُهُ[١]، واسعٍ دِرَرُهُ[٢]، وَابِلٍ[٣] سَرِيعٍ، عاجِلٍ، تُحْيِي بِهِ مَا قَدْ مَاتَ، وَتَرُدُّ بِهِ مَا قَدْ فَاتَ، وَتُخْرِجُ بِهِ مَا هُوَ آتٍ[٤]، وَتُوَسِّعُ بِهِ فِي الأَقْوَاتِ[٥]، سَحَاباً مُتَرَاكِماً[٦]، هَنيئَاً، مَريئَاً[٧]، طبَقَاً[٨] مُجَلْجَلاً[٩]، غَيْرَ مُلِثٍّ وَدْقُهُ[١٠]، وَلا خُلَّبٍ بَرْقُهُ[١١].

---

(١) في (ت): «غُزَرُهُ»، وفي حاشية (ج): «أي كثرته»، وفي (س): «غَزُر الشيء - بالضم - يغزر في فهو غزير: أي كثيرٌ». (حاشية ابن إدريس: ١٦٩)، وفي هامش (س) ما نصّه: «نسخة ابن إدريس: (غَزْره) بفتح الغين بمعنى الكثرة، أي كثر مطره، كذا في (لوامع الأنوار العرشية ٣: ٢٣٣)».

(٢) في حاشية (ج) (د) في نسخة: «درّه»، وفي حاشية ملحق (ك) في نسخة: «درّه»، وفي (س): «للسحاب دِرّةٌ: أي صبّ، والجمع دِرَرٌ». (حاشية ابن إدريس: ١٧٠).

(٣) في (س): «الوابل: المطر الشديد». (حاشية ابن إدريس: ١٧٠).

(٤) قوله: «قد مات» من النبات «وترد به ما قد فات» وقتها، «وتخرج ما هو آت» ولم يحن حينه.

(٥) في (س): «القُوت - بالضم -: وهو ما يقوم به بدن الإنسان من الطعام». (حاشية ابن إدريس: ١٧٠).

(٦) في (س): «اِرتكم الشيء وتراكم: إذا اجتمع، والركام والمتراكم: المجتمع». (حاشية ابن إدريس: ١٧٠).

(٧) في (ج): «مريّا».

(٨) في (ق) (ت) وملحق (ك): «طيّباً»، وفي (ج): «طَبَقَاً»، وفي حاشية (ج) (د): «طيّبا - س»، وفي (س): «مطرٌ طبقٌ: أي عام». (حاشية ابن إدريس: ١٧٠).

(٩) في (س): «المجلجل: السحاب الّذي فيه صوت الرعد، وجلجلت الشيء: إذا حرّكته بيدك». (حاشية ابن إدريس: ١٧٠). والمجلّل: الذي يجلّل الأرض بمائه أو بنباته. وهو بكسر اللام: أي يجلّل البلاد والعباد نفعه ويتغشاهم بخيره. قال ابن الجزري: ويروى بفتح اللام على المفعول. «مجلجلا» يسمع منه صوت الرعد الدال على كثرته.

(١٠) في (س): «الودق: المطر، وقد ودق يدق ودقاً: أي قطر». (حاشية ابن إدريس: ١٧٠).

(١١) في (س): «رجل خلّاب وخَلوب وخلوب: أي خدّاع كذّاب، والبرق الخُلّب: الذي لا غيث فيه كأنّه خادع، ومنه قيل: لن يعد ولا يُنجز، إنّما أنت كبرق خلّب، والخُلّب: السحاب الّذي لا مطر فيه». (حاشية ابن إدريس: ١٧٠). ومُرْتِعاً: أي: يُنبِتُ من الكلإِ ما تَرْتَعُ فيه المَواشي وتَرْعَاه. وفي الصحاح: أَرْتَعَ الغَيثُ: أَنْبَتَ ما تَرْتَعُ فيه الإبلُ. والمرتع: المنبت ما يرتع فيه. (راجع: تاج العروس ١١: ١٥٠).

وقد سرد في هذا المقطع صفات السقي المطلوبة:

١ ـ النافع، فإذا زاد السقي عن المطلوب كان مخرباً ومضرّاً.

٢ ـ الدائم غزره، أي كثرته، فإذا كان السقي منقطعاً لم تفد الآثار المطلوبة.

٣ ـ الواسع درّه، والدّر: الصب، فإذا كان صبّه لمنطقة دون اخرى لم يكن صبّا واسعاً بل ضيّقاً، وبالنتيجة يكون قسماً من المطلوب، لا كلّه.

٤ ـ الوابل، وهو المطر الشديد بأن لا يكون طلّا.

٥ ـ السريع، فلو تأخّر السقي عن موعد الحرث لما كان نافعاً.

٦ ـ العاجل، إذ إن في التأخير فوات الفائدة المرجوّة حاضراً.

٧ ـ الموجب للإحياء، بأن يكون السقى مؤثراً في حياة الثروة الزراعية.

٨ ـ يكون فيه ردّ ما فات، أي يتدارك به ما ضاع من الثروة الزراعية.

٩ ـ يكون فيه اخراج ما هو آت، أي يكون سبباً في تنمية حبوب الأثمار لأداء دورها في المستقبل.

١٠ ـ يكون فيه توسع الأقوات، والاقوات: جمع قوت، وهو ما يؤكل من الطعام المقوّم للحياة، وهذه هي أهم الأوصاف المطلوبة في السقي؛ إذ بدونها تنعدم الثروة النباتية.

وقد ختم الأوصاف بقوله:

١ ـ سحابا، دون ما ليس بسحاب كالطوفان.

٢ ـ متراكما، من الكثرة، دون سحابة صيف متفرّق.

٣ ـ هينئاً، سائغ الشرب باللّذة.

٤ ـ مريئاً، لا مرارة فيه.

٥ ـ طبقاً، أي شاملا تطبق الأرض كله.

٦ ـ مجلجلا، يسمع صوته؛ وفيه دلالة على قوّة أثره.

٧ ـ (غير ملث ودقه)، والودق: المطر، والملث: المكث، فإن مكث المطر زيادة على المطلوب لا يصلح الزرع، بل يفسده.

٨ ـ (ولا خلّب برقة)، والبرق الخلب: الذي لا غيث فيه، فيكون برقاً خادعاً، وهو لا يفي بالمطلوب من السقي، وانما المطلوب اجتماع الصفات كلها.

[٣/١٩ ـ الأثر المطلوب]:

أللّهُمَّ اسْقِنا غَيْثاً مُغِيثاً(١)، مُرْبِعاً(٢)، مُمْرِعاً(٣)، عَرِيضَاً(٤) واسِعاً غَزيراً، تَرُدُّ بِهِ النَّهيضَ(٥)، وَتَجْبُرُ بِهِ الْمَهيضَ(٦).

---

(١) غيث مغيث: عام النفع. مرىء: هنيء. مريع: مخصب. غيث مطبق: عام. وغَيْثاً مُغِيثاً طَبَقاً: أي مالِئاً للأرض مغطّياً لها. يقال: غيث طَبَقٌ: أي عامٌّ واسع. (لسان العرب ١٠: ٢١٠)، ومغيثا ـ بفتح الميم- أي نازلا من رحمة الله تعالى. أو بالضم من الإغاثة، من الغوث أو من الغيث، أي مصاحبا للغيث الذي بعده.

(٢) في (ق) وملحق (ك) (س): «مُريعاً»، وفي هامش (س)ما نصّه: «في نسخة ابن إدريس (مُريعاً) بضم الميم، الكثير النماء، من أراع الطعام إذا صارت له زيادة في العجن والخبز. كذا في (لوامع الأنوار العرشية ٣: ٢٣٣)»، والمريع: ذو المراعة، وهي الخصب. والمربع: الذي يربعهم عن الارتياد، من ربعت بالمكان وأربعني. كأن الغيث المربع يُغني عن الارتياد والنجعة، فالناس يربعون حيث شاءوا، أي يُقيمون ولا يحتاجون إلى الانتقال في طلب الكلأ.

(٣) في (س): «أمرع: أي صار كلاءً، وأكلأ: أنبت الكلاء، وهو العُشب. س». (حاشية ابن إدريس: ١٧١). من قولهم: مَرُعَ الوادي: أي أكلأ، فهو مُمرِع. (الصحاح ٣: ١٢٨٤).

(٤) في حاشية (ج) (د): «عريضاً، غريضاً ـ معا، س»، وفي هامش (س) ما نصّه: «في نسخة ابن إدريس (غريضاً) بالغين المعجمة، أي طريّاً جديداً. يقال: لحم غريض، ولماء المطر: غريض مغروض. كذا في (لوامع الأنوار العرشية ٣: ٢٣٣)»، والغريض بفتح الغين المعجمة وكسر الراء وآخره ضاد معجمة هو الطري، والغَرِيضُ: الطَّرِيُّ من اللحم والماء واللبن والتمر، ويقال لماء المطر: غريض لطرواته.

(٥) قال المجلسي قدس سره: النَّهِيض: هو النبات المستوي، يقال: نَهَض النبتُ؛ إذا استوى، والمعنى: تَرُدّ النَّهيض الذي يبس أو بقي على حاله لا ينمو لفقدان الماء [فبالماء يعود] إلى النموّ والخضرة والنضارة. أو المراد بالنهيض: ما أشرف على النهوض ولا طاقة له عليه. (بحار الأنوار ٩١: ٣١٧). وفي (س): «نهض النبت: أي استوى. فهو ناهض ونهيض. س». (حاشية ابن إدريس: ١٧١).

(٦) في (ت): «وتحبر به المهيض»، وفي (س): «هاض العظم يهيضه هيضاً: أي كسره بعد الجبور، فهو مهيض». (حاشية ابن إدريس: ١٧١).

في هذا المقطع وما يليه سرد الإمام عليه السلام الصفات المطلوبة للغيث تأكيداً للأثر المطلوب من الغيث لحاجة الموقف والجدب اليها، وهي:

١ ـ السقي.

٢ ـ الغيث، دون غيره من الوسائل.

٣ ـ المغيث، لشدة الحاجة اليه بسبب الجدب.

٤ ـ المربع، بالباء الموحدة، أي المغني.

٥ ـ الممرع، أي المخصب للزرع والكلأ.

٦ ـ العريض؛ لكثرته.

٧ ـ الواسع، لشموله كل مكان.

٨ ـ الغزير، بكثرة القطر.

وكل هذه الصفات لتحقيق أثرها، وذكر هنا من آثارها ما يلي:

الأول: رد النهيض، أي ردّ النبات إلى النهوض والاستقواء كما كان قبل الجدب.

الثاني: جبر المهيض، أي إصلاح المكسور، والمهيض هو المكسور.

فالمطلوب تحقق هذين الأثرين الذين بهما قوام الحياة النباتية؛ حيث ان بها تستمر الحياة بصورة عامة.

[٤/١٩ ـ ومن آثار السقي]:

أَللّهُمَّ اسْقِنا سَقْياً[١] تَسِيلُ مِنْهُ الظِّرابَ[٢]، وَتَمْلأُ مِنْهُ

---

(١) في حاشية (ج) (د): «سُقياً ـ س»، أي اسقنا سقيا بالفتح (منونا) أو بالضم بدونه، وفي هامش (س)ما نصّه: «في نسخة ابن إدريس: (سُقيا) بلا تنوين، اسم المصدر. (كما حكاه الجزائري في نور الأنوار: ١١٧)».

(٢) الظراب، جمع الظرب ـ ككتف ـ الجبل المنبسط أو الرابية الصغيرة، وهو الجبيل، وقيل: رأس الجبل، واحدها: ظرب بوزن كتف. النهاية.

الْجِبابَ[١]، وَتُفَجِّرُ بِهِ[٢] الْاَنْهارَ، وَتُنْبِتُ بِهِ الْاَشْجارَ، وَتُرْخِصُ بِهِ الْاَسْعارَ فِي جَمِيعِ الْاَمْصارِ، وَتَنْعَشُ[٣] بِهِ الْبَهآئِمَ وَالْخَلْقَ، وَتُكْمِلُ لَنا[٤] بِهِ طَيِّباتِ الرِّزْقِ، وَتُنْبِتُ لَنا[٥] بِهِ الزَّرْعَ، وَتُدِرُّ لنا بِهِ الضَّرْعَ[٦]، وَتَزِيدُنا بِهِ قُوَّةً اِلى قُوَّتِنا.

ومن الآثار المطلوبة في السقي في سلسلة مترابطة:

١ ـ (سقيا تسيل منه الظراب)، والظراب: رؤوس الجبال، فإذا سالت رؤوس الجبال انحدرت مياه الغيث إلى ما دونها من الأراضي السهلة، وترتوي بها اصول الأشجار المثمرة وغير المثمرة كالنباتات الطبيّة.

٢ ـ (تملأ منه الجباب)، جمع الجب، وهو البئر، على إثر كثرة الماء في منابعها.

٣ ـ (تفجر به الأنهار)؛ إذ ليس جريان الأنهار إلّا بكثرة موادّها من المياه المستمدّة من رؤوس الجبال والعيون.

٤ ـ (تنبت به الأشجار)؛ فإن قوامها بالنور المستمَدّ من الشمس وبالماء المنحدر من الجبال والمخزون في العيون.

٥ ـ (وترخص به الأسعار) في الأسواق المحليّة والعالمية؛ فإن كثرة الثمر

---

(١) في (ت): «الجناب»، وفي حاشية (ج): «أي الآبار»، وفي ملحق (ك): «الْجِبابَ»، وفي (س): «الجُبّ: البئر التي لم تطو، وجمعها: جباب وجبيبة. طي البئر: عمارته بالحجر أو غيره لرخاوة أرضها». (حاشية ابن إدريس: ١٧١).

(٢) لم ترد في (ت): «به».

(٣) في (س): «نعشه الله (ينعشه) نعشاً: رفعه. ونعشه بكذا: لذّذه فيه، وانتعش بكذا: أي التذ. س». (حاشية ابن إدريس: ١٧١).

(٤) لم ترد في (ق): «لنا».

(٥) لم ترد في (ق): «لنا».

(٦) في (س): «الضرع: لكل ذات ظلف أو خف. يراد به الثدي». (حاشية ابن إدريس: ١٧١).

انما يكون بكثرة النبات والشجر، وان قانون العرض والطلب الذي يحكم في الأسواق مستمدّ من كثرة العرض، والثمار في كثرتها مستندة إلى كثرة المياه، وكثرتها مستندة إلى السقي، وبالنتيجة: بالمطر يكون نهوض الأسواق المحلية ونشاط الأسواق المحلية يؤثر في الأسواق الاقليمية فالعالمية.

٦ ـ (وتنعش به البهائم والخلق)، فلا يختص السقي في تنمية الثروة النباتية فقط، بل يعمّ الثروة الحيوانية أيضاً، بقدر ما يؤثر في سائر أنواع المخلوقات.

٧ ـ (وتكمل به طيبات الرزق)، قد خصّ الإنسان منها بقوة زيادة على قوته الذاتية في الخلق على سائر الحيوان، حيث يستكمل الانتفاع بطيّبات الرزق واستصلاح الزارعة من الثروة النباتية الناتجة من البذور، والمنتجات الحيوانية (تدرّ به الضرع) من كل حيوان، كل ذلك لكرامة الإنسان بالعقل الذي أكرمه الله تعالى به ليستخدمه في مصالح نفسه والمجتمع والميحط الذي يعيش فيه.

[١٩/٥ ـ ما لا يطلب]:

أللّهُمَّ لا تَجْعَلْ ظِلَّهُ[١] عَلَيْنا سَمُوماً[٢]، وَلا تَجْعَلْ بَرْدَهُ عَلَيْنا

---

(١) كذا في النسخ، ولكن في (س): «طلّه»، وفي هامش (س): «الطلّ: أضعف المطر، وطلّة الرجل: امرأته». (حاشية ابن إدريس: ١٧١)، وفي هامش (س) أيضاً: «في هامش قوله عليه السلام: (ولا تجعل ظلّه علينا): في أصل النسخة: «ظلّه»، بمعنى ساينده ـ كذا ـ وفي نسخة ابن إدريس: «طلّه»، بالطاء المهملة»، وفي (روضة المتقين٢: ٧٨٣) ما نصه: «لا تجعل طله ـ أو: ظلّه ـ علينا سموما»، والطل: المطر الضعيف أو أخف المطر أو الذي ينزل من السماء في الصحو، جمعه طلال، وطلل كعنب، وقرئ: «ظلّه»، بالظاء المعجمة، جمع الظلة، أي ما يستظل به وأول سحابة تظل، والظلة ـ بالكسر-: شيء كالصفة، يستتر به من الحر والبرد، و«السموم» جمع السم المضر، مثلثة، والريح الحارة تكون غالبا في النهار، أي: لا تجعله مضرّاً. وفي (بحار الأنوار ٨٨: ٣٠٤): قال في القاموس: الظل من السحاب ما وارى الشمس منه أو سواده، والسموم ـ بالفتح-: الريح الحارة، وبالضم: جمع السم القاتل، أي لا تجعل سحابه سببا لعذابنا كما عذب به أقواما من الأمم الماضية، و (عذاب يوم الظلة)، قالوا: كان غيما تحته سموم، والظلة، أي سحابة تظل.

(٢) في (س): «السموم: الريح الحارة، والجمع السمائم». (حاشية ابن إدريس: ١٧١).

حُسُوماً(١)، وَلا تَجْعَلْ صَوْبَهُ(٢) عَلَيْنا رُجُوماً، وَلا تَجْعَلْ ماءَهُ(٣) عَلَيْنا(٤) أُجاجاً(٥).

وبالمقارنة بين الصفات المطلوبة في السقي تظهر ما لا يطلب من الصفات في السقي، وقد خص الإمام عليه السلام هذا المقطع ببيان نقاط هامّة لها آثار عكسية، وهي:

١ ـ (لا تجعل ظلّهُ علينا سموماً)؛ والظل الحاصل على إثر السحاب يكون حاجزاً عن الشمس، فإذا لم يكن ماطراً يكون منعه عن أشعة الشمس سببا لانعدام مادة الحياة المستمدة من تلك الأشعة، فيكون الظل المجرّد عن المطر سامّاً في الاثر، لمنعه عن مادة الحياة.

٢ ـ (ولا تجعل برده علينا حسوماً)، والحسوم: القطع، وذلك لما تقدم من أنّ البرد كالظل يمنع عن أشعة الشمس الّتي فيها مادة الحياة للنبات والحيوان وحتى الجمادات، فيكون البرد سبباً للهلاك بقطع مادة الحياة عنها.

---

(١) في (س): «الحسم: القطع، ويقال: الحسوم، الشؤوم، ويقال: الليالي الحُسوم، لأنّها تقطع الخير عن أهلها». (حاشية ابن إدريس: ١٧١ -١٧٢) «وبرده علينا حسوما» بالضم، أي شؤماً، وفسّر الحسوم من قوله تعالى: ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾. (سورة الحاقة ٦٩ : ٧) أي: ولاء متتابعة، كأنّه تتابع عليهم الشرّ حتّى استأصلهم، وقيل: دائمة. وقيل: قاطعة قطعتهم قطعا حتّى أهلكتهم... وحسمه حسما وحسوما من باب ضرب بمعنى قطعه. ومنه قيل للسيف: حسام، لأنّه قاطع. أي: لا تجعل برده علينا قطعا، أي: قاطعا، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾. (سورة الملك ٦٧ : ٣٠) أي: غائرا. (رياض السالكين ٣: ٢٥١).

(٢) في (ق) (ت) وملحق (ك): «ضَوْءه»، وفي (س): «الصوب: نزول المطر، والصيّب: السحاب دون الصَوب، وصاب أي نزل، وتقول: صابه المطر أي أمطر». (حاشية ابن إدريس: ١٧٢)، وفي بعض النسخ: «وضوءه علينا رجوما» والرجم، الرمي بالحجارة والقتل والقذف والعيب واللعن، أي لا تجعل ضوءه ـ أي عدم إمطاره، أو برقه، أو صوبه ـ بإدامته علينا مضرا.

(٣) في ملحق (ك): «ماهُ».

(٤) في (ق): «عَلَيْنا ماءَهُ».

(٥) في (س): «الأجّة: شدّة الحرّ وتوهّجه، والجمع إجاج، مثل جفنة وجِفان، وماء أُجاج: أي ملح مر». (حاشية ابن إدريس: ١٧٢).

٣ ـ (ولا تجعل صوبه علينا رجوماً)، والرجم: الرمي، والصوب: الإصابة؛ نّ المطر إذا كان نازلا بصورته الطبيعية يكون خيراً للنبات، دون ما إذا كان تطعاً على مثل الرمي، فإنه حينئذ يفقد الأثر المطلوب للزرع، حيث يكون كرمي رع بالحجارة موجبا لفساد الزرع.

٤ ـ (ولا تجعل ماءهُ علينا أُجاجا)؛ الأُجاج: الماء الشديد الملوحة[1]. لملوحة تفسد الزرع؛ حيث يفتقر الزرع إلى الماء الصالح، لا المالح.

وهذه جماع صفات غير مطلوبة في السقي، أكّد عليها الإمام عليه السلام في هذا مقطع.

١٠/٦ ـ بركات الأرض]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ[2]، وَأرْزُقْنا مِنْ بَرَكاتِ سَّماواتِ وَالأَرْضِ، إنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ.

وقد ختم دعاء الاستسقاء بهذا المقطع الداعي إلى تعميم بركات الأرض، لبركة هي الزيادة والنماء للخير؛ فإن السقي بالصفات المطلوبة فيه وتجنّب

---

[1] فإن الله الذي ينزل الماء حلواً يمكنه أن يجعله مالحاً زعاقاً، كما أشار إليه سبحانه في قوله: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ * ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾؟ المزن: السحاب، ويشير به سبحانه إلى أنه هو الذي أوجد في الطبيعة أسباب المطر، والمعنى: وهذا الماء الذي هو أصل الحياة، ولا غنى عنه بحال، هذا الماء من الذي أوجد أسبابه في الطبيعة وأحكمها؟ أنتم أم الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا؟ وقد نبه سبحانه في كثير من الآيات إلى أنه يحيي الموتى تماما كما يحيي الأرض بالمطر: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (القرآن الكريم، سورة فصلت٤١: ٣٩). ثم عقّب سبحانه ذلك بقوله: ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ والأجاج هو الماء الذي بلغت ملوحته حدا جعله مرا كالعلقم، والمعنى: لو أراد اللّه أن يجعل الماء ملحا أجاجاً لا ينتفع به في شرب ولا زرع لفعل، ولكن جعله عذباً فراتاً رفقاً بكم ورحمة لكم، ومع ان هذه النعمة تستوجب الشكر بطبعها فإن اللّه يجزي الشاكرين. (راجع: التفسير الكاشف ـ لمحمد جواد مغنية ـ ج٧ ـ ص٢٢٨ ـ ٢٢٩).

[2] العبارة في (ق) (ت) هكذا: «أللّهُمَّ صَلِّ عَلى مَحمَّد وآلِهِ».

الصفات غير المطلوبة يوجب عموم البركة والخير على الأرض كلّه، وذلك لأن زيادة الثروة الطبيعية من المياه انما هي بداية سلسلة مترابطة من الأسباب والمسببات، حيث ان الماء هو أساس الحياة ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾[1] وهو موثر في زيادة الثروة النباتية، وهي بدورها تؤثر في الثروة الحيوانية، وهي بدورها تؤثر في الحياة الإنسانية والحياة بصفة عامة، فإذا تحقق ذلك في جزء خاص من الأرض فإنه يغني أهل تلك المنطقة من الحاجة الماديّة إلى غيرها، فيكون لها الكفاية الذاتية، وإذا تحقق ذلك في كل جزء من أجزاء الأرض كان ذلك تعميما للبركة على جميع أقطار الأرض بحكم قانون العرض والطلب، فيكون النتيجة رخص الأسعار، وكثرة الثمار. وبالنتيجة تعميم الصحة والسلامة وطول الاعمار في كل الأقطار، والله على كل شيء قدير.

---

(١) القرآن الكريم، سورة الأنبياء ٢١: ٣٠.

[الدُّعاء المتمّم للعشرين]

وَكانَ مِنْ دُعائِهِ عليه السلام في مكارم الأخلاق ومرضيّ الأفعال[1]

[١/٢٠ ـ درجات الأعمال]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ[2]بلِّغْ بِإيْمَانِي أكْمَلَ الإيْمَانِ، وَاجْعَلْ يَقِيْنِي أفْضَلَ اليَقَيْنِ[3] وانْتَهِ بِنِيَّتِي إلى أحْسَنِ النِيَّاتِ[4]،

---

(١) وردَ هذا الدُّعاء في (ك) برقم (٣٦)، بعنوان: «ومن دعائه عليه السلام إذا خصّ نفسه»، وفي (ش) بالرقم (٣٨) بعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام إذَا خصّ نفسه»، وفي (ج) بعنوان: «العشرون: وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام في مكارم الأخلاق ومرضيّ الأفعال»، وفي (ق) (ت) بعنوان (العشرون)، وتحته عنوان: «في مكارم الأخلاق»، وفي (ف) بدون رقم وبعنوان: «وكان مِنْ دُعائِهِ صلوات الله عليه لنفسه إذَا خصّها بالدعاء»، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (٢٠)، بعنوان: «دُعاؤهُ في مكارم الأخلاق»، هذا وقد وردت مقاطع هذا الدعاء في النسخ بتقديمٍ وتأخيرٍ كثيرٍ، ونحن نقتصر على ذكر الاختلافات في الفقرات والكلمات حسب ورودها بتَرتيب المشهورة.

(٢) في (ق) (ت) العبارة هكذا: «اللهم صلّ على محمّد وآل محمد، و»، ولم ترد في (ك) (ش) عبارة: «صلّ على محمّد وآله و»، وفيهما العبارة هكذا: «ألّلهُمَّ أبلغ»، وأبلغ، أي أوصل.

(٣) في (ك) (ش) (ف) العبارة هكذا: «أوفرَ اليَقَيْنِ». اعلم أنّ لليقين مراتب: أولاها: علم اليقين، وهو مايحصل بواسطة الاخبار عن الشيء. وثانيها: عين اليقين، وهو ما يحصل بالرؤية. وثالثها: حقُّ اليقين، وهو أن يعيش اليقين ويتّحد بهِ، كمن يسمع بحدوث حريق، ثمّ يرى الحريق من قرب فيكون معاينا، ثمّ ان يكون هو الذي أحدثَ الحريق فيتحقق عنده. فالأولان قابلان للترديد بحصول سبب الشكِّ، بخلاف الأخيرة، وهو أوفر اليقين.

(٤) للنية أقسام باعتبار الغاية، فهي امَّا قبيحة أو حسنة، ومن الحسن ما كان غايتهُ أمراً اخروياً كالجنة وخوف النار، والأحسنِ ماكان غايتهُ الله تعالى، لا خوف النار ولا الطمع في الجنة. كما قال علي صلوات اللّه عليه «ما عبدتك خوفا من نارك ولا شوقا إلى جنتك بل =

وَبِعَمَلِي إلى أحْسَنِ[(١)] الأعْمَالِ.

يستفتح الدعاء بدرجات الأعمال من أضعفها إلى أعلاها، وبينها مراتب، والذي يتقرب إلى الله سبحانه يسير في هذه الدرجات المتتالية حتى يصل إلى أكملها في سيره التكاملي من الأسفار الأربعة الإلهيّة على ما هو مشروح في علم الاخلاق، وقد نبّه عليه السلام في هذا المقطع على الغاية المطلوبة من بعض الأفعال الاساسية في السير التكاملي، وهي:

١ ـ (أكمل الإيمان)، فإن أي عمل بدون ايمان كامل يكون ناقصاً بنفس الدرجة، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[(٢)].

٢ ـ (أفضل اليقين)، وهو العلم بالجزم والقطع، وهو على ثلاثة أنواع:

أ ـ علم اليقين، المبتني على الاستدلال.

ب ـ وحق اليقين، المبتني على الاستدلال المقرون بشواهد حسّية.

ج ـ وعين اليقين، وهو المأخوذ من المشاهدة، على ما هو مفصل في علم الأخلاق، فهو أفضل اليقين.

٣ ـ (أحسن النيات)، فإذا كانت النية هي المقوّمة للعمل وخاصة العبادي منه، فأحسن النيات ما لا يشوبه شيء، بل يكون خالصا لوجه الله الكريم.

٤ ـ (أحسن الأعمال)، فإذا اجتمعت الاركان الثلاثة الأولى يكون العمل علة تامة لكونه أحسن الأعمال؛ لاجتماع صفات الكمال فيه، ومن هذه المبادئ الأساسية يتفرّع أعمال الخير.

وجدتك أهلا للعبادة فعبدتك». (راجع: التنقيح الرائع لمختصر الشرائع، للمقداد السيوري ١: ٢١، عن البحار ٩ / ٥١١ ط الكمباني).

(١) في (ك): «وبعملي أحسن». وأحسن، منصوب بنزع الخافض، وفي «ط» والرضوية: «وَبِعَمَلِي إلى أحْسَنِ».

(٢) القرآن الكريم، سورة المجادلة ٥٨: ١١.

٢/٢٠ ـ حسن النيّة]:

أللّهُمَّ وَفِّر(١) بِلُطفِكَ نِيَّتِي(٢)، وَصَحِّح بِمَا عِندَكَ يَقِينِي(٣) وَاستَصلِح(٤) بِقُدرَتِكَ مَا فَسَدَ مِنِّي.

---

١) في (ت): «ثقتي»، وفي (ف): «أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَوفق»، وفي (ج): «وفر»، وفي حاشية (ج) في نسخة: «وفّر»، وفي (س): «الموفور: الشيء التام». (حاشية ابن إدريس: ١٧٧)، وفي حاشية (د) ما نصه: «وفر الشيء يفر ـ من باب وعد ـ وفورا: تمّ وكمل، ووفرته وفرا ـ من باب وعد ـ أيضا أتممته وأكملته، يتعدّى ولا يتعدّى، والمصدر فارق، ويتعدّى بالتثقيل أيضا مبالغة. قال أبو زيد: وفّرت له طعامه توفيرا: إذا أتممته ولم تنقصه. والرواية في الدعاء بوجهين، أحدهما: وفّر بالتثقيل، فتكون الواو فاء الفعل. والثاني: وفر بالتخفيف، من وفرته كوعدته، فتكون الواو عاطفة، وعين الفعل محذوفة، لأنّها تحذف حذفا مطّردا في الأمر من باب وعد، حملا على المضارع ذي الياء منه. والمعنى على الوجهين: اجعل نيّتي تامّة كاملة بكونها خالصة لوجهك الكريم، من غير نقص فيها بشوب غرض آخر، ويجوز أن يكون توفير النيّة بمعنى صيانتها ووقايتها، من وفرت عرضه وفرا ووفّرته توفيرا، أي: صنته ووقيته من الثلب والعيب. والمعنى: صن نيّتي وقها من أن تثلب وتعاب برياء ونحوه. وفي رواية بعض النسخ: «وفرّه» بفتح الفاء وتشديد الراء المهملة وكسرها وبعدها هاء ساكنة: فعل أمر من الفراهة. قال ابن الأثير في النهاية: دابة فارهة أي: نشيطة جادّة قويّة، وقد فرهت فراهة وفراهيّة، انتهى. وهو إمّا استعارة تبعيّة، بأنّ شبّه إحداث حالة في نيّته حاملة لها على الخفّة في الانبعاث نحو الخيرات، بالمعنى المصدري الحقيقي للتفريه الذي هو تنشيط الدابّة للسير، بجامع عدم الكلال في التوجّه نحو المطلوب، فاستعار له لفظ التفريه، ثمّ اشتقّ منه الفعل، على ما قرّروه في معنى الاستعارة التبعيّة. أو استعارة مكنيّة تخييليّة، بأن أضمر في نفسه تشبيه النيّة بالدابّة في قيامها بالمنوي وتحمّلها له، كما قالوا: لا يعجز البدن عمّا قامت به النيّة، ولم يصرّح بغير المشبّه، ودلّ عليه بذكر ما يخصّ المشبّه به وهو التفريه. ومن عجيب ما وقع لبعض المترجمين هنا: أنّه ظنّ أنّ الهاء ـ في هذه الرواية ـ ضميرا متّصلا بفعل الأمر من التوفير، فقال: مرجع الضمير النيّة بتأويل المذكور، و«نيّتي» بدل من الضمير في «وفّره»، انتهى. وهو خبط أوقعه فيه التصحيف المذكور. من الشرح ملخصا». (رياض السالكين ٣: ٢٩٠).

(٢) أي اجعل نيتي خالصاً لوجهكَ الكريم بلطفِكَ.

(٣) أي اجعل يقيني بِكَ صحيحاً ثابتاً لا يعتريهِ شكٌ.

(٤) في (ك): «وَأَصْلِحْ». واستصلح: اجعل ما فسدَ من عملي وفكري صالحا بلطفِكَ وقدرتكَ.

وكل ذلك لا يتحقق من دون إرادة الله سبحانه لتحسينها، فهو المستعان في:

١ ـ توفير النية الحسنة بلطفه العميم.

٢ ـ تصحيح اليقين بما لديه من الحكمة.

٣ ـ الاستصلاح لأمور الداعي الفاسدة بقدرته تعالى الّتي تفوق كل قدرة.

[٣/٢٠ ـ الأولويات]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاكْفِنِي مَا يشْغلنِي الاهْتِمَامُ بِهِ(١)، وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَا(٢) تَسْألُنِي غَدَاً عَنْهُ(٣)، وَاستَفْرِغْ(٤) أيَّامِي فِيْمَا خَلَقْتَنِي لَهُ(٥)، وَأغْنِنِي(٦)، وَأوْسِعْ عَلَيَّ(٧) فِي رِزقِكَ(٨)، وَلَا تَفْتِنِّي بالنَّظَرِ(٩)،

---

(١) لم ترد في (ك) عبارة: «صلِّ على محمّد وآله»، وفي (ش) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ ما يشغلني...». وقوله: «اكفني...»، أي تولَّ كفايتي في كلِّ ما يشغلني الاهتمام بهِ عن طاعتِكَ وعبادتِكَ حتى أتفرّغ لعبادتِكَ.

(٢) في (ك): «واستعملني لِمَا»، وفي (ش): «واستعملني فيه بِمَا».

(٣) أي وجّهني لأن أعمل ما ينفعني غداً في مقام الحساب، من القيام بالواجبات والحقوق الّتي سوف تسألني عنها.

(٤) في (س): «استفرغت أيّامي في كذا: إذا كانت بجميعها مبذولة فيه. س». (حاشية ابن إدريس: ١٧٧).

(٥) ما خلقتني لهُ: هو العبادة للهِ سبحانهُ.

(٦) لم ترد في (ك): «وأغنني»، ولم ترد في (ق) عبارة: «وَاستَفْرِغْ أيَّامِي فِيْمَا خَلَقْتَنِي لَهُ، وَأغنني».

(٧) في (ك) (ش) (ق) (ت): «وَوسِّعْ».

(٨) لم ترد في (ك) (ش) (ق) (ت): «في رزقك»، والعبارة في (ف) هكذا: «وَاستَفْرِغْ أيَّامِي فِيْمَا خَلَقْتَنِي لَهُ، وَوسِعْعَلَيَّ وَأغنني».

(٩) كذا في (ك) (ش) (ق)، وفي غيرها: «بالبطر»، وفي حاشية (ج): «بالنظر، بالبطر - معا»، وفي حاشية (د)ما نصه: «البطر بالباء الموحّدة والطاء المهملة المفتوحة والراء المهملة: الطغيان بالنعمة، وهو رذيلة الإفراط من فضيلة الغنى، كما قال تعالى: ﴿...إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ * أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾. (سورة العلق ٩٦: ٦ و٧)، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾. (سورة الشورى ٤٢: ٢٧). و«بالنظر» بالنون والظاء المعجمة مفتوحة. قيل: هو بمعنى الانتظار، أي: لا تفتنّي بانتظار حصول الرزق، بل عجّل لي بالغنى والسعة. وقيل: هو بمعنى الإبصار، أي: لا تفتنّي بالنظر والالتفات إلى ما في =

وَأعِزَّنِي[(١)] وَلَا تَبْتَلِيَنِّي[(٢)] بالكِبْرِ[(٣)]، وَعَبِّدْنِي لَكَ، وَلَا تُفْسِدْ عِبَادَتِي بالعُجْبِ[(٤)]، وَأجْرِ للنَّاسِ عَلَى يَدِيَّ الخَيْرَ[(٥)]، وَلَا تَمْحَقْهُ[(٦)] بالمَنِّ[(٧)]، وَهَبْ لِي مَعَالِي الأخْلَاقِ، وَاعْصِمْنِي مِنَ الفَخْرِ[(٨)].

أيدي الناس من متاع الدنيا، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾. (سورة طه ٢٠: ١٣١) نهى سبحانه نبيّه عن النظر بطريق الرغبة والميل إلى ما متّع به أصنافا من الكفرة، من زهرة الحياة الدنيا وزينتها وزخارفها، تحذيرا من الميل إلى الزخارف الدنيويّة، ولقد شدّد العلماء المتّقون في وجوب غضّ البصر عن أبنية الظلمة وملابسهم ومراكبهم، لأنّهم اتخذوها لعيون النّظارة، فالناظر إليها محصّل لغرضهم، فيكون إغراء لهم على اتّخاذها. من الشرح ملخصا». (رياض السالكين ٣: ٢٩٤). والبطر: الطغيان بسبب النعمة، فهو يسأل النعمة الواسعة على أن لا يعقبها البطر. والفتنة: الضلال عن الحقّ والخروج عن الطاعة. ويستعمل النظر في الإمهال والتسويف، كما في قوله تعالى: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ (سورة البقرة ٢: ٢٨٠) والمعنى: لا تفتني بالإنظار والإمهال في العقوبة ليسبب ذلك لي الطغيان والبطر.

(١) في (ت): «وأعرني»، وفي (ك) (ف): «وَأعْزِزْنِي».

(٢) في (ت): «ولا تفتنّي»، وفي (ش) (ق) (ف): «ولا تبتلني»، وفي حاشية (ج) (د): «تبتلِنِي ـ س».

(٣) في (س): «الكِبر: التكبّر. س». (حاشية ابن إدريس: ١٧٧).

(٤) في (س): «والعُجب: هو أن يحصل للعابد في نفسه أنه عَبدَ كثيراً. س». (حاشية ابن إدريس: ١٧٨).

(٥) في (ك): «على يدي الخير»، أي اجعلني سبباً لجريان فضلِكَ على الناس، وهذا تحريض منهُ عليه السلام على الاحسان والكرم والجود وغيرها من الفضائل.

(٦) الإمحاق: إذهاب الشيء وأثره، والمراد محق أجره وإبطال ثوابه.

(٧) في (س): «المنّ: القطع، ويقال: النقص، ومنه قوله تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (سورة فصلت ٤١: ٨) ومنّ عليه: أنعم عليه، ومنّ عليه مِنّة: أي امتنّ عليه، يقال: المنية تهدم الصنيعة». (حاشية ابن إدريس: ١٧٨).

(٨) في (س): «الفخر والافتخار: عدّ الصفات الحسنة». (حاشية ابن إدريس: ١٧٨)، ومعالي الأخلاق: المحاسن ومكارم الأخلاق، والفخر: إدّعاء العظمة والتكبُّر على الناسِ، فهو عليه السلام يذكِّر الإنسان بالنعم وما يمكن أن يعقبها من المفاسد، فالسعة آفتها البطر، والعزة آفتها الكبر، والعبادة آفتها العُجب، والإحسان آفته المنّ، وحسن الخلق آفتهُ الفخر.

وبما أنّ مكارم الأخلاق كثيرة، اقتصر عليه السلام في هذا المقطع على ما له الأولوية في حياة الإنسان بالنسبة إلى نفسه ومجتمعه، وهي:

١ ـ كفاية العمل، فإن طاقة الإنسان محدودة، فلا بد له من الاشتغال بما يهمّه، فيكون في الدرجة الأولى عليه: كفاية العمل على الوجه الأكمل الوافي بالغرض المطلوب.

٢ ـ العمل بالواجب المسؤول عنه في المستقبل، دون الأعمال الّتي لا يسأل عنها.

٣ ـ استفراغ الجهد الإنساني في العمل، فإن الله خلق كل إنسان لدور يقوم به في المجتمع حسب طاقته وجهده، والمطلوب استفراغ الجهد في تحقيق ذلك.

٤ ـ الغنى، فإن أي عمل من دون مساندة ماديّة لا يكون ناجحاً؛ فإن الفقر كاد أن يكون كفراً.

٥ ـ التوسعة في الرزق، وذلك زيادة على الغنى؛ فإن التوسعة توجب سعة الإنسان في المساهمة الماديّة في أعمال الخير.

٦ ـ عدم البطر، وهو الطغيان الحاصل عادة عند الغنى، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ * أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾[1] وقد ذكرت في «أوضح البيان»[2] ان المراد ليس الغنى المالي فقط، بل الاستغناء بمعناه اللغوي، وهو عدم الحاجة إلى الشيء، كما هو الحال في الصحيح المستغني عن الدواء، والشاب المستغني عمّا يفتقر اليه الشيخ... وهكذا.

ووردت العبارة في نسخة: «ولا تفتني بالنظر»، وقد فسرها الشارح بقوله: «لاتفتنّي بانتظار حصول الرزق»[3]، والمعنيان من موارد الفتنة والامتحان.

٧ ـ عدم الكبر، أي التجبّر المترتب على حصول التوسعة والغنى عادة؛ فإنه بلاء يمتحن به الأغنياء عادة.

٨ ـ العبادة لله، فإن بها يرتفع الكبر والبطر إذا لم يكن هناك ما يفسدها.

---

(١) القرآن الكريم، سورة العلق: ٦ ـ ٧.

(٢) راجع: أوضح البيان في تفسير القرآن، للمؤلف دام ظله: تفسير سورة العلق.

(٣) رياض السالكين ٣: ٢٥٤.

٩ ـ عدم العجب؛ فإنه من موارد الامتحان للصالحين، حيث يوسوس الشيطان لهم بالعجب، وبذلك يفسد عبادتهم.

١٠ ـ عمل الخير، بأن يكون الإنسان واسطة في تحقيق الخير في المجتمع، من الصدقات واعمال الخير.

١١ ـ عدم المّن في الأعمال الخيريّة؛ فانها واجبات إسلامية؛ وليست فضلا حتى يمّن بها على غيره.

١٢ ـ التزين بمعالي الأخلاق، أي الأخلاق الرفيعة الّتي لها أولوية في الحياة، على انها واجبات أيضاً.

١٣ ـ عدم الفخر في التحلّي بهذه الصفات الأخلاقية؛ فإن الفخر يسلب عنها صفة الأخلاقية.

وبالجملة: هذه الصفات الأخلاقية لها الأولوية فيما إذا لم تنقلب إلى الضد مما يفسدها؛ فإن كل عمل لا يستند إلى رضى الله فيها يكون انحرافاً عن دوره الإسلامي المطلوب في الفرد والمجتمع.

[٤/٢٠ ـ مسؤوليّة النفس]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ[١] لا تَرْفَعْنِي فِي النَّاسِ دَرَجَةً إلَّا حَطَطْتَنِي[٢] عِنْدَ نَفْسِي مِثْلَهَا. وَلَا تُحْدِثْ لِي عِزّاً ظَاهِراً إلَّا أحَدَثْتَ[٣] لِي ذِلَّةً بَاطِنَةً عِنْدَ نَفْسِي[٤] بِقَدَرِهَا[٥].

وحيث ان هذه الأولويات لا يمكن تحقيقها بدون الشعور بالمسؤولية للذات

---

(١) لم ترد في (ك) (ش) عبارة: «صلّ على محمّد وآله، و»، وفي (ف) العبارة هكذا: «أللهم صلّ على محمّد وآل محمد، و».

(٢) حططتني: نزّلتني خفضتني.

(٣) في (ك): «إلّا حدَّثْتَ»، وحدَّثت وأحدثت بمعنى أوجدت وجدّدت.

(٤) لم ترد في (ك): «عند نفسي».

(٥) في (ك): «بِقَدْرِهِ»، وفي (ش): «بقدرها»، وفي حاشية (ج): «بِقَدْرِها، بِقَدِرِها ـ معا»، ولم ترد في (ف): «عند نفسي بقدرها».

بأداء دورها في الحياة، تكفل هذا المقطع مسؤولية النفس في تعديل سلوكها الإسلامي وتصفيتها عن البطر والكبر والعجب وما شابه من الصفات الرذيلة ليتوازن سلوكها، وقد خص منها مظهرين لهما أكبر الأثر في السلوك، وهما:

أولاً: الرفعة في الناس بسبب العلم أو الجاه أو المال أو أي سبب يوجب اعتبار الإنسان، وتجعله شخصية متميّزة في المجتمع؛ فإن هذه الرفعة في أعين الناس لابد وان يتزامن مع درجة مكافئة من الحطة والضعة في النفس؛ لئلا يؤدّي إلى البطر والكبر والعجب وما شابه.

ثانياً: العز الظاهر في العيان وان لم يعتبرها الناس رفعة، فإن النعمة الظاهرة تكون عادة محسودة، فإنّ كل ذي نعمة محسود، ويكون ذلك سبباً لتحرك عوامل الحسد في الآخرين، فإذا قورن بذلّة باطنة في النفس، متكافئة بقدر تلك العزة، يكون هذا التوازن واقياً من عوامل الحسد، أو غير مهيّج لها، فيعيش في وقاية من الآثار العكسية الّتي تترتب عادة على الحسد.

[٢٠/٥ ـ الهداية الإلهيّة]:

أَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ[١]، وَمَتِّعْنِي[٢] بِهُدَىً صالِحٍ لا أَسْتَبْدِلُ بِهِ، وَطَرِيْقَةِ[٣] حَقٍّ لَا أَزِيْغُ[٤] عَنْهَا، وَنِيَّةِ رُشْدٍ لَا أَشُكُّ فِيهَا[٥]، وَعَمِّرْنِي[٦] مَا كَانَ عُمرِي[٧] بِذْلَةً[٨] فِي طَاعَتِكَ، فَإِذَا

---

(١) في (ق) العبارة هكذا: «اللهم صلّ على محمّد وآل محمد»، ولم ترد في (ك) (ش) عبارة: «صلّ على محمّد وآله».

(٢) متِّعني: انفعني زماناً طويلاً، والهدى: السيرة والطريقة.

(٣) الطريقة: المذهب والحالة.

(٤) في حاشية (ج): «أي لا أميل»، والزيغ: الميل، أي لا أميل عن الطريقة الصالحة.

(٥) في (ف) العبارة هكذا: «لا أنْفَكُّ عنْهَا»، وفي (ك) العبارة هكذا: «لا أنْفَتِلُ مِنْها»، وانفتل: انصرف، والرُشد: الصواب والحق.

(٦) في (ف): «ومدّ لي في عمري».

(٧) لم ترد في (ف): «عمري».

(٨) حاشية (ج): «أي مبذولاً»، وفي (س): «بذلة: أي مبذولاً. س». (حاشية ابن إدريس: ١٧٨).

انَ عُمْرِي مَرْتَعاً[١] للشَّيْطانِ فَاقْبِضْني إليْكَ قَبْلَ أنْ يَسْبِقَ مَقْتُكَ[٢] يَّ، أو يَسْتَحْكِمِ[٣] غَضَبُكَ عَلَيَّ.

ولا يمكن القيام بالمسؤولية إلّا بالهداية الإلهيّة، وبما ان الهداية الصالحة تقوم بعمادين هما: إراءة الطريق من الله سبحانه، والسلوك في ذلك الطريق من الإنسان، تضمن هذا المقطع اهم النقاط فيها:

١ ـ الهدى الصالح، وهو الذي لا يستبدله الإنسان بشيء آخر.

٢ ـ طريقة حق، وهو الذي يلزم على الإنسان سلوكه بنفسه، فلا يزيغ، أي يميل عنها.

٣ ـ نية رشد، وهي ما لا يشك فيه الإنسان.

وقد بين القرآن الكريم والسنة المطهرة الخطوط العامة لهذه النقاط، ولا يبقى أمام الإنسان سوى سلوكها أو رفضها.

وبما ان الرفض يستلزم المقت من الله والغضب على الإنسان، فإذا لم يتمكن الإنسان من طاعة الله بالسلوك في طريق الهداية يكون كالإنسان الميّت الذي لا يهتدي بالنور الإلهي، فيكون العمر حينئذ مرتعاً للشيطان كالأنعام الّتي ترتع كيف شاءت من دون تحمّل أية مسؤولية في الحياة، فهذه الحالة هي الموت الروحي.

وعلى العكس طاعة الله سبحانه، فإن فيها حياة القلب وعمارة الروح وقيام الإنسان بمسؤولياته في الحياة تجاه نفسه واسرته ومجتمعه.

---

(١) في (س): «رتعت الماشية ترتع رتوعاً: أي أكلت ما شاءت، واسم المكان منه: مرتع». (حاشية ابن إدريس: ١٧٨)، والمرتع: محلّ الرعي وموضع الرتوع، وهو استعارة للعمر المصروف في طاعة الشيطان باعتبار كونهِ مباحاً مطلقاً لهُ. (رياض السالكين ٣: ٣١٢).

(٢) في (ت): «تسبق مقتك»، وفي (ف): «يسبق نقمتك»، والمقت: أشدُّ البغض، وفي (س): «مقته مقتاً، أي أبغضه». (حاشية ابن إدريس: ١٧٨).

(٣) في (ك) (ش) (ق) (ت): «ويستحكم»، والاستحكام: التمكّن، ومنهُ استحكام المرض: وهو ثبوتهُ وعدم زواله إلّا نادراً.

[٦/٢٠ ـ موارد إصلاح النفس]:

أللّهُمَّ لَا تَدَعْ خَصْلَةً[(١)] تُعَابُ مِنِّي إلَّا أصْلَحْتَهَا، وَلَا عَائِبَةً[(٢)] اُؤَنَّبُ[(٣)] بِهَا[(٤)] إلَّا حَسَّنْتَهَا[(٥)]، وَلَا أُكْرُومَةً[(٦)] فِيَّ[(٧)] نَاقِصَةً[(٨)] إلَّا

---

(١) في (ف) العبارة هكذا: «اللهم صل على محمد وآله، ولا تدع خصلة»، والخصلة: الخلّة والحالة، وجملة «تعاب» في محل نصب صفة لخصلة.

(٢) في (ت): «غايبةً».

(٣) كذا في (ش)، وفي غير (ش): «أونبُ»، وفي (ف): «أؤبنُ»، أي أُوبّخ وأُلام، من التوبيخ واللّوم.

(٤) في (ق): «فيها».

(٥) في (ش): «أحسنتها».

(٦) في (س): «الأكرومة من الكرمَ كالأعجوبة من العَجَب». (حاشية ابن إدريس: ١٧٨)، وهي اسم من الكرم، أي فعل الكرم.

(٧) في (ف): «ناقصة فيّ»، ولم ترد في (ق) (ت): «فيّ».والسيد علي خان يقول: «وفي» ظرفيّة مجازيّة، دخلت على ياء المتكلّم وأدغمت الياء في الياء، وهي متعلّقة بمحذوف وقع صفة لأكرومة، أي أكرومة كائنة. وناقصة بالنصب: صفة أخرى لها. (رياض السالكين٣: ٣١٦ ـ ٣١٩).

(٨) وفي حاشية (د) ما نصه: «قال السيد باقر الداماد: إنّ الصواب رواية ودراية كون «في» بسكون الياء، وهو حرف جرّ، وناقصة بالخفض مجرور به، وهي صفة لموصوف محذوف، أي: في مرتبة ناقصة غير تامّة، أو في ملابسة رذيلة ناقصة للأكرومة، أي: مخرجة لها عن تمام درجتها وكمال مرتبتها، على أنّها فاعلة من نقص المتعدّي، فتكون الأكرومة منقوصة بها. قال: هذا إذا حملنا «ناقصة» على اسم الفاعل، وأمّا إذا حملناها على المصدر كالفاتحة والعافية والكاذبة، فالمعنى: ولا أكرومة في نقصان إلّا أزحت نقصانها وأتممت كمالها. ثمّ شنّع على من ضبط «فيّ» بتشديد الياء ونصب «ناقصة»، فقال: ومن القاصرين في عصرنا من لم يكن يستطيع إلى إدراك الغامضات والتفصية عن مضائق المعضلات سبيلا، فحرّفها إلى «فيّ ناقصة» بإضافة «في» إلى ياء المتكلّم والتشديد للإدغام، ونصب «ناقصة» على أنّها صفة «أكرومة» المنصوبة على المفعوليّة، فنشأ ذلك التحريف في النسخ الحديثة المستنسخة، ولم يفطن لما فيه من الفساد من وجهين، الأوّل: أنّ قضيّة العطف على خصلة في الجملة الأولى، مقتضاها أنّ تقدير الكلام: ولا تدع منّي أكرومة فيّ ناقصة، فيجتمع منّي وفي، فيرجع إلى هجنة وخيمة. الثاني: أنّ الفصل بين الموصوف والصفة بالجارّة ومجرورها ممّا يعدّ هجينا، =

أتْمَمْتَهَا(١).

ويفتقر الإنسان في سيرة التكاملي إلى ثلاث نقاط أساسية، هي:

١ ـ الإصلاح في الخصال الموجبة للعيب في شخص الداعي، سواءً كانت موجبة للعيب في غيره أيضاً، أو لا.

٢ ـ التحسين في الخصال ذات عيب لكل أحد، بما فيهم الداعي، فلا يؤنّب أحداً من أجلها.

فلا تكن من القاصرين، انتهى بنصّه. قال السيد علي خان: وهي قعاقع ليس لها طائل. أمّا كون الصواب رواية ما ذكره فغير مسلّم، إذ قد ثبت في عدّة نسخ ما زعم أنّه تحريف، ومنها ما نسخ قبل عصره بنحو أربعمائة عام، كما في النسخة التي هي بخطّ الياقوت المستعصمي، ونسخة أخرى قديمة تاريخ نسخها سنة اثنين وسبع مائة، فكيف يدّعي أنّ ذلك تحريف وقع من بعض القاصرين في عصره؟. وأمّا كونه دراية فغير صحيح، وما ذكره من الوجهين باطلان. أمّا الأوّل وهو اجتماع منّي وفيّ، فمدفوع، أوّلا: بأنّ العطف هنا من باب عطف الجمل لا المفردات، وذلك بتقدير عامل مدلول عليه بما قبله، والتقدير: ولا تدع أكرومة فيّ ناقصة، فلا يلزم اجتماع الظرفين. وثانيا: على تسليم كونه من عطف المفردات، بأنّه إنّما يلزم ذلك إذا جعل الظرف ـ أعني منّي ـ متعلّقا ب «لا تدع»، ضرورة اقتضاء العطف اشتراك المتعاطفين في النسبة المفيدة، ونحن نمنع تعلّقه بذلك، بل هو متعلّق بـ «تعاب»، فهو من تمام الجملة الواقعة صفة لخصلة، أو بمحذوف واقع صفة لها أو حالا منها، والعطف لا يقتضي إثبات ما للمعطوف من صفة ونحوها للمعطوف عليه، كقولك: لا تضرب زيدا الفاضل ولا عمرا، فإن اقتضاه في بعض الصور فبالقرينة لا بالوضع، فيقدّر لدلالة المقام عليه، كقولك: لا تنفق درهما زائفا ولا دينارا، أي: زائفا. فإن وقع في صريح كلام يغني عن تقديره لم يقدّر، كقولك: لا تنفق درهما زائفا ولا دينارا رديّا، فلا يحتاج إلى تقدير زائف هنا، حتّى يلزم منه اجتماع زائف ورديّ وهما بمعنى، وما نحن فيه من هذا القبيل، فإنّ «فيّ» الواقعة صفة لأكرومة أغنت عن تقدير منّي، فلا يلزم اجتماعهما. وأمّا الوجه الثاني، وهو الفصل بين الموصوف والصفة بالجارّة ومجرورها، فمردود بأنّه لا فصل هنا أصلا، بل الجارّ والمجرور صفة لأكرومة، وناقصة صفة أخرى لها كما تقدّم، فهو من باب تعدّد الصفات، فهو كقوله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (سورة البقرة ٢: ٤٩). من الشرح ملخصا». (رياض السالكين ٣: ٣١٦-٣١٩).

(١) في (ق) (ت): «إلّا تمّمتها».

٣ ـ اتمام الخصال الحسنة الّتي تعتبر من المكارم، والتي توجد في الداعي بدرجة غير وافية.

فان الإنسان يفتقر إلى هذه النقاط في سيرة التكاملي، ولا يكون ذلك إلّا بمعونة الله.

هذا كله في إصلاح النفس بما هو تحت اختيار الإنسان نفسه من الحوادث الاختيارية.

[٧/٢٠ ـ الحوادث غير الاختيارية]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ[١] أبْدِلْنِي مِنْ بِغْضَةِ أهْلِ الشَّنْآنِ[٢] المَحَبَّةَ، وَمِنْ حَسَدِ أهْلِ البَغْيِ[٣] المَوَدَّةَ، وَمِنْ ظِنَّةِ[٤] أهْلِ الصَّلاحِ الثِّقَةَ، وَمِنْ عَدَاوَةِ الأدْنَيْنَ الوَلَايَةَ[٥]، وَمِنْ عُقُوقِ[٦] ذَوِي الأرْحَامِ المَبَرَّةَ[٧]، وَمَنْ خِذْلانِ الأقْرَبِيْنَ النُّصْرَةَ، وَمِنْ حُبِّ[٨] المدارِينَ[٩] تَصْحِيْحَ المِقَةِ[١٠]، وَمِنْ

---

(١) لم ترد في (ك) (ش) عبارة: «صلّ على محمّد وآله و».

(٢) في (ف): «أهل السيئات»، والبغضة: شدة البغض، والشنآن: العداوة المختلطة بالبغض، وفي (س): «الشنئان ـ بالفتح -: البغض». (حاشية ابن إدريس: ١٧٨).

(٣) الظلم والتعدي والاستطالة.

(٤) في حاشية (ج): «أي تهمة»، والظنة: عدم الثقة.

(٥) الولاية: المحبة والودّ.

(٦) في (س): «عق والده يعق عقوقاً ومعقّة فهو عاقّ. أي سبّه وشتمه. س». (حاشية ابن إدريس: ١٧٩).

(٧) في (ش): «البر»، والمبرَّة: الصلة.

(٨) في (ت): «ومن خبء»، وفي (ك): «خِبِّ»، وفي حاشية (ج)في نسخة: «خِبِّ»، والخبِّ: الخداع، يُقال: خبَّ الرجل إذا صار خدّاعاً، وخبَّ الرجل: إذا منعَ ما عندهُ.

(٩) في (ك): «المؤاربين»، وفي (ف): «المرائين»، وفي (ش): «المذّاقين»، والمؤارب: المداهي والمخاتل.

(١٠) في (ج): «المقة»، وفي (ف): «الثقة»، وفي حاشية (ج): «المقة، الثقة ـ معا ـ س»، =

ـدِّ(١) المُلابِسِيْنَ(٢) كَرَمَ(٣) العِشْرَةِ(٤)، وَمِنْ مَرَارَة خَوْفِ الظَّالِمِيْنَ حَلَاوَةَ الأمْنَةِ(٥).

وطبيعيّ ان حالات الافتقار إلى الإصلاح لا تختص بما هو تحت اختيار الإنسان، بل قد تكون خارجة عن اختياره ممّا يؤثر في نفسية الإنسان، وقد يؤثر في سلوكه، فيفتقر الإنسان إلى محاولة الإصلاح في مواقفه الّتي تكون ردّ فعل عليها، وقد سرد الإمام عليه السلام في هذا المقطع منها:

١ ـ بغض الأعداء، فإن الشنآن هو البغض، فمن تتوجّه اليه سهام الأعداء يفتقر إلى المحبّة، والله المسؤول ان يبدّل هذا البغض بضّده وهو المحبّة.

وفي (د): «المقة»، وفي حاشية (د): «الثقة ـ س»، والمقة: المحبَّة، وفي (س): «المِقة: المحبّة، والهاء عوض من الواو». (حاشية ابن إدريس: ١٧٩).

(١) في (ت): «ومن ردى»، وفي (ك): «وَمِنْ دره»، وفي (ش): «ومن مدق»، والدرء: من المدارأة، وهي المخالفة والمدافعة، والملابس: المعاشر والمخالط، يريد عليه السلام: أبدلني من عدم قبول المخالطين لي ومدافعتهم ومخالفتهم لي، كرم العشرة، وهو حسنها ولطفها.

(٢) في (س): «لابست الأمر: خالطته، ولا بستَ فلاناً: عرفت باطنه». (حاشية ابن إدريس: ١٧٩).

(٣) في حاشية (ج): «أي حُسن».

(٤) في (ق) (ك) (ت) العبارة هكذا: «كَرَم العشيرَةِ»، وفي حاشية (ك) في نسخة: «العشرة»، وفي (س): «المعاشرة: المخالطة، وكذلك التعاشر، والاسم: العِشرة». (حاشية ابن إدريس: ١٧٩).

(٥) في (ج): «الأَمَنَةِ»، وفي (ف): «الأمن»، وفي حاشية (ج): «الآمِنَةِ ـ س»، والأمنة: الأمن، وفي حاشية (د)ما نصه: «الظاهر من جميع هذه الفقرات من حيث المعنى إضافة المصدر إلى الفاعل، نظما للكلام في سلك واحد، وأما أن تكون من باب الإضافة إلى المفعول. فهي وان استقامت في الفقرات المتوسطة، ولكن يحتاج الى ارتكاب التكلّف في التوالي، ولا بدَّ منه في الفقرة الأخيرة، وقال السيد علي خان في شرحه: إضافة مدخول «من» في هذه الفقرات ما عدا الأخيرة، تحتمل أن تكون من باب الإضافة إلى الفاعل، وأن تكون من باب الإضافة إلى المفعول. وقد يرجّح الثاني بمناسبته لعنوان الدعاء من كونه لطلب مكارم الأخلاق، ليكون الغرض من الدعاء إبدال ما ساء من أخلاقه بالحسن، على أنّ جعله من الأوّل لا ينافي عنوان الدعاء، إذا حمل الإبدال على معنى طلب الاستعداد للتخلّق بما يقتضي الإبدال. من الشرح ملخصا». (رياض السالكين ٣: ٣٢٦).

٢ ـ حسد البغاة، وهو أمر طبيعي فيهم، فلا يُردّ ذلك إلّا بمودّة من الله سبحانه.

٣ ـ سوء الظن من اهل الصلاح لمن ليس بمستواهم في السير التكاملي، وهذا يفتقر إلى قدرة الله تعالى في صرفه.

٤ ـ عداوة الأقربين للإنسان؛ لعوامل الحسد وما شابه، وهذه لا تجبر إلّا بولاية الله وبارادة من الله سبحانه.

٥ ـ عقوق ذوي الأرحام ممّن يهمل واجبات صلة الرحم؛ فانها لا تجبر إلّا بالمبرّة، والتي تتحقق بارادة من الله سبحانه.

٦ ـ خذلان الأقرباء في موارد الحاجة إلى المساعدة؛ فانها لا تجبر إلّا بالنصر بارادة من الله سبحانه.

٧ ـ حب المدارين من الذين يظهرون المداراة والمجاملة في حين لا يؤمنون بها، فيكون الحب زائفاً ويفتقر إلى التصحيح بالمقة، أي المحبة الحقيقيّة.

٨ ـ ردّ الملابسين، أي اهانة الذين يلابسون، أي يخالطون الإنسان في حياته؛ فإن اهانة هؤلاء لا تكون أكثر احراجاً من إهانة الغرباء، فيفتقر تبديلها إلى حسن الصحبة والعشرة بارادة الله تعالى.

٩ ـ خوف الظالمين، وفي ذلك مرارة عميقة في نفس المظلوم، ويفتقر إلى تبديله بحلاوة الأمن.

ولا يتحقق شيء من الأمور المتقدمة إلّا بارادة الله تعالى الذي هو على كلّ شيء قدير.

[٨/٢٠ ـ الحصانة من الله]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ(١) اجْعَلْ لِي يَداً(٢) عَلَى مَنْ

---

(١) في (ق) العبارة هكذا: «اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمد، و»، ولم ترد في (ك) (ش) عبارة: «صلّ على محمّد وآله و».

(٢) في (ق) العبارة هكذا: «واجعل يدا لي»، واليد ـ هنا ـ: القدرة والقوة.

ظَلَمَنِي، وَلِسَاناً عَلَى مَنْ خَاصَمَنِي، وَظَفَراً[١] بِمَنْ عَانَدَنِي[٢]، وَهَبْ لِي مَكْراً[٣] عَلَى مَنْ كَايَدَنِي[٤]، وَقُدرةً[٥] عَلَى مَنِ اضْطَهَدَنِي[٦]، وتكْذِيْباً لِمَنْ قَصَبَنِي[٧]، وَسَلامَةً مِمَّنْ توَعَّدَنِي[٨]، وَوَفِّقْني لِطَاعَةِ مَنْ سَدَّدَني[٩]، وَمُتَابعَةِ مَنْ أرْشَدَنِي[١٠].

ويفتقر الإنسان في هذه الحوادث غير الاختيارية إلى حصانة شخصية لمقاومتها وردعها، وخص هذا المقطع منها أموراً:

١ ـ القدرة على دفع الظالم، واللجأ إلى الله سبحانه في ذلك.

٢ ـ افحام المخاصم بمحاجته باللسان؛ لكي يرتدع عن خصومته.

٣ ـ الظفر بالمعاند، فإنه عادة يهمل مسؤولياته، فيمكن الظفر عليه.

٤ ـ مكر الماكر الذي يكيد، أي يخدع، فلّابد من مقاومته بأسلوبه لردع كيده.

٥ ـ مقاومة الاضطهاد، فإن القدرة على المضطهد في نفسها وسيلة ناجعة في الردع، حيث أنه لا يؤمن إلّا بها.

---

(١) في (س): «الظفر: الفوز». (حاشية ابن إدريس: ١٧٩).

(٢) في (س): «عند يعنِد ـ بالكسر ـ عنوداً، أي خالف وردّ الحق وهو يعرفه، فهو عنيد وعاند». (حاشية ابن إدريس: ١٧٩).

(٣) في (ف): «نكيرا»، ومكراً: علاجاً واحتيالاً بالحُسنى، وفي (س): «المكر: الاحتيال والخديعة». (حاشية ابن إدريس: ١٧٩).

(٤) كايدني: مكرَ بي وخدعني.

(٥) في (ك): «وقوّة»، وفي (ف): «قوّة وقدرة».

(٦) في (س): «ضهدته فهو مضهود ومضطهد، أي مقهور مضطر». (حاشية ابن إدريس: ١٧٩).

(٧) في (ت): «نصبني»، وفي (ف): «فصدني»، وفي حاشية (ج): «أعابني»، وفي (س): «قصبه: أي عابه». (حاشية ابن إدريس: ١٧٩).

(٨) في (ك) (ش) العبارة هكذا: «مِمَّنْ أوعَدَنِي»، وأوعدني: هدَّدني.

(٩) سدّدني: وفَّقني وأرشدني إلى السداد، أي الصواب.

(١٠) في (ف): «وَمُتَابعَةِ لِمَنْ أَرْشَدَ».

٦ ـ تكذيب الشاتم؛ فإن القصب بمعنى القطع والشتم.

٧ ـ السلامة من المتوعد؛ لأن التوعّد حالة غير طبيعية قد تنجر إلى وسوسة الشيطان بتنفيذه.

٨ ـ التوفيق لطاعة من يستحق الطاعة من البشر، وهم صنفان: من يسدد الإنسان في سلوكه، أي يقوّمه لتجنب الأخطاء في الحياة. ومن يرشد الإنسان إلى عمل الخير.

وكل هذا النقاط تفتقر إلى حصانة من الله سبحانه؛ إذ قد يزلق الإنسان في تحديدها ويتجاوز إلى ما لم يقصده بوسوسة الشيطان في التعدّي عمّا هو المطلوب.

[٩/٢٠ ـ المعارضة بالأحسن]:

أَللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَسَدِّدْنِي[١] لأَنْ أُعَارِضَ[٢] مَنْ غَشَّنِي[٣] بالنُّصْحِ، وَأَجْزِي مَنْ هَجَرَنِي بالبِرِّ[٤]، وَأُثِيْبَ[٥] مَنْ حَرَمَنِي بالبَذْلِ[٦]، وَأُكَافِئَ[٧] مَنْ قَطَعَنِي بالصِّلَةِ[٨]، وأُخَالِفَ مَن اغْتَابَنِي إلى حُسْنِ الذِّكْرِ، وَأَنْ أَشْكُرَ الحَسَنَةَ[٩]، وَأُغْضِي[١٠] عَنِ السَّيِّئَةِ[١١].

---

(١) لم ترد في (ك) (ش) عبارة: «صلِّ على محمّد وآله وسددني»، وفي (ف): «وَسددني ووفقنيَ».

(٢) أعارض: أُقابل.

(٣) في (س): «الغشّ: خلاف النصح». (حاشية ابن إدريس: ١٧٩).

(٤) هجرني: قاطعني ورفضني، والبر: الصلة والخير.

(٥) في (ف): «وَأنيب».

(٦) البذل: الإعطاء عن طيب نفس.

(٧) في (ج) (س) (ت): «أكافي»، والمكافأةوالمكافاة: المجازاة.

(٨) في (ف): «بالوَصل».

(٩) في (ش): «بالحسنة».

(١٠) في (س): «الإغضاء: إدناء الجفون بعضها من بعض». (حاشية ابن إدريس: ١٨٠).

(١١) في (ت): «السية»، وفي (ك) العبارة هكذا: «وَأغضي على السيئة»، والمعنى: أحلم وأعفو.

وهذا المقطع يسرد من مكارم الأخلاق ما يقتضي المعارضة بالأفضل والأحسن، لا التعامل بالمثل، حيث ان المعارضة بالمثل ليس من مكارم الأخلاق، فيجب تجنّبها لمن يسير في مسلك التكامل، وقد نص المقطع على ردّ المعارضة بنقاط، هي:

١ ـ النصح لمن غش.

٢ ـ الجزاء لمن هجر بالبر.

٣ ـ البذل لمن منع.

٤ ـ الصلة لمن قطع.

٥ ـ حسن الذكر لمن اغتاب.

٦ ـ الشكر على الحسنة.

٧ ـ الحلم عن السيئة.

وانما ذكر الشكر والحلم من موارد المعارضة، لأن في طبيعة الإنسان نكران الإحسان، كما ورد في كلام السلف: «اتّق شرّ من أحسنت إليه»[١] وكذلك في طبيعة الإنسان: المؤاخذة على السيئة بما يتصوّره عدلاً.

وهذه الأخلاق الفاضلة تكشف عن تقدّم السالك في درجات الكمال، حيث يتجرد فيها عن الصفات الّتي تعمّ البشر، ويسمو نحو صفات الإنسان الكامل المطلوب في السير التكاملي.

[٢٠/١٠ـ صفات مطلوبة]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ[٢] حَلِّنِي[٣] بِحِلْيَةِ

(١) كشف الخفاء؛ للعجلوني ١: ٤٣.

(٢) في (ق) العبارة هكذا: «اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمد، و»، ولم ترد في (ك) (ش) عبارة: «صلّ على محمّد وآله و».

(٣) في حاشية (ج) في نسخة: «وزيّني»، وفي (س): «الحلية: ما يتزيّن به، ومنه سيف محلّى. س». (حاشية ابن إدريس: ١٨٠).

الصَّالِحِيْنَ[١]، وَألْبِسْنِي زِيْنَةَ[٢] المُتَقِيْنَ[٣] فِي بَسْطِ العَدلِ[٤]، وَكَظْمِ الغَيْظِ[٥]، وإطْفَاءِ[٦] النَّائِرَةِ، وَضَمِّ أهْلِ الفُرْقَةِ[٧]، وَإصْلَاحِ ذَاتِ البَيْنِ، وَإفْشَاءِ العَارِفَةِ[٨]، وَسَتْرِ العَائِبَةِ[٩]، وَلِينِ العَرِيكَةِ[١٠]، وَخَفْضِ الجَنَاحِ[١١]، وَحُسْنِ السِّيْرَةِ، وَسُكُونِ الرِّيْحِ[١٢]، وَطِيبِ المُخَالَقَةِ[١٣]، والسَّبْقِ إلى الفَضِيْلَةِ[١٤]، وَإيْثَارِ التَّفَضُّلِ[١٥]، وتَرْكِ التَّعْيِيْرِ[١٦]، والإفْضَالِ عَلَى غَيْرِ[١٧]

---

(١) في (ك) العبارة هكذا: «المؤمنين»، أي زيّني بزينة أهل الصلاح والإيمان والتقوى.

(٢) في (ق) (ت) العبارة هكذا: «وزينّي بزينة».

(٣) في (ش): «اليقين».

(٤) في (ك) (ش) العبارة هكذا: «فِي بَسْطِ العَفوِ»، وبسط العدل: نشرهُ، ومثله بسط العفو.

(٥) كظم الغيظ: ضبط النفس عندَ الغضب.

(٦) أي إخماد العداوة الواقعة بين الناس.

(٧) الضمّ: الجمع، وأهل الفرقة: أرباب القلوب المتباغضة.

(٨) في حاشية (ج): «أي المعروف»، والإفشاء: الإظهار، والعارفة: المعروف، وهو الخير والإحسان.

(٩) في الاصل: «العائبة» و«العايبة» معاً، وهي الخصلة ذات العيب.

(١٠) لين العريكة: التواضع وقلّة الخلاف، والعريكة: الطبيعة.

(١١) خفض الجناح: استعارة عن التواضع.

(١٢) في (ف): «وسكون الروع»، وسكون الريح: كناية عن الوقار والرزانة، والريح: كناية عن الدولة والغلبة والنصرة والصولة. والروع: الفزع.

(١٣) في (ف) (ت) العبارة هكذا: «وَطِيبِ المُخَالَفَةِ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «وإطْفَاءِ النَّائِرَةِ، وَلِيْنِ العَرِيْكَةِ، وَخَفْضِ الجَنَاحِ، وَحُسْنِ السِّيْرَةِ، وَسُكُونِ الرِّيْحِ، وَطِيبِ المُخَالَقَةِ»، والمخالقة: من الخلق، والمخالطة: المعاشرة بخلق حسن.

(١٤) في (ق) العبارة هكذا: «والسبق إلى الفضائل».

(١٥) الإيثار: الاختيار والتفضيل، والتفضُّل: فعل ما لا يلزم من الإحسان، ويعبَّر عنهُ بالتطوّل.

(١٦) في (ك) (ق) (ت) العبارة هكذا: «وتَرْكِ التَّقْتِيرِ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «وتَرْكِ التَّغْيِيرِ» وفي حاشية (ك) في نسخة: «وترك التَّعْيِيرِ». والتعيير: النسبة إلى العار والشنار.

(١٧) لم ترد في (ف) (ت): «غير».

المُسْتَحِقِّ[(١)]، وَالقَوْلِ بالحَقِّ وَإِنْ عَزَّ[(٢)]، وَاسْتِقْلَالِ[(٣)] الخَيْرِ وإِنْ كَثُرَ مِن قَوْلِي وَفِعلِي[(٤)]، واسْتِكْثَارِ الشّر وإِنْ قَلَّ مِن قَولِي وَفِعلِي[(٥)]، وأكْمِل ذَلِكَ[(٦)] لِي[(٧)] بِدَاوَمِ الطَّاعَةِ، وَلُزُومِ الجَمَاعَةِ، وَرَفْضِ أهل[(٨)] البِدَعِ ومسْتَعْمِلِي[(٩)] الرَّأْيِ المُخْتَرَعِ.

يستعرض هذا المقطع الصفات المطلوبة للإنسان المسؤول في سلوك جادة التكامل، وهي أن يتحلى بما يلي:

١ ـ حلية الصالحين؛ فإن التشبّه بالكرام فلاح؛ لأداء الحقوق المسؤولة عنها في النفس والأُسرة والمجتمع.

٢ ـ زينة المتقين زيادة على التقوى.

٣ ـ بسط العدل في المجتمع كما في الأُسرة.

٤ ـ كظم الغيظ عمّا تكرهه النفس.

---

(١) في حاشية (د) ما نصه: «معطوف على «التعيير»، والمعنى ترك الافضال على من لا يستأهله، لكونه إسرافاً وتبذيراً. كذا في شرح السيد علي خان رحمه الله. ويحتمل العطف على السبق إلى الفضيلة، والافضال على غير المستحق لا ينحصر في الاسراف». (رياض السالكين ٣: ٣٥١).

(٢) في (ك) العبارة هكذا: «وَالقَولِ بالحَقِّ وَإِنْ ضَرَّ، وَالصَّمْتِ عَنِ البَاطِلِ وإِنْ نَفَعَ»، وفي حاشية (ج) في نسخة: «وَالقَولِ بالحَقِّ وَإِنْ ضرّ، والصمت عن الباطل وإن نفع».

(٣) استقلال الخير: عدّ الخير قليلاً وإن كثُر.

(٤) لم ترد في (ك) (ش) (ف): «مِن قَولِي وَفِعلَي».

(٥) لم ترد في (ق) (ت): «قَولِي وَ»، ولم ترد في (ك) (ش) (ف): «مِن قَولِي وَفِعلِي»، واستكثار الشر: عدّ الشرّ كثيراً وان كان قليلاً.

(٦) أي اجعل ما ذكرتهُ كاملاً بأن توفّقني لدوام الطاعة و... الخ.

(٧) لم ترد في (ت): «لِي».

(٨) لم ترد في (ك): «أهل»، والبدع: الأُمور المحدثة في الدين ممّا لم تكن، أو كل ما خالف شريعة النبي (صلى الله عليه وآله).

(٩) كذا في (ق)، وفي (ج): «ومستعمل»، وفي (ك) (ش) (ف): «واستعمال»، واستعمال الرأي: العمل بالرأي المخترع، وهو ما يخترعهُ الإنسان من دون استناد إلى سنّة.

٥ ـ اطفاء النائرة، أي العداوة.

٦ ـ ضم اهل الفرقة، أي ايجاد وحدة الكلمة بين الجميع ضمن الخطوط العامة المتفق عليها.

٧ ـ الإصلاح بين القوم فيما فسد.

٨ ـ افشاء العارفة، أي اشاعة العمل المعروف لما فيه خير العامة.

٩ ـ ستر العائبة، أي العيوب؛ فإن الله ستّار للعيوب.

١٠ ـ لين العريكة، وهي الطبيعة.

١١ ـ خفض الجناح بالتواضع.

١٢ ـ حسن السيرة، وهي الطريقة الّتي يسير بها الإنسان.

١٣ ـ سكون الريح، وهي كناية عن الوقار. والريح كناية عن الخفة والحركة.

١٤ ـ طيب المخالقة، أي المعاشرة.

١٥ ـ السبق إلى الفضيلة، أي الدرجة العالية من الفضل.

١٦ ـ ايثار التفضّل، أي اختيار ما لا يلزم من الاحسان.

١٧ ـ ترك التعيير، أي نسبة الآخرين إلى العار.

١٨ ـ ترك الافضال على غير المستحق، فإنه وضع للشيء في غير موضعه.

١٩ ـ القول بالحقّ وان عزّ، أي وان كان ذلك شاقّاً لندرته وصعوبته.

٢٠ ـ استقلال الخير وان كثر من القول أو الفعل؛ فإن كثرته قليل أمام نعمة الحياة التي انعم الله بها.

٢١ ـ استكثار الشرّ وإن قلّ؛ لأنّ قليله يخلّف آثاراً على النفس والمجتمع، وفي الحاضر والمستقبل.

٢٢ ـ دوام الطاعة؛ فإن الأعمال بخواتيمها.

٢٣ ـ لزوم الجماعة حيث تكون جمع خير وصلاح.

٢٤ ـ رفض أهل البدع؛ فإنهم لا يدخلون في جمع الخير لمكان البدعة، وهي ادخال ما ليس من الدين في الدين، ورفضهم يستلزم عدم المخالطة معهم.

٢٥ ـ رفض مستعملي الرأي المخترع، وهذا يختلف عمّا سبق من رفض اهل البدع، لوضوح مكانة البدعة في ذلك دون هذا، فإن من يستعمل الرأي في الدين انما يدّعي كون الرأي هو بيان ما يستفاد من الدين، ولا يعترف بانه بدعة.

خلاف ما سبق، وقد فند هذه الدعوى بقوله عليه السلام: «المخترع» فإنه لا محيص مستعمل الرأي من الاعتراف بأنّ الرأي مخترع لم يكن في الكتاب ولا السنة، كونه مخترعاً، أي مرتجلا يساوق كونه بدعة بلا فرق بينهما.

٢٠/١١ـ صفات معوّقة]:

أَللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ(١) اجْعَلْ أَوْسَعَ رِزْقِكَ عَلَيَّ إِذَا كَبِرْتُ، وَأَقْوَى قُوَّتِكَ فِيَّ إِذَا نَصِبْتُ(٢)، وَلَا تَبْتَلِيَنِي(٣) بِالكَسَلِ(٤) عَنْ عِبَادَتِكَ، وَلَا الْعَمَى(٥) عَنْ سَبِيلِكَ(٦)، وَلَا بِالتَّعَرُّضِ(٧) لِخِلَافِ(٨) مَحَبَّتِكَ(٩)، وَلَا مُجَامَعَةِ مَنْ تَفَرَّقَ عَنْكَ(١٠)، وَلَا مُفَارَقَةِ(١١) مَنِ اجْتَمَعَ إِلَيْكَ(١٢).

---

(١) لم ترد في (ك) (ش) عبارة: «صلّ على محمّد وآله و».

(٢) في (ك) العبارة هكذا: «وَأَقْوَى قُوَّتِكَ إِذَا فَنِيْتُ»، وفي (ش) (ف) العبارة هكذا: «وَأَقْوَى قُوَّتِكَ فيّ إِذَا فَنِيْتُ»، وفنيت: هرمت، يُقال للشيخ الكبير الهمّ: فانٍ، لزوال قواهُ ودنوِّه من الفناء، والنصب: التعب، ويراد به الكبر، والهرم: الشيخوخة.

(٣) في (ت) وحاشية (ج): «ولا تبتلني ـ س»، وفي (ف): «ولا بدل» كذا، ولعل الصحيح: «ولا تدل»، من الدولة، وهي السلطة والاستحواذ، كما سيأتي في (ك) (ش).

(٤) في (ك) (ش) العبارة هكذا: «وَلا تُدِلْ عليّ الكسل»، ولا تدل: أي لا تغلب، من الدولة، وهي الغلبة والنصر.

(٥) المراد بالعمى ـ هنا ـ: الضلال والغواية، وهي استعارة.

(٦) في (ك) العبارة هكذا: «ولَا العَمَى عَنْ سنّتِكَ».

(٧) في (ت): «التعرّض».

(٨) في (ق): «بخلاف».

(٩) في (ك) العبارة هكذا: «وَلا التَّعَرُّضَ لخلاف محبّتك»، وفي (ش) (ف) العبارة هكذا: «وَلا التَّعَرُّضَ بخلاف محبّتك». والتعرُّض: التصدّي أو الطلب، وخلاف المحبة: الذهاب إلى غير ما يرضاهُ الله سبحانهُ.

(١٠) في (ف): «من يقترن عليك».

(١١) في (ت): «ولا مقاومة».

(١٢) في (ف): «ولا مُفَارَقَةَ مَنْ اجْتَمَعَ لَكَ»، وفي (ك) (ش) العبارة هكذا: «وَلَا مجامعة من تفرّق عليك، ولا مُفَارَقَةَ مَنْ اجْتَمَعَ لَكَ»، والمجامعة: الاجتماع والمساعدة مع من تفرّق عن حبل الله.

ويتعرض هذا المقطع إلى سرد بعض الصفات المعوقة في السير إلى التكامل، وهي:

١ ـ الكبر، أي طول البقاء، وقد قال تعالى: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ﴾[1]، ويزداد الإنسان حاجة في كبره إلى الرزق والصحة والمال، أكثر مما يحتاج اليه في حال الشباب.

٢ ـ النصب، أي التعب، وهو من آثار الكبر؛ حيث يفتقر إلى قوّة بدنيّة وروحية.

٣ ـ الكسل في العبادة، بسبب فقدان القدرة الجسمية أو الجهل؛ لاهميتهما في الحياة الروحية.

٤ ـ الجهل بالطريق المستقيم وسلوك غيره، كالأعمى السالك على غير هدى.

٥ ـ التعدّي لخلاف محبة الله، سواءً كان فيه سخطه تعالى أو عدم رضاه.

٦ ـ مجامعة من تفرّق عن الله وسلك مسالك الشيطان، ومنها الدخول في الأحزاب الشيطانية.

٧ ـ مفارقة من اجتمع في الله من الصالحين، ويكون الأمن من ذلك بالدخول في جمع الصالحين.

فإنّ هذه الأمور تعدّ من المعوّقات عن السير التكاملي مهما صفت النية وخلصت الطويّة، فانها تعوّق المسيرة إلّا بارادة الله تعالى الذي هو على كل شيء قدير.

[١٢/٢٠ ـ الإعتماد على الله]:

اللّهُمَّ اجْعَلْنِي أصُولُ[2] بِكَ عِنْدَ الضَّرُورَةِ، وأسأَلُكَ[3] عِنْدَ

---

(١) القرآن الكريم، سورة يس ٣٦: ٦٨.

(٢) في (ف): «اللهم صل على محمد وآله، واجعلني أصول بَكَ»، وأصول: أتحرك واعتمد، أي لا يكون معتمدي غيركَ عند الضرورة.

(٣) في (ك) (ت): «وأسئُلك».

الحَاجَةِ، وَأَتَضَرَّعُ إِلَيْكَ[(١)] عِنْدَ المَسْكَنَةِ[(٢)]، وَلَا تَفْتِنِّي[(٣)] بالاسْتِعَانَةِ بِغَيْرِكَ[(٤)] إذَا اضْطررْتُ، وَلا بالخُضُوعِ لِسُؤَالِ غَيرِكَ[(٥)] إذَا افْتَقَرْتُ، وَلا بالتَّضَرُعِ[(٦)] إلى مَنْ دُونَكَ إذَا رَهِبْتُ[(٧)]، فأَسْتَحِقّ بِذَلِكَ خِذْلانَكَ وَمَنْعَكَ[(٨)] وَإِعْرَاضَكَ، يا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ[(٩)].

وغاية السالك هو التقرب إلى الله سبحانه فلابّد ان يكون هو الملجأ في كل حركة في السلوك، ومنها:

١ ـ الهجوم على الأعداء بالاستعانة بالله فقط عند الضرورة اليها، والصولة هي الحملة والوثبة.

٢ ـ السؤال من الله فقط عند الحاجة، فلا سؤال من غيره قط، ولا منه تعالى عند عدم الحاجة.

٣ ـ التضرّع عند المسكنة، وهي الذلّ، بالتوجه إلى الله وحده، دون غيره.

---

(١) لم ترد في (ت): «إليك».

(٢) التضرُّع: الخضوع والذل، والمسكنة: الفقر وسوء الحال.

(٣) في حاشية (ج): «أي ولا تمتحني»، والفتنة: الاختبار والامتحان.

(٤) لم ترد في (ش): «بغيرك».

(٥) في (ف): «ولا التعرض بسواك»، وفي (ش): «وَلا بالخُضُوعِ والتعرض لِسُؤَالِ غَيرِكَ».

(٦) في (ش): «ولا التجأ».

(٧) في (ت) العبارة هكذا: «وَلَا بالتضرع إلى من دونكَ إذَا وُهبتُ»، وفي (ك) العبارة هكذا: «وَلَا بالتضرع إلى من دونكَ إذَا دُهِيتُ»، وفي (ف) العبارة هكذا: «وَلَا بالتضرع إلى من دونكَ إذَا اقتدرت ودُهِيتُ»، وفي حاشية (ج)في نسخة: «اذا دهيت»، وفي (ك) العبارة هكذا: «وَلَا تَفْتِنِّي بالاسْتِعَانَةِ بِغَيْرِكَ إذَا اضْطررْتُ، وَالتعرض لسواك إذا افتقرت والخُضُوع لِمن هو دونكَ إذَا دُهِيتُ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «وَلَا تَفْتِنِّي بالاسْتِعَانَةِ بِغَيْرِكَ إِذَا اضْطررْتُ، وَالتعرض لسؤال غيرك إذا افتقرت والخُضُوعِ لِمن هو دونكَ إِذَا دُهِيتُ»، و«دهيت»: أي أُصبت بالداهية، وهي الأمر العظيم، والمنكرَ من الأُمور.

(٨) في (ش): «ومقتك».

(٩) في (ك) (ف) لم ترد: «يا أَرْحَمَ الراحمين»، والخذلان: الاهمال وترك العناية، والمنع: الحرمان، والإعراض: مجاز عن الاستهانة والسخط.

وهذه الحالات الثلاث تنبىءُ عن قوة الارادة والشخصية الّتي لا تتأثر بالعوامل الماديّة المستخدمة من البشر لإخضاع الإنسان وارغامه على التبعية، في الحالات المعاكسة لها، ومنها:

١ ـ الاستعانة بغير الله في حالة الاضطرار.

٢ ـ والخضوع بالسؤال من غير الله عند الفقر، أي الحاجة.

٣ ـ والتضرع إلى البشر عند الرهبة والخوف، وهو نتيجة للذّل.

فان هذه الحالات العكسيّة تستلزم ان يترك الله سبحانه الإنسان وشأنه، وهذا هو الخذلان. ونتيجة ذلك المنع من الاعانة حيث يتوجه الإنسان إلى من يراه أفضل في تأمين حاجته، وترك الله الإنسان وشأنه إعراض عنه قد يتحقق بسوء اختيار الإنسان نفسه.

فإذا كان الإنسان صاحب شخصية قوية فإنه لن يعتمد إلّاعلى الله ولا يستعين بغيره حتى في حالة الاضطرار؛ لعلمه بأن البشر عادة لا يتعامل إلّا على اساس المصالح الشخصية والماديّة، فإذا فقدت فانّه لا يستجيب لطلب الاستعانة حتى في حالة الاضطرار، بل يستخدم هذه الحالة للضغط على المضطر لغرض زيادة الخضوع والتضرّع والذلّ ليصبح كالكلب الجائع الذي لا محيص له سوى التبعيّة، واما الله سبحانه فهو على العكس، فإنه يوجّه الإنسان لاستخدام عقله وفكره لبناء مستقبله بيده، فهو أولى بالسؤال والتضرع والاستعانة من غيره.

[١٣/٢٠ـ وسائل الشيطان]:

أللّهُمَّ اجْعَلْ[١] مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِي رَوْعِي[٢] مِنَ التَمَنِّي[٣]،

---

(١) في (ف): «أللّهمّ صلّ على محمّدٍ وآل محمّدٍ، وَاجعل»، وجعل، بمعنى صيّر أو بدّل، يقال: جعل الطين خزفاً والقبيح حسناً: أي صيَّرهُ.

(٢) في حاشية (ج): «الصحاح: الروع بالضم: العقل والقلب، يقال: وقع ذلك في روعي، أي في خلدي وبالي، وفي الحديث: إن الروح الأمين نفث في روعي»، أي: في نفسي وخلدي والروح الأمين جبرائيل. (وراجع: الصحاح ـ روع ـ ٣: ١٢٢٣).

(٣) قوله: «من التمني»، في حاشية (ج): «أي الكذب».

وَالتَّظَنِّي[١]، وَالحَسَدِ[٢]، ذِكْراً لِعَظَمَتِكَ، وَتَفَكُّراً فِي قُدْرَتِكَ[٣]، وَتَدْبِيْراً[٤] عَلَى عَدُوِّكَ[٥]. وَمَا أجْرَى[٦] على[٧] لِسَانِي مِنْ لَفْظَةِ فُحْشٍ[٨] أوْ هُجْرٍ[٩] أوْ شَتْمِ عِرْضٍ[١٠]، أوْ شَهَادَةِ بَاطِلٍ، أوِ اغْتِيَابِ مُؤمِنٍ غَائِبٍ[١١]، أوْ سَبِّ حاضِرٍ، ومَا أشْبَهَ ذَلِكَ[١٢]، نُطْقاً[١٣] بالحَمْدِ لَكَ،

---

(١) في (ف) العبارة هكذا: «مِن فكر التَمَنِّي والظَنّ»، وفي (ك) العبارة هكذا: «مِن فكر التَمَنِّي وعوج التَظَنِّي»، وفي (ش) العبارة هكذا: «مِن فكرة التَمَنِّي والتَظَنِّي»، والتمنّي: التشهّي وحديث النفس بحصول ما لا يكون، والتظنّي: استعمال الظن، وأصلهُ التظنن، وعوج التظنّي: أعمال الظن في غير محلّه.

(٢) الحسد: تمنّي زوال نعمة المحسود وتحولها إلى الحاسد، وفي (ف) هنا زيادة عبارة: «وَمَا أجْرَي مِنْ لَفْظَةِ فُحْش أو هُجْر أو شَتْمِ عِرْض، أو شَهَادَةِ بَاطِل، ومَا أشْبَهَ ذَلِكَ».

(٣) في (ش) العبارة هكذا: «لقدرتك».

(٤) في (ق) (ت) العبارة هكذا: «وتدميرا»، والتدبير: النظر في العاقبة، وهو قريب من التفكّر. أي أللّهُمَّ اجعل ما سبقَ ذكرهُ نظراً في ما يؤول إليهِ أمر العصاة والمعرضين عنكَ من العذاب والجحيم.

(٥) في (ك) زيادة العبارة التالية: «وَتَدْمِيْراً لِمَنْ عَنَدَ عَنْكَ»، وتدميراً: أي إهلاكاً، ومن عَندَ عن الله: العاصي والمعاند للحقِ.

(٦) في حاشية (ج): «ما جرى ـ س».

(٧) في (ش) العبارة هكذا: «وَمَا أجْرَى عليه». وفاعل أجرى «الشيطان» الذي تقدَّمَ ذكرهُ في أوَّل الفقرة.

(٨) لم ترد في (ش): «فحش»، والفحش: التعدّي في القول والجواب بما ينفر عنهُ الطبع السليم.

(٩) في (ك): «أو نطق هجر»، والهجر: القبيح، والإفحاش في النطق: إكثار الكلام فيما لا ينبغي.

(١٠) العِرض: ما يلزم على الإنسان صونه من حسب أو نسب، وشتم العرض: التعرض لذلكَ بالقبيح.

(١١) في (ك) (ش): «أو اغتياب غائب».

(١٢) العبارة من قوله: «وما أجرى» إلى هنا، لم ترد في (ف).

(١٣) في (ت) العبارة هكذا: «تلطّفاً»، و «نطقاً» مفعول «اجعل» المتقدم في أوَّل الفقرة، والحمدُ: الوصف الجميل على جهة التعظيم.

وَإِغْرَاقاً[١] فِي الثَّنَاءِ عَلَيْكَ[٢]، وَذَهَاباً[٣] فِي تَمْجِيْدِكَ، وَشُكْراً لِنِعَمَتِكَ[٤]، وَاعترافاً بِإحسَانِكَ، وَإِحْصَاءً[٥] لِمِنَنِكَ[٦].

حيث إنّ الشيء بالشيء يذكر، فالسالك في مسيرة الكمال الإنسان يتذكر بعض وسائل الشيطان لاغواء الإنسان، مذكّراً بأضدادها الّتي فيها رضى الرحمن؛ ويجعلها وسيلة لذكر عظمة الله الذي جعل للإنسان مقدرة لمعرفة تلك الوسائل الشيطانية، والذي انعم عليه بالفكر الحر للعلم بقدرة الله على نقض تلك الوسائل. وأنّ الذي دبّر أمور الحياة وجعل اختيار الصحيح والفاسد منها بيد الإنسان هو الذي علمه البيان ليقاوم الشيطان ووسائله، وقد خصّ منها في هذا المقطع ما يلي:

١ ـ التمنّي، وهو طلب ما لا يمكن؛ فإن الشيطان يوقع في روع الإنسان، أي قلبه، إمكان تحصيله؛ ليذهب عمره هباءً.

٢ ـ التظني، وهو إعمال الظن في الأُمور من دون تثبّت فيها؛ فإن ﴿ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾[٧].

٣ ـ الحسد، وهو طلب زوال النعمة عن الآخرين، وهو ضياع لوقت الحاسد، فإنه لو بذل الوقت لتحصيل مثلها لنفسه لكان أفضل من تضييع وقته في التفكير والعمل على زوال النعمة عن غيره.

---

(١) في (ك): «واعترافاً»، والاغراق: المبالغة والاطناب في الثناء والمدح.

(٢) العبارة في (ف) هنا هكذا: «وَاعترافا في الثناء عليك».

(٣) الذهاب: التوغُّل والإمعان في الشيء، والتمجيد: التعظيم والثناء بإظهار الشرف والكرم.

(٤) في (ك): «لنعمك».

(٥) الإحصاء: العدّ والحفظ، والمنن: جمع المنة، وهيالنعمة، والمراد باحصائها ـ هنا ـ: عدم الكفر بها، وعدم إهمال شكرها.

(٦) في (ت) العبارة هكذا: «لمنّتك»، ولم ترد في (ق): «لمننك»، وفي حاشية (ج): «لمنتك ـ س»، والعبارة في (ف)هنا هكذا: «وَذَهَاباً فِي تَمْجِيْدِكَ وَشُكْرَك، وَاعترافاً بِنعمتِكَ، وَإِحْصَاءً لِمِنَنِكَ».

(٧) القرآن الكريم، سورة يونس ١٠: ٣٦.

٤ ـ الفحش، وهو القول السّيىء؛ فإنه يكشف عن نفسية القائل اكثر من أي شخص آخر.

٥ ـ الهُجر، وهو الهذيان؛ لانه لا يستند إلى ما ينبغي للعاقل.

٦ ـ الشتم، وهو الوصف بما فيه ازراء ونقص وشتم العِرْض للآخرين، كذا الازراء بالحسب.

٧ ـ شهادة باطل، وهي الاخبار عن مشاهدة ما لم يتحقق.

٨ ـ اغتياب مؤمن غائب، وهو ذكر الشخص بما يكرهه لو سمع، مما يكون به من الصفات.

٩ ـ السب لشخص حاضر، وهو الشتم بمخاطبته بالقول المزري له.

١٠ ـ وما أشبه ذلك من وسائل الشيطان الّتي لا تدخل تحت حصر؛ لاختلافها بحسب الأماكن والازمان والعادات والتقاليد.

والمدعو هو ان يجعل الله هذه الوسائل الّتي يلقيها الشيطان في قلب الإنسان تنقلب إلى وسائل ضد ما يقصده الشيطان، وذلك بأن تقابل بحمد الله والثناء عليه، وتمجيده تعالى، والشكر لنعمه، والاعتراف بالاحسان، وعدّ النعم؛ فإن في هذه النقاط نقضاً لكل الوسائل الشيطانية.

٢٠/١٤ـ ردع الشيطان]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ[١] لَا أُظْلَمَنَّ وَأَنْتَ مُطِيقٌ لِلدَّفعِ عَنِّي[٢]، ولا أظلِمنَّ وأنتَ القَادِرُ[٣] عَلَى القَبْضِ مِنِّي[٤]،

---

(١) لم ترد في (ك) (ش) عبارة: «صلّ على محمّد وآله و».

(٢) لم ترد في (ش): «عني».

(٣) في (ك) (ش): «وأنت قادر».

(٤) في (ق) (ت) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَلا أظلِمنَّ وأنتَ قَادِرٌ عَلَى القَبْضِ مِنِّي، ولَا أُظْلَمَنَّ وَأَنْتَ مُطِيقٌ للدَّفعِ عَنِّي»، وفي (ف) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَلا أظلِمنَّ وأنتَ قَادِرٌ عَلَى القَبْضِ مِنِّي»، ولم ترد فيها عبارة: «ولَا أُظْلَمَنَّ وَأَنْتَ مُطِيقٌ للدَّفعِ عَنِّي».

وَلَا أضِلَّنَّ وَقَدْ أمْكَنَتْكَ[(١)] هِدَايَتِي، وَلَا أفْتَقِرَنَّ وَمِنْ[(٢)] عِنْدِكَ وُسْعِي[(٣)]، وَلَا أَطْغِينَّ[(٤)] وَمِنْ عِنْدِكَ وُجْدِي[(٥)].

والإنسان يفتقر في ردع الشيطان إلى عناية الله سبحانه لاختلاف وسائل الإغواء التي يستخدمها الشيطان، ومن أهمها استخدام ما تميل اليه هوى النفس في موارد المزالق، وأهمها:

١ ـ الظلامة؛ فإن المظلوم الذي لا يستطيع الدفع عن نفسه يتولد فيه عقدة نقص، قد ترافقه في حياته كلها. والله هو المطيق للدفع عنه للخلاص من الظلم بتهيئة أسباب الخلاص، ولولا ذلك فقد يتعدى الإنسان فيصبح ظالما من حيث لا يشعر.

٢ ـ الظلم؛ فإن الظالم يبرّر عمله عادة بما يحسّن الظلم عنده، وكأنه عدل. والله القادر على القبض على يد الظالم؛ من الظلم؛ لئلا يعتدي على الآخرين، ولا يتمادى في عمله الشائن.

٣ ـ الضلال، وحيث ان لكل عمل طريق مستقيم، وانّ أي طريق آخر يكون ضلالا، والله هو المسؤول بأن يهب الهداية فيأمن الإنسان من الضلال.

٤ ـ الفقر، فقد كاد ان يكون كفراً[(٦)] والله واسع العطاء وتفضّله يمكّن الإنسان من الثقافة الوافية الّتي تغني النفس اولا، ثم الكفاف مع الصحة والسلامة الذي هو أغنى الغنى.

---

(١) في (ك) العبارة هكذا: «ولا أضِلّ وَقَدْ أمْكَنَكَ»، وفي (ق) (ف) (ت) العبارة هكذا: «ولا أضِلنّ وَقَدْ أمْكَنَكَ»، وأمكنكَ: سهل عليك وتيسَّرَ لَكَ.

(٢) لم ترد في (ش): «من».

(٣) افتقرَ: مطاوع أفقرهُ، والوسع ـ بالضم ـ: الغنى والجِدة.

(٤) في (ش): «ولا أبخلنّ».

(٥) في (ك) زيادة: «وَلَا أَضْعَفنَّ وَمِنْ عِنْدِكَ قوّتِي». والطغيان: مجاوزة الحدّ والتكبُّر. والوجد: الغنى والقدرة، والمعنى: لا تبتلني بالطغيان بسبب الغنى، والحال أنَّ غناي من عندِك وبفضلِكَ وعنايتِكَ.

(٦) الكافي ٢: ٣٠٧.

٥ ـ الطغيان، وهو مجاوزة الحد في الاستغناء عن الاشياء أو الناس، كما ال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ * أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾[١].

ولا عصمة من هذه المزالق إلّا بما عند الله من الوجد، أي الثروة، وهي لايمان بالمبادىء الإسلامية الّتي تردع الشيطان وتكشف وسائل اغوائه بما يتحصن ها الإنسان في سلوكه.

٢٠/١٥ـ فضل الله]:

أللّهُمَّ إلىَ مَغْفِرَتِكَ وَفَدْتُ، وَإلى عَفْوِكَ قَصَدتُ، وَإلَى تَجَاوُزِكَ[٢] اشْتَقْتُ[٣]، وَبِفَضْلِكَ وَثِقْتُ[٤]، وَلَيْسَ[٥] عِندِي[٦] مَا يُوجِبُ لِي[٧] مَغْفِرَتَكَ، وَلَا فِي عَمَلِي مَا أَسْتَحِقُّ بِهِ عَفْوَكَ، وَمَا لِي بَعْدَ أَنْ حَكَمْتُ[٨] عَلَى نَفْسِي إلَّا فَضْلَكَ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَ[٩]تَفَضَّلْ عَلَيَّ.

---

١) القرآن الكريم، سورة العلق ٩٦: ٦ ـ ٧.

٢) في حاشية (ج) في نسخة: «تجارتك».

٣) في (ت) العبارة هكذا: «أسبقتُ»، وفي (ك) العبارة هكذا: «اللهمّ إلى مَغْفِرَتِكَ تُقْتُ، وَإلى عَفوِكَ اشْتَقْتُ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «اللهمّ إلى مَغْفِرَتِكَ تُبْتُ، وَإلى عَفْوِكَ اشْتَقْتُ»، وتاق: اشتاق، والمراد: اشتقتُ إلى مغفرتِكَ لا إلى غيرها، والشوق: اهتياج النفس إلى لقاء المحبوب.

٤) في (ف) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ إلىَ عَفْوِكَ قَصَدتُ، وَبِفَضْلِكَ وَثِقْتُ»، والوثوق: الاعتماد، وتقديم الظرف في الفقرات الأربع للتخصيص، يريدُ: إلى هذهِ الأُمور، لا إلى غيرها، كما تقدَّمَ.

٥) «الواو» في «وليس» يحتمل أن يكون للاستئناف، كما يمكن أن يكون للحال، أي: والحال انهُ ليسَ لي ما يوجبُ مغفرتكَ.

٦) في (ك) العبارة هكذا: «وَلَيْسَ لِي».

٧) لم ترد في (ف): «لي».

٨) في حاشية (ج): «حكّمت».

٩) في (ت) العبارة هكذا: «صل على محمّد وآله» بدون «واو»، ولم ترد في (ك) (ش) (ف) عبارة: «فصلّ على محمّد وآله و».

والإنسان بحكم كونه محل السهو والنسيان لأحكام الله لا تخلوا حياته من الخطأ والعصيان لأوامر الله، فهو يفتقر إلى فضل الله سبحانه ليطهر من آثار الخطايا والمعاصي، فالله سبحانه هو المرتجى في أمور، منها:

١ ـ المغفرة بالوفود اليه، أي قصد ذلك، مع علمه بانه ليس عنده ما يوجب المغفرة.

٢ ـ العفو، الذي يقصده الداعي مع علمه بأن ليس عنده ما يستحق العفو.

٣ ـ التجاوز والصفح الذي يشتاق اليه مع علمه بانه ليس له ما يوجب التجاوز سوى بفضل الله الذي يثق به؛ فإنه القادر على ذلك دون غيره بعد ان جعل الداعي نفسه حاكمة وقاضية بهواها، وبفضل الله استحقت كلا من المغفرة والعفو والتجاوز، وختم عليه السلام الدعاء بقوله: (تفضل عليّ).

[١٦/٢٠ـ السؤال من فضل الله]:

أللّهُمَّ[١] [صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، و][٢] أَنْطِقْنِي بالهُدَى[٣]، وألْهِمْنِي التَّقْوَى[٤]، وَوَفِّقْنِي لِلَّتِي هِيَ أزْكَى[٥]، وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَا هُوَ أرْضَى[٦].

ومن فضل الله سبحانه الذي يفتقر اليه كلّ إنسان في سلوكه نحو الكمال:

١ ـ النطق بالهدى، أي الكلام الصائب.

---

(١) لم ترد في (ف): «اللهمّ».

(٢) ما بين المعقوفتين من (ف) فقط.

(٣) في (ك): العبارة هكذا: «اللهمّ أنطقني بالهدى»، والهدى: البيان والحجة، أي البرهان.

(٤) الإلهام: الخطرة والإلقاء في الروع من قِبَل الله سبحانهُ. والتقوى: الاحتراز عن المعاصي.

(٥) في (ك) العبارة هكذا: «وَوَفِّقْنِي الَّتي هِيَ أزْكَى». أي للحالة الّتي هي أصلح وأنمى في الخير والبركة.

(٦) في (ف) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، وأنْطِقْنِي بالهُدَى، وألْهِمْنِي التَّقْوَى، وَوَفِّقْنِي لِلَّتي هِيَ أرْضَى، واسْلُكْ بِي الطَّرِيْقَةَ المُثْلَى»، أي اجعل عملي فيما يرضيكَ، أو أعظم الأعمال المرضية عندَكَ.

٢ ـ الهام التقوى، بأن يلقي الله في فكر الإنسان الوقاية مما يحذر.

٣ ـ التوفيق لحالة أزكى وأطهر من الحالة الّتي هو فيها، فكل درجة آتية تكون اقرب إلى الله ممّا سبقتها.

٤ ـ استعمال ما هو أرضى لله تعالى من الأعمال.

وهذه الأُمور تجمع الأساس في الحركة نحو الكمال، وهي القول باللسان والاعتقاد بالجنان والعمل بالاركان، كما نطقت به أحاديث أهل البيت عليهم السلام[1].

[٢٠/١٧ـ صفة السلوك]:

أللّهُمَّ اسْلُكَ بِي الطَّرِيْقَةَ المُثْلَى[2]، واجْعَلْنِي عَلَى مِلَّتِكَ[3] أمُوتُ وَأحْيَا.

وخصّ هذا المقطع بصفة السلوك والغاية منه، في فقرتين متلازمتين، هما:

١ ـ الطريقة المثلى، باعتبار ان الطريقة الّتي يسلكها الإنسان نحو الكمال طريقة مثالية لا تشابهها طريقة اخرى، حيث ان الطرق في الحياة على اختلافها تخضع للموازين الماديّة ما عدى طرق الأنبياء ومن سار على خطاهم، فهي أقرب الطرق إلى الله سبحانه، فتكون المثلى، أي الأفضل؛ لقربها دون غيرهما حيث نبعد نسبتاً عنها.

٢ ـ الالتزام بالملّة، أي شريعة الله سبحانه، وهذا هو الغاية من السلوك، فلابد أن يتحكّم في حياة الإنسان في الدنيا، وتظهر نتايج الأعمال في الآخرة، ولا يتحقق ذلك إلّا بالوعي الكامل للأهداف ورؤية واضحة للمسير والمصير،

---

(١) انظر دعائم الاسلام ١: ٣. شرح اصول الكافي ١: ٣١٨.

(٢) في (ت) العبارة هكذا: «اللهم اَسْلُكَ لِي الطَّرِيْقَةَ المُثْلَى»، وفي (ف) العبارة هكذا: «وَاسْلُكَ بِي الطَّرِيْقَةَ المُثْلَى»، والمثلى: تأنيث الأمثل، وهو الأفضل، والطريقة المثلى: السيرة الصالحة وهدى الأئمة الأطهار عليهم السلام.

(٣) الملَّة: الدين.

فحينئذ يتجسّد الإنسان بالإسلام في حياته ويموت ويحيا كذلك؛ لانه يؤدّي رسالة واضحة، وبسلوكه يطبق الإسلام عملياً في حياته حتى مماته كالجندي الذي يدافع عن الوطن في سلوكه حتى الموت.

[١٨/٢٠ـ ومن فضل الله]:

أَللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ[١] مَتِّعْنِي بِالاقْتِصَادِ[٢]، وَاجْعَلْنِي مِنْ أهْلِ السَّدَادِ[٣]، وَمِنْ أدِلَّةِ الرَّشَادِ[٤]، وَمِنْ صَالِحِي العِبَادِ، وَأرْزُقْنِي فَوْزَ المَعَادِ[٥] وَسَلامَةَ المِرْصَادِ[٦].

ومما يفتقر اليه الإنسان في سلوك طريق التكامل ان يتجسد الإسلام في حياته بالنسبة إلى نفسه ومجتمعه وحاضره ومستقبله بأُمور كلها من فضل الله تعالى، وهي:

١ ـ الاقتصاد، وهو التوسّط في الأمور؛ فإنه يكون متعة وبهجة للحياة، ويفتقر الإنسان اليه في نفسه.

٢ ـ السداد، وهو الاصابة في الرأي وكمال المعرفة، وهذا تماماً ما يفتقر إليه الإنسان في نفسه.

٣ ـ الارشاد، بأن يصبح مرشداً للآخرين ممن يفتقر إليه، فيكون دالّاً على الخير ويعود بنفع هذا على المجتمع.

٤ ـ الصلاح، بأن يدخل في زمرة الصالحين، وهذا يشمل النفس والمجتمع.

---

(١) لم ترد في (ك) (ش) عبارة: «صلّ على محمّد وآله و».

(٢) لم ترد في (ك) (ق) (ت): «ومَتِّعْنِي بِالاقْتِصَادِ»، والاقتصاد: هو القصد، بمعنى العدل في الأمور بين الإفراط والتفريط.

(٣) السداد: الصواب.

(٤) أدلة الرشاد: الذين يدلّون الناس إلى الهدى والصواب والرشد.

(٥) في (ش): «وارزقني الفوز في المعاد»، وفوز المعاد: النجاة في الآخرة.

(٦) المرصاد: المكان الذي يرصد فيهِ، أي ارزقني السلامة عندَ المراقبة والرصد للأعمال.

٥ ـ الفوز في يوم المعاد، حيث تظهر حقائق الأعمال، فالفائز من عمل صالحا في الدنيا، وهذا من آثار الآخرة.

٦ ـ السلامة في يوم القيامة، الذي هو يوم المرصاد والمراقبة والمحاسبة، وهذه كذلك من آثار الآخرة.

وهذه النقاط الست، الأُوليان في النفس، والاوسطان في المجتمع، والاخيرتان في الآخرة.

[١٩/٢٠ـ توازن النفس]:

أللّهُمَّ خُذْ لِنَفْسِكَ مِنْ نَفْسِي مَا يُخَلِّصَهَا[1]، وأَبْقِ

---

(١) في أكثر النسخ: «ما يخلصها» بدون تشديد، من الخلوص والإخلاص، ويؤيده ما سيأتي في (ف) من عبارة: «فَإِنَّ نَفْسِي هَالِكَةٌ إن لم تُخلِصهَا أو تَعْصِمَهَا». وفي رياض السالكين، ما نصه: قيل يمكن أن يكون المعنى: اجعل حصّة من نفسي متعلّقة بجنابك المقدّس، ليكون ذلك سببا لخلاص نفسي، وأبق منها ما يكون فيه صلاحها، فإنّ الخلاص قد يكون مع عدم الصلاح، انتهى.
وقيل: المعنى اصطف من أعمال نفسي ما يخلّصها من سخطك، وأبق لها من مساعيها ما يكون به صلاحها.
وقيل: معناه افعل بي ما يوجب نجاة نفسي وخلاصها، من نفع أو ضرر أو فقر أو غنى أو موت أو حياة، وإن كرهت بعض ذلك، وأبق لي من الأعمال الصالحة ما يوجب صلاح نفسي ووفّقني له.
وقيل: يحتمل أن يكون المراد بقوله عليه السّلام: «خذ لنفسك من نفسي ما يخلّصها» ففي الإعمال السيّئة والأخلاق الذميمة التي يكون نفيها سببا لخلوص النفس من الشوائب أو خلاصها من العذاب، فيكون قوله: «لنفسك» أي: لأجل القرب منك.
ويحتمل أن يكون المراد به اصطفاء الأعمال الصالحة والأخلاق الكريمة، التي تكون سببا لخلوص نفسي أو خلاصها، فيكون قوله: «لنفسك» أي: لأجل رضاك.
ولا يخفى بعد الاحتمال الأوّل. هذا ما انتهى إلينا من أقوال الأصحاب في حلّ هذه العبارة من الدعاء. والذي يخطر بالبال على وجه الاحتمال، أنّه لمّا كانت النفس مكلّفة بالقيام بأمرين، أحدهما: لله تعالى، وهو وسبب نجاتها وخلاصها من سخطه وعذابه تعالى. والثاني: للنفس، وهو ما لا بدّ لها منه من أمر معاشها. سأل عليه =

لِنَفْسِي(١) مِنْ نَفْسِي مَا يُصْلِحُهَا(٢)، فَإِنَّ نَفْسِي هَالِكَةٌ أَوْ تَعْصِمَهَا(٣).

النفس محتاجة في دوامها واستمرارها إلى الله، وعليها أيضاً مسؤوليات بتطبيق اوامر خالقها، والتوازن بين الأمرين لا يمكن ان يتحقق بدون عناية الله سبحانه، وهذا المقطع يشير إلى هذا التوازن المطلوب بالنسبة إلى النفس، فانها بدون هذا التوازن تكون هالكة إلّا أن يعصمها الله تعالى، ولعل إلى ذلك يشير ما ذكره الشارح المدني (ت / ١١٢٠هـ)، فقد ذكر وجوهاً ستة في شرح هذا المقطع مما انتهى اليه من اقوال الأصحاب في ذلك، وجعل السادس على سبيل الاحتمال، ومما قال في بيانه الوافي: «. . . لما كانت النفس مكلّفة بالقيام بامرين، احدهما: لله تعالى، وهو سبب نجاتها وخلاصها من سخطه وعذابه تعالى. والثاني: للنفس، وهو ما لابدّ لها منه من أمر معاشها. سأل عليه السلام ان يجعل نفسه قائمة بما هو لله تعالى، وهو سبب خلاصها. ولما كان هذا المعنى يوجب استغراق النفس فيه بحيث لا يمكنها الاشتغال معه بغيره، ولا التوجّه والالتفات إلى أمر آخر، سأل ثانياً أن يبقي لنفسه من نفسه مما لابّد لها منه مقدار

= السّلام أن يجعل نفسه قائمة بما هو لله تعالى وهو سبب خلاصها، ولمّا كان هذا المعنى يوجب استغراق النفس فيه، بحيث لا يمكنها الاشتغال معه بغيره ولا التوجّه والالتفات إلى أمر آخر، سأل ثانيا أن يبقي لنفسه من نفسه ممّا لا بدّ لها منه مقدار ما يكون فيه صلاحها، كي لا تكلّ وتحسر عن القيام بما هو لله، ولا تأشر وتبطر فتشتغل بغير ما هو لله، فيكون اشتغالها به في الحقيقة عائدا إلى الأمر الأوّل، وفي ذلك صلاحها، واللهأعلم بمقاصد أوليائه.

ويؤيّد هذا المعنى الأخير: ما في نسخة أخرى «وأبق لنفسك من نفسي [ما يصلحها]»، إذ كان ما يصلح النفس على هذا الوجه عائدا إليه سبحانه. والفاء من قوله: «فإنّ نفسي»: للسببيّة، بمعنى اللام. (رياض السالكين ٣: ٣٩٢ ـ ٣٩٤).

(١) في حاشية (ج): «النفسك ـ س».

(٢) في (ك) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ خُذْ لِنَفْسِي مَا يُصْلِحُهَا»، أي افعل بي ما يوجب صلاحها، ولا تتركها تفعل ماتشاء، فإنها أمّارةٌ بالسوء إلّا ما رحمَ ربِّي.

(٣) في (ش) العبارة هكذا: «أو تصلحها وتعصمها»، وفي (ف) العبارة هكذا: «وَخُذْ لِنَفْسِي مِنْ نَفْسِي [مَا] يُصْلِحُهَا، فَإِنَّ نَفْسِي هَالِكَةٌ إن لم تُخلِصهَا أو تَعْصِمَهَا».

ا يكون فيه صلاحها ـ إلى ان قال: ـ ويؤيد هذا المعنى الأخير ما في نسخة خرى: (وابق لنفسك من نفسي) إذ كان ما يصلح النفس على هذا الوجه عائداً ى الله سبحانه»[1].

قال الجلالي: في رواية ابن مالك جاء هذا المقطع هكذا: «اللهم خذ فسي من نفسي ما يصلحها؛ فإن نفسي هالكة أو تعصمها» وقد وردت في الدعاء قم ٣٦ وعنوانه: (ومن دعائه عليه السلام إذا خصّ نفسه) وهذا بما أشرت اليه من ـتوازن أوفق، وفي البال أن يوفقني الله أو غيري ممن يجد في نفسه القدرة الكفاءة في مقارنة النسخ والروايات الثلاث المتيسّرة اليوم ـ وهي المشهورة هذه ابن مالك والمطهري ـ لاستخراج نصّ موحّد مدروس على أُسس علمية، وعلى ا شرحته في الدراسة المنيفة، والله وليّ التوفيق.

٢٠/٢٠ـ حاجة النفس]:

أللّٰهُمَّ أنْتَ عُدَّتي[2] إنْ حَزِنْتُ[3]، وَأنتَ[4] مُنتَجَعِي[5] إنْ حُرِمْتُ[6]، وَبِكَ اسْتِغَاثَتِي[7] إنْ كَرِثْتُ[8]، وَعِنْدَكَ مِمَّا فاتَ[9]

---

١) رياض السالكين ٣: ٣٩٣.

٢) في حاشية (ج) في نسخة: «عزّي».

٣) في (ت) وحاشية (ج) في نسخة: «حُرِبْتُ»، وفي (ف): «جَرِبْتُ».

٤) في حاشية (ج) في نسخة: «وإليك».

٥) في (ق) (ت) العبارة هكذا: «وأنْتَ منتجع طلبتي».

٦) لم ترد في (ف): «وَأنتَ مُنتَجَعِي إنْ حُرِمْتُ»، وفي (ك) العبارة هكذا: «أللّٰهُمَّ أنْتَ عُدَّتي إنْ حُزِمْتُ، وَاليكَ نجعتي إنْ حُرِمْتُ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «أللّٰهُمَّ أنْتَ عُمدتي إنْ حُرِبْتُ، وَاليكَ نجعتي إنْ حُرِمْتُ»، وحزم الرجل حزماً: غصَّ في صدرِهِ، أي اعترضَ صدره شيء فمنعهُ التنفُّس، و«حزِنتُ» من الحزن والغمّ. والنجعة ـ فيالأصل ـ: الماء والكلأ، وانتجعت فلاناً: إذا طلبت معروفه، والحرمان: الصدّ والمنع.

٧) في (ف) (ت) وحاشية (ج) في نسخة: «استعانتي».

٨) في (ك) (ش) (ف) (ت): «إن كرِبتُ»، وفي حاشية (ج): «كربت ـ س»، والكرب: الحزن والغم يأخذُ بالنَفَس، و«كرِثتُ»: أي اشتدّ همّي وشقّ عليَّ.

٩) في (ق) العبارة هكذا: «عمّا فات»، وفي (ف): «فيما فات».

خَلَفٌ(١)، وَلِمَا فَسَدَ(٢) صَلَاحٌ(٣)، وَفِيْمَا(٤) أَنْكَرْتَ تَغْيِيرٌ(٥)، فامْنُنْ(٦) عَليَّ قَبْلَ البَلَاءِ بِالعَافِيَةِ(٧)، وَقَبْلَ الطَّلبِ بِالجِدَةِ، وَقَبْلَ الضَّلَالِ بِالرَّشَادِ(٨).

واكْفِنِي(٩) مَؤُونَةَ(١٠) مَعَرَّةِ(١١) العِبَادِ(١٢)، وَهَبْ لِي أَمْنَ يوْمِ المَعَادِ(١٣)، وَامْنَحْنِي(١٤) حُسْنَ الإرْشَادِ(١٥).

وحيث أن النفس ناقصة من جهات عديدة بسبب إمكانها، فهي مفتقرة إلى ما يسدّ نقصها، ولا يمكن ذلك الا بفضل من الله سبحانه، واهمها:

---

(١) في (ف): «سلف»، والخلف: اسم من أخلفَ الله عليهِ، وهو بمعنى العوض، أيأنَّ التعويض لما فاتَ منّي عليكَ.

(٢) في (ت): «ولا ياب [كذا]»، وفي (ش): «فسد منّا».

(٣) في (ف): «إصلاح»، وفي (ك): «وَعِنْدَكَ عمّا فات خَلَفٌ، وَلِمَا فَسَدَ مِنِّي إصْلَاحٌ».

(٤) في حاشية (ج): «ومما ـ س».

(٥) في (ف): «تعبير»، وفي (ق) ظاهراً: «تغيّر»، والكلمة غير واضحة، والمعنى على ما أثبتناه: انَّكَ قادرٌ على إصلاح ما فسدَ منّي وتغيير ما لم ترتضه من عملي.

(٦) في (ت): «وأمنن».

(٧) في (ش): «بالعافية قبل البلاء».

(٨) «الفاء» من «فامنن» فصيحة، أي إذا كان هكذا فافعل. والبلاء: الإصابة بالمكروه. والعافية: دفعها، والجدة: السعة والغنى، والضلال: التيه والانحراف عن طريق الهدى، والرشاد: الاهتداء إلى المطلوب والصواب.

(٩) في (ك): «أللّهُمَّ اكفِنِي».

(١٠) في (ت): «مؤنة»، ولم ترد في (ك): «مَؤونَةَ».

(١١) في حاشية (ج): «المعرة: الاثم»، وفي (س): «المعرّة: الإثم». (حاشية ابن إدريس: ١٨٠).

(١٢) أي ادفع عنّي شدّة ما يلحقني من العباد من الأذى والسوء.

(١٣) في (ك) (ف): «وَهيّيء لِي أمْرَ المَعَادِ»، المعاد: المرجع والقيامة، وهو هنا إما مصدر أو ظرف.

(١٤) في حاشية (ج): «وأمنحني ـ س»، وفي (س): «المنحة: العطية». (حاشية ابن إدريس: ١٨١).

(١٥) في (ف): «حسن الارتياد»، وفي (ك) العبارة هكذا: «وَأَمْتِعْنِي حُسْنَ الإرْتِيَادِ»، والارتياد: الطلب.

١ ـ الحزن على ما فات من حياة الإنسان في الفراغ السائد، ولا عدة ولا استعداد لمواجهة ذلك سوى الاعتماد على الله سبحانه.

٢ ـ الحرمان مما يطلبه الإنسان في الحياة، وهو أمر عادي، إما لأسباب طبيعية أو اجتماعية، ماديّة أو روحية؛ فإن المانع يوجب حرمان الإنسان منها. ولا منتجع، أي لا مرجع يرجع إليه لطلب المعروف سواه تعالى.

٣ ـ الكرث، وهو شدة المشقة، ولا مستغاث حقيقيّ في ذلك سوى الله تعالى.

٤ ـ الخلف، أي العوض عما فات، ولا يكون إلّا من الله سبحانه.

٥ ـ الفساد من أمور الإنسان، ولا يمكن صلاحها الّا بمعونة الله تعالى.

٦ ـ الانكار للحقائق عن جهل بالعيب، ولا تتغير إلّا بعونه تعالى.

٧ ـ البلاء والامتحان بمواجهة ما يتطلب العافية، ولا يكون إلّا بمنّة منه تعالى.

٨ ـ الطلب في تحقّق الحاجة الماديّة، ولا يكون إلّابمنّة منه تعالى بالجدة، أي الغنى.

٩ ـ الحفظ عن الضلال، أي الضياع في الحياة، فكرياً أو جسدياً، ولا يكون إلّا بالارشاد من الله تعالى.

١٠ ـ المعرّة، أي القبيح مما يُلحق بالإنسان العيب، ويفتقر إلى مؤنة، أي عدة لتحسينها بإرادة الله تعالى.

وهذه الموارد العشر كلها في الدنيا مما تواجهها النفس في الحياة العادية، ولا يمكن التغلّب عليها إلّا بعدة وتوفيق ومنّة منه تعالى.

وقد ختم هذا المقطع بأمرين يفتقر اليهما الإنسان في الآخرة، وهما:

١١ ـ أمن يوم المعاد، ولايكون إلّا بمغفرة من الله سبحانه، فتكون هبة منه تعالى.

١٢ ـ حسن الإرشاد، أي الهداية، وانما يكون حسنها ـ وهو الذي ينكشف في الآخرة ـ بقبول الطاعات والفوز بالجنان.

[٢٠/٢١ـ حصانة النفس]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأدْرَأ[١] عَنّي بِلُطفِكَ[٢]، وَأغْذُنِي[٣] بِنِعْمَتِكَ[٤]، وَأصْلِحْنِي بِكَرمِكَ[٥]، وَدَاوِنِي بِصُنْعِكَ[٦]، وَأظِلَّنِي فِي ذرَاكَ[٧]، وَجَلِّلْنِي[٨] رِضَاكَ[٩]. وَوَفِّقْنِي إذَا

---

(١) في حاشية (ج): «أي ادفع»، وفي حاشية (ج) أيضاً: «وأزل ـ س».

(٢) لم ترد في (ف): «وَادْرَأ عَنّي بلُطفِكَ».

(٣) في حاشية (ج): «وأغذِني».

(٤) لم ترد في (ك) (ش) عبارة: «صلّ على محمّد وآله وَادرَأ عَنّي بلُطفِكَ وَ». والعبارة فيها هكذا: «ألّلهُمَّ اغذِني بِنعَمِكَ»، وأُغذني: اعطني وربِّني، والغذاء: ما بهِ نماء الجسم وقوامهُ، وفي (س): «عذت بفلان واستعذت به، أي لجأت إليه، وهو عياذي أي ملجأي. وقولهم: معاذ الله، أي أعوذ باللهمعاذاً، تجعله بدلاً من اللفظ بالفعل، لأنّه مصدر، وإن كان غير مستعمل في مثل سبحان الله». (حاشية ابن إدريس: ١٨٠). قال السيد الخرسان في هامش علّقه على هذا البيان من «حاشية ابن إدريس على الصحيفة السجادية»، ونصه: وأغرب من ذلك عدم تنبّه الذين بالغوا في مقابلة نسخهم على نسخته إن كان السهو من قلم ابن إدريس، ولعلّهم رأوا كتابة نسخة الصحيفة صحيحاً، إلّا انّ الشيخ ابن إدريس هو الّذي زاغ منه البصر، فقرأ الجملة الآتية في دعاء مكارم الأخلاق: (وأغذني بنعمتك) فقرأها (وأعذني بنعمتك) مع انّ الصحيح هو (أغذني) من الغذاء، بينما (وأعذني) من العياذة، فوهم قدس سره فقال في حاشيته عليها: (عذت بفلان واستعذت به أي لجأت إليه، وهو عياذي أي ملجئي...) إلى آخر ما قاله، وكله بعيد عن المراد بالجملة الأُولى في الدعاء. (راجع: مقدمة «حاشية ابن إدريس على الصحيفة السجادية»: ٤٤).

(٥) الكرم: النفاسة والعزة والإعطاء بسهولة، وضدّ اللؤم.

(٦) في (ف) هنا زيادة: «وَادْرَأ عَنّي بلُطفِكَ».

(٧) في (ت): «وأحللني في دارك»، وفي حاشية (ج): «دارك ـ س»، وفي (س): «الذر ـ بالفتح ـ كلّ ما استترت به، يقال: أنا في ظل فلان وفي ذَراه، أي في كنفه وستره ودفئه. وذُرى الشيء ـ بالضم ـ: أعاليه، الواحدة: ذِروة، وذُروة أيضاً، بالضم وهي أعلى السنام». (حاشية ابن إدريس: ١٨٠)، وفي (ف) بدل هذه الفقرة ما نصه: «وَاحللني بحبوحة دارك وفضلكَ».

(٨) في (ت): «وحللني رضاك»، وفي حاشية (ج): «واحللني ـ س».

(٩) في (ك) العبارة هكذا: «وَدَاوِنِي بِصُنْعِكَ، وَتَدارَكْني بِلُطْفِكَ، وَجَلِّلْنِي رِضَاكَ، واحللْنِي في ذرَاكَ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «وَدَاوِنِي بِصُنْعِكَ، وَداركْني بِلُطْفِكَ، وَأَحَلّني في بحبوحة =

شتَكَلَتْ[١] عليَّ الأُمُورُ لأهْدَاهَا[٢]، وَإذَا تَشَابَهَتِ الأعْمَالُ[٣] أزْكَاهَا، وَإذَا تَنَاقَضَتِ[٤] المِلَلُ لأرْضَاهَا[٥].

والنفس الإنسانية تفتقر إلى حصانة إلهيّة، وأسباب الحصانة وأنواعها ختلف، وقد ذكر هذا المقطع منها:

١ ـ الدرء، أي الدفع للاضرار بسبب اللطف الإلهي الشامل للخلق جمعين.

٢ ـ التغذية، أي جلب المنافع بسبب نعم الله الّتي لا تحصى.

٣ ـ الإصلاح، بسبب الكرم الإلهي واستصلاح كل فاسد من أمور مسلمين.

٤ ـ الدواء، بعلاج ما يفتقر اليه، خاصة من المرض الجسمي والاجتماعي ما هو من صنع الخبير العليم.

٥ ـ الظلال الواقي من المكاره، كالظل الواقي من حرّ الشمس باحتوائه الى الإنسان في كنفه وحمايته.

دارك، وجلِّلْنِي رِضَاكَ»، وفي (ق) العبارة هكذا: «وَدَاوِنِي بِصُنْعِكَ، وَأحَللنِي في دارك، وجلِّلْنِي رِضَاكَ»، وقوله: «وجلِّلْنِي رِضَاكَ»، أي البسني رضاكَ وغطني بهِ، وقوله: «واحللْنِي في ذرَاكَ»، أي استرني في حرزِكَ ورحمتِكَ.

(١) في (ف) (ت): «أشكلت». وفي حاشية (ج): «أشكلت ـ س».

(٢) في (ك) العبارة هكذا: «ألّلهُمَّ وَفِّقْنِي إذَا أشْكَلَتْ الأُمُورُ لأهْدَاهَا»، وفي (ق) العبارة هكذا: «ووَفِّقْنِي إذَا أشْكَلَتْ الأمُورُ عليّ لأهْدَاهَا»، وفي (ش) العبارة هكذا: «ألّلهُمَّ وَفِّقْنِي إذَا طالَتْ الأُمُورُ لأهْدَاهَا»، وأشكلت الأمور، أي التبست. وأهداها: أقربها إلى الصواب والهدى.

(٣) وتشابهت الأعمال: اشبهت كل منها الآخر فالتبست، أو يراد تشابه الحق بالباطل والأحق. وأزكاها: أطهرها وأكثرها نفعاً وثواباً.

(٤) التناقض: التدافع وإبطال كل واحد الآخر، والملل: جمع ملّة، وهي الطريقة والمذهب.

(٥) في (ك) بعد هذه العبارة ما يلي: «ألّلهُمَّ قِنِي بالسّعَةِ، وسُسنِي بالدّعَةِ، وَهَبْ لِي حُسْنَ الرّعَةِ»، وسُسنِي من ساس يسوس سياسة: تولّي الأمر والرعاية، وحسن التدبير والنظر في الأمور، والدعة: الراحة وخفض العيش، وقوله: «امنحني حُسْنَ الدعَةِ»، بمعنى اعطني الراحة والعيش الحسن.

٦ ـ التوفيق في الأمور المشكلة على الإنسان، لمعرفة وجه الصواب فيها بإحدى الطرق الثلاث:

الف ـ أهدى الأُمور، فإن حلّ أية مشكلة تكون بطرق متعددة، ويكون دائماً احداها هي الأفضل والأهدى.

ب ـ ازكى الأعمال، فإن الخيارات للمباشرة بالعمل كثيرة، ولكن أزكاها، أي أكثرها نفعاً، واحدة.

ج ـ ارضى الملل، أي المذاهب والآراء، فإن من الطبيعي تعدّد الآراء والمذاهب، ولكن أرضاها عند الله واحدة، مما يكون لها الأثر الايماني في النفس والمجتمع، ويشهد له التاريخ.

فالحصانة لنفس الإنسان لا يكون إلّا من الله سبحانه، الذي قد سهّل له الدواء لمعالجة الداء، وهداه إلى الصراط المستقيم ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[1]، وسيحاسبه التاريخ على اختياره إحدى الخيارات الكثيرة أمامه.

[٢٠/٢٢ـ زيادة الفضل]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَتَوِّجْنِي[2] بالكِفَايَةِ، وَسُمنِي[3] حُسْنَ الوِلايَةِ[4]، وَهَبْ لِي صِدْقَ الهِدَايَةِ[5]، وَلَا تَفْتِنِّي

---

(١) القرآن الكريم، سورة الإنسان ٧٦: ٢.

(٢) لم ترد في (ك) عبارة: «صلّ على محمّد وآله و»، والعبارة فيها هكذا: «أللّهُمَّ توحَّد لي بالكفاية»: أي لا تكلني إلى غيرِكَ، والكفاية: الاستغناء، وفي (ف) العبارة هكذا: «صلّ على محمّد وآله وأعطني بقدرتك ما أطلب، وأجرني بعزتك مما أهرب، وتوّجني...».

(٣) في (ت): «وسمّني»، وفي (س): «وسمته وسماً وسمةً: إذا أثرت فيه بسمةٍ وكيّ، والهاء عوض عن الواو». (حاشية ابن إدريس: ١٨١).

(٤) في (ق) (ت): «بحسن الولاية»، والمعنى: أولني حسن الولاية فيما أتولّاهُ وأقومُ به من الأمور، أو بمعنى النصرة، والمراد: أولني حسن نصرتِكَ لي.

(٥) المراد بالهداية: إما اهتداؤهُ أو هداية الله لهُ، أو هدايته هو لغيرِهِ، فيكون المراد بصدقها على المعنى الأوّل الثبات عليها، وعلى المعنيين الآخرين: الإيصال إلى المطلوب. =

السَّعَةِ[١]، وَامْنَحْنِي حُسْنَ الدِّعَةِ[٢].

وَلَا تَجْعَلْ عَيْشِي كَدّاً كَدّاً[٣]، وَلَا تَرُدَّ[٤] دُعَائِي[٥] عليَّ ردّاً[٦]،

(رياض السالكين٣: ٤٠١)، هذا وورد في (ك): بعد هذه العبارة ما يلي: «أللّهُمَّ ياكَافِي الفَرْدَ الضَّعِيْفِ وَوَاقِي الأمْر المُخوفِ...»، وهو نص الدعاء الآتي برقم (٢١) من هذا الكتاب.

١) في حاشية (ج): «أي الغنى».

٢) في (ك): العبارة هكذا: «أللّهُمَّ قني بالسعة وسُسنِي بالدّعَةِ، وَهَبْ لِي حُسْنَ الرّعَةِ»، وفي (ش): العبارة هكذا: «أللّهُمَّ قتّني بالسعة وسُسنِي بالدّعَةِ، وَهَبْ لِي الرّعَةِ»، وفي (ف): العبارة هكذا: «أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحمَّد وَآلِهِ وَأقنني بالسعة، وسسني بالدعة، وَامنِحْنِي حُسْنَ الرّعَةِ»، والسعة: الغنى، وقوله: «امنحني حُسْنَ الدعَةِ»، بمعنى اعطني الراحة والعيش الحسن. والرعة: لعلهُ من رعا الرجل يرعوا رعواً: إذا نزعَ عن الجهل وحسن رجوعه عنهُ. وارعوى عن القبيح والجهل: إذا كفَّ عنهُ ورجعَ، وفي حاشية (ج): «الدعة، أي الراحة»، وفي (س): «الدعة: مصدر من ودَعَ يدع دعةً، والهاء عوضٌ من الواو، ويراد به العيش الهني الّذي لا نكد فيه». (حاشية ابن إدريس: ١٨١). هذا، وورد في (ك) بعد هذه العبارة قوله: «أللّهُمَّ صن وجهي باليسار...» إلى آخر الدعاء، وهو المقطع (٢٦) من هذا الدعاء، كما ورد في (ف) بعد هذه العبارة، قوله: «أللّهُمَّ ياكَافِي الفَرْدَ الضَّعِيْفِ وَوَاقِي الأمْر المُخوفِ...»، وهو نص الدعاء الآتي برقم (٢١) من هذا الكتاب، وبعده في (ف) العبارة هكذا: «صلِّ على محمّد وآله وأعطني بقدرتك ما أطلب، وأجرني بعزتك مما أهرب، وتوّجني بالكِفَايَةِ، وَسُمنِي حُسْنَ الوِلايَةِ، وَهبْ لِي صِدْقَ الهدَايَةِ، ولا تعرفِنِي منك صداً، ولا تجعل عيشي كداً كداً...»، وقد تقدم بعضها آنفاً.

٣) في (ت): «كدّا» ولم تكرر، وفي (س): «الكدّ: الشدّة في العمل وطلب الكسب». (حاشية ابن إدريس: ١٨١). وهذه الفقرة وردت في النسخ الاخرى ضمن فقرات منها قوله: «أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحمَّد وَآلِهِ وَتَوّجْنِيبالكِفَايَةِ، وَسُمنِي حُسْنَ الوِلايَةِ، وَهبْ لِي صِدْقَ الهدَايَةِ ولا تفتِنّي بالسّعَةِ، وَامنِحْنِي حُسْنَ الدّعَةِ. وَلَا تَجْعَلْ عَيْشِي كَدّاً كَدّا...»، وهو المقطع (٢٢) من هذا الدعاء، وفي (ك) (ش) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ لَا تَجْعَلْ عَيْشِي كَدّاً»، والكدّ: الشدّة والتعب.

٤) في (ت): «ولا تردّد».

٥) في حاشية (ج): «دعاي، دعائي- معا».

٦) في (ك) العبارة هكذا: «وَلَا تَسُم دُعَائِي ردّاً ولا تعرفني منك صَدّاً»، وفي (ش) العبارة هكذا: «وَلَا تَسُم دُعَائِي ردّاً ولا تعرفني منك صِدّاً»، وفي (ف) العبارة هكذا: «فإنِّي لَا أجْعَلُ لَكَ ضِدّاً، وَلَا نِدّاً»، وورد بعد هذه الفقرة في (ش) ما يلي: «أللّهُمَّ تَوحدْ لِي =

فَإنِّي لَا أجْعَلُ لَكَ ضِدّاً، وَلَا أدْعوُ[١] مَعَكَ نِدّاً[٢].

ومن زيادة الفضل الإلهي الذي يفتقر إليها السالك في طريق الكمال أمور تساعده على السلوك، حيث أنه بدونها يكون السلوك شاقاً وخاصة على من كان في الدرجات البدائية منها، ومن تلك الزيادات:

١ ـ تاج الكفاية، وهي الاستغناء عن الناس في كل الأمور، فالكفاية في نفسها حالة تعادل حالة الملوك الذين يستغنون عن الناس في الماديات، فيستحق السالك هذا التاج.

٢ ـ حسن الولاية، أي حسن القيام بما يتولاه من المسؤولية وسياسة الأمر.

٣ ـ صدق الهداية، أي اهتداء الإنسان، فقد يتصور الإنسان ابتداءً أنه مهتد؛ لجهله بالحقائق. وصدقها: خلوص الهداية من أيّة شائبة وشبهة.

٤ ـ السعة من دون فتنة، فقد تكون السعة ـ بمعنى الغنى ـ فتنة وامتحاناً يصعب تجاوزها.

٥ ـ حسن الدعة، أي الراحة، وحسنها عدم انضمام ما يُكره إليها.

٦ ـ العيش السعيد، أي الحياة الّتي لا تكون كدّاً، أي تعباً، وقد تكررت

= بالكِفَايَةِ، وسمني بحسن الولاية، وَهبْ لِي صِدْقَ الهدَايَةِ ولاتفتِنِّي بالسّعَةِ، وَامنَحنِي حُسْنَ الدّعَةِ، وَلَا تَجْعَلْ عَيْشِي كَدّاً كَدّاً، وَلَا تَرُدَّ دُعَائِي عليَّ ردّاً، فإنِّي لَا أجْعَلُ لَكَ ضِدّاً، وَلَا أدْعوُ معَكَ نِدّاً» وهذه الفقرات قد تقدمت في نفس النسخة آنفاً. وبعد المراجعة إلى المخطوطة تبين ان هناك سقطاً في النسخة لم يُشر اليه في المطبوعة، وان العبارات التالية كتبت بخط يغاير خط الأصل (راجع ص١٣١ من المخطوطة)، وعليه فلا يمكن التعويل على ما ورد في تلك الصفحة على اساس أنّها من رواية ابن أشكيب.

(١) في حاشية (ج): «أدعوه ـ س».

(٢) لم ترد في (ك): «وَلَا أدْعوُ معَكَ نِدّاً»، وفي (س): «النِدّ ـ بالكسر ـ: المثل والنظير». (حاشية ابن إدريس: ١٨١). والضد: الكفؤ والنظير، أي ليس لي ملجأ أتوجهُ إليهِ إذاصددت عنّي، أو رددتَ دعائي. هذا، ووردت هذه العبارة في (ك) بعد قوله: «أللّهُمَّ قني بالسعة»...الى آخرها.

كلمة «الكدّ» هنا تأكيداً؛ لما في عدم ذلك من الأثر الهام في تسهيل طريق الكمال بفراغ البال عما يشوّش الحال.

وهذه النقاط الستّ زيادة في الفضل الإلهي الذي يساعد على السلوك، ولأهميتها ختم المقطع بالتأكيد على الاستجابة، وان لا يرد هذا الدعاء. واستدل على استحقاق الداعي لقبول دعائه بامرين: انه لا يجعل لله ضدّاً، وانه لا يدعوا مع الله ندّاً وشريكاً؛ فإن من شأن ادعية المشركين الذين يجعلون لله الضدّ والندّ ان يرد دعاؤهم ولا يقبل منهم، دون من وحّده تعالى ونزّهه عن الضد والندّ، وهو يستعين في طريق الكمال من الله سبحانه بما يساعد على هذا السلوك؛ فإن هذه الحالة توجب استحقاق القبول، لا الرّد.

[٢٠/٢٣ـ حدود النفقة]:

أَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ[١] امْنَعْنِي مِنَ السَّرَفِ[٢]، وَحَصِّنْ رِزْقِي مِنَ التَّلَفِ، وَوَفِّرْ[٣] مَلَكَتِي[٤] بِالبَرَكَةِ فِيهِ[٥]، وَأَصِبْ بِي[٦] سَبِيْلَ الهِدَايَةِ لِلبِرِّ[٧] فِيْمَا أُنْفِقُ[٨] مِنْهُ[٩].

---

(١) لم ترد في (ك) عبارة: «صلّ على محمّد وآله و».

(٢) السرف: ضد القصد، وتجاوز الحدِّ والاعتدال.

(٣) في حاشية (ج): «أي أعمم».

(٤) في (ف) العبارة هكذا: «وَوَفِّرْ ملكِي بِالبَرَكَةِ»، وفي (ك) (ت) العبارة هكذا: «وَوَفِّرْ ملكِي بِالبَرَكَةِفيه»، وفي حاشية (ج): «أي ما أملك».

(٥) في (ك) العبارة هكذا: «وَوَفِّرْ لِي وَعَاءَ مَا اشتَمَلْتُ عَلَيْهِ بِالبَرَكَةِ»، وَوفر، أي كثّر. والوعاء: الظرف الذي يوعى فيهِ الشيء، سمّي بذلكَ لأنهُ يجمع ما فيهِ من المتاع، ويقال لصدر الرجل: وعاء علمهِ، تشبيهاً بذلِكَ. و«ما اشتملت عليهِ»: أي ما أحرزتهُ وجمعتهُ.

(٦) في (ت): «لي».

(٧) في (ت): «سبيل الهداية والبر»، وفي (ك): «سَبِيْلَ البِرِّ»، وفي (ف) العبارة هكذا: «وَاصبب لي سبل الهداية للبر».

(٨) في (ت): «اتفق»، وفي حاشية (ج): «أَنفق، أُنفق ـ معا».

(٩) في (ك) العبارة هكذا: «وَوَفِّرْ لِي ملكي بِالبَرَكَةِ فيه، وَأَصِبْ لِي سَبِيْلَ الهداية والبرّ فِيْمَا أُنْفِقُ مِنْهُ».

وخص الدعاء في هذ المقطع بأُمور يفتقر إليها الداعي في الاقتصاد المتوازن في الحياة، وهي:

١ ـ المنع من السرف، أي تجاوز الحدود المعقولة في النفقة.

٢ ـ تحصين الرزق من التلف، بصيانتها من الهلاك أو الفساد.

٣ ـ وفرة البركة، والبركة انما تكثر بالمحافظة على ما يملكه من الرزق.

٤ ـ اصابة الانفاق في سبيل الهداية للبر.

وقد خص الإمام هذا الأمر الأخير بالتعليل بالبر، دون ما سبق من الأمور؛ لأن الإنفاق مما يغفل عنه عادة الناس، وهم يهتمّون بالأمور الثلاثة المتقدمة عادة دون الإنفاق، فاقتضى التنبية على أن الإنفاق إنما هو عمل برّ، والهدف منه استخدامه في سبيل الهداية، والسعيد من وفّقه الله تعالى بإصابة الهدف، فإذا تحقّق هذا الهدف كان تحصينا للنفقة، وبدونه كان ضياعاً ان لم يصب الهدف، أو فساداً للمال ان لم يستعمل لما يراد منه، بل كان ادّخاره من دون حاجة فساداً له.

[٢٠/٢٤ـ كفاية الرزق]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ[١]، وَاكْفِنِي مَؤونَةَ[٢] الاكْتِسَابِ، وارْزُقْنِي مِنْ غَيْرِ احتِسَاب، فَلَا[٣] أشْتَغِلَ عَنْ عِبَادَتِكَ بِالطَّلَبِ[٤]، وَلَا أحْتَمِلَ إصْرَ[٥] تَبِعَاتِ المَكْسَبِ[٦]

---

(١) في (ك) العبارة هكذا: «اللهم صل على محمد وآل محمد».

(٢) في (ت): «مؤنة».

(٣) في (ف): «ولا»، وفي حاشية (ج): «ولا ـ س».

(٤) في (ك) (ت) العبارة هكذا: «بما اطلب».

(٥) في (ف): «ولا أحتقب إصر»، وفي حاشية (ج): «أي إثم»، وفي (س): «الإصر: الذنب والثقل». (حاشية ابن إدريس: ١٨١)، والإصر: الإثم والشدَّة، واحتقاب تبعات الاكتساب: احتمالها، كأنَّهُ جمعها واحتقبها من خلفهِ.

(٦) في (ت): «المكتسب»، وفي حاشية (ج): «المكتسب ـ س».

وخص هذا المقطع بما يرتزق به الإنسان بما يكفيه في الحياة، وهما ران:

١ ـ كفاية مؤنة الاكتساب، أي المشقة، فلا يكون القصد زيادتها، بل ٬كتفاء بما يمكن من الاكتساب، أي طلب المعيشة.

٢ ـ الرزق من غير احتساب، أي عدّ، فإن ذلك يكدّر الصفو المطلوب من رزق، فلو اهتم الآكل بحساب قيمة كل لقمة يأكلها بإزاء ما يدفع من الثمن لكل ٬كل بالعدد الدقيق، لفاته طعم الأكل واشتغل بالحساب بدل الهناء بالاكل. يترتب على الكفاية في الرزق امران:

الأول: في الجانب الروحي، فإن بكفاية الرزق لا يشتغل الإنسان عن عبادة بالطلب والسعي لزيادة الرزق.

الثاني: الجانب المادي، فإن زيادة الرزق يستلزم زيادة المحاسبة عليها، زيادة المسؤولية في المحاسبة.

٢٠/٢٥ـ طلب الرزق]:

أللّهُمَّ فأَطلِبْنِي[١] بِقُدْرَتِكَ مَا أطْلُبُ، وَأجِرْنِي بِعِزَّتِكَ مِمَّا رْهَبُ[٢].

إنّ طلب الرزق الحلال ممّا أُمرنا به، فعن الرسول القائد صلى الله عليه وآله قال: «عليكم لطلب»[٣]، ولكن الطلب وحده من دون الاستعانة بالله يكون اعتماداً على سعي لإنسان العاجز عن معرفة المستقبل، ومع الاستعانة بالله يكون طلباً موجّهاً من

---

١) في (ك) (ت) العبارة هكذا: «اللهم يسّر لي».

٢) لم ترد في (ف) هذه العبارة هنا، وانما وردت العبارة هكذا: «أللّهُمَّ فأَطلبني بِقُدْرَتِكَ مَا أطْلُبُ، وَأجِرْنِي بِعِزَّتِكَ مِمَّا أهرَبُ...»، في آخر المقطع الثاني من الدعاء ٢١، التالي [٢١/ ٢- القدرة الكاملة].

٣) الكافي ٥: ٨٤.

خير معين. وهذا هو المقصود في هذا المقطع، حيث خصّ طلب الرزق بأن يكون مقروناً بالاسعاف من الله سبحانه.

وقوله: (واطلبني) أي اسعفني وانجز لي ما أطلب؛ فإن ما يطلبه الإنسان لا يتحقق إلّا بامرين، أحدهما: طلبه، وثانيهما: انجاز الله ذلك له.

ويستلزم ذلك القسم الأخير من المقطع، فإن طلب الإنسان للرزق طلب لما ينتفع به في المستقبل، وذلك مجهول الحال، وفيه الرهبة، أي الخوف من عدم تحققه خارجاً، ولذلك يفتقر الإنسان إلى الاجارة، أي الحفظ من الله، ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[١].

[٢٠/٢٦ـ اليسر في الرزق]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ[٢] صُنْ وَجْهِي بِاليَسَارِ[٣]، وَلَا تَبْتَذِلْ[٤] جَاهِي بِالإقْتَارِ[٥] فأسْتَرزِقَ[٦] أهْلَ[٧] رِزْقِكَ، وأسْتَعْطِيَ[٨] شِرَارَ خَلْقِكَ، فَأفْتَتِنَ[٩] بِحَمْدِ مَنْ أعْطَانِي،

---

(١) القرآن الكريم، سورة يوسف ١٢ : ٦٤.

(٢) في (ت): «اللهم صل على محمد وآل محمد، و»، ولم ترد في (ك) عبارة: «صلّ على محمّد وآله و».

(٣) صن وجهي: احفظهُ، واليسار: السعة، وفي (س): «اليسار واليسارة: الغنى، وقد أيسر الرجل، أي استغنى». (حاشية ابن إدريس: ١٨١).

(٤) في (ف) العبارة هكذا: «ولا تبذل».

(٥) ابتذل جاهه: امتهنهُ ولم يصنهُ، والجاه: المنزلة والقدر، والإقتار: التضييق في النفقة، وفي (س): «قتر على عياله يُقتّر ويقتر قتراً وقتوراً، أي ضيّق عليهم في النفقة، وكذلك التقتير والإقتار، ثلاث لغات». (حاشية ابن إدريس: ١٨١).

(٦) في (ك): «فأرتزق».

(٧) في (ت): «طالبي».

(٨) في (ك): «وأستعطف».

(٩) في (ك): «فَأُفْتَن»، من الفتنة، أي أميل أو أُختبر، وفي حاشية (ج): «أي أمتحن»، وفي (س): «فتنته المرأة: إذا دلّهته وحيّرته، والتدلية: ذهاب العقل من الهوى، يقال: دلّهه الحبّ، أي حيّره وأدهشه، وأدهشه التحيّر». (حاشية ابن إدريس: ١٨٢).

وَأبْتَلِي[(١)] بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي[(٢)]، وَأنْتَ ـ مِنْ دُونِهِمْ ـ وَلِيُّ الإعْطَاءِ وَالمَنْعِ[(٣)].

وخص هذا المقطع بالحدّ المطلوب من الرزق، وهو الحدّ الوسط بين الاقتار والإكثار، وأشار إلى بعض صفاته واضداده، وعدّ منها: اليسار والإقتار.

اما اليسار، فهو الغنى عن الناس، وفيه صيانة الوجه وحفظه عن السؤال، وضده: الإقتار، أي التضييق عليه مادياً، وهو مما يبتذل له الجاه ويمتهنه، ويستلزم الاقتار السؤال من الآخرين الذين أنعم الله عليهم بالرزق، وذلك ليس من شأن ارحم الراحمين الذي وسعت رحمته كل شيء[(٤)]؛ فإن استرزاق الآخرين وعدم الاستغناء عن شرار الخلق يوجب الفتنة؛ لأن هؤلاء المخلوقين لا يعينون أحداً من الخلق من دون حساب بالمقابل، إما مادةً أو عملاً، ولا أقل من مدح المعطي على عطائه.

وأيضاً، فإنّ المنع من المخلوقين الذين أنعم الله عليهم بالرزق عادة يستلزم الذم من السائل للمانع عن الخير مع قدرته على ذلك، فيفتتن السائل بالغيبة إن علنها، أو التنفّر إن لم يعلنها، ولو أنعم الله سبحانه بإجابة السؤال لما كانت هذه الفتنة، والله سبحانه هو أولى من غيره بالرزق؛ لأنه أغناهم، وبما أنه وليّ الإعطاء والمنع فلا يكون الطلب إلّا منه تعالى.

[٢٠/٢٧ـ ومن أنواع الرزق]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ[(٥)] ارْزُقْنِي صِحَّةً[(٦)] فِي عِبَادَةٍ،

---

(١) ابتلي: اختبر، أو بمعنى الإصابة بالمكروه؛ فإنَّ سؤال الخَلقِ بلاء يعقبهُ ذمّ المانِع قَهراً.

(٢) لم ترد في (ت): «منعني».

(٣) هذا المقطع والمقطع الذي بعده لم يرد في (ق).

(٤) كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾. (القرآن الكريم، سورة الأعراف ٧: ١٥٦).

(٥) لم ترد في (ك) عبارة: «صلّ على محمّد وآله و».

(٦) في (ك) بدل «أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وارزقني صِحّةً» ما يلي: «أللّهُمَّ إنِّي أسْأَلُكَ صِحّةً».

وَفَرَاغَاً فِي زَهَادَةٍ، وَعِلْمَاً فِي اسْتِعْمَالٍ، وَوَرَعَاً فِي إجْمَالٍ(١).

وهناك من أنواع الرزق الذي انعم الله به على عباده ما يغفل عنها العباد، وهي اهم بكثير من الرزق المادي الظاهر، منها:

١ ـ الصحة، وما قيمة اموال الدنيا إذا كان الإنسان مبتلى بمرض لا يمكن علاجه؟ فإذا كانت الصحة مقرونة بالعبادة كانت صحة حقيقية.

٢ ـ الفراغ من الأمور الّتي تشغله عن أهدافه في الحياة، وتفرّغه لتحقيق ما له أولوية في الأهداف، وإذا كان ذلك مقروناً بالزهد باستخدامه فيما ينفع فهو نعمة كبرى؛ لانه الفراغ الحقيقي، دون الاشتغال باللهو والباطل.

٣ ـ العلم، ولا يعرف قيمة هذا الرزق إلّا الجاهل الذي يفقده، وهذا فيما إذا كان العلم مقروناً بالعمل؛ فإذا لم يستغلّه الإنسان في الهدف الإنساني المطلوب منه كان جهلا بقيمة العلم ولم يكن علماً حقيقياً.

٤ ـ الورع، أي الكفّ عما لا ينبغي، إذا كان في اجمال، أي في رفق، من دون تفريط؛ فإن الافراط والتفريط فيه لا يكون ورعاً، بل انحرافاً.

وهذه النعم التي انعم الله بها على الإنسان هي أنواع من الرزق الذي يغفل عنها الناس عادة، مع انها اجدر بالتحصيل من غيرها.

[٢٠/٢٨ـ عناية الله]:

أللّهُمَّ اخْتِمْ(٢) **بِعَفْوِكَ أَجَلِي**(٣)**، وَحَقِّقْ فِي رَجَاءِ رَحْمَتِكَ**

---

(١) أي أللّهُمَّ اجعل صحتي تستغل في عبادتِكَ لا فيما يسخطكَ. وفراغي عن أُمور الدُّنيا في الزهد وعدم التطلّع إلى زخارف الدُّنيا وشهواتها. وعلمي في سبيل العمل، لا لمجرد العلم، وتركي للشهواتِ والميول النفسانية والشبهات، في إجمال، أي رفق واعتدال بدون إسراف كما هو ديدن أهل الوسوسة، وفي (س): «الوَرع ـ بالكسر ـ: الرجل التقي». (حاشية ابن إدريس: ١٨٢). وهذا المقطع والمقطع الذي قبله لم يردا في (ق)

(٢) في (ف) العبارة هكذا: «واختم»، ولم يرد فيه: «اللهم».

(٣) سؤال من الله بحسن العاقبة فإنَّ الأعمال بخواتيمها.

أَمَلِي[١]، وَسَهِّلْ إِلىَ بُلُوغِ رِضَاكَ سُبُلِي[٢]، وَحَسِّنْ فِي جَمِيْعِ أَحْوَالِي عَمَلِي[٣].

ولا يمكن للإنسان ان يتمتّع بشيء من أنواع الرزق الّتي أنعم الله سبحانه بها على العباد إلّا ان تتحقق بالوسائل الّتي أمرها بيده تعالى، ومنها:

١ ـ ختم الأجل بالعفو، وبحسن العاقبة، فما هي قيمة الدنيا وما فيها مع سوء العاقبة؟

٢ ـ تحقيق الأمل برجاء رحمة الله، ولولا الأمل بهذه الرحمة الإلهيّة لواسعة لأماتته الصدمة النفسية.

٣ ـ تسهيل رضا الله لكي يبلغه الإنسان، فلولا فتح باب التوبة لاستصعب تحصيله.

٤ ـ تحسين أعمال الإنسان في جميع الاحوال، فإن أي عمل مهما كان صغيراً أو كبيراً يفتقر إلى اتقان في الأداء وكمال في الانتاج، وباختلاف درجات ذلك يختلف حسن العمل، ولا يمكن شيء من ذلك من دون ارادة الله تعالى.

[٢٠/٢٩ـ التقرّب إلى الله]:

أَللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ[٤] نَبِّهْنِي لِذِكْرِكَ فِي أَوْقَاتِ الْغَفْلَةِ[٥]،

---

(١) في (ف) العبارة هكذا: «وحقق رجائي برحمتك».

(٢) في (س): «النهج: الطريق الواضح، وكذلك المنهج والمنهاج». (حاشية ابن إدريس: ١٨٢)، ، وانهج لي: وضّح لي وأبن لي.

(٣) في (ك) العبارة هكذا: «وَحَسِّنْ فِي جَمِيْعِ الأَحْوَال عَمَلِي، وَإلى مَا يُقَرِّبُنِي مِنْكَ وَيَزْلِفُنِي لديْكَ دُلَّنِي»، ويزلفني: يقدّمني ويقرّبني.

(٤) في (ق) العبارة هكذا: «اللهم صلّ على محمّد وآل محمد، و»، ولم ترد في (ك) عبارة: «صلّ على محمّد وآله و».

(٥) في (ف) العبارة هكذا: «في وقت الغفلة»، والغفلة: الذهول عن كلّ ما يقرّب إلى الله تعالى، وقيل: الغفلة متابعة النفس على ما تشتهيه.

وَاسْتَعْمِلْنِي بِطَاعَتِكَ فِي أَيَّامِ المُهْلَةِ(١)، وَانْهَجْ لِي(٢) إلى مَحَبَّتِكَ سَبِيْلاً سَهْلَةً(٣)، أَكْمِلْ(٤) لِي بِهَا خَيْرَ الدُّنْيَا والآخِرَةِ(٥).

ومن الأعمال المتقنة: التقرب إلى الله تعالى بالوسائل المتاحة في الأوقات المفضلة، ومنها:

١ ـ ذكر الله، وخاصة في اوقات الغفلة، وهي ـ على الأغلب ـ اوقات الشباب والصحة والغنى.

٢ ـ طاعة الله وعبادته في اوقات المهلة، وهي مدة حياة الإنسان قبل الموت، وكلما اقترب من الموت كان اصعب.

٣ ـ محبة الله، فإن حبّ الله هو منبع الخير كله؛ لأن الحب من الله، ولابد ان يكون لله وفي الله، ويكون السبيل السهلة بالتوجّه إليه مباشرة، وبهذه المحبة الإلهيّة يتحقق كمال الخير في الدنيا والآخرة.

[٢٠/٣٠ـ ختم الدعاء]:

أللّهُمَّ(٦) وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ(٧) كَأَفْضَلِ(٨) مَا صَلَّيْتَ عَلَى

---

(١) أي الحياة الدُّنيا.

(٢) في حاشية (ك) في نسخة: «إلى».

(٣) في (ك) العبارة هكذا: «إلى رَحْمَتِكَ سَبِيْلاً سَهْلاً»، ولم ترد في (ف) عبارة: «وَانْهَجْ لِي إلى مَحَبَّتِكَ سَبِيْلاً سَهْلَةً»، وفي (س): «السبيل: الطريق، والجمع سُبُل، يذكّر ويؤنّث». (حاشية ابن إدريس: ١٨٢)، والسبل، جمع سبيل وهي الطاعات والحسنات والمراد وفقني للقيام بصالح الأعمال من غير مشقة.

(٤) في (ت): «واجمع»، وفي (ف) العبارة هكذا: «وأكْمل»، وفي حاشية (ج) في نسخة: «واجمع».

(٥) في (ق) العبارة هكذا: «واجْمعْ لِي خَيْرَ الدُّنْيَا والآخِرَة»، وفي (ك) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ اِجْعَلْ لِي خَيْرَ الدُّنْيَا والآخِرَة».

(٦) لم ترد في (ف) عبارة: «أللهم».

(٧) في (ت): «اللهم صل على محمد وآله»، وهذه العبارة وردت في (ك) بعد الفقرة السابقة هكذا: «وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّد كأفضل...».

(٨) في (ف) العبارة هكذا: «صَلِّ عَلَى مُحَمَّد أَفْضَل».

حَدٍ مِن خَلقِكَ قَبْلَهُ[١]، وَأنْتَ مُصَلٍّ عَلَى أحَدٍ بَعْدَهُ[٢]، وَآتِنَا[٣] بي الدُّنْيَا حَسَنَةً وفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنِا[٤] بِرَحمَتِكَ عَذابَ لنَّارِ[٥] [إنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، وَهُوَ عَلَيْكَ يَسِيرٌ، يَا وَاسِعَ لوَاهِبِينَ وَأكْرَمَ الأَجْوَدِينَ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ، ;عِبَادَكَ المُؤمِنِينَ، إنَّكَ ذُو رَحْمَةٍ قَرِيبَةٍ مِنَ المُحْسِنِينَ][٦].

وقد ختم الدعاء بأمور ثلاثة، هي المبدأ والمسير والمصير، والّتي أوردها ي مقاطع الدعاء، وهي:

أولاً: منبع الدعاء، وهو ثقافة الإسلام الّتي بشّر بها النبيّ القائد حمد صلى الله عليه وآله وسلم، فهو الحقيق بالصلاة التامة، وأن تكون هذه الصلوات كأفضل لصلوات على مَن قَبلَه من الأنبياء والرسل؛ لأن رسالته هي الخاتمة لرسالات مَن بلَه ومانعة عمّا بعده.

ثانياً: الحسنة المطلوبة في مسيرة التكامل الإنساني في الحياة حتى الممات.

ثالثاً: الرحمة الإلهيّة في يوم المعاد بالوقاية من عذاب النار.

---

١) في (ك) العبارة هكذا: «على أَحَد قَبْله»، وفي (ف) العبارة هكذا: «أفْضَل ما صَلّيت على من تقدّم».

٢) في (ف) العبارة هكذا: «مصَلّ على من تأخر».

٣) في (ف) العبارة هكذا: «وآتني».

٤) في (ج) (ف): «وقني».

٥) كذا في (ك) (ق)، وفي غيرهما العبارة هكذا: «وَقِني عَذابَ النَّارِ»، وفي (ت) العبارة هكذا: «وَقِني عَذابَ النَّارِ، آمين».

٦) ما بين المعقوفتين من (ف).

[الدعاءُ الحادي والعشرون]

وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام إِذَا أحزَنَهُ[1] أَمْرٌ وَأَهَمَّتْهُ الخطَايَا[2]

[١/٢١ ـ الدعاء عند الحزن]:

أللّهُمَّ، يَا كَافِيَ[3] الْفَرْدِ الضَّعِيفِ، وَوَاقِيَ[4] الأَمْرِ الْمَخُوفِ[5].

---

(١) في حاشية (ج): «أحزنه، حزنه ـ معا، س».

(٢) ورد هذا الدُّعاء في ملحق (ك) بالرقم (٤٣) بالعنوان ذاته، وفي (ش) بالرقم (٣٩) وعنوانه: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام في الاسترزاق وسؤال البركة»، وفي (ج) بعنوان: «الحادي والعشرون: وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام إِذَا أحزَنَهُ أَمْرٌ وَأَهَمَّتْهُ الخَطَايَا»، وفي (ق) (ت) بعنوان (الحادي والعشرون) وعنوانه: «في الاستكفاء»، وفي (ف) ورد هذا الدعاء ضمن الدعاء السابق بدون عنوان، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (٢١)، بعنوان: «دُعاؤهُ إذا أحزنه أمر».

(٣) قوله: «أللّهُمَّ يَاكَافِي»، «الكافي» من الأسماء الحسنى، وهو الذي يكفي عباده ويدفع عنهم، وهو مرادف للحسيب، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ (سورة الطلاق ٦٥: ٣).

(٤) في (ت) وملحق (ك): «ويا وافي»، وقوله: «وَوَاقِي» من وقى يقي وقاية: إذا صان وحفظ، ووقى الأمر: أصلحهُ.

(٥) كذا في (ج) (ف) (س)، وفي (ق) العبارة هكذا: «المُخِيف»، والمَخُوفُ، هو مَوْضِعُ المَخَافَةِ. وهو ما يغلب معه التلف من الأحوال، كحال التحام الحرب والتقاء الفريقين للقتال وتكاثر المراماة وحال الطلق للمرأة ولا سيما مع موت الولد في بطنها وبعض أحوال ركوب البحر إلى غير ذلك، فإن النفوس البشرية قد تتيقن عدم الخوف والأذى ومع ذلك يظهر عليها الخوف والاضطراب من رؤية المخوف، فإن موسى (ع) مع كونه في درجة النبوة وقد أخبره الله تعالى بأنه اختاره، لما أمره الله بإلقاء عصاه، فألقاها، فلما صارت حية خاف وولى مدبراً، فقال الله تعالى: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ =

[٢/٢١ ـ سبب النداء]:

أَفْرَدَتْنِي الْخَطَايَا(١) فَلَا صَاحِبَ مَعِي، وَضَعُفْتُ عَنْ غَضَبِكَ فَلَا مُؤَيِّدَ لِي(٢)، وَأَشْرَفْتُ عَلَى خَوْفِ لِقَائِكَ، فَلَا مُسَكِّنَ لِرَوْعَتِي(٣).

(سورة طه ٢٠: ٢١)، فلم يمكنه أن يخالف الأمر، وكان عليه كساء فلف طرف الكساء على يده ليأخذها. فقال الله: مالك يا موسى؟ أرأيت لو أذن الله تعالى لها في أذاك أرادّ عنك كساءك؟! فقال: لا، ولكني ضعيف ومن ضعفٍ خُلقت، فالنفس البشرية هذا طبعها، وكذلك أُمّ موسى عليها السلام، لما أمرها الله تعالى بإلقاء ولدها في اليم ونهاها عن الخوف والحزن وأخبرها أنه سيردّ إليها، فلما ألقته في اليم داخلها الاضطراب في النفس حتى كادت لتبدي به وتفضح أمرها، لولا أن ربط الله على قلبها، فلم تنطق مع اضطراب القلب. (شرح إحقاق الحق ٣: ٤٥). وقيل: ان إخافته تعالى هو ما تضمّنّته آيات الوعيد، كما قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾. (الزمر ٣٩: ١٦)، وهو محتمل، غير أنّ الظاهر أنّ إسناد كلّ من الإخافة والإفراد والإضعاف إليه سبحانه من باب الغناء عن ملاحظة الوسائط ومشاهدة الأفعال، والتّرقي عن مقام الصفات إلى ملاحظة الذات، إلّا تراه أسند أوّلا إفراده إلى الخطايا لكون ارتكابها سببا لانفراده، والإضعاف إلى الغضب، والإخافة إلى سوء اللقاء، فلاحظ الوسائط والأفعال والصفات، ثمّ أعرض عن ذلك وقطع النظر عنه، واستأنف الكلام راقيا إلى الذات فقال: «ومن يؤمنني منك وأنت أخفتني». ونظير ذلك ما ورد في الدعاء النبوي صلّى الله عليه وآله: «وأعوذ بك منك». (رياض السالكين٣: ٤٥١).

(١) أي انَّ الخطايا جعلتني منفرداً.

(٢) في ملحق (ك): «فلا موئل لي».

(٣) في (ش): «وَلا مسكن لرهبتي». وأفْرَدَتْنِي، أي انَّ الخطايا جعلتني منفرداً، وقوله: «لِرَهْبَتِي» الرهبة: الخوف، أي اقتربت من الموت، خائفاً، أي لا مسكّن لخوفي هذا، وقوله: «وَمَنْ يُؤمنني وَأَنْتَ أَخَفْتَنِي، وَمَنْ يُسَاعِدُنِي وَأَنْتَ أَفْرَدْتَنِي» لعلّهُ إشارة إلى قولهِ تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾. (سورة مريم ١٩: ٩٥). وقوله: «فلا مؤيِّد لِي» لعلّهُ إشارة إلى قولهِ تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾. (سورة الروم ٣٠: ٥٤)، وقوله: «لَا يَخْفِرُ» أي لا يجير، من خفرهُ: إذا أجارهُ ومنعهُ وحماهُ وآمنهُ. وقوله: «وَبِيَدِكَ يَا رَبِّ مِنْ جَمِيْعِ ذَلِكَ السَّبَبُ، أي أنَّ أسباب ذلك كلَّهُ بيدِكَ، فانتَ سبب الأسباب ومسببها، وَقوله: «فاطْلَبْنِي» أي أعطني، من أطلب فلاناً، أعطاهُ ما طلبَ، أو ألجأهُ إلى الطلب. وهو من الاضداد، وقوله: «وَأَجِرْنِي» أي احفظني وآمني.

[٣/٢١ ـ نداء الدعاء]:

وَمَنْ يُؤمِنُنِي مِنْكَ وَأَنْتَ أَخَفْتَنِي؟

وَمَنْ يُسَاعِدُنِي وَأَنْتَ أَفْرَدْتَنِي؟

وَمَنْ يُقَوِّينِي[1] وَأَنْتَ أَضْعَفْتَنِي؟

في هذا المقطع فقرات تقرأ عند الحزن، وفيها بيان سببه، ودعاء القدرة العليا لرفعه.

ويستفتح الدعاء بصفات الله سبحانه الّتي تكشف عن القدرة المطلقة، ويضادها صفات الداعي الّتي تكشف عن الضعف والحاجة، ومن صفات القدرة:

١ ـ الكافي، بمعنى الحريّ، أو الوافي، ويقابله صفة الداعي الذي هو فرد ضعيف يفتقر إلى من يعينه لوحدته والى من يجبر ضعفه.

٢ ـ الواقي، وهو من الوقاية، بمعنى صيانة الإنسان عن الامر المخوف.

ثم اتبع هذين النداءين ببيان السبب في الضعف والخوف الموجب لتوجيه النداء إلى من له القدرة على الكفاية والوقاية.

أما السبب: فإن الخطايا، أي الآثام، هي السبب في ان ينفرد الإنسان عن غيره؛ فإن الاثم كالمرض الذي يصيب الإنسان، ويشعر بالآمه المريض نفسه دون غيره، فيرى نفسه منفرداً عن غيره ممن لم يبتل بهذا المرض، وانه لا صاحب له يشاركه في المرض نفسه.

والسبب في الضعف: ان الخطايا موجبة لغضب الله سبحانه حيث صدرت

---

(١) في (ش): «يؤدّني»، ولعل الصحيح: «يؤيدني» كما في بعض النسخ، وقوله: «وَمَنْ يُؤَيِّدُنِي وَأَنْتَ أَضعفْتَنِي» لعلَّهُ إشارة إلى قولِهِ تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾. (سورة الروم٣٠: ٥٤).

عن عمد، فلا يمكن ان يكون لها مؤيّد؛ لانه لا يتمكن الا من الاعتذار منه لصدورها عن علم وعمد، فيكون العبد ضعيفاً لا مساعد له.

والسبب في الخوف: ان الإنسان يرى استحقاق نفسه للعقوبة فيرتاع، أي يفزع من هذه العقوبة العادلة المتوقعة، ويوجب ذلك عنده خوف مواجهة الحقيقة في لقاء الله سبحانه حين الوقوف بين يديه للمحاكمة.

واما الدعاء المتعقب بنداء الكفاية من الضعف والوقاية من المخوف فهو مستمد من القاعدة الاساسية، وهي الايمان بقدرة الله تعالى الحاكمة في الكون، وان هذه القدرة الإلهيّة غير محدودة، وقد تكفلت كتب الكلام بيان العقيدة الوسطى بين الجبر والاختيار، وان الإنسان ليس مجبراً مطلقاً ولا مسيّراً مطلقا، بل أمر بين الحالتين.

بيان ذلك: ان الله خلق الإنسان، فهو مخلوق لا إرادة له في خلق نفسه، وقد أعطاه الله بعد خلقه القدرة على اختيار الخير أو الشرّ ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾(١) فهو إذاً ذا إرادة في أعماله وأقواله، وبالنتيجة يكون هو المسؤول عنها، وإن كانت أصل القدرة الّتي منحه الله ليست اختيارية، إذ لو كان قد سلب القدرة عنه لكان ملائكة ولم يكن إنساناً.

وهذا النداء يشير إلى هذه القدرة هي التي تميّز الإنسان بالإنسانية الّتي لولاها لما كان الإنسان قادراً على أن ينفرد عن غيره، وبها أصبح قادراً على أن يجعل نفسه ضعيفاً، وبها أصبح قادراً على أن يجعل نفسه خائفاً، مع العلم أن أصل القدرة من الله سبحانه، ولولا هذه القدرة لما أمكن أن يستعملها.

وبالنتيجة: أن كلّا من الانفراد والخوف والضعف أيضاً يرجع إلى الله سبحانه، فإذا اتضح ذلك يتضح انه لا ملجأ في كفاية الضعف والوقاية من المخوف سوى الله سبحانه؛ حيث انه ليس من يؤمن الخائف سوى من يكون الخوف منه، وليس هناك من يساعد من ابتلي بالتفريد بسبب خطاياه، وليس من

---

(١) القرآن الكريم، سورة الإنسان ٧٦: ٢.

يستمد منه القوة سوى من كان الضعف منه بسبب استعمال القدرة الّتي وهبها في غير موضعها.

[٤/٢١ ـ القدرة الكاملة]:

لَا يُجِيرُ[(١)] ـ يَا إِلَهي[(٢)] ـ إِلَّا رَبٌّ عَلَى مَرْبُوبٍ، وَلَا يُؤْمِنُ إِلَّا غَالِبٌ عَلَى مَغْلُوب[(٣)]، وَلَا يُعِينُ إِلَّا طَالِبٌ عَلَى مَطْلُوب، وَبيَدِكَ ـ يَا إِلَهِي ـ جَمِيعُ ذَلِكَ السَّبَبِ[(٤)]، وَإِلَيكَ المَفرُّ[(٥)] والْمَهْرَبُ[(٦)]، فَصَلِّ[(٧)] عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَجِرْ[(٨)] هَرَبِي، وَأَنْجِحْ مَطلَبِي[(٩)].

---

(١) في (ش): «لا يخفر لي»، وقوله: «لَا يُجِيرُ» هو بمعنى: لا يخفرُ: إذا أجارهُ ومنعهُ وحماهُ وآمنهُ.

(٢) في (ف): «إلهي».

(٣) في (ش): «من مَغْلُوب».

(٤) في (ش) العبارة هكذا: «وَبِيَدِكَ مِنْ جَمِيْعِ ذَلِكَ السَّبَبُ»، أي أنَّ أسباب ذلك كلَّهُ بيدِكَ، فانتَ سبب الأسباب ومسببها.

(٥) في ملحق (ك): «المقرّ».

(٦) في (ش) هنا زيادة ما يلي: «فاطلبني بِقُدْرَتِكَ مَا أَطْلُبُ، وَأَجِرْنِي بِقوتِكَ مِمَّا أَرْهَبُ. أَللّهُمَّ وصُنْ وَجْهِي بِاليَسَارِ، وَلَا تَبْتَذل جَاهِي بِالاقْتَارِ، فارتزق أَهْلَ رِزْقَكَ، واسْتَعْطِيَ شِرَارَ خَلْقِكَ، فَأَفْتنَ بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي، وَأَبْتَلى بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي، وَأَنْتَ ـ مِنْ دُونِهِمْ ـ وَلِيُّ الإِعْطَاءِ والمَنْع. أَللّهُمَّ اكفني مؤونة الاكتساب، وارزقني عن غير احتساب، فلا أشتغل عن عِبَادَتك بالطلب وَتبعات المكتسب، أَللّهُمَّ امْنَعْنِي مِنَ السَّرَفِ، وَحَصِّنْ رِزْقِي مِنَ التَّلَفِ، وَوَفِّرْ لي وعليّ ما اشتملت عليه البَرَكَةِ، وَأَصِبْ بِي سبلَ البرّ فِيْمَا أُنْفِقُ مِنْهُ، أللّهُمَّ اني اسألك صِحَّةً فِي عِبَادَة، وَفَرَاغاً فِي زَهَادَة، وَعِلْماً فِي اسْتِعْمَال، وَوَرَعاً فِي إِجْمَال. أَللّهُمَّ اخْتمْ بِعَفْوكَ أَجَلِي، وَحَقِّقْ فِي رَجَاءِ رَحْمَتِكَ أَمَلِي، وَسَهِّلْ إِلىَ بُلُوغ رِضَاكَ سُبُلِي، وَحَسِّنْ فِي جَمِيْعِ أَحْوَالِي عَمَلِي. أَللّهُمَّ نَبِّهْنِي لِذِكْرِكَ فِي أَوْقَاتِ الغَفْلَةِ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِطَاعَتِكَ فِي أَيَّام المُهْلَةِ، وَانْهَجْ لِي إلى مَحَبَّتِكَ سَبلاً سَهْلَةً. أَللّهُمَّ اجعل لي خير الدنيا والاخرة، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّد وآله كَأَفْضَلِ مَا صَلَّيْتَ عَلَى أحد بَعْدَهُ، وَآتِنَا فِي الدُنْيَا حَسَنة وفِي الآخِرَةِ حَسَنَة، وَقِنِا عَذابَ النَّارِ». وهذه الفقرات قد تقدمت في اواخر الدعاء السابق.

(٧) في (ف): «صلّ».

(٨) في (ق): «وأجرني»، ويحتمل أيضا: «وأجر في».

(٩) في ملحق (ك): «طلبي»، ولم ترد في (ش) هذه الفقرة، وفي (ف) العبارة هكذا: «أَللّهُمَّ =

في هذا المقطع وما يليه بيان لاستحقاق الداعي لقبول الاجابة، لعموم قدرة الله سبحانه، وقد عدد هنا من صفات القدرة الكاملة في الله سبحانه ثلاث، هي:

١ ـ الربوبية، حيث انه خالق كل شيء بما فيه هذا الإنسان الخاطئ، فهو الجدير بالجبر دون غيره.

٢ ـ الغلبة، والله غالب أمره وهو على كل شيء قدير، فهو المؤمّن دون غيره.

٣ ـ الطلب، باستحقاق الوفاء بالمسؤوليات الإسلامية، فهو المغني دون غيره.

وهذه الصفات تكشف عن القدرة الكاملة، فالله سبحانه بيده وتحت قدرته جميع ذلك من الأسباب والمسببات بالواسطة وبدونها، فلا يكون المهرب من الحزن والهموم والخطايا إلّا اليه تعالى.

ولا محيص سوى اللجأ إليه باجارة الهارب وانجاح المطلوب، آمين رب العالمين.

[٢١/٥ ـ إنقطاع الأمل]:

أللّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ صَرَفْتَ عَنِّي وَجْهَكَ الْكَرِيمَ، أو مَنَعتَنِي[1] فَضْلَكَ الْجَسِيمَ، أَوْ حَظَرْتَ عَلَيَّ رِزْقَكَ، أَوْ قطعتَ عَنِّي سَبَبَكَ[2]، لَمْ أجِد السَّبِيلَ إِلَى شَيءٍ مِنْ أَمَلِي غَيْرَكَ، وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى مَا عِنْدَكَ

فأَطلبني بِقُدْرَتِكَ مَا أَطْلُبُ، وَأَجِرْنِي بِعِزَّتِكَ مِمَّا أهرب [أَرْهَبُ]وتوّجني بالكفاية. . .» إلى آخر ما تقدم في المقطع ٢٥ من الدعاء السابق [٢٠/ ٢٥- طلب الرزق] .

١) في (ق) وملحق (ك): «ومنعتني».

٢) لم ترد في (ش): «أو قَطَعتَ عَنّي سَبَبَكَ»، في حاشية (ج)في نسخة: «سيبك»، وفي نسخة: «سيبلك»، وفي حاشية (ج) عن نسخة ابن إدريس: «نيلك ـ س»، وفي حاشية (د): ««سيبك» «سيبلك» «سيلك» «ليلك» «نيلك» ـ س».

بِمَعُونَةِ سِوَاكَ[١]، فَإِنِّي عَبْدُكَ[٢] وفِي قَبْضَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، لَا أَمْرَ لِي مَعَ أَمْرِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، وَلَا قُوَّةَ لِي عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ سُلْطانِكَ، وَلَا أسْتَطِيعُ مُجَاوَزَةَ[٣] قُدْرَتِكَ، وَلَا أَسْتَمِيلُ هَوَاكَ[٤]، وَلَا أَبْلُغُ رِضَاكَ، وَلَا أنَالُ مَا عِنْدَكَ إلَّا بِطَاعَتِكَ وَبِفَضْلِ رَحْمَتِكَ.

وهذا المقطع يعدد حالات الداعي وصفاته الّتي يستحق بها قبول الدعاء منه، ويجمعها: انقطاع الأمل من غير الله سبحانه في الحالات التالية:

١ ـ صرف الوجه، وهو كناية عن رد الدعاء.

٢ ـ منع الفضل الجسيم، أي العظيم؛ لعظمة المانع.

٣ ـ حضر الرزق بقطع مادة الحياة.

٤ ـ قطع السبب، وهو السبب الوحيد الذي يكون باختيار الإنسان، أي قبول الدعاء.

فان هذه حالات من انقطع أمله من أي سبب آخر سوى الله سبحانه، حيث استنفذ ما عند نفسه. ولم تبق له سوى رحمة الله المنتظرة لمن لم يقدر على نيل ما عند الله بمعونة أحد سوى الله سبحانه.

وأما صفات الداعي الّتي يستحق بها قبول الدعاء، فقد ذكر منها:

١ ـ (عبدك)، والعبد يستحق الرحمة من مولاه.

---

(١) في (ش) العبارة هكذا: «لَمْ أجِدِ السَّبِيلَ إلَى شَيءٍ مِنْ أَمَلِي بغَيْرِكَ، وَلَما قَدِر عَلَى مَا اعِتدَلَ بِمَعُونَةِ سِوَاكَ».

(٢) في (ش) زيادة: «يا سيدي».

(٣) في (ت) وملحق (ك): «محاورة».

(٤) لم ترد في (ش): «ولا أستميل هواك»، وفي حاشية (ج): «أي إرادتك»، وفي (ق) (ت) وملحق (ك): «ولا أستميل سواك».

٢ ـ (في قبضتك)، أي في ملكك، والمملوك يستحق الرحمة من مالكه.

٣ ـ (ناصيتي بيدك)، أي الجبهة تحت قدرة الله، فهو تحت قدرته الشاملة.

٤ ـ (لا أمر لي مع أمرك)، حيث أنّ العبد يتبع مولاه في أوامره.

٥ ـ (ماض فيَّ حكمك)، فالحكم الإلهي ينفذ في الإنسان بدون ترديد.

٦ ـ (عدلٌ فيّ قضاؤك)، فكلما قضاه الله يكون عدلا يستحقّه الإنسان.

٧ ـ (لا قوّة لي)، فإن سلطان الله يعم هذا الإنسان الذي لا قوّة له على الخروج منه.

٨ ـ (لا استطيع مجاوزة قدرتك)، فإن قدرة الله محيطة بالإنسان اينما قصد.

٩ ـ (لا أستميل هواك)، أي لا اقدر على استعطاف محبتك وجعلها مائلة لي باختياري.

١٠ ـ (لا أبلغ رضاك)، أي لا أتمكن من ان اصل إلى رضا الله باختياري.

وبالنتيجة: فهذه صفات عاجز يستحق العطف من الله سبحانه؛ حيث لا ينال ما عند الله إلّا بالطاعة وبفضل الرحمة الالهية الواسعة.

[٦/٢١ ـ الشهادة على النفس]:

إِلـهِي[١] أَصْبَحْتُ[٢] وَأمسَيتُ[٣] عَبْداً داخِراً[٤] لَكَ[٥]، لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً[٦] إِلَّا بِكَ، أَشْهَدُ بِذَلِكَ عَلَى نَفْسِي، وَأَعْتَرِفُ بِضَعْفِ[٧] قُوَّتِي وقِلَّةِ حِيلَتِي، فَأَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، وَتَمِّمْ

---

(١) في (ش) (ق): «أللّهُمَّ».

(٢) في (ق): «إني أصبحت».

(٣) لم ترد في (ق) (ت): «وأمسيت».

(٤) في (ت): «ذاخراً»، وفي حاشية (ج) (د): «الدخور: الصغار والذل ـ س»، وفي (س): «الدخور: الصغار والذلّ، يقال: دخر الرجل ـ بالفتح ـ فهو داخر، وأدخره غيره». (حاشية ابن إدريس: ١٨٥).

(٥) في (ق): «ذاكراً لك». وفي ملحق (ك): «اللهمّ انّي أَصْبَحْتُ عَبْداً داخِراً لَكَ».

(٦) في (ش) زيادة: «ولا أصرف عنها شراً».

(٧) في (ق) (ت): «واعترف لك بضعف». وفي (ش): «بفضل».

لِي مَا آتَيْتَنِي، فَإِنِّي عَبْدُكَ الْمِسْكِينُ، الْمُسْتَكِينُ[١]، الضَّعِيفُ، الضَّرِيرُ[٢] [الذليل][٣]، الْحَقِيرُ[٤]، الْمَهِينُ، الْفَقِيرُ[٥]، الْخَائِفُ، الْمُسْتَجِيرُ.

ومن الأسباب الموجبة لاستحقاق قبول الدعاء: الشهادة على النفس، والاعتراف بالجريمة والشهادة بأمور، هي:

١ ـ العبودية التامّة لله، داخراً، أي ذليلا صاغراً، وهذه العبودية تعم الحياة صباحاً ومساءً من دون استثناء.

٢ ـ العجز التام، بحيث لا يملك لنفسه جلب منفعة ولا دفع ضرر.

٣ ـ ضعف القوة؛ فإنه ليس متجلداً، بل معترفاً بواقع الحال.

٤ ـ قلّة الحيلة، والحيلة: الوسيلة؛ لأن الوسائل كلها انحصرت بواحدة وهي الدعاء من الله سبحانه.

٥ ـ وعد الله بقبول الدعاء بقوله: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾[٦].

٦ ـ تتميم ما آتاه الله من نعمة الحياة بقبول الدعاء الموجب للسعادة.

٧ ـ المسكنة، وهي الذلة بسبب الخطايا.

٨ ـ الاستكانة، وهي تعبير عن الذل في حالة أُخرى.

٩ ـ الضعيف في كل شيء من القول والعمل.

١٠ ـ الضرير، والضرّ بمعنى الفاقة والفقر.

---

(١) لم ترد في (ق): «المستكين».

(٢) في (س): «الضرير: صاحب الضرورة، ويراد به شديد الاحتياج». (حاشية ابن إدريس: ١٨٥).

(٣) ما بين المعقوفتين من (ق) (ش) (ت) وملحق (ك)، وفي حاشية (ج) (د): «في نسخة ابن إدريس، زيادة: الذليل».

(٤) في (س): «الحقير: الصغير الذليل. رجل مهين: أي حقير». (حاشية ابن إدريس: ١٨٥).

(٥) في (ش) (ق) وملحق (ك): «الضِّريرُ، الذليل، الفقير، الْمَهِينُ، الْحَقِيرُ الْخَائِفُ المستجير».

(٦) القرآن الكريم، سورة غافر٤٠: ٦٠.

١١ ـ الحقير، والحقارة بسبب الخطايا من حيث أنه كان لا يعبأ بها.

١٢ ـ المهين، والمهانة فيما يحتاج.

١٣ ـ الفقير، والفقر لقلّة ما بيده من الوسائل.

١٤ ـ الخائف، والخوف بسبب الخطايا المتعمّدة.

١٥ ـ المستجير، والاستجارة طلب الأمان مما يستحق العقوبة عليه.

وهذه الشهادة على النفس تجعل الداعي تحت رحمة الله تعالى ويستحق بها رحمته التي وسعت كل شيء، ومنه هذا الإنسان المستجير بالله تعالى.

[٧/٢١ ـ الامتحان]:

أَللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَلَا تَجْعَلْنِي[١] نَاسِياً لِذِكْرِكَ فِيمَا أَوْلَيْتَنِي، وَلَا غَافِلاً لإِحْسَانِكَ[٢] فِيمَا أَبْلَيْتَنِي[٣]، وَلَا آيِساً[٤] مِنْ إِجَابَتِكَ لِي وَإِنْ أَبْطَأَتْ عَنِّي، فِي سَرّاءَ كُنْتُ أَوْ ضَرَّاءَ، أَوْ شِدَّةٍ أَوْ رَخَاءٍ، أَوْ عَافِيَةٍ أَوْ بَلَاءٍ، أَوْ بُؤْسٍ أَوْ نَعْمَاء[٥]، أَوْ جِدَةٍ[٦] أَوْ لأْوَاء[٧]، أَوْ فقرٍ أَوْ غِنى[٨].

وهذا المقطع يشير إلى أن الحالة الّتي فيها الداعي هي حالة امتحان للإنسان لمعرفة مدى صبره على المكاره، واستمراره على الالتزام بآداب الدعاء؛ فإنّ عدم

---

(١) في (ق): «أللّهُمَّ صل على محمد وآل محمد، ولا تجعلني»، وفي (ش): «أللّهُمَّ لا تجعلني».

(٢) في (ش) (ق) (ت) وملحق (ك): «وَلَا غَافِلاً عن شكر إحسانِكَ».

(٣) في حاشية (ج) (د): «ابتليتني ـ س».

(٤) في (ش): «آئساً».

(٥) في (ش): «نعمى».

(٦) في ملحق (ك): «أو حدّة»، وفي حاشية (ج): «أي غنى».

(٧) في حاشية (ج): «أي شدّة»، ولم ترد في (ش): «أو جدة أو لأواء»، وفي (س): «لأي لأياً: أي أبطأ بطئاً، واللأواء: الشدة، الوجل: الخوف». (حاشية ابن إدريس: ١٨٥).

(٨) في (ق) وملحق (ك): «أو غناء»، وفي حاشية (ج) (د): «أو غناء ـ س».

الاستجابة قد يوجب ردّ الفعل المؤدّي إلى حالة اليأس، ومن ردود الفعل المتعارفة:

١ ـ نسيان ذكر الله فيما أولاه، أي أعطاه من الخيرات، واقلها نعمة الحياة.

٢ ـ الغفلة للاحسان في الابتلاء، أي الامتحان، فإن حالة الامتحان تجعل الإنسان مرتبكاً في حياته وخائفاً من المستقبل.

٣ ـ اليأس من الإجابة في حالة الابطاء والتأخير؛ فالإنسان بطبيعته يستعجل الإجابة ويكره التأخير، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[1].

فإنّ ردود الفعل الثلاث عاديّة لمن لا يقدّر دور الامتحان الذي يقتضي الصبر والالتزام بأضدادها، وهي: ذكر الله وعدم الغفلة عن الإحسان وعدم اليأس في كل الحالات، وهي:

١ ـ السراء، أي حالة المسرة.

٢ ـ الضراء: وهي حالة النقص.

٣ ـ الشدة: وهي الصعوبة.

٤ ـ الرخاء: وسع الحياة.

٥ ـ العافية: الصحة والسلامة.

٦ ـ البلاء: أي المكروه.

٧ ـ البؤس: شدة الحاجة.

٨ ـ النعماء: النعمة واليسار.

٩ ـ الجدة: الغنى.

١٠ ـ اللأواء: ضيق المعيشة.

١١ ـ الفقر: فقد ما يحتاج اليه.

١٢ ـ الغنى: وفور المال وغيره.

---

(١) القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ٢١٦.

فالإنسان الذي يقدّر دور الامتحان في الحياة لا تؤثر فيه هذه الحالات طارئة؛ لعلمه بأنها حالات غير ثابتة، وتتغيّر بتغير الزمان ويبقى الأثر المرجو من لامتحان، وهو الصمود امام الطوارئ مهما عظمت.

٨/٢١ ـ نتيجة الامتحان]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْ[١] ثَنَائي عَليكَ[٢]، مَدْحِي إِيّاكَ، وَحَمْدِي لَكَ، فِي كُلِّ حَالَاتِي، حَتَّى لَا أفْرَح بِمَا يْتَني مِنَ الدُّنْيَا، ولَا أحْزَنَ عَلَى مَا مَنعْتَنِي فيهَا[٣]، وَأشْعِرْ[٤] لْبِي تَقْوَاكَ، وَاسْتَعْمِلْ بَدَني فِيمَا[٥] تَقْبَلَهُ مِنِّي، وَأشْغَلْ بِطَاعَتِكَ نْسِي عَنْ كُلِّ مَا يَرِدُ[٦] عَلَيَّ[٧] حَتَّى لَا أُحبَّ شَيْئاً مِنْ سَخَطِكَ، لَا أسْخَطَ شيْئاً مِن رِضَاكَ.

ونتيجة الامتحان الذي يمّر به الإنسان في الصمود على المبادئ في كل حالات: أن لا يفقد التوازن المطلوب في كل الحالات، وذلك بالالتزام بنقاط ي:

١ ـ عدم الفرح بما آتاه الله من الدنيا.

٢ ـ عدم الحزن على ما منع منها.

٣ ـ التقوى؛ بأن يشعر القلب بذلك بالفكر الواعي إسلامياً.

---

(١) في (ش): «أللّهُمَّ اجعل».

(٢) في (ت): «ثنائي لك».

(٣) في (ش) (ق) (ت) وملحق (ك): «منها»، وفي حاشية (ج): «منها ـ س».

(٤) في (س): «شعرت بالشيء ـ بالفتح ـ أشعر به مشعراً، أي فطنت له، ومنه قولهم: ليت شعري، أي ليتني علمت». (حاشية ابن إدريس: ١٨٥).

(٥) في (ش): «بما».

(٦) في (ش): «ما تورده».

(٧) لم يرد في (ق): «عليّ».

٤ ـ العمل بالمقبول من الاعمال على إثر شعور القلب بالتقوى.

٥ ـ الطاعة، بحيث تشتغل النفس بها عن غيرها في الفكر والعمل.

ونتيجة هذه النقاط الخمس ان لا يحب الإنسان شيئاً مما فيه سخط الله من الأعمال، ولا يسخط من شيء فيه رضى الله تعالى، وهذه النتيجة هي الّتي تحقق التوازن في مسيرة الحياة بما ينفع النفس والاسرة والمجتمع.

[٩/٢١ ـ من رحمة الله]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَفَرِّغْ(١) قَلْبِي لِمَحَبَّتِكَ، وَاشْغَلْهُ بذِكْرِكَ، وَأنْعَشْهُ(٢) بِخَوْفِكَ وَبالْوَجَلِ مِنْكَ، وَقَوِّهِ بِالرَّغبَةِ إلَيْكَ، وَأَمِلْهُ إلَى طَاعَتِكَ، وَأجرِ بِهِ(٣) فِي أحَبِّ السُّبُلِ إلَيكَ(٤)، وَذَلِّلْهُ بِالرَّغبَةِ فِيمَا عِنْدَكَ أيَّامَ حَيَاتِي كُلِّهَا.

وَاجْعَلْ تَقوَاكَ مِنَ الدُّنيَا زَادِي، وَإلَى رَحْمَتِكَ رِحْلَتِي، وَفِي مَرْضَاتِكَ مَدْخَلِي، وَاجْعَلْ فِي جَنَّتِكَ مَثْوايَ، وَهَبْ لِي قُوَّةً أَحْتَمِلُ بِهَا جَمِيعَ مَرْضَاتِكَ(٥)، وَاجعَلْ فِرَارِيَ إلَيكَ، وَرَغبَتِي فِيمَا عِنْدَكَ.

وَألبِسْ قَلْبِي الْوحْشَةَ مِنْ شِرَارِ خَلْقِكَ، وَهَبْ لِيَ الْأُنْسَ بِكَ وَبأوْلِيَائِكَ وَأهْلِ طَاعَتِكَ(٦).

---

(١) في (ش): «أللّهُمَّ فرّغ».

(٢) في حاشية (ج): «نعشه الله: رفعه».

(٣) في (ق) (ت) وملحق (ك) وحاشية (ج) في نسخة: «وخذ به»، وفي هامش (س) ما نصّه: «في نسخة ابن إدريس: (وخذ) بدل (وأجر) كما في (لوامع الأنوار العرشية ٣: ٤٣١)».

(٤) في (ق) وملحق (ك): «وخذ به في أحب السبيل اليك».

(٥) العبارة: «وَاجْعَلْ فِي جَنَّتِكَ مَثْوايَ، وَهَبْ لِي قُوَّةً أَحْتَمِلُ بِهَا جَمِيعَ مَرْضَاتِكَ» لم ترد في (ت).

(٦) في (ت): «في أهل طاعتك».

وَلَا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ[١] وَلَا كَافِرٍ عَلَيَّ مِنَّةً[٢]، وَلَا لَهُ[٣] عِنْدِي يداً[٤]، وَلَا بِي إِلَيهِمْ حَاجَةً، بَلِ اجْعَلْ سُكونَ قَلْبِي وَأُنْسَ نَفْسِي واسْتِغْنَائِي[٥] وَكِفَايَتِي بِكَ وَبِخِيَارِ خَلْقِكَ.

وهذا المقطع يعدّد من رحمة الله تعالى ما يجعل الإنسان سعيداً في الحياة، وذلك في مرحلتين:

المرحلة الأولى: فيما يتعلق بالقلب، وهي أُمور:

١ ـ محبة الله، فإذا فرغ القلب لمحبة الله تعالى فإنه سوف يفيض الخير منه على غيره من الموجودات، حتّى النَباتات والجمادات، فضلا عن الإنسان والحيوان.

٢ ـ ذكر الله؛ فإن بذكره تطمئن القلوب، والاشتغال به قولا وعملا سعادة في الحياة.

٣ ـ الخوف من الله، فإن الخوف هو الرهبة، والوجل، أي الفزغ إذا كان من الله سبحانه فإنه يوجب الانتعاش.

٤ ـ الرغبة إلى الله، فإن ذلك يوجب القوة.

٥ ـ طاعة الله، فإن فيها عز الدنيا والآخرة.

٦ ـ سبيل الله، وبما انه كثير، فيكون أفضل السبل أحبها إلى الله.

٧ ـ التذلل لله؛ فإنه عزّ وغلبة على الشهوات الإنسانية.

فإذا عمر القلب بهذه النقاط المبدئية بأن تشابهت فكرياً فسوف يكون مؤثراً في الحياة كلها حتى الممات، وسوف تثمر آثارها في الحياة وبعد الممات.

---

(١) في (س): «فجر فجوراً: أي فسق، وفجر: أي كذب، وأصله الميل، والفاجر: المائل». (حاشية ابن إدريس: ١٨٦).

(٢) في (س): «المنّة: النعمة. س». (حاشية ابن إدريس: ١٨٦).

(٣) في (ك): «ولا لهم».

(٤) في (س): «اليد: القوّة، واليد: النعمة والإحسان». (حاشية ابن إدريس: ١٨٦).

(٥) في (ق): «واستغنايَ»، وفي (ك) (ت): «واستعزازي».

المرحلة الثانية: مرحلة العمل، وهي:

١ ـ التقوى في الدنيا الفانية باعتباره زاداً للآخرة الباقية.

٢ ـ قصد الرحمة والسلامة لكل ما في الارض من البشر والحيوان والجماد، فتكون الرحمة هدفاً للحياة.

٣ ـ الدخول في مرضاة الله بحيث لا يقصد سوى رضاه تعالى في كل عمل.

٤ ـ الجنة مثوى في الآخرة جزاء لعمل الخير.

٥ ـ القوة؛ لاحتمال مرضاة الله، فانها قد تفوق طاقة البشر.

٦ ـ الفرار إلى الله في مشاكل الحياة المختلفة.

٧ ـ الرغبة فيما عند الله، بالانقطاع عما عند الناس.

٨ ـ الوحشة من شرار الخلق في القلب، ثم بالعمل.

٩ ـ الأُنس بالله تعالى، فإنّه آنس الآنسين لأوليائه، كما ورد في كلام أمير المؤمنين عليه السلام[١].

١٠ ـ الأُنس بأولياء الله وأهل طاعته.

١١ ـ عدم المّنة لفاجر يعصي الله، ولا لكافر يجحد بالله؛ فإن المنّة، أي النعمة، مهما كانت لا تتبعها الّا المسؤولية.

١٢ ـ عدم اليد من الفاجر والكافر؛ فإن اليد منهما يستلزم المحبة لهما.

١٣ ـ عدم الحاجة إلى الفاجر والكافر؛ فإن الحاجة اليهما يستلزم التقرب اليهما، وهما لا يتقرّبان إلى إنسان الا إذا كان في ذلك مصلحتهما الماديّة، وهي تبعد الإنسان عن مسؤولياته الإنسانية.

وقد ختم هذا المقطع بنقاط ثلاث، هي:

١ ـ سكون القلب على إثر الرؤية الواضحة للمسؤولية الّتي يتحمّلها الإنسان المسلم.

٢ ـ أُنس النفس بطهارة الضمير في العمل الذي يقوم به في خدمة النفس والاسرة والمجتمع.

---

(١) ورد هذا في دعاء لأمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة، قسم الكتب، فراجع.

٣ ـ الاستغناء بالله والكفاية به تعالى، وبخيار الخلق السائرين على خطّ الله سبحانه، فيتخذهم امثلة يقتدي بهم في الحياة، حيث اختاروا لأنفسهم طريق الخدمة الإنسانية ورجّحوها على المصالح الماديّة، وهي طريقة الانبياء في الارض.

[٢١/١٠ـ الحياة الإسلامية]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْنِي لَهُمْ قَرِيناً، وَاجْعَلْنِي لَهُمْ نَصِيراً، وَامْنُنْ عَلَيَّ بالِشوْق[١] إلَيكَ، وَبالْعَمَلِ لَكَ[٢] بِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَذَلِكَ عَلَيْكَ يَسِيرٌ.

وبعد أن شرح دور خيار الخلق ختم الدعاء بنقاط هامّة يفتقر كل إنسان مسلم ان يلتزم بها في حياته كي يعيش حياة إسلامية صادقة، وهي:

١ ـ الاقتداء بخيار الخلق، بأن يجعلهم الإنسان قدوة يقتدي بهم حتى يصبح قريباً منهم وملازماً لهم.

٢ ـ نصر خيار الخلق بما يتصور من معنى النصر، فكريا ومعنوياً وعمليا ومادياً.

٣ ـ الشوق إلى الله، أي شدة الارادة للقاء الله بالعقيدة الصادقة.

٤ ـ العمل بمايجب ويرضاه الله في النفس.

وهذه النقاط الأربع تشكّل الحجر الاساس لبناء الشخصية الإسلامية لمن يريد ان يعيش حياة إسلامية صادقة، ولا يمكن فصل احداها عن الأُخرى، فإن أي خلل في هذه النقاط تؤثر في ازدواجية الفرد والمجتمع، وبالنتيجة الانحراف عن الحياة الإسلامية.

---

(١) كذا في (ق)، وفي غيرها: «بشوقٍ».

(٢) في (ق) (ت) وملحق (ك): «وَامْنُنْ عَلَيَّ بِالشَّوْق إِلَيكَ، وَالْعَمَلِ لَكَ».

[الدعاءُ الثاني والعشرون]

وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام عند الشدّة والجهد وتعسّر الأُمور(1)

[١/٢٢ ـ الدعاء عند الشدة]:

أللّهُمَّ إنَّكَ كَلَّفْتَني مِنْ نَفْسي ما أنْتَ أمْلَكُ بِهِ مِنّي، وَقُدْرَتُكَ عَلَيْهِ وَعَلَيَّ(2) أَغْلَبُ مِنْ قُدْرَتي، فَأَعْطِني مِنْ نَفْسي ما يُرْضِيكَ عَنّي، وَخُذْ لِنَفْسِكَ رِضاها(3) مِنْ نَفْسي في عافِيَة.

إنّ تعسّر الأمور في الحياة أمر طبيعي للإنسان، وبدرجة الوعي له ولأسبابه ونتائجها، يكون ردّ الفعل من جانب الإنسان، فهو بين مستسلم خانع يعمل حسب ما تسير به الأهواء البشرية، وبين مقاوم معارض يزيد معارضته الأمور عسراً وشدة، وبين من ينظر إلى الأمور المتعسرة وأسبابها ونتائجها، ويراعي الأسلوب المفضل في مقاومتها.

وفي المقطع الأوّل يشير الإمام عليه السلام إلى نقطة ذات أهمية في معالجة الأمور المتعسّرة، وهي أن التغلّب على أي أمر متعسّر يفتقر إلى القدرة، فإذا كانت القدرة

---

(١) ورد هذا الدُّعاء في ملحق (ك) بالرقم (٤٤) بالعنوان ذاته، وفي (ش) بالرقم (٤٠) وبنفس العنوان، وفي (ج) بعنوان: «الثاني والعشرون: وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام عند الشدّة والجهد وتعسّر الأُمور»، وفي (ق) بعنوان (الثاني والعشرون)، وتحته عنوان: «عند الشدة»، وفي (ت) بعنوان (الثاني والعشرون)، وتحته عنوان: «عند الشدة وتعسر الأمور»، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (٢٢)، بعنوان: «دُعاؤهُ عند الشدة».

(٢) في (ت): «علي وعليه».

(٣) في حاشية (ج): «رضىً ـ س».

اصلة فإنه يمكن استخدامها لتسهيل الأمور، وإذا لم تكن للإنسان هذه القدرة
ٰبد وان يتوجّه إلى من له القدرة العليا؛ فإن الله كلّف الإنسان بأمر هو أقدر عليه
ِ المخلوقين.

فالإنسان في مواجهة الأمور المتعسرة ينبغي ان لا يستسلم إليها من دون
ِاسة لها، وينبغي ان لا يعارضها بما يوجب زيادة العسر، بل ينبغي ان يدرس
ـعلاج بما يرضى الله ويجعل النفس في عافية، ولا يكون ذلك الا بقدرة الله
ـالية على أية قدرة، فالله هو المسؤول بأن يعطي الإنسان ما يرضي الله وأن يأخذ
ـظر الاعتبار عافية الإنسان مع رضا الله؛ فإن التوازن بين رضا الله وعافية الإنسان
ـر ضروري؛ فإن فقدان أي منهما في حياة الإنسان يكون ضرراً عليه في الدنيا
لآخرة، وهذا التوازن يفتقر إلى رؤية واضحة في الحياة.

٢/٢١ ـ قدرة الإنسان]:

أللّهُمَّ لا طاقَةَ لي بِالْجَهْدِ[١]، وَلا صَبْرَ لِي عَلَى الْبَلآءِ، وَلا قُوَّةَ لِي لَى الْفَقْرِ، فَلا تَحْظُرْ[٢] عَلَيَّ رِزْقي[٣]، وَلا تَكِلْني إِلى خَلْقِكَ، بَلْ تَفَرَّدْ حاجَتي، وَتَوَلَّ كِفايَتي، وَانْظُرْ إِليَّ[٤]، وَانْظُرْ لي في جَميعِ أُمُوري[٥]،

---

١) في حاشية (د) ما نصه: ««الجهد» بالضمّ في لغة الحجاز، وبالفتح في غيرها: الوسع والطاقة. وقيل: المضموم هو الطاقة، والمفتوح هو المشقّة. والجهد بالفتح أيضاً: المبالغة والغاية، وهو مصدر من جهد في الأمر جهداً ـ من باب نفع ـ: إذا طلب واستقصى حتّى بلغ غايته في الطلب، وإرادة هذا المعنى محتملة هنا. وفي رواية: «بالجهد» مضموما، قال بعض المترجمين: ومعناه غير واضح. قلت: هي لغة في الجهد ـ بالفتح ـ بمعنى المشقّة، حكاها النووي في شرح مسلم، قال: وفيه «فأصابهم قحط وجهد»، بفتح الجيم، أي: مشقّة شديدة. وحكي ضمّها. انتهى من الشرح». (رياض السالكين ٣: ٤٩٩).

٢) في (ق): «ولا تحظر»، وفي (ش): «ولا تخظر».

٣) في (ق) (ت): «رزقك».

٤) لم ترد في (ش) (ق) (ت): «وانظر إليّ».

٥) في حاشية (د) ما نصه: «نظر الله تعالى إلى عبده، مجاز عن رحمته له وإحسانه إليه، وقد مرّ بيانه، ونظر له: رحمه ورثي [كذا] له وأعانه، ونظر في الأمر: تفكّر وتدبّر فيه. قال =

فَإِنَّكَ إِنْ وَكَلْتَني[(١)] إلى نَفْسِي عَجَزْتُ عَنْها، وَلَمْ أُقِمْ[(٢)] ما فيهِ[(٣)] مَصْلَحَتُها، وَإِنْ وَكَلْتَني إلى خَلْقِكَ تَجَهَّمُوني[(٤)]، وَإِنْ أَلْجَأْتَني إلى قَرابَتي حَرَمُوني، وَإِنْ أَعْطَوْا أَعْطَوْا[(٥)] قَليلاً نَكِداً[(٦)]، وَمَنُّوا عَلَيَّ طَويلاً، وَذَمُّوا كَثيراً[(٧)]. فَبِفَضْلِكَ - أَللّهُمَّ[(٨)] - فَأَغْنِنِي، وَبِعَظِمَتِكَ[(٩)] فَأَنْعَشْني[(١٠)]، وَبِسَعَتِكَ فَابْسُطْ يَدِي[(١١)]، وَبِما عَنْدَكَ فَأَكْفِني.

= بعض أئمّة اللغة: النظر إذا استعمل ب «إلى» يكون بمعنى الرؤية، وباللام بمعنى الرحمة، وبـ«في» بمعنى الفكر، وب «بين» بمعنى الحكم، كقولك: نظرت بين القوم، أي: حكمت بينهم. انتهى. فإن جعلت النظر من قوله عليه السّلام: «وانظر إليّ في جميع أموري» بمعنى الرحمة والإعانة، كان المعنى: وارحمني وأعنّي في جميع أموري، وإن جعلته بمعنى الفكر والتدبّر، فالمراد به هنا لازمه، وهو الاعتناء والاهتمام، فإنّ الفكر والتدبير في الأمر إنّما يكون عن اعتناء واهتمام به، فالمعنى: وانظر لأجلي في جميع أموري. وكلا الجارّين متعلّق بـ «أنظر». من الشرح». (رياض السالكين ٣: ٥٠٠).

(١) في هامش (س) ما نصّه: «في نسخة ابن إدريس: «وكّلتني» بالتشديد، كما حكاه الداماد في (شرح الصحيفة: ٢٧٧)».

(٢) في (ج): «أتم».

(٣) في (ش) (ق) (ت): «بما فيه».

(٤) في حاشية (ج) (د): «يقال: رجل جهم الوجه، أي كالح الوجه، ومنه: جهمت الرجل وتجهمته: إذا كلحت في وجهه»، وفي (س): «تجهمه: استقبله بما يكره، وتجهمه: كلح في وجهه، والكلوح: تكشّر في عبوس». (حاشية ابن إدريس: ١٨٩).

(٥) في هامش (س) ما نصّه: «في نسخة ابن إدريس بإسقاط (إن) وعدم تكرار (أعطوا). (لوامع الأنوار العرشية: ٤٤٦)».

(٦) في حاشية (ج) (د): «نَكْدا، نَكَدا - معا».

(٧) في (ش): «وَمَنُّوا عَلَيَّ كَثِيراً، وَذَمُّوا طَوِيلا».

(٨) لم ترد في (ش): «أللّهُمَّ».

(٩) في (ت): «وبعطيتك».

(١٠) في (ش) (ق): «وبعطيتك فأنعشني»، وفي حاشية (ج): «أي أنهضني».

(١١) في (بعض النسخ): «يديَّ».

ويعرض هذا المقطع قدرة الإنسان المحدودة حيث يعجز عن تحمّل بعض الأمور لما يترتب عليها من آثار نفسية، وعدّ من هذه الأمور:

١ ـ الجهد، أي المشقة، وهي صعبة على الإنسان في أيّة حالة كان؛ فإن المشقة قد لا يمكن تحملها.

٢ ـ البلاء، أي المكروه. والصبر عليه محمود، ولا يصبر الإنسان عند تجاوز البلاء حده المتعارف.

٣ ـ الفقر؛ فإنه كاد ان يكون كفراً؛ وحيث انّ هذا هو أصعبها، فقد خصّه بالقول: (فلا تحضر عليَّ رزقي) لئلا يبتلي بالفقر.

٤ ـ الحاجة إلى الخلق، وقد شرح نقاط الضعف في الخلق ـ بما فيهم الداعي نفسه ـ فإن توكيل الإنسان إلى الخلق يستلزم تفويض أمره إلى أحد الاصناف التالية:

الأول: نفس الإنسان، باعتباره اعرف بمعالجة أُموره، ولكن المفروض عجزه عن ذلك، وبسبب العجز لا يتمكن من القيام بما فيه مصلحة النفس، ومع عدم العلم بالمصلحة تصير المشكلة أعقد.

الثاني: عامة الخلق؛ فإنهم عادة يستخدمون نقطة الضعف في الإنسان، وهي الحاجة، للضغط على المحتاج بسبب محدودية قدرته.

الثالث: القرابة، وهم بحكم الطبيعة البشرية يعطون الأولوية لأنفسهم ويحرمون الآخرين وان كانوا اقرباء، وعطاؤهم لا يكون الّا من فضل ما لديهم، فيكون بالطبع قليلا ونكداً، أي لا خير فيه، مع ما يستلزم ذلك من المنّ الذي يبقى أثره طويلا، ويستلزم الذم كثيراً على الحاجة لعدم القيام بسدّها قبل حصولها.

وهذه القدرة الإنسانية المحدودة توجب الرجوع إلى القدرة المطلقة لله تعالى، وأن ينفرد تعالى بكفايتها، ونظره تعالى الذي هو كناية عن رحمته الواسعة وإنظار الله، أي إعانته، في جميع الأمور.

وختم المقطع بأمور أربعة متلائمة هي:

١ ـ الغنى بعظمة الله.

٢ ـ والانعاش، أي سدّ الحاجة بسعة رحمته.

٣ ـ وبسط اليد، وهو كناية عن التوسعة.

٤ ـ الاكتفاء بما عند الله من الخير.

وهذه الأربعة هي مقوّمات الكفاية في الحياة.

[٣/٢٢ ـ الخلاص من الموبقات]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ[١]، وَخَلِّصْني مِنَ الْحَسَدِ[٢]، وَاحْصُرْني عَنِ[٣] الذُّنُوبِ[٤]، وَوَرِّعْني[٥] عَنِ الْمَحارِمِ، وَلا تُجَرِّئْني[٦] عَلَى الْمَعاصي، وَاجْعَلْ هَوايَ فيما[٧] عِنْدَكَ، وَرِضايَ فيما يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكَ، وَبارِكْ لي فيما رَزَقْتَني، وَفيما خَوَّلْتَني[٨]، وَفيما أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيَّ، وَاجْعَلْني في كُلِّ[٩] حالاتي مَحْفُوظاً،

---

(١) في (ق) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ صل على محمد وآل محمد».

(٢) في حاشية (ج) (د): «من الحساب ـ س»، ولعله: «من الحساد».

(٣) في (ت): «واحضرني من»، وفي حاشية (ج): «أي امنعني»، وفي (س): «حصرني الشيء وأحصرني، أي حبسني». (حاشية ابن إدريس: ١٨٩).

(٤) في (ق) العبارة هكذا: «من الذنوب»، وفي (ش) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ وَخَلِّصْني مِنَ الحقدِ، وَاحْظُرْني عَنِ الذُّنُوبِ».

(٥) في حاشية (ج): «أي كفّني».

(٦) في (ش) (ت): «ولا تجرني»، وفي (س): «الجُرأة مثل الجُرعة، وهي الشجاعة». (حاشية ابن إدريس: ١٨٩).

(٧) لم ترد في (س): «فيما». (حاشية ابن إدريس: ١٩٠).

(٨) في (ش) زيادة: «وفيما أعطيتني».

(٩) لم ترد في (ت): «كل»، ووردت كلمة: «كل» في حاشية (ج) (د) هكذا: «كل ـ س» ولم ترد في المتن.

ءُلُوءاً[١]، مَسْتُوراً، مَمْنُوعاً، مُعاذاً[٢]، مُجاراً[٣]

خص هذا المقطع: الموبقات الّتي تعسّر الأمور في الحياة مما يجب على سلم التخلّص منها بعون الله تعالى، وهي:

١ ـ الحسد، وهو تمني زوال نعمة من المحسود، وأثر هذا الداء نفسيا على حاسد اكثر من غيره، فيجب التخلص منه.

٢ ـ الذنوب، فهي بأجمعها ذات آثار في المذنب بصورة مباشرة أو غير شرة، وقد شرحتها في «شرح دعاء كميل»، فراجع.

٣ ـ المحارم الّتي لا تحل للإنسان كالخمر؛ فانها قد حرمت لعلل وحكم ر في الإنسان بالواسطة أو بلا واسطة.

٤ ـ الجرأة على المعصية؛ فانها زيادة على المعصية نفسها وتكشف عن ث السريرة في المتجرئ.

٥ ـ هوى النفس، وهي إرادتها؛ فإنها ﴿لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾[٤] بأن ,ن هوى الإنسان بما عند الله، لا بما عند النفس.

٦ ـ رضى النفس، وهو سرورها بما يحصل من هوى النفس، والرضا بمنزلة نيجة للهوى الّتي هي الارادة، إلّا ان يجعل الله رضى الإنسان بما يرد عليه من ماء الله على الإنسان خيراً؛ فإن فيما يتصوّره الإنسان من امكان وصول الخير الآخرين، فهو مجرد تصور فقط، بلا حقيقة.

---

١) في (ج) (ت): «مكلؤاً»، وفي (ق): «مكلوّاً»، وفي (س): «كلأه الله كِلاءة ـ بالكسر ـ: حفظه وحرسه، يقال: إذهب في كلاءة الله، واكتلأت منهم: أي احترست». (حاشية ابن إدريس: ١٩٠).

٢) في (ش): «معافاً».

٣) في (ج): «مجازاً».

٤) القرآن الكريم، سورة يوسف ١٢: ٥٣.

والخلاص من هذه الموبقات انما يكون بعناية الله سبحانه والبركة والنمو والزيادة في أمور، منها:

١ ـ الرزق بما يفتقر إليه من مادة الحياة.

٢ ـ العطاء الذي خوّله الله، أي الزيادة في العطاء مما لا يفتقر إليه عادة.

٣ ـ النعمة، وهي زيادة الرزق والعطاء من التوسعة في الأموال والأنفس.

٤ ـ الحفظ؛ فإن كل ما تقدم بدون الحفظ يكون وبالا.

٥ ـ الكلاءة، أي الرعاية؛ فإن الحياة بدون رعاية الله معرّضة للموت والفناء.

٦ ـ الستر، فإنه لو تكاشفتم لما تدافنتم[(١)].

٧ ـ المنع، أي الحماية عن المعتدين.

٨ ـ العوذ، أي العصمة من الانزلاق في المعاصي.

٩ ـ الاجارة، أي الأمن، فإنه نعمة مجهولة.

فان الزيادة في هذه الأمور توجب الخلاص من الموبقات الّتي تجعل الحياة عسيرة على الإنسان.

[٤/٢٢ ـ أداء الحقوق]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وَ[(٢)] اقْضِ عَنّي كُلَّ ما أَلْزَمْتَنِيهِ[(٣)] وَفَرَضْتَهُ عَلَيَّ لَكَ في وَجْهٍ[(٤)] مِنْ وُجُوهِ طاعَتِكَ، أَوْ لِخَلْقٍ[(٥)] مِنْ خَلْقِكَ. وَإِنْ ضَعُفَ[(٦)] عَنْ ذلِكَ بَدَني[(٧)]، وَوَهَنَتْ عَنْهُ

---

(١) كما ورد في عيون أخبار الرضا ١: ٥٨.

(٢) لم ترد في (ش): «صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِ محمّد و».

(٣) في (ش): «كلّ حقّ ألزمتنيه».

(٤) لم ترد في (ق) (ت): «في وجه».

(٥) في (ش) (ق): «أو بخلق».

(٦) في (ق) (ت): «وما ضعف».

(٧) في (ش): «وَما ضَعُفَ عَنه من ذلِكَ بَدَني».

ـوَّتي، وَلَمْ[١] تَنَلْهُ مَقْدُرَتي[٢]، وَلَمْ يَسَعْهُ مَالي وَلا ذاتُ يَدي، ـكَرْتُهُ أَوْ نَسِيتُهُ، وهُوَ[٣] ـ يا رَبِّ ـ مِمّا قَدْ أَحْصَيْتَهُ عَلَيَّ وَأَغْفَلْتُهُ ـنا[٤] مِنْ نَفْسي، فَأَدِّهِ عَنّي مِنْ جَزيلِ عَطِيَّتِكَ، وَكَبير[٥] ما عِنْدَكَ، ـإِنَّكَ واسِعٌ كَريمٌ، حَتّى لا يَبْقى عَلَيَّ شَيْءٌ مِنْهُ[٦] تُريدُ أَنْ تُقاصَّني ـهِ مِنْ حَسَناتي، أَوْ تُضاعِفَ[٧] بِهِ مِنْ سَيِّئاتي يَوْمَ أَلْقاكَ، يا ـبِّ[٨].

ومن الأُمور المتعسّرة: اداء الحقوق بعد العجز عن أدائها باختلاف أسباب ـلعجز واختلاف أنواع الحقوق، وهي بصفة عامة على نوعين:

الأول: حقوق الله تعالى، وهي كلما ألزمه وفرضه الله على الإنسان من ـلطاعات الواجبة كالصلاة والصوم والزكاة.

الثاني: حقوق الناس من الخلق أجمعين، من المعاملات الشرعية والحقوق ـلاجتماعية في الاسرة كالحقوق الزوجية والتربوية، وفي المجتمع من الأمر المعروف والنهي عن المنكر والقيام بشؤون المستضعفين.

وأما أسباب العجز، فقد أشار منها إلى:

١ ـ ضعف البدن.

٢ ـ وهن القوّة.

---

١) في (ش): «فلم».
٢) في (س): «المقدرة: القدرة، يقال: مالي عليك مقدرُة ومقدَرة ومقدِرة: أي قدرة». (حاشية ابن إدريس: ١٩٠).
٣) لم ترد في (ش): «وهو».
٤) لم ترد في (ش) (ق) (ت): «أنا».
٥) في (ت) وملحق (ك): «وكثير»، وفي حاشية (ج) (د): «وكثير ـ س».
٦) في (ش): «منه شيء».
٧) في حاشية (ج): «تضعف».
٨) في (ت): «رب» بدون «يا».

٣ ـ عدم القدرة.

٤ ـ قلّة المال.

فان هذه الأسباب ـ سواءً كانت ناشئة عن العجز الجسمي أو المادي ـ تفوّت الحقوق أو تنقص منها، وبالنتيجة تؤثر على الفرد والاسرة والمجتمع؛ فإن آثارها النفسية والاجتماعية والاقتصادية لا تتخلّف عنها، سواءً كانت في حالة العمد والذُكر، أو في حالة السهو والنسيان والغفلة.

وحيث ان العجز يوجب ضياع هذه الحقوق أو الاخلال بها، فالمرتجى هو الله سبحانه في تهيئة أسباب ادائها بعطائه الجزيل الكبير، وهو الواسع الكريم. ولو شملت رحمته الداعي لم يبق على الإنسان شيء منها، فلا يكون هناك في يوم القيامة تأثير لهذه الحقوق على حسنات الإنسان بالنقصان، وعلى سيئات الإنسان بالمضاعفة؛ للتوازن بين هذه الحقوق؛ فالله سبحانه هو المرتجى رحمته في ذلك.

[٥/٢٢ ـ العمل للآخرة]:

أللّهُمَّ صَلّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وَ[١] ارْزُقْني الرَّغْبَةَ فِي الْعَمَلِ لَكَ لِآخِرَتي، حَتّى أعْرِفَ صِدْقَ ذلِكَ مِنْ قَلْبِي، وَحَتّى يَكُونَ الْغالِبُ عَلَيَّ الزُّهْدَ في دُنْيايَ[٢]، وَحَتّى أَعْمَلَ الْحَسَناتِ شَوْقاً[٣]، وَآمَنَ[٤] مِنَ الْسَّيِّئاتِ فَرَقاً[٥] وَخَوْفاً، وَهَبْ لي نُوراً أَمْشِي بِهِ في النّاسِ، وَأَهْتَدي بِهِ فِي الظُّلُماتِ، وَأَسْتَضيءُ بِهِ مِنَ الشَّكِّ وَالشُّبُهاتِ[٦].

---

(١) في (ق) العبارة هكذا: «اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمد، و»، ولم ترد في (ش) عبارة: «صلّ على محمّد وآل محمد، و».

(٢) في (ش): «في الدنيا».

(٣) في (ش): «حبّاً».

(٤) في (ش) (ق) (ت): «وأفرّ»، وفي حاشية (ج) (د): «وأفرّ ـ س».

(٥) في حاشية (ج): «أي فزعاً».

(٦) في (س): «الشبهة: الالتباس، والمشتبهات من الأُمور: المشكلات، والمتشابهات: المتماثلات». (حاشية ابن إدريس: ١٩٠).

والرغبة في العمل للآخرة نعمة من نعم الله، يعتصم بها الصالحون ويتمناه المؤمنون، وإذا رزقها الله للإنسان يصبح بصيراً لمسيرة حياته السعيدة في الآخرة والحميدة في الدنيا، ولصدق هذه الرغبة شواهد، ذكر في هذا المقطع منها:

١ ـ معرفة القلب؛ فإن الإنسان على نفسه بصيرة، وقلبه أعرف بصدق الرغبة وعدمه.

٢ ـ الزهد في الدنيا على الغالب، وليس المراد به الزهد التام؛ حيث يخرج عن الطاقة عادة.

٣ ـ العمل للحسنات بشوق من دون حاجة إلى ترغيب الآخرين.

٤ ـ الأمن من السيئات خوفا من الله تعالى، لا من الخلق.

٥ ـ النور في مسيرة الحياة اليومية والمواجهة للإنسان؛ فيهتدي به لإنارة الظلمات، ويستعاذ به لإزاحة الشك والشبهات.

فإذا تحقّقت هذه النقاط الخمس تحققت الرغبة الصادقة للعمل للآخرة.

[٦/٢٢ ـ الوعد والوعيد]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ[١]، وَارْزُقْني خَوْفَ غَمِّ الْوَعيدِ، وَشَوْقَ ثَوابِ الْمَوْعُودِ، حَتّى أَجِدَ لَذَّةَ ما أَدْعُوكَ لَهُ، وَكَآبَةَ ما أَسْتَجيرُ بِكَ مِنْهُ[٢].

الوعد في عمل الخير، والوعيد على عمل الشرّ قائم في كل ملّة وشريعة ومجتمع، ومن طبيعة الإنسان أن لا يأخذهما مأخذ الجد في الحياة الاجتماعية

---

(١) في (ق) العبارة هكذا: «اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمد»، ولم ترد في (ش) عبارة: «صلّ على محمّد وآله».

(٢) في (ش) العبارة هكذا: «حَتّى أَجِدَ لَذَّةَ ما أَدْعُوكَ به، وَكَآبَةَ ما أَسْتَجيرُك مِنْهُ».

وخاصة من رب العائلة؛ للعلم برأفته وقبول الطاعة لديه، فإذا كانت هذه الحالة بالنسبة إلى رب العائلة فكيف برب الأرباب الذي وسعت رحمته كل شيء[١].

وبما ان هذه الحالة الطبيعية قد تؤثر على الإنسان في حياته اليومية، استعرض هذا المقطع أهمية الخوف من الوعيد والشوق إلى الوعد؛ فإن هذه الحالة نعمة إذا رزقها الإنسان وجد لذة العمل الصالح الذي يدعوا إليه الله سبحانه، ويتحقق لديه الحزن والكآبة من العمل المنهي عنه مما يستجار بالله منه.

[٧/٢٢ ـ صلاح الحياة]:

أللّهُمَّ قَدْ تَعْلَمُ ما يُصْلِحُني مِنْ أَمْرِ دُنْيايَ وَآخِرَتي[٢]، فَكُنْ[٣] بِحَوائِجي حَفِيّاً[٤].

ما تقدم من سلسلة الحوائج ترتبط بحياة الإنسان الداعي في الدنيا ثم الآخرة، ولا يمكن ذلك من دون حفاوة من الله سبحانه كما تقدم في كل مقطع من الدعاء.

وفي هذا المقطع اشارة إلى هذا الترابط المتسلسل في صلاح الحياة في الدنيا والآخرة، فالفلاح في الآخرة يتوقف على العمل الصالح في الدنيا، وهو يتوقف على قضاء الحوائج الّتي تجعل الاعمال مقبولة ولا يكون إلّا بعناية الله سبحانه لانه الذي يعلم ما يصلح به أمر الإنسان في الدنيا والآخرة.

---

(١) كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾. (القرآن الكريم، سورة الأعراف ٧: ١٥٦).

(٢) في (ت): «آخرتي ودنياي ودنياي»، وفي (ق): «آخرتي ودنياي».

(٣) في (ق): «وكن».

(٤) في (ش) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ قَدْ تَعْلَمُ ما يُصْلِحُني مِنْ اَمْرِ آخِرَتي ودُنْيايَ، فَكُنْ بِحَوآيِجي حَفِيّاً»، وفي حاشية (ج) (د): «في الصحاح: حفيا، أي باراً».

[٨/٢٢ ـ شكر النعم]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ، وَ[١] ارْزُقْنِي الْحَقَّ عِنْدَ تَقْصيري فِي الشُّكْرِ لَكَ[٢] بِما أَنْعَمْتَ عَلَيَّ في الْيُسْرِ وَالْعُسْرِ[٣] وَالصِّحَةِ وَالسَّقَمِ، حَتّى أَتَعَرَّفَ[٤] مِنْ نَفْسي رَوْحَ الرِّضا، وَطُمَأنينَةَ النَّفْسِ مِنّي بِمَا يَجِبُ لَكَ[٥] فيما يَحْدُثُ لي في حَالِ الْخَوْفِ وَالأَمْنِ، وَالرِّضا[٦] وَالسُّخْطِ، وَالضَّرِّ وَالنَّفْعِ.

إنّ نعم الله سبحانه لا تدخل تحت حصر ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[٧] حيث إن كلما في الوجود يرتبط بحياة الإنسان من قريب أو بعيد، وأقل هذه النعم: نعمة الحياة ونعمة الهواء الذي به قوام الحياة، ونعمة الفصول الأربعة الّتي بها قوام حياة العالم. . . وهكذا، فمهما حاول الإنسان أداء الشكر لنعم الله سبحانه فإنه سوف يكون مقصّراً؛ لعلمه بكثرتها وعدم أداء حقها كما هي، وعليه فشكر النعمة حقّ، أي يجب التسليم به لله سبحانه المنعم بها، ونسأل الله ان يرزقنا التوفيق لأداء هذا الحقّ الإلهي في كل الحالات الّتي أنعم بها علينا في اليسر والعسر والصحة والسقم.

ونتيجة أداء هذا الحقّ بالاجمال الّتي يمكن ان يصل إليها الإنسان هي التعرف على ما يوجب راحة النفس بالرضا، وقضاؤه بسكونها بالطمأنينة، فتكون فائدة الشكر عائدة على الشاكر نفسه كما قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[٨].

---

(١) في (ق) العبارة هكذا: «اللهمّ صلّ على محمّد وآله، و»، ولم ترد في (ش) (ت) عبارة: «صلّ على محمّد وآل محمد، و».

(٢) في (ق) (ت): «لك في الشكر».

(٣) في (ق) (ت): «في العسر واليسر».

(٤) في (ق) (ت): «حتى أعرف».

(٥) في (ش): «يحبّ منك»، والعبارة في (ق) هكذا: «وطمأنينة النفس فيما يجب لك».

(٦) في حاشية (ج): «الرضا، الرضى ـ معا».

(٧) القرآن الكريم، سورة ابراهيم ١٤: ٣٤.

(٨) القرآن الكريم، سورة ابراهيم ١٤: ٧.

وأكد الإمام على لزوم الشكر على النعم في كل الحالات، وخص منها الحالات المتضادّة التالية:

١ ـ الخوف والأمن.

٢ ـ الرضا والسخط.

٣ ـ الضر والنفع.

فان هذه الحالات الثلاث وما يضادّها، حالات تطرأ كثيراً في حياة الإنسان، وهو عندها على أحد خيارين:

اما الشكر بالحمد لله على كل حال مثلا، أو الضجر بكفران الحالة المكروهة الّتي هو فيها، والتي يظنّها شراً، مع ان هناك من ابتلي بأشد منها كفقدان نعمة الصحة مثلا، فهو أفضل حالا من غيره، وهذا مما يوجب الشكر؛ فإن الشكر حينئذ يوجب راحة النفس.

واما الخيار الثاني: وهو الضجر وابداء عدم الرضا؛ فإنه لا يرفع من المشكلة شيئاً، بل يزيد المكروه حالة اخرى مكروهة ايضاً، فلا يوجب راحة النفس والرضا ولا سكونها بالطمأنية بل يزيدها مشكلة.

[٩/٢٢ ـ السلامة من الحسد]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ[١] ارْزُقْني سَلامَةَ الصَّدْرِ مِنَ الْحَسَدِ، حَتّى لا أَحْسُدَ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ عَلى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِكَ، وَحَتّى لا أَرى نِعْمَةً مِنْ نِعَمِكَ عَلى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فِي دينٍ أَوْ دُنْيا، أَوْ عافِيَةٍ، أَوْ تَقْوى، أَوْ سَعَةٍ، اَوْ رَخاءٍ، إِلّا رَجَوْتُ لِنَفْسي أَفْضَلَ ذلِكَ[٢] بِكَ وَمِنْكَ، وَحْدَكَ لا شَريكَ لَكَ.

---

(١) في (ق) العبارة هكذا: «اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمد، و»، ولم ترد في (ش) عبارة: «صلّ على محمّد وآله، و».

(٢) في (ش) (ق) (ت): «من ذلك».

وأشد الموبقات الموجبة لتعسّر الأمور هو الحسد في الإنسان، وسلامة الصدر كناية عن خلوص القلب من الآفات النفسية، وأهمها هنا الحسد، وهو محاولة الإنسان زوال النعمة عن المحسود، وقد تكفلت كتب الاخلاق تفصيل ما للحسد من الآثار النفسية على الحاسد نفسه الذي يأكل نفسه حسرة من دون ان يعود على نفسه بشيء، فهو المتضرر أولا وقبل كل شيء.

وهذا المقطع يشير إلى علاجين لهذه القبيحة لو تنبّه لها الإنسان، وهما:

أولاً: أن المحسود حصل على ما حصل عليه بفضل الله، حيث سعى لتحصيله ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾[1]. فهو بنشاطه وجدّه وجهده سعى لمقصده وحصل عليه وتنعم به، والحاسد إذا سعى فإنه يسعى في زوال النعمة عن المحسود، وقد يحصل على ما يقصده وهو زوال النعمة عن الغير، ولكن لا يحصل لنفسه شيئا سوى الخسران في نفسه حاضراً، أو في سمعته ومستقبله.

أما في نفسه حاضراً؛ فهو من حيث انه لا يحصل على شيء.

واما على سمعته؛ فإن خطط الحساد لا تخفى على المهتمّين بالموضوع، فلا يثقون به في تعاملهم معه.

وأما في مستقبله، فلأنه أثبت على نفسه عملياً بانه لا يستند في قراراته على أساس متين، بل على دوافع عاطفية شخصية، ومثله لا تناط به مهمّة عند العقلاء.

ثانياً: ان الافضل ان يبذل الحاسد الجهد الذي يريد بذله في زوال النعمة عن الآخرين في تحصيل نعمة مثلها لنفسه وبالطرق المتيسّرة، فإنه ﴿لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[2] ونشاطه وحده وجهده هو الذي سوف يوصله إلى مقصده، وبه سوف يحصل عليه ويتمتع به باستحقاق من دون قطع الطريق على الناس.

وهذا ما يؤكد عليه هذا المقطع، وهو رجاء النعمة الّتي نجدها من فضل الله

---

(١) القرآن الكريم، سورة النّجم ٥٣: ٣٩ ـ ٤٠.
(٢) القرآن الكريم، سورة النجم ٥٣: ٣٩.

على أحد من الخلق لنفسه ايضاً، بل رجاء افضل من ذلك لنفسه، وهذا الرجاء ممكن بالاستعانة بالله والدعاء بتحصيله منه تعالى وحده لا شريك له، وذلك بالسعي لتحصيله لا بزواله عن غيره، وخصّ من حالات النعمة المرجوّة على كثرتها ما يلي:

١ ـ الدين.

٢ ـ الدنيا.

٣ ـ القيامة.

٤ ـ التقوى.

٥ ـ السعة.

٦ ـ الرخاء.

وهي حالات عامة يوسوس الشيطان لفاقدها لتحصيلها من غير الطرق المشروعة؛ من البدعة وقطع الطريق، أو تضييع الوقت من دون فائدة كالحسد. ويؤكد الإسلام على تحصيلها بالطرق المتيسرة بتخطيط واع وسعي مستمر وصبر جميل، فمن جدّ وعمل ظفر.

[١٠/٢٢ ـ التوازن العملي]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ[١] ارْزُقْني التَّحَفُّظَ[٢] مِنَ الْخَطايا، وَالِاحْتِراسَ[٣] مِنَ الزَّلَلِ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ، في حالِ الرِّضا وَالْغَضَبِ، حَتّى أَكُونَ بِما يَرِدُ عَلَيَّ مِنْهُما بِمَنْزِلَةٍ سَواءٍ[٤]،

---

(١) لم ترد في (ش): «صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِ محمّد، و».

(٢) في (س): «التحفّظ: التيقّظ وقلّة الغفلة». (حاشية ابن إدريس: ١٩٠).

(٣) في (س): «تحرّست من فلان واحترست منه، بمعنىً، أيّ تحفّظت منه». (حاشية ابن إدريس: ١٩٠).

(٤) في (ش): «سواءً».

عَامِلاً بَطاعَتِكَ، مُؤْثِراً لِرِضاكَ عَلَى ما سِواهُمَا، فِي الْأَوْلِياءِ وَالأَعْدآءِ[١]، حَتّى يَأْمَنَ عَدُوِّي مِنْ ظُلْمِي وَجَوْرِي[٢]، وَيَيأَسَ[٣] وَلِيِّي مِنْ مَيْلِي وَانْحِطاطِ[٤] هَوايَ، وَاجْعَلْني مِمَّنْ يَدْعُوكَ مُخْلِصاً في الرَّخآءِ[٥] دُعآءَ الْمُخْلِصينَ[٦] الْمُضْطَرّينَ إليكَ[٧] في الدُّعآءِ، إِنَّكَ حَميدٌ مَجيدٌ[٨].

وختم الدعاء بالنقطة الاساسية الّتي يفتقر الإنسان إليها في التغلب على الأمور المتعسّرة، وهو التوازن العملي في اتخاذ المواقف العادلة، فتكون كل الحالات (بمنزلة سواءً) على ما فيها من صعوبة وعسر حتى يأخذ القرار الصائب العادل، ولا يمكن ذلك إلّا بأمرين:

الأول: التحفّظ من الخطايا؛ لكونها معروفة بالتجربة التاريخية فيجب اجتنابها.

الثاني: الاحتراس من الزلل، وهي موارد الانزلاق، وهي غير معروفة عادة سوى انها موارد شبهة، فيجب الاحتياط فيها.

فإذا تمكن الإنسان منهما في كل الحالات تمكن من حل المشاكل المعقدة بصبر وحكمة.

ويستلزم ذلك التوازن العملي مطلقا:

---

(١) في (ش) العبارة هكذا: «عَامِلاً بَطاعَتِكَ، مُؤْثِراً لها فِي الْأَوْلِياء وَالْأَعْدآءِ».
(٢) لم ترد في (ش): «وجوري».
(٣) في (ق) (ت): «ييس ـ كذا»، وفي ملحق (ك): «ييأس»، وفي حاشية (ج): «ييئس».
(٤) في (س): «انحطت الناقة في سيرها: أي أسرعت». (حاشية ابن إدريس: ١٩٠).
(٥) في (ت): «في الرجاء»، وفي (ش) زيادة: «والشدّة».
(٦) في (س): «الإخلاص في الطاعة: ترك الرياء». (حاشية ابن إدريس: ١٩٠).
(٧) كذا في (ق)، وفي سائر النسخ: «لك».
(٨) في (ش) العبارة هكذا: «إِنَّكَ أنت الحميد المَجيد».

١ ـ في كل الاماكن؛ من الدنيا والآخرة.

٢ ـ وفي كل الحالات؛ من الرضا والغضب.

٣ ـ وبالنسبة إلى كل الناس؛ من الأولياء والاعداء.

فان الاماكن والحالات والناس كلها تكون (بمنزلة سواء) عند الإنسان الملتزم بالثوابت الإسلامية، والمسؤولية الّتي يتحملها الإنسان في هذه الصور كلها هو (العمل بطاعة الله وايثار رضاه فقط) ونتيجة هذه المسؤولية تكون عائدة على الفرد والاسرة والمجتمع، وهي:

١ ـ الأمن من الظلم والجور حتى بالنسبة إلى العدوّ، وهذه عائدة بالكمال على الإنسان في المجتمع.

٢ ـ الأمن من الميل والهوى بالنسبة إلى الصديق، وهذه عائدة بالكمال في الاسرة.

٣ ـ بالاخلاص في الدعاء في الحالات المختلفة على اساس التوازن العملي.

فلا يختلف الدعاء في حال الرخاء عن حال الاضطرار، حيث ان السبب فيه هو الاخلاص في الدعاء في أيّة حالة كانت، وهذه عائدة على التكامل الإنساني في الفرد، ومنه إلى الاسرة باعتبارها نواة المجتمع، ومنها إلى المجتمع الإسلامي ككل.

[الدعاء الثالث والعشرون]

وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام إذا سأل الله العافية وشكرها[(١)]

[١/٢٣ ـ آثار العافية]:

أللّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ وآلِهِ[(٢)]، وَأَلْبِسْني عَافِيَتَكَ، وَجَلِّلْني[(٣)] عَافِيَتَكَ، وَحَصِّنِّي[(٤)] بِعَافِيَتِكَ، وَأَكْرِمْني بِعَافِيَتِكَ[(٥)]، وَأَغْنِنِي بِعَافِيَتِكَ[(٦)]، وَتَصَدَّقْ عَلَيّ بِعَافِيَتِكَ، وَهَبْ لِي[(٧)] عَافِيَتَكَ[(٨)]، وَأَفْرِشْنِي[(٩)] عافِيَتَكَ[(١٠)]، وَأَصْلِحْ لِي عَافِيَتَكَ[(١١)]، وَلا تُفَرِّقْ بَيْنِي

---

(١) ورد هذا الدُّعاء في ملحق (ك) بالرقم (٤٥) بالعنوان ذاته، وفي (ش) بالرقم (٤١) وعنوانه: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام إذا سأل العافية وشكرها»، وفي (ج) بعنوان: «الثالث والعشرون: وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام إذا سأل الله العافية وشكرها»، وفي (ق) (ت) بعنوان (الثالث والعشرون)، وتحته عنوان: «في العافية»، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (٢٣)، بعنوان: «دُعاؤهُ بالعافية».

(٢) لم ترد في (ش): «صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِ محمّد».

(٣) في (ت): «وحللني».

(٤) في (ق) (ت): «وخصّني».

(٥) لم ترد في (ت): «وأكرمني بعافيتك».

(٦) في (ش) العبارة هكذا: «وَأَلْبِسْني عافِيَتَكَ، وَجَلِّلْني عَافِيَتَكَ، وَخصّني بِعافِيَتِكَ، وَغشّني عافِيَتَكَ، وَأمنن عليّ بعافيتك وَأكرمني بعافِيَتِكَ، وَأَغنني بعافيتك».

(٧) في (ق): «وأكرمني».

(٨) لم ترد في (ت): «وهب لي عافيتك».

(٩) في حاشية (ج) (د): «وافرُشني، وأفرشني ـ معا».

(١٠) لم ترد في (ق): «أفرشني عافيتك».

(١١) في (ش): «وأصحبني بعافيتك»، وفي (ق) (ت): «وأصلحني بعافيتك»، وفي ملحق (ك) =

وَبَيْنَ عافِيَتِكَ في الدُّنْيا وَالآخِرَةِ[١].

العافية: هي دفع المكروه من العلل والبلايا، وهي بالاطلاق تشتمل جميع المكروهات في النفس والبدن والظاهر والباطن، وفي الدين والدنيا والآخرة؛ إذ لكل منها حالات من العلل والبلايا الّتي تتخللها بسبب الانحراف عن ثوابتها الأصيلة، وقد استفتح الدعاء بسرد أهم آثار العافية بالنسبة إلى تلك المكروهات، وهي:

١ ـ لباس العافية، أي التنعم بها واحاطتها بالإنسان إحاطة شبه كاملة، كالثوب الذي يلبسه الإنسان ويغطي به معظم جسده.

٢ ـ التجليل بالعافية؛ أي التغطية بالعافية؛ فإن العافية الناقصة لا تكون نافعة بالنسبة إلى الإنسان.

٣ ـ التحصين بالعافية؛ بأن تكون العافية واقية عن غيرها.

٤ ـ الاكرام بالعافية؛ فإن العافية كرم وعزّ.

٥ ـ الغنى بالعافية؛ فإنه لا غنى أغنى من الصحة والسلامة بالعافية.

٦ ـ التصدق بالعافية؛ فإن العافية عطيّة من الله كالصدقة للفقراء المحتاجين إليها.

٧ ـ الهبة بالعافية؛ فإن العافية لا عوض لها، فكل ما يتصوّر عوضا لها كالشكر انما هو أقل الواجب تجاه هذه الهبة.

٨ ـ فرش العافية، أي بسطها من غير تحديد، لكي يستخدمها الإنسان في تحقيق مآربه.

٩ ـ الصلاح بالعافية؛ فإن العافية ـ ككل المخلوقات ـ قد يعتريها ما يفتقر إلى الإصلاح.

= العبارة هكذا: «وَاَلْبِسْني عافِيَتَك، وَجَلِّلْني عَافِيَتَك، وَخصّني بِعافِيَتَك، وَاَفْرِشْني عافِيَتَكَ، وَاَصْلِحْني بعافِيَتَكَ».

(١) في (ش) زيادة: «انك على كلّ شي قدير».

١٠ ـ الدوام للعافية؛ بأن لا يفرق بين الإنسان والعافية في حال من الحالات في الدنيا والآخرة.

وهذه النقاط العشر تشمل كل المكروهات في النفس، والبدن، والظاهر والباطن في الدين والدنيا والآخرة؛ فإنها لا تكون من ذلك كاملاً بدون العافية الماديّة من الله سبحانه.

[٢/٢٣ ـ صفات العافية]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وَ[١] عَافِنِي عَافِيَةً كَافِيَةً شَافِيَةً، عَالِيَةً نَامِيَةً، عَافِيَةً تُوَلِّدُ فِي بَدَنِي الْعَافِيَةَ، عَافِيَةَ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ[٢]. أللّهُمَّ[٣]، وَامْنُنْ عَلَيَّ بِالصِّحَةِ وَالأمْنِ[٤]، وَالسَّلامَةِ فِي دِينِي وَبَدَنِي، وَالْبَصِيرَةِ فِي قَلْبِي، وَالنَّفاذَ فِي أُمُورِي، وَالْخَشْيَةِ لَكَ، وَالْخَوْفِ[٥] مِنْكَ، وَالقُوَّةِ عَلَى مَا أَمَرْتَنِي بِهِ مِنْ طَاعَتِكَ، وَالْاجْتِنَابِ لِمَا نَهَيْتَنِي عَنْهُ مِنْ مَعْصِيَتِكَ.

واستغرق هذا المقطع صفات العافية الكاملة المرجوّة، وهي أربع، بأن تكون:

١ ـ كافية بدفع المكروهات.

٢ ـ شافية من الامراض.

٣ ـ عالية رفيعة، لا تنالها العلل.

---

(١) في (ق) العبارة هكذا: «اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمد، و»، ولم ترد في (ش) عبارة: «صلّ على محمّد وآله، و».

(٢) هذه الفقرة بأكملها لم ترد في (ق).

(٣) لم ترد في (ج) (س): «اللهم»، وفي (ت) العبارة هكذا: «اللهمّ صلّ على محمّد وآله».

(٤) في (ق) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّد وآلِ محمدٍ وَامْنُنْ عَلَيَّ بالصِّحَةِ وَالأمْنِ»، وفي ملحق (ك) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وآلِهِ وَامْنُنْ عَلَيَّ بِالصِّحَةِ وَالامْنِ».

(٥) في (ش) زيادة: «والوجل».

٤ ـ نامية في تزايد، تنمو بكثرة.

ويستكشف عن وجود هذه الصفات الاربع بكمال العافية والاثار المتولّدة بسببها في الإنسان وسلوكه، وأهمها هي:

١ ـ عافية البدن في الدنيا بدفع المكروهات الدنيوية، وفي الآخرة بدفع المكروهات الاخروية.

٢ ـ الصحة، وهو البرء من العاهة في البدن.

٣ ـ الأمن من المكروه في البدن.

٤ ـ السلامة من الآفات في كلٍّ من البدن والدين.

٥ ـ البصيرة في القلب والفكر.

٦ ـ النفاذ في الأُمور، أي تحقق المطلوب منها خارجاً.

٧ ـ الخشية لله من عظمته تعالى.

٨ ـ الخوف من الله تعالى من عقابه.

٩ ـ القوّة على الطاعة.

١٠ ـ الاجتناب عن المعصية.

فهذه النقاط العشر تكشف عن كمال العافية كشف المعلول عن العلة؛ إذ لولاها لما تحققت هذه النقاط في سلوك الإنسان.

[٣/٢٣ ـ الطاعات المؤثرة في السلوك]:

أللّهُمَّ[١] وَامْنُنْ عَلَيَّ بِالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، وَزِيَارَةِ قَبْرِ رَسُولِكَ صَلَواتُكَ[٢] وَرَحْمَتُكَ وَبَرَكاتُكَ عَلَيْهِ وآله، آل[٣] رَسُولِكَ عليهم

---

(١) في (ت) وملحق (ك): «إلهي».

(٢) في غير (ش) (ق) زيادة: «عليه» هنا، وفي (ج) (د) في الحاشية ما نصه: «ليس في نسخة ابن إدريس إلّا «عليه» الأخيرة»، وذلك يعني: انه لم ترد «عليه» هنا في نسخة ابن إدريس.

(٣) العبارة في (ج) هكذا: «وَعلى آلِهِ آل»، وفي (ج) كتب على: «وَعلى آلِهِ» نسخة، وفي هامش (س) ما نصّه: «ليس في نسخة ابن إدريس: «وَرَحْمَتُكَ وَبَرَكاتُكَ عَلَيْهِ». (لوامع الأنوار العرشية ٣: ٤٩١)».

السَّلام، أَبَداً مَا أَبْقَيْتَنِي[(١)] فِي عَامِي هَذا وَفي كُلِّ عَامٍ، وَاجْعَلْ ذلِكَ[(٢)] مَقْبُولاً، مَشْكُوراً، مَذْكُوراً لَدَيْكَ، مَذْخُوراً عِنْدَكَ[(٣)]، وَانْطِقْ بِحَمْدِكَ وَشُكْرِكَ وَذِكْرِكَ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْكَ لِسَانِي، وَاشْرَحْ لِمَراشِدِ دِينِكَ قَلْبي[(٤)].

وخصّ هذا المقطع بالطاعات الّتي تؤثر في سلوك الإنسان نحو الكمال؛ لتطلّبها جهداً خاصاً وشاقاً لإتيانها في العمر مرة، أو في كل عام فيكون أشق، وهما:

١ ـ الحج؛ فإن فيه يتجرّد الإنسان عن كل العلاقات الماديّة، لا لشيء سوى رضاه تعالى.

٢ ـ العمرة، وهي القسم الأوّل من الحج أو المفردة عنه.

٣ ـ الزيارة، ففي زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وآله بالحضور أو تلاوة نص الزيارة معاهدة على التسنّن بسنته الطاهرة.

٤ ـ زيارة آل الرسول صلى الله عليه وآله، كذلك.

٥ ـ قبول الطاعات، بأن تكون مشكورة، أي مضاعفة، ومذكورة غير مهملة لعيب فيها، ومذخورة لثواب يوم القيامة.

٦ ـ نطق اللسان بالحمد لله والشكر لله وذكر الله سبحانه، وحسن الثناء على التوفيق إلى الطاعات.

---

(١) في (ش): «وعلى آله أبداً دائماً ما أبقيتني»، وفي (ش): «وعلى آله أبداً دائماً ما أبقيتني»، وفي (ق) العبارة هكذا: «صَلَواتُكَ وَرَحْمَتُكَ وَبَرَكاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ أبداً ما أبقيتني»، وفي ملحق (ك) العبارة هكذا: «صَلَواتُكَ وَرَحْمَتُكَ وَبَرَكاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ آل رَسُولِكَ عليهم السلام أبداً ما أبقيتني».

(٢) في (ش) زيادة: «منّي».

(٣) لم ترد في (ش): «عندك».

(٤) في (ش) العبارة هكذا: «وَاشْرَحْ لِمَن أشد دينِكَ قَلْبي»، وفي (ق) (ت) وملحق (ك) العبارة هكذا: «وَاشْرَحْ به لِمَراشِدِ دينِكَ قَلْبي».

٧ ـ توطين القلب للطاعات بشرحه وتوسعته لأدائها.

وجماع القول فيها: (الاعتقاد بالجنان والعمل بالأركان والقول باللسان) فإذا تحققت هذه الأمور الثلاثة كانت الطاعة مقبولة، فالانفراد بواحد منها لا يؤدّي الغرض المطلوب.

[٤/٢٣ ـ الاستعاذة من الشرور]:

وَأَعِذْنِي وَذُرِّيَّتِي مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ، وَمِنْ شَرِّ السّامَّةِ، وَالْهامَّةِ، وَالْعامَّةِ، وَاللاّمَّةِ(١)، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْطانٍ مَرِيدٍ(٢)، وَمِنْ شِرِّ كُلِّ سُلْطانٍ عَنِيدٍ(٣)، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ مُتْرَفٍ(٤) حفيدٍ(٥)، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ ضعيفٍ وَشَدِيدٍ(٦)، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ شَرِيفٍ وَوَضِيعٍ(٧)، وَمِنْ شَرِّ

---

(١) في (س): «السامة: الخاصة، يقال: كيف السامة والعامة. الملمة (والملامة): النازلة من نوازل الدنيا. الهامة: واحدة الهوام، ولا يقع هذا الاسم إلّا على المخوف من الأحناش». (حاشية ابن إدريس: ١٩٢)، وفي حاشية (ج): «اذا اقترن السامة بالهامة، فالسامة ذوات السموم من الدواب، والهامة واحد الهوام، والهميم: الدبيب. وقد هممت أهم بالكسر هميما. وقال الشاعر ساعدة بن جؤية يصف سيفا: ترى أثره في صفحتيه كأنه مدارج شبثان لهن هميم». (راجع: الصحاح، للجوهري ٥: ٢٠٦٢).

(٢) في (س): «المرود على الشيء: المرون عليه، والمارد: العاتي. والعاتي: المتكبر، وعتا الشيخ: كبر وولّى، وقد مَرُدَ الرجل ـ بالضم ـ مَرادَةً، فهو مارد ومَريد». (حاشية ابن إدريس: ١٩٣).

(٣) في (ش): «وَمِنْ شِرِّ كُلِّ شيطان عَنيد».

(٤) في (س): «أترفته النعمة: أي أطغته، وكل مجاوز عن الحدّ ـ في العصيان ـ فهو طاغ». (حاشية ابن إدريس: ١٩٣).

(٥) في (ق) (ت) وملحق (ك): «حقود»، وفي حاشية (ج): «حفيد ـ س»، وفي حاشية (د)ما نصه: «أي كل من أترفته النعمة، وهو سريع متسارع إلى الشر والقطع، من الحفد: السرعة، وسيف محتفد، أي سريع، ومترف محفود، وهو الذي يخدمه أصحابه ويسرعون في طاعته، على أن يكون فعيلا، مير باقر الداماد رحمه الله».

(٦) لم ترد في (ق) عبارة: «وَمِنْ شَرِّ كُلِّ ضعيف وشِديد».

(٧) في (ك) (ت) العبارة هكذا: «وَمِنْ شَرِّ كُلِّ شِديد وضعيف، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ وضيع وشِريف».

كُلِّ صَغيرٍ وَكَبيرٍ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ قَريبٍ وَبَعيدٍ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ مَنْ نَصَبَ لِرَسُولِكَ وَلأَهْلِ بَيْتِهِ[(١)] حَرْباً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ[(٢)]، وَمِنْ شَرِّ[(٣)] كُلِّ دابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِناصِيَتِها، إِنَّكَ عَلَى صِراطٍ مُسْتَقيمٍ.

إنّ العافية لا تتحقق إلّا بالسلامة من الشرور الّتي تعرض حياة الإنسان، وأهمها الشرور التالية:

١ ـ الشيطانّ الرجيم، الذي يوسوس في كل حالة في صدر الإنسان؛ لمنعه من الخيرات.

٢ ـ السامّة من الحيوانات، كالعقارب والحيّات.

٣ ـ الهامة من الحيوانات الّتي تدبّ على الأرض من الحشرات.

٤ ـ العامة، أي ما يعم أذاها الجميع كالفيضانات.

٥ ـ اللامّة، وهي عين الحسد.

٦ ـ المَريد من الشياطين، أي العاتي المتمرّد.

٧ ـ السلطان العنيد، أي الجائر في سلطنته.

٨ ـ المترف الحفيد، أي الذي ابطرته القدرة واصبح حفيداً، أي يخدمه اصحابه لقدرته.

٩ ـ ومن شرّ الضعيف حالكونه شديداً؛ فإنّ شره اكثر من غيره؛ لانه مستميت في صولته.

١٠ ـ الشريف، حالكونه وضيعاً، فإن شره حال سقوطه أشد من حال شرفه.

١١ ـ الصغير، حالكونه كبيراً في اعماله الشريرة.

١٢ ـ القريب في البيت أو المكان، حالكونه بعيداً في الاهداف.

---

(١) في (ت) وملحق (ك): «وأهل بيته».

(٢) لم ترد في (ش): «وَمِنْ شَرِّ كُلِّ مَنْ نَصَبَ لِرَسُولِكَ وَلأَهْلِ بَيْتِهِ حَرْباً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ».

(٣) في (ق): «وَشَرِّ».

١٣ ـ الناصب حرباً للرسول وأهل بيته؛ فإن نَصب العداوة لهم عداوة لما بلّغ به ﷺ وحافظ عليه اهل بيته عليهم السلام.

١٤ ـ الجن والانس؛ فإن شرورهم غير قابلة للحصر.

١٥ ـ كل دابّة تدب على الارض، فهي بحكم كونها مستخدمة قد تنتقم ممن يستخدمها وخاصة في استخدام النسوة.

وهذه هي أنواع الشرور المشهورة، والتي يواجها الإنسان في حياته، وهي لا تنحصر تحت ضبط؛ لأن شرور الشيطان غير مظبوطة، فلا ملجأ سوى الاستعاذة بالله منها كلها.

[٥/٢٣ ـ الاستعاذة من شرور الناس]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وَمَنْ أَرادَني بسوءٍ[١] فَاصْرِفْهُ عَنّي، وَأدْحَرْ[٢] عَنّي مَكْرَهُ[٣]، وَأدْرأْ عَنّي شَرَّهُ، وَرُدَّ كَيْدَهُ في نَحْرِهِ، [وَاجْعَل بَينِي وَبَينَهُ حَاجِزاً][٤] وَاجْعَل بَينَ يَدَيهِ سَدّاً [وَمِنْ خَلْفِهِ سَدّاً][٥] حَتّى تُعْمِيَ عَنّي بَصَرهُ[٦]، وَتُصِمَّ عَنْ ذِكْرِي سَمْعَهُ، وَتُقْفِلَ[٧] دُونَ إِخْطاري[٨] قَلْبَهُ، وَتُخْرِسَ عَنّي لِسَانَهُ[٩]،

---

(١) في (ش) العبارة هكذا: «وَمَنْ أراد بي شراً»، وفي ملحق (ك) العبارة هكذا: «وَمَنْ أرادني شراً»، وفي (ق) (ت) العبارة هكذا: «وَمَنْ أرادني سوءاً»، ويحتمل ان تكون العبارة هكذا: «وَمَنْ أراد بي سوءاً».

(٢) في (س): «الدحور: الطرد والإبعاد». (حاشية ابن إدريس: ١٩٣).

(٣) في (ش) العبارة هكذا: «وَازْجُرْ بقوّتك عَنّي مَكْرَهُ»، وفي حاشية (ج)في نسخة: «مكروهه».

(٤) ما بين المعقوفتين من (ق) (ت).

(٥) ما بين المعقوفتين من (ق) (ت).

(٦) في (ش) العبارة هكذا: «واجعل من بين يديه سَدّاً ومن خلفه سدّاً حَتّى تُعْمِيَ عَنّي بَصَرهُ».

(٧) في (ش): «تغفّل».

(٨) في (س): «خطر الشيء بقلبي: أي حصل. س. قمعته وأقمعته: بمعنى، أي قهرته وأذللته». (حاشية ابن إدريس: ١٩٣).

(٩) في ملحق (ك) العبارة هكذا: «وَرُدَّ كَيْدَهُ في نَحْرِهِ، وَاجْعَلْ بَيْني وبَينَه حاجزا، واجعل بين =

وَتَقْمَعَ[١] رَأْسَهُ، وَتُذِلَّ عِزَّهُ، وَتكْسِرَ جَبَرُوتَهُ، وَتُذِلَّ رَقَبَتَهُ، وَتَفسَخَ[٢] كِبْرَهُ، وَتؤْمِنَنِي مِنْ جَميعِ ضَرِّهِ، وَشَرِّهِ، وَغَمْزِهِ، وَهَمْزِهِ[٣]، وَلَمْزِهِ[٤]، وَحَسَدِهِ، وَعَداوَتِهِ[٥]، وَحَبَآئِلِهِ[٦]، وَمَصآئِدِهِ، وَرَجْلِهِ[٧]، وَخَيْلِهِ، إِنَّكَ عَزيزٌ قَديرٌ[٨].

وختم الدعاء بشرور الإنسان الذي يريد سوءاً بآخر أو مكروهاً، وهو اكثر خطراً واعظم ضرراً على الإنسان، والعافية منه يكون بالاستعاذة بالله؛ لوجوه:

١ ـ صرف السوء، أي ردّه.

٢ ـ دحر المكر، أي طرده.

٣ ـ درء الشر، أي دفعه.

٤ ـ رد الكيد، وهو الضرر المعلن، بأن يبتلي بضرر نفسه في النحر الذي وجب القتل.

٥ ـ جعل السد بين مريد السوء والإنسان؛ لمنعه عن تأثير السوء بما يأتي:

٦ ـ عمي بصره، فلا يتمكن من الاضرار.

٧ ـ الصمم في سمعه، فلا يسمع ما يمهد له الإضرار بالآخرين.

يديه سَدّاً ومن خلفه سدّا حَتّى تُعْمِيَ عَنّي ببَصَره، وَتُصمي عَنْ ذِكْري سَمْعَهُ، وَتُقْفِلَ دُونَ إِخْطاري قَلْبَهُ، وَتُخرسَ عَنّي لِسانَهُ».

١) في (ش): «تقنع».
٢) في (ق) (ت) وملحق (ك): «وَتضع»، وفي حاشية (ج) (د): «وتضع ـ س».
٣) لم ترد في (ت): «وهمزه».
٤) لم ترد في (ش): «ولمزه»، وفي (س): «لمزه يلمزه (لمزاً): إذا ضربه ودفعه. ولمزتَ القوم: أي خالطتهم ودخلت بينهم». (حاشية ابن إدريس: ١٩٣).
٥) في حاشية (ج) (د): «وعدوانه ـ س».
٦) في (ش): «وحباله».
٧) في (س): «الراجل: خلاف الفارس، والجمع: رَجْل، مثل صاحب وصَحب». (حاشية ابن إدريس: ١٩٣).
٨) لم ترد في (ش): «إِنَّكَ عَزيزٌ قَديرٌ».

٨ ـ قفل القلب، بأن لا يفكر في شأن من يريد الإساءة اليه.

٩ ـ خرس اللسان، بأن لا ينطق بما يؤدّي إلى الإساءة.

١٠ ـ قمع الرأس، أي ضربه بالخشبة للاذلال.

١١ ـ اذلال العز، أي الرفعة والشدّة.

١٢ ـ كسر الجبروت، أي الكبر والقهر.

١٣ ـ ذلّ الرقبة، وهي كناية عن ذلّ العبودية.

١٤ ـ فسخ الكبر، أي ابطال العظمة والكبرياء.

١٥ ـ الأمان من مريد السوء بكل وسائل الشرّ المتصوّرة منه، وقد خصّ منها:

١ ـ الضرّ، وهو فعل المكروه.

٢ ـ الشر، وهو الفساد والظلم.

٣ ـ الغمز بالحاجب، وهو الطعن بالاشارة.

٤ ـ الهمز، أي الغيبة والوقيعة في الناس.

٥ ـ اللمز، أي اظهار العيب.

٦ ـ الحسر، أي الرغبة في زوال النعمة.

٧ ـ العداوة، أي التجاوز بالظلم.

٨ ـ الحبائل، وهي وسائل السوء.

٩ ـ المصائد، وهي عبارة عن آلات الصيد.

١٠ ـ الرجل، أي الاعوان المشاة على أرجلهم.

١١ ـ الخيل، أي الاعوان الممتطين خيولهم.

وهذه الوسائل لا تنحصر بعدد مضبوط؛ إذ لكل مريد السوء وسيلة خاصة يستخدمها للحصول على غرضه في الاساءة إلى الآخرين؛ لعقدة النقص الحاكمة في نفسه، ولا يتخلّى عن أية وسيلة لاستخدامها لغرضه، فلا أمان منه ومن وسائله إلّا بالله تعالى، والتوقّي منها اعتماداً عليه سبحانه، وهو نعم المستعان.

[الدُّعاءُ الرَّابِعِ والعشرون]

وكانَ مِنْ دُعائِهِ عليه السلام لأبَوَيْهِ (عليهما السلام)[1]

[١/٢٤ ـ الدعاء للأبوين]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبدِكَ وَرَسُولِكَ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ وَاخْصُصْهُمْ بِأَفْضَلِ صَلَوَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَبَرَكَاتِكَ وَسَلامِكَ، وأَخْصُصِ اللّهُمَّ وَالِدَيَّ[2] بِالكَرَامَةِ لَدَيْكَ، وَالصَّلاةِ مِنْكَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ[3].

استفتح هذا الدعاء بالصلوات، أي طلب الرحمة على ثلاث:

الأول: نبيّنا محمد صلى الله عليه وآله ووصفه بوصفين من صفاته الكثيرة، هما: العبودية لله، والرسالة كالسبب في الصلاة عليه؛ لأن تعاليم الإسلام الّتي بشّر بها النبي وسيرته الطاهرة علّمت الأُمّة الدعاء للأبوين، وكذا زيارة النبيّ صلى الله عليه وآله لقبر أُمّه(عليها السلام) بالأبواء.

الثاني: اهل بيت النبيّ محمد صلى الله عليه وآله، ووصفهم بالطهارة كما نطقت به آية

---

(١) ورد هذا الدُّعاء في (ك) بالرقم (١٦) بالعنوان ذاته، وفي (ش) بالرقم (١٧) بعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام لأبَوَيْهِ عليهما السلام»، وفي (ج) بعنوان: «الرابع والعشرون: وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام لأبَوَيْهِ عليهما السلام»، وفي (ق) (ت) بعنوان (الرابع والعشرون)، وتحته عنوان: «لأبَوَيْهِ عليهما السلام»، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (٢٤)، بعنوان: «دُعاؤهُ لأبويه».

(٢) في (ت): «والدي».

(٣) لم يرد هذا المقطع من الدعاء في (ك).

التطهير: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1] وطلب تخصيصهم بأفضل الصلوات والرحمة والبركات والسلام؛ لأنهم حافظوا على سيرة جدّهم الأطهر في أصعب الظروف من حياتهم الّتي اختلفت عن ظروف عصر الرسول ﷺ تماماً، وأورثوا هذا التراث للأجيال المقبلة بأمانة واخلاص عملي واضح من دون أيّ توان.

الثالث: الوالدين، وجعلهما في المرتبة الثالثة بعد النبيّ ﷺ واهل بيته عليهم السلام، وهذا يدل على علوّ مقامهما في الإسلام، ومن أجل تعاليم النبيّ واهل بيته استحقّا التخصيص بالكرامة لدى الله والصلاة منه، فهم آباء روحيون، والوالدان آباء في الجسد، ولولا الهداية الروحية لما كانت هناك معرفة لحقوق الوالدين.

وقد اعتاد المسلمون الصلاة على النبيّ محمد ﷺ كما في القرآن الكريم، وعلى أهل بيته الطاهرين كما في السنة الشريفة، ولكن لم يكن من العادة الصلاة على الوالدين، ولعلّ هذا الدعاء من أوليّات صلاة كهذه.

[٢/٢٤ ـ حقوق الوالدين]:

أللّهُمَّ صَلِّ[2] عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ[3] أَلْهِمْنِي[4] عِلْمَ مَا يَجِبُ لَهُمَا[5] عَلَيَّ[6] إِلْهَاماً، وَاجْمَعْ لِي[7] عِلْمَ[8] ذَلِكَ كُلِّهِ تَمَاماً[9]، ثُمَّ

(١) القرآن الكريم، سورة الاحزاب ٣٣: ٣٣.

(٢) في (ش): «وصل».

(٣) لم ترد: «اللهمّ صل على مُحَمَّدٍ وآله، و» في (ك).

(٤) أي ألق في روعي ولقنّي.

(٥) في (ش): «لأبويّ».

(٦) في (ك) العبارة هكذا: «مَا يَجِبُ لأَبَوَيَّ عَلَيَّ».

(٧) في (ق): «واجعل لي».

(٨) في (ت): «على».

(٩) في (ك) العبارة هكذا: «وَاجْمَعْ لِي ذَلِكَ كُلّه تماماً».

اسْتَعْمِلْنِي بِمَا تُلْهِمُنِي مِنْهُ[١]، وَوَفِّقْنِي لِلنُّفُوذِ[٢] فِيْمَا تُبَصِّرُنِي مِنْ عِلْمِهِ[٣]، حَتَّى لَا يَفُوتَنِي اسْتِعْمَالُ شَيءٍ عَلَّمْتَنِيهِ، وَلَا تَثْقُلْ[٤] أرْكَانِي عَنِ الحَفُوفِ[٥] فِيْمَا أَلْهَمْتَنِيْهِ.

عظمة حقوق الوالدين معروفة في القرآن والسنة، ويعلمها كل مسلم ومسلمة، ولكنه مهما كان، فلا يمكن ان يعرفوا ذلك علما تآماً إلّا إذا وصل العلم إلى مرحلة عين اليقين بالمشاهدة والحس كالعيان، وأنّى يكون ذلك لمن لم يكن أباً بعد، أو لمن لا يتحمل الآم الحمل والولادة؟! ولا يكون من سبيل إلى هذا العلم التام إلّا بالالهام من الله تعالى. والإلهام هو أن يلقي الله في النفس امرأ يحثّ الإنسان على الفعل أو الترك.

ومن أجل ذلك يستلزم العلم التام والالهام والعمل بما يلهم الإنسان في روعه، ولذلك ختم المقطع هذا بالدعاء لأمرين:

الأول: العمل على طبق ما ألهمه الله تعالى.

الثاني: التوفيق للنفوذ ـ أي المضيّ ـ على مقتضى العلم التام الملهم من الله سبحانه وتعالى.

---

(١) في (ش): «واسْتَعْمِلْنِي بِمَا تُلْهِمُنِي».

(٢) في (ت): «للتفرّد»، وفي (ك): «للنفود»، والنفوذ: المضيّ في الأمر.

(٣) في (ك) العبارة هكذا: «فِيمَا تُبَصِّرُنِي بِهِ مِنْ عِلْمِهِ»، والعبارة غير واضحة في (ت).

(٤) في (ق): «ولا يثقل»، والكلمة غير واضحة في (ت).

(٥) في (ت): «الخوف»، وفي (ق) وحاشية (ج) (د) في نسخة: «الحوف»، وفي (ك): وحاشية (ج) (د) في نسخة أخرى: «الخفوف»، وفي حاشية (ج) (د) أيضاً: «وَلَا تَثْقُلْ أرْكَانِي عَنِ الحَفُوفِ فِيْمَا أَلْهَمْتَنِيْهِ، كانت: «على الحقوق»، فضرب على: «الحقوق» ـ س»، والخفوف: السرعة والعجلة في الحركة، و«ثقل الأركان» عبارة عن فتور الجوارح وعدم نهوضها للعمل»، ، وفي حاشية (د) ما نصه: «والحفوف: يروى بالحاء المهملة، فيكون بمعنى الخدمة. ويروى بالخاء المعجمة بمعنى الخفّة، وفي رواية: بقافين بعد الحاء المهملة. جمع حقّ. من الشرح ملخصا». (رياض السالكين ٤: ٥٠).

فإذا تحقق هذان الامران فإنه لا يفوت العمل حسب العلم التام الذي علّمه الله ولا يثقل جسم الإنسان الحفوف ـ أي الخدمة المأمور بها تجاه الوالدين ـ حسب ما ألهمه الله تعالى. فإن كل حالة من الحالات تفتقر إلى خدمة خاصة ماديّة أو روحية حسب الحاجة التي يلهمها الله سبحانه للإنسان في خدمة الوالدين.

[٣/٢٤ ـ شرف النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِه كَمَا شَرَّفتَنَا(١) بِهِ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ كَمَا أوجَبتَ لَنَا الحَقَّ عَلَى الخَلقِ بِسَبَبِهِ(٢).

وحيث إن الفضل في معرفة حقوق الوالدين يرجع إلى رسالة النبيّ محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي أكّد على حقوقهما، خصّ هذا المقطع من الدعاء للصلاة عليه لأمرين:

الأول: شرف الأُمّة بنبوّته صلى الله عليه وآله وسلم المؤكدة على هذه الحقوق.

والثاني: انه كان السبب في معرفة الحقوق الواجبة على الخلق بشريعته الكاملة، ولولاها لما عرفنا هذه الحقوق الّتي اوضحها بتفصيل في سيرته الطاهرة اكثر من أيّ دين وأية شريعة وأيّ قانون آخر.

[٤/٢٤ ـ موقف الأولاد]:

أللّهُمَّ اجْعَلْنِي أهَابُهُمَا هَيْبَةَ السُّلْطَانِ العَسُوفِ(٣)، وَأَبرُّهُمَا بِرَّ

---

(١) في حاشية (ج) في نسخة: «شرفتني».

(٢) لم ترد هذه العبارة في (ك) و(ش).

(٣) العسوف: الظلوم، وفي (س): «الغشوم: الظلوم». (حاشية ابن إدريس: ١٩٦). وقال السيد الخرسان في الهامش: «وأحسب انّ الرمز من سهو القلم، كما انّ المصنّف سها فذكر (الغشوم)، مع انّه لم يرد له ذكر في المتن، بل ورد (العسوف) وهو الظلوم أيضاً». (من هامش حاشية ابن إدريس: ١٩٦).

لأُمٍّ الرَّؤوفِ[١]، وَاجعل طَاعَتِي لِوَالِدَيَّ وَبِرِّي بِهِمَا[٢] أقَرَّ لِعَيْنِي مِنْ رَقْدَةِ الوَسْنَانِ[٣]، وأَثْلَجَ لِصَدْرِي مِنْ شَرْبَةِ الظَّمْآنِ، حَتّى أُوثِرَ عَلَى هَوايَ هَواهُما، وأُقَدِّمَ عَلَى رِضَايَ رِضَاهُمَا، واسْتَكْثِرَ بِرَّهُمَا بِي وَإنْ قَلَّ، وأستَقِلّ بِرِّي بِهِمَا وَإنْ كَثُرَ[٤].

وعرض في هذا المقطع أهم المواقف تجاه الوالدين، وهي مواقف متلازمة من:

١ ـ الهيبة، أي اجلالهما بمنتهى درجات الإجلال، كدرجة الهيبة من الحاكم الظالم صاحب السلطة.

٢ ـ البر، أي طاعتهما بمنتهى درجات الطاعة، كبرّ الأُمّ الرؤوف بأولادها.

٣ ـ الطاعة لهما، بحيث يكون قرة عين، أي سروراً للعين كدرجة سرور العين في نوم الناعس، وكونها أثلج للصدر من شربة الماء للضمآن.

٤ ـ الايثار، بتقديم هواهما على هوى النفس.

٥ ـ الرضا بما رضيا به، بتقديم رضاهما على رضى النفس.

٦ ـ استكثار برّهما مهما قلّ؛ فانهما قدّما ما هو أكثر.

٧ ـ استقلال البرّ بهما وإن كَثُر؛ لأن البرّ المتأخّر ـ مهما كَثُر ـ فإنه لا يمكن أن يساوي شيئاً مما فعلاهُ من الرعاية للطفل في حال الصغر.

---

(١) الكلمة غير واضحة في (ت).

(٢) في (ت): «لهما».

(٣) في (ت): «رفدة الوسنان»، وفي (ش): «وأبرّهما برّ الامّ الرؤوف حتّى يكون برّي أقرّ لعيني من رقدة النعسان»، وفي (س): «الوسن: النعاس، والوسنان: النعسان». (حاشية ابن إدريس: ١٩٦)، وفي (ك) العبارة هكذا: «وَأبرُّهُمَا بِرَّ الأُمِّ العَطُوفِ، حَتَّى يَكُونَ بِرِّي بِهِمَا أقرَّ لِعَيْنِي مِنْ رَقدَةِ النَّعْسانِ». والرقدة: فعْلة من الرقود، وهو النوم، ونسبه إلى النعسان، لأنّه ألذّ شيء عندهُ في ذلكَ الحال.

(٤) في (ك) العبارة هكذا: «واجعلني أُوثِر هواي على هواهما، وأقدّم على رضاي رضاهما، واستَقِلُّ بِرِّي بِهِمَا وَإنْ كَثُرَ، واسْتَكْثِرُ بِرَّهُمَا بِي وَإنْ قَلَّ».

وهذه المواقف متلازمة، ولا يمكن الاكتفاء باحداها تجاه الوالدين، فإن كلمة واحدة مثل «أُفّ» يهدم كل هذه المواقف؛ إذ النطق بهذا التأفيف يكشف عن عدم الالتزام بهذه النقاط الأساسية في حقوق الوالدين.

[٥/٢٤ ـ من واجبات الأولاد تجاه الوالدين]:

أللّهُمَّ خَفِّضْ لَهُمَا صَوْتِي[(١)]، وأطِبْ لَهُمَا كَلَامِي، وَألِنْ لَهُمَا عَرِيْكَتِي[(٢)]، وأعْطِفْ[(٣)] عَلَيْهِما[(٤)] قَلْبِي، وَصَيِّرْنِي بِهِمَا رَفِيْقاً، وَعَلَيْهِمَا شَفِيْقاً[(٥)].

عدّ في هذا المقطع من الواجبات تجاه الوالدين ما يلي:

١ ـ خفض الصوت في الخطاب، وذلك بأن يكون خطابهما بنبرة بين الهمس والجهر.

٢ ـ طيب الكلام، وهو أفضله واحسنه.

٣ ـ لين العريكة، وهي الطبيعة، أي التعامل معهما بلطف.

٤ ـ العطف، أي الشفقة.

٥ ـ الرفق، وهو اللطف.

٦ ـ الشفقة، وهي الرقة.

وتجمع هذه الصفات الاهتمام بشأنهما بروح الواجب الإنساني تجاههما.

---

(١) في (ك) و (ش) (ق) (ت) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ أخفضْ لَهُمَا صَوْتِي»، وفي (س): «خفض الصوت: غضّه، يقال: خفّض عليك القول، وخفّض عليك الأمر: أي هوّن». (حاشية ابن إدريس: ١٩٦).

(٢) في حاشية (ج): «أي طبيعتي»، وفي (س): «العريكة: الطبيعة، وفلان ليّن العريكة: إذا كان سلساً». (حاشية ابن إدريس: ١٩٦)، والعريكة: الطبيعة والنفس.

(٣) يُقال: عطفَ عليهِ، إذا أشفق وتحنّن.

(٤) في (ش): «واعطف لهما».

(٥) في (ش): «رفيقا».

٦/٢٤ ـ أسباب الشكر]:

أللّهُمَّ اشْكُرْ لَهُمَا تَرْبِيَتِي، وَأثِبْهُمَا[١] عَلَى تَكْرِمَتِي، واحْفَظْ هُمَا مَا حَفِظَاهُ[٢] مِنِّي فِي صِغَرِي.

وهنا ذكر الأسباب الرئيسية الّتي تدعو إلى الاهتمام بالوالدين كواجب سلامي، وهي ثلاث:

١ ـ شكر التربية، فالدور التربوي الذي قاما به في الطفولة حتى سنّ البلوغ يمكن ان يجازى، والشكر اول وظيفة واجبة وخطوة في سبيل ذلك.

٢ ـ ثواب التكرمة؛ فإنه إكرام للطفل، فالقيام بما يصلح شأنه ويؤمن الأمور ضرورية في صحته وسلامته وتأمين مستقبله وتثقيفه؛ فإن الاهمال كان ايضاً من خيارات المطروحة امامهما، وقد رفضاه رفضاً قاطعاً، وهذا الاهتمام بهما في برهما خطوة صائبة في سبيل ثواب الإكرام.

٣ ـ الحفظ في الصغر من الطوارئ الجسمية والاجتماعية بمختلف أنواع حفظ المتيسرة لهما حسب المحيط المتيسّر في المجتمع آنذاك، وذلك يوجب لاهتمام بهما وحفظهما جزاءً بما قدماه.

٢٤/ ٧ ـ تقصير الأولاد]:

أللّهُمَّ، وَمَا مَسَّهُمَا مِنِّي[٣] مِنْ أذىً، أوْ خَلَصَ إلَيْهِمَا عَنِّي[٤] نْ مَكْرُوهٍ، أوْ ضَاعَ قِبَلِي لَهُمَا[٥] مِنْ حَقٍّ، فاجْعَلْهُ حِطَّةً[٦]

---

(١) في (ت): «وأثب لهما».

(٢) يُقال: حفظت لزيد صنيعهُ: إذا راعيته وشكرته، والمعنى: جازهما على ما صاناهُ من أمري وقاما بهِ من شأني وقت صغري.

(٣) لم ترد في (ت): «مني».

(٤) في (ت): «مني».

(٥) في (ش): «لهما قبلي»، وفي (ت): «قلبي لهما».

(٦) في (ت): «واجعله حطة»، والحطة: اسم من استحط وزرهُ: إذا سألَ أن يحطهُ عنهُ.

لِذُنُوبِهِمَا، وَعُلُوّاً فِي دَرَجَاتِهِمَا[١]، وَزِيَادَةً فِي حَسَنَاتِهِمَا[٢]، يَا مُبَدِّلَ السَّيِّئَآتِ بِأَضْعَافِهَا مِنَ الحَسَنَاتِ[٣].

ولعظم حقوق الوالدين لا يخلو حياة الأولاد من قصور في حقهما بسبب الجهل أو التقصير بسبب الغرور، ولا يمكن تغطية ما سبق إلّا بالدعاء، وخصّ من الموارد الّتي يتحقق عادة فيها القصور والتقصير ما يلي:

١ ـ الاذى، بسبب الطفولة الّتي لا يشعر الإنسان فيها بالمسؤولية.

٢ ـ المكروه، بعدم الطاعة والعمل بنصائحهما.

٣ ـ الحقّ الضائع لهما من الاحترام والاهتمام.

ولم يكن صبرهما على هذه الأمور إلّا لعلمهما بأنها صادرة عن جهالة، وأنه سوف يحصل الندم عليها في المستقبل وحين لا ينفع الندم شيئاً في جبر ما فات سوى الدعاء، بأُمور:

١ ـ الحطة لذنوبهما، أي رفعها أو تقليلها بالمغفرة.

٢ ـ العلوّ في الدرجات، للصبر على جهالة الأولاد لحقوق الوالدين.

٣ ـ الزيادة في الحسنات؛ فإن استمرارهم في الاهتمام في الصغر بالرغم من جهالة الأولاد لحقوق الوالدين، زيادة على صبرهما، موجب لاستحقاقهما الزيادة في الحسنات.

فالله هو المدعوّ بأن يبدّل الحسنات لمن يستحقها، وليس غيره مَن يبدّل السيئات الصادرة من الأولاد بأضعافها من الحسنات للوالدين سوى الله سبحانه وتعالى، في حين ان الوالدين يستحقان ذلك كمال الاستحقاق؛ جزاءً لواجب التربية.

---

(١) في (ش): «درجتهما».
(٢) لم ترد في (ت): «وَزِيَادَةً فِي حَسَنَاتِهِمَا».
(٣) لم يرد هذا المقطع في (ق) هنا.

[٨/٢٤ ـ تقصير الأبوين]:

أللّهُمَّ[١] وَمَا تَعَدَّيَا عَلَيَّ فِيهِ مِنْ قَوْلٍ[٢]، أوْ أسْرَفا[٣] عَلَيَّ فِيهِ مِنْ فِعْلٍ، أوْ ضَيَّعَاهُ[٤] لِي مِنْ حَقٍّ، أوْ قَصَّرَا بِي عَنْهُ مِنْ وَاجِبٍ، فَقَدْ وَهَبْتُهُ لَهُمَا، وَجُدْتُ بِهِ عَلَيْهِمَا، وَرَغِبْتُ إلَيْكَ فِي وَضْعِ تَبِعَتِهِ[٥] عَنْهُمَا، فَإنِّي لَا أتَّهِمُهُمَا عَلَى نَفْسِي، وَلَا أسْتَبْطِئُهُمَا[٦] فِي بِرِّي، وَلَا أكْرَهُ مَا تَولَّيَاهُ مِنْ أمْرِي ـ يَا رَبِّ ـ فَهُمَا[٧] أوْجَبُ حَقّاً عَلَيَّ، وأقْدَمُ إحْسَاناً إلَيَّ، وأعْظَمُ مِنَّةً[٨] لَدَيَّ، مِنْ أنْ أُقَاصَّهُمَا[٩] بِعَدْلٍ، أوْ أُجَازِيَهُمَا عَلَى مِثْلٍ.

أيْنَ إذاً[١٠] ـ يا إلهِي ـ طُولُ شُغْلِهِمَا بِتَرْبِيَتِي؟

---

(١) في بعض النسخ زيادة: «صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآله وَذرّيته واخصص أبويّ بأفضل ما خصصت به آبآء عبادك المؤمنين وامّهاتهم، يا أرحم الراحمين. أللّهُمَّ لَا تُنْسِنِي ذِكْرَهُمَا فِي أدْبَارِ صَلَواتِي فِي آناءِ لَيْلِي وَفِي كُلِّ سَاعَة مِنْ سَاعَاتِ نَهَارِي».

(٢) في (ك): «وَمَا تَعَدَّيَا عَلَيَّ مِنْ قَوْل».

(٣) في (ت): «أو أسرافا»، والإسراف: مجاوزة الحد ووضعِ الشيء في غير موضعهِ اللائق به.

(٤) في (ت): «أو ضيّعا»، وفي حاشية (ج) (د): «أو ضيّعا ـ س».

(٥) في (ش): «تبعاته».

(٦) في (ك): «وَلَا أسْتَبْطِيهُمَا».

(٧) في (ق) (ت): «فهما يا ربّ».

(٨) في حاشية (ج) في نسخة: «منٍّ».

(٩) في (ك) العبارة هكذا: «فَهُمَا يا ربِّ أوْجَبُ عَلَيَّ حَقّاً، وَاقْدَمُ عَلَيَّ إحْسَاناً، وَاعْظَمُ عَلَيَّ مِنَّةً مِنْ أنْ أُقَاصَّهُمَا»، وفي (ش) العبارة هكذا: «فَهُمَا يا ربِّ أوْجَبُ عَلَيَّ حَقّاً، وأقْدَمُ الَيَّ اِحْسَاناً، وأعْظَمُ عَلَيَّ فيه مِنَّةً مِنْ أنْ أُقَاصَّهُمَا» وأُقاصّهما: أي آخذ منهما القصاص، وهو أن يفعل بالفاعل مثل مافعلَ.

(١٠) في حاشية (د) ما نصه: «تنبيه: اتّفقت نسخ الصحيفة الشريفة إلّا ما شذّ على رسم «إذا» بالألف، وهو الموافق لرسمها في المصاحف. واختلف النحويّون في ذلك، وجزم ابن =

وَأَيْنَ[١] شِدَّةُ تَعَبِهِمَا فِي حِرَاسَتي؟

وَأَيْنَ اِقْتَارُهُمَا[٢] عَلَى أنْفُسِهِمَا للتَوسِعَةِ[٣] عَلَيَّ؟

هَيْهَاتَ! مَا[٤] يَسْتَوْفِيانِ مِنِّي حَقَّهُمَا[٥]، وَلَا أُدْرِكُ مَا يَجِبُ عَلَيَّ لَهُمَا، وَلَا أَنا[٦] بِقاضٍ وَظِيْفَةَ[٧] خِدْمَتِهِمَا.

فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَعِنِّي[٨] يَا خَيْرَ مَنِ أَسْتُعِيْنَ بِهِ،

= مالك في التسهيل بأنّها تكتب بالألف مراعاة للوقف عليها، لأنّها تبدل في الوقف ألفا تشبيها لها بتنوين المنصوب. وعزاه ابن هشام في «المغني» للجمهور. وقال أبو حيّان في شرح التسهيل: وذهب المازني والأكثرون إلى أنّها تكتب بالنون. واختلف النقل عن الفراء...، وحكي عن المبرّد أنّه كان يقول: أشتهي أن أكوي يد [من] يكتب إذن بالألف، لأنّها مثل «أن» و«لن»، ولا يدخل التنوين في الحرف. وتعقّبه ابن هشام في حاشيته على التسهيل بما لفظه: الحقّ أن كتابتها بالألف، وأنّ الوقف عليها بالألف، وكذا وقف الفرّاء، وقوله مردود برسم الصحابة بالألف على حسب الوقف، ويخشى عليه عاقبة ما قال، ولا يعذّب بالنار إلّا خالقها. انتهى. ونقل عن الفرّاء: أنه فصّل فقال: إن ألغيت كتبت بالألف لضعفها، وإن أعملت كتبت بالنون لقوّتها. من الشرح بتصرف يسير». (رياض السالكين ٤: ٧٨).

(١) لم ترد في (ق): «بتربيتي وأين»، والعبارة فيها هكذا: «أيْنَ إذاً - يا إلهِي - طُولُ شُغْلِهِمَا وَشِدَّةُ تَعَبِهِمَا فِي حِرَاسَتي؟».

(٢) في حاشية (ج): «إقتتارهما - س»، وفي حاشية (د): «إقتسارهما - س»، والإقتار: التضييق في النفقة.

(٣) في (ق): «في التوسعة».

(٤) في (ت): «وما»، وفي حاشية (ج): «وما - س».

(٥) في (ق): «لَا يَسْتَوْفِيانِ حَقَّهُمَا منّي».

(٦) في (ق) (ت): «وما أنا».

(٧) في (ت): «وخليفة»، وفي (س): «الوظيفة: ما يقدّر للإنسان في كلّ يوم من رزق أو طعام أو غيره». (حاشية ابن إدريس: ١٩٦).

(٨) في (ك) (ش) العبارة هكذا: «هَيْهَاتَ مَا يَسْتَوْفِيانِ مِنِّي حَقَّهُمَا، وَلَا يُدْرِكانِ مَا يَجِبُ عَلَيَّ لَهُمَا، وَمَا أنا بِقاض وَظِيْفَةَ حُرْمَتِهِمَا، فأعنّي»، أي لا استطيع أن أقضي ما وظّفتهُ وقررتهُ عليَّ من خدمتهما.

وَوَفِّقْنِي يَا أَهْدَى مَنْ رُغِبَ إِليهِ، وَلَا تَجْعَلْنِي فِي أَهْلِ العُقُوقِ[(١)] لِلآبَاءِ وَالأُمَّهَاتِ يَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْس بِمَا كَسَبَت وَهُم لَا يُظلَمُونَ[(٢)].

والوالدان بدورهما لا يخلو حياتهما من التقصير بواجب التربية للأولاد، وترك بعض حقوقهم، وقد أشار في هذا المقطع إلى أُمور ثلاثة تكثر عادة عند الوالدين، وهي:

١ ـ القول الجارح، الذي هو تعدٍّ كلامي يولد عقدة نفسية لدى الأولاد.

٢ ـ الفعل الجارح، باسراف خارج عن حدود التربية على إثر ردّ فعل عاطفي.

٣ ـ الحقّ الضائع، بإهمال الوظائف الصحيّة والتربوية لأسباب الجهل أو الخطأ.

٤ ـ التقصير في أداء الواجب عن علم وعمد، لدوافع شخصية ومصالح وقتية.

فهذه النقاط في أنفسها مؤاخذات صحيحة، إلّا أنها بالقياس إلى الدور الأهم في التربية تكون لا شيء، فيجب على الأولاد هبة هذه الحقوق بأكملها؛ لأن الوالدين أوجب حقّاً، والحقّان لا يتعادلان، بل يترجّح حقّهما؛ لكونهما أقدم إحساناً وأعظم منّة بالتربية والمحافظة على السلامة والصحة في حال الصغر الّتي لا يعادلها إحسان أو منّة أخرى، فلا يكون مجال لاستيفاء الحقّ منهما؛ لأن الحقوق الضائعة بالنسبة إلى الحقوق المستوفاة كنسبة القطرة إلى البحر معنوياً ومادياً.

(١) في (س): «رحم معقوقة: أي مسدودة لا تلد». (حاشية ابن إدريس: ٢٠٩).

(٢) لم ترد في (ك) (ش): ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، وفي العبارة إشارة إلى ما وردَ في سورة الجاثية ٤٥: ٢٢.

(هيهات ما يستوفيان منّي حقّهما) إذ حقّ الأولاد لا يعادل إلّا جزءاً صغيراً من حقوقهما، فيتساقط ما يعادله ويبقى الرجحان لحقوق الوالدين بلا معادل يعارضه، فلا يبقى موضوع للمقاصّة، أي مقابلة الفعل بمثله، ونتيجة المقايسة بين ما قاما به وما لم يقوما به، أمران يأتيان في كل الحالات، وهما:

١ ـ عدم إدراك حقوقهما الواجبة، والتي أظهرها طول التربية وشدة التعب في الحراسة والاقتار على النفس من أجل التوسعة على الأولاد.

٢ ـ عدم القيام بوظيفة خدمة الوالدين قياماً حقيقياً يعادل ما قاما به في الشدة، في كلّ من التربية والتوسعة والحراسة؛ حيث أن الأولاد في كبرهم لهم مسؤوليات أُخرى تجاه عوائل أنفسهم، ولا يمكنهم الانقطاع التام لخدمة الوالدين عادةً.

وعليه، فغاية ما يسع الإنسان في أداء حق الوالدين هو الدعاء بأن لا يصبح من اهل العقوق فيما لم يتمكن من ادائه من الوظائف تجاههما.

[٩/٢٤ ـ جزاء الابوين]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآله وَذرّيته، وَاخْصُصْ أبَوَيَّ بِأَفضَلِ مَا خَصَصْتَ بِهِ آبَآءَ عِبَادَكَ المُؤمِنِينَ وَأُمَّهَاتِهِم، يَا أَرحَمَ الرَّاحِمِينَ[(١)].

وحيث ان الدور الذي قام به الابوان كان نابعاً من الايمان وانهما قد قاما به حسب اوامر عقيدتهم، فهم يستحقون الجزاء كذلك.

وخص عليه السلام هذا المقطع بالدعاء الاجمالي لكل من سار على خطى الايمان من الآباء والأُمّهات، واستحقا بأن يختص بأفضل ما للآباء والامهات من الثواب، حيث أنّ هذا هو الدعاء الاجمالي، واما الجزاء الإلهي فهو من الله سبحانه.

---

(١) هذه الفقرة لم ترد في (ك) (ش).

[١٠/٢٤ ـ من واجبات الولد]:

أللّهُمَّ(١) ولَا تُنْسِنِي ذِكْرَهُمَا فِي(٢) أدْبَارِ صَلَواتِي، وَفِي إِنَاً(٣) من آناءِ لَيْلِي، وَفِي كُلِّ سَاعَة مِنْ سَاعَاتِ نَهَارِي(٤).

وعقّب ذلك القرار الإلهي بما يجب على الولد تجاه الوالدين، والواجب الاجمالي الجامع لخلاصة الواجبات تجاه الوالدين هو ذكرهما على كل حال، وخص منها حالات ثلاث:

١ ـ عقيب الصلوات؛ لأنها مواطن الاجابة والتقرب إلى الله سبحانه.

٢ ـ آناء الليل؛ فانها أوقات السهر في تربية الطفل، وخاصة بالنسبة إلى الأم.

٣ ـ كل ساعة أو جزء من أوقات النهار، الذي يسعى الإنسان فيه في تحصيل الرزق للطفل، وعادة يكون من قبل الاب.

وهذا الدعاء جزء اجمالي من أدنى واجبات الأولاد المتيسّرة لكل إنسان من دون استثناء.

---

(١) لم ترد في (ك) (ش) (ت): «أللّهُمَّ».

(٢) وضع في (ج) تحت كلمة: «في» علامة: «س» أي كذا في نسخة ابن إدريس رحمه الله.

(٣) لم ترد في (ت): «وفي إناً»، وفي (ج) (د): «إنى»، وفي حاشية (ج)في نسخة: «وفي كل إنى»، وفي حاشية (د)ما نصه: «الانى بالكسر والقصر، ويفتح مع المدّ: الساعة من الليل والنهار...، والعرب تطلقها وتريد بها الحين والوقت وإن قلّ، وعليه قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً﴾. (سورة الأعراف ٧: ٣٤). من الشرح ملخصا». (رياض السالكين ٤: ٨٦).

(٤) في (ك) العبارة هكذا: «وفي كلّ إنىً مِنْ آناءِ لَيْلِي، وَسَاعَة مِنْ سَاعَاتِ نَهَارِي»، وفي (ت) العبارة هكذا: «ادبار صلواتي آناءِ اللَيْل، وساعة مَنْ سَاعَاتِ النَهَارِ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «وفي كلّ آناءِ لَيْلِي، وَسَاعَة مِنْ سَاعَاتِ نَهَارِي»، وفي (ق) العبارة هكذا: «في آناءِ اللَيْل، وَمِنْ سَاعَاتِ النَهَارِ»، والإنى ـ بالكسر والقصر ـ: الساعة من الليلأو النهار، والجمع: آناء، والساعة جزء مَّا غير مقدر من أجزاء الليل والنَّهار، وفي اصطلاح أهل الفلك: جزءٌ من أربعة وعشرين جزءاً من يوم بليلتهِ، والعرب لا تعرف ذلكَ. (رياض السالكين ٤: ٨٦).

[١١/٢٤ ـ طلب المغفرة للوالدين]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاغْفِرْ لِي(١) بِدُعَائِي لَهُمَا، وَاغْفِر لَهمَا بِبِرِّهِمَا بِي مَغْفِرَةً(٢) حَتْماً(٣)، وَارْضَ عَنْهُمَا بِشَفَاعَتِي لَهمَا(٤) رِضَىً عَزْماً(٥)، وَبَلِّغْهُمَا بالكَرَامَةِ مَواطِنَ(٦) السَّلامةِ(٧).

ومن واجبات الأولاد المتيسرة لكل إنسان من دون اسثناء: طلب المغفرة لهما لوالديه حقيقة، لاستحقاقهما ذلك بسبب التربية الّتي قاما بها، وقد ذكر من آثار المغفرة الحقيقية امران:

١ ـ الرضا عنهما؛ لما قاما به من دور التربية في حياة الإنسان.

٢ ـ الكرامة والتعظيم في مواطن السلامة بعد أداء دورهما الإسلامي في التربية.

---

(١) لم ترد في (ق): «لي».

(٢) العبارة في (ك) هكذا: «أللّهُمَّ اغْفِرْ لَهُمَا بِدُعَائِي مَغْفِرةً».

(٣) العبارة في (ت) هكذا: «واغْفِرْ بدعائي لَهُمَا ببرهما بي مغفرة حتما»، وفي (س): «الحتم: إحكام الأمر، والحتم: القضاء». (حاشية ابن إدريس: ١٩٦)، يُقال: حتم الله الأمر حتماً: إذا أوجبهُ جزماً، والمراد: مغفرة محتومة.

(٤) لم ترد في (ك) (ش): «لهما».

(٥) كذا في (ق) ظاهراً، ويحتمل أن تكون الكلمة هكذا: «جزما»، وعزماً، أي معزوما، من عزم الله: أي أراد وقصدَ وقطعَ وفرضَ، وفي (س): «عزمت على كذا عزماً وعُزماً ـ بالضم ـ وعزيمة وعزيما: إذا أردت فعله، وقطعت على ذلك. قال الله تعالى: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ (سورة طه ٢٠: ١١٥) أي صريمة أمر». (حاشية ابن إدريس: ١٩٦).وفي حاشية (د)ما نصه: «قال الله: ﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ (سورة آل عمران ٣: ١٨٦)، قال الزمخشري في الكشاف: أي أن ذلك ممّا عزمه اللّه تعالى من الأمور، أي قطعه قطع إيجاب وإلزام».

(٦) في (ق) (ت): «موطن».

(٧) في (ك) العبارة هكذا: «وَبَلِّغْهُمَا الكَرَامَة في مَواطنَ السَّلامةِ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «وَبَلِّغْهُمَا بالكَرَامَة إلى مَواطنَ السَّلامةِ».

وهنا يضع الداعي نفسه موضع الشفيع لهما؛ لكونه شاهداً على الدور الذي ما به في صغره وأنه شاهد حي على استحقاق الوالدين كلا من الرضا والكرامة.

١٢/٢٤ ـ وحدة المصير]:

أللّهُمَّ وَإنْ سَبَقَتْ[١] مَغْفِرَتُكَ لَهُمَا فَشَفِّعْهُمَا فِيَّ، وَإنْ سَبَقَتْ غْفِرَتُكَ لِي فَشَفِّعْنِي فِيْهِمَا[٢]، حَتَّى نَجْتَمِعَ بِرَأْفَتِكَ[٣] فِي دَارِ رَامَتِكَ، وَمَحَلِّ مغفرتك ورَحْمَتِكَ، إنَّكَ ذُو الفَضْلِ العَظِيْمِ والمَنِّ لقَدِيمِ[٤]، وَأَنْتَ أرْحَمُ الرَّاحِمِينَ[٥].

وختم الدعاء بما هو أمل كل من الأولاد والآباء والأُمهات، وهو وحدة عائلة وجمعها في مصير واحد يشتركون فيه، وكل منهم يتقاسم ما له وما عليه حفظ هذه الوحدة في المسير العائلي ومصيره، فإذا كان الوالدان مغفورٌ لهما، هما يشفعان للأولاد، وان كان الولد مغفوراً له، فهو الشفيع لهما حتى تجتمع عائلة الواحدة في الآخرة ـ الّتي هي دار الكرامة ومحل المغفرة والرحمة الشفاعة ـ كما اجتمعت العائلة في الدنيا الّتي هي دار الامتحان ومحل العمل.

وفي ختم هذا الدعاء بوحدة المصير، إشارة إلى أن تلاحم الرابطة في عائلة في الدم والرحم، مما يؤثر في مسير الإنسان ومصيره، ولا يمكنه ان ينقطع نهما مهما كانت الظروف والأسباب، حيث ان رابطة الدم تفوق أيّة رابطة خرى، وتستمر جارية في عروق الاجيال المتعاقبة.

---

١) في (ك) (ق) (ت) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ إنْ سَبَقَتْ».
٢) لم ترد في (ق): «فيهما».
٣) في (ق) (ت): «حتى تجمع بيننا برأفتك».
٤) في (ك) العبارة هكذا: «حتّى نجتمع بِرَحْمَتِكَ فِي دَارِ كَرَامَتِكَ وَمَحَلِّ رَحْمَتِكَ، إنَّكَ ذُو الفَضْلِ العَظِيْمِ».
٥) لم ترد في (ك) (ق) (ت): ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

[الدعاءُ الخامس والعشرون]

وكانَ مِنْ دُعائِهِ عليه السلام لولده عليهم السلام[1]

هذا الدعاء يتضمّن الدعاء للولد في ثلاث مقاطع:

الأول: في صلاح الولد في أنفسهم من حيث أنفسهم، المشار إليه بقوله: (ومنَّ عليَّ ببقاء وُلدي).

الثاني: دور الوالد.

الثالث: دور الوقاية.

الرابع: الإصلاح الشامل.

الخامس: نتيجة الإصلاح.

[١/٢٥ ـ صلاح الولد]:

أللّهُمَّ وَمُنَّ عَلَيَّ بِبَقآءِ وُلْدِي[2] وَبِإِصْلاحِهِمْ

---

(١) ورد هذا الدُّعاء في ملحق (ك) بالرقم (٤٦) بعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام لأولادِهِ عليهم السلام»، وفي (ش) بالرقم (٤٢) بعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام للولد عليه السلام»، وفي (ج) بعنوان: «الخامس والعشرون: وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام لولدِهِ عليهم السلام»، وفي (ق) بعنوان (الخامس والعشرون)، وتحته عنوان: «لأولادِهِ عليهم السلام»، وفي (ت) بعنوان (الخامس والعشرون)، وتحته عنوان: «لولدِهِ عليهم السلام»، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (٢٥)، بعنوان: «دُعاؤُهُ لوُلْدِهِ».

(٢) في (ش) (ج): «وَلَدِي»، وفي حاشية (ج) (د): «وَلَدِي، وُلْدِي جميعاً ـ س»، وفي حاشية (ج) أيضافي نسخة: «وُلْدي»، وفي (س): «الولد قد يكون واحداً وجمعاً، وكذا الوُلْد ـ بالضم ـ، وقد يكون الوُلد جمع وَلَد، كأُسد وأَسَد، والوِلد ـ بالكسر ـ لغة في الولد». (حاشية ابن إدريس: ١٩٩).

ي(١)، وَبِإِمْتاعي بِهِمْ(٢). اِلٰهي امْدُدْ(٣) لي في أَعْمارِهِمْ، وَ زِدْ لِي ي آجالِهِمْ، وَ رَبِّ لِي صَغيرَهُمْ، وَ قَوِّ لِي ضَعيفَهُمْ، وَ أَصِحَّ(٤) ي أَبْدانَهُمْ وَأَدْيانَهُمْ وَأَخْلاقَهُمْ، وَعَافِهِمْ في أَنْفُسِهِمْ وَفي جَوارِحِهِمْ وفي كُلِّ ما عُنِيتُ بِهِ مِنْ(٥) أَمْرِهِمْ، وَ أَدْرِرْ(٦) لِي وَعَلى يَدِي(٧) أَرْزاقَهُمْ، وَاجْعَلْهُمْ أَبْراراً أَتْقِيآءَ بُصَرآءَ سَامِعِينَ(٨) مُطِيعِينَ كَ، وَلأَوْلِيآئِكَ مُحِبّينَ مُناصِحِينَ، وَلِجَميعِ اَعْدآئِكَ مُعَادِينَ(٩) مُبْغِضِينَ، آمينَ(١٠).

فسّر الإمام المقطع الأوّل في صلاح الولد في أنفسهم الذي أشار إليه قوله: (ومنَّ عليَّ ببقاء وُلدي) وبيّن ان المراد بالبقاء ليس استمرار الوجود إلى لأبد؛ فإنه من صفات البارئ سبحانه، بل المراد مدّ البقاء للعمر الطبيعي آثاره الحسنة الّتي تترتب على ذلك للأولاد في أنفسهم، وقد عدّ منها لإمام عليه السلام عشرين أمراً.

١ ـ (مدّ العمر لهم)؛ فإنهم بمنزلة الكبد للإنسان، كما ورد: «أولادنا كبادنا تمشي على الارض»، وبهم استمرار ذكر الآباء، فالمدّ في عمرهم يكون هم في أنفسهم، وبالنتيجة للآباء.

---

١) لم ترد في (ش) (ت) وملحق (ك): «لي».
٢) في (ت): «وامتاعي بهم».
٣) في (ش): «يا إلهي امدد».
٤) في (ش): «وَأَصلِح لي أَبْدانَهُمْ»، وفي حاشية (ج) (د): «وأصلح».
٥) في (ش) عبارة: «به منْ» غير مقروءة.
٦) في (ش): «فأدرر»، وفي (ت) وملحق (ك): «وأدرّ»، وفي حاشية (ج) (د): «وأدرِر، وأُدرُر ـ معاً».
٧) في (ش) وملحق (ك): «يَدَيَّ»، وفي حاشية (ج) (د): «يَدِي، يَدَيَّ ـ معاً».
٨) في (ش) زيادة: «عقلاء فهمين، أعفّاء ميامين، أزكياء مباركين، سامعين».
٩) في غير (ش) (ق) (ت): «معاندين».
١٠) في (ق) وملحق (ك): «قالينَ» بدل «آمين»، ولم ترد «آمين» في (ش) (ق).

٢ ـ (الزيادة في الأجل في الحياة)، حتى تتوفر لهم فرصا اكثر لعمل الخير والصالح لأنفسهم وللمجتمع.

٣ ـ (تربية صغيرهم)؛ فإن الصغير يحتاج إلى عناية في التربية قد يضيق بها نفس الإنسان، ولولا عناية الله للوالدين بالصبر والحكمة لما أمكن ذلك.

٤ ـ (تقوية ضعيفهم)؛ فإن الضعيف في نفسه يفتقر إلى تقوية، ومهما حاول الإنسان فإن ذلك لا يمكن إلّا بمعونة الله.

٥ ـ ٧ ـ (وصحّة أبدانهم وأديانهم وأخلاقهم)، والصحة هي الحالة الطبيعية، ولكل من الجسم والدين والاخلاق حالة طبيعية إذا زادت أو نقصت كان تطرّفاً إما بالمرض أو البدعة أو التقشف إذا كان التصرف سلبياً، أو بالكسل والميوعة والاسراف إذا كان إيجابياً، وكلها انحراف عن الجادة الوسطى.

٨ ـ ١٠ ـ (وعافيتهم في أنفسهم وجوارحهم وفي كل ما يعنى من أمرهم)؛ فإن العافية هي الخلوص من العاهات المؤدية إلى الانحراف عن الحالة الطبيعية، وقد تكون في الجسم من الامراض والجوارح من النقص، وكل أمر فيه عاهة يستلزم ان يعافى الإنسان منها.

١١ ـ (وادرار أرزاقهم)؛ فإن الأولاد بما أنهم قاصرون، فلابد ممّن يعولهم، ولا يكون هناك من يكون أرأف بهم من بني الإنسان سوى الوالدين، فمن صلاحهم ان يكون رزقهم على يدي الوالدين، وطبيعي ان ذلك لا يمكن إلّا إذا كان هو ذا رزق يمكنه ان يدرّ عليهم.

١٢ ـ ١٦ ـ (جعلهم ابراراً، أتقياء، بصراء، سامعين، مطيعين لله)، وبما ان الهداية من الله، وتنتهي أسبابه اليه سبحانه فهو القادر ان يجعلهم صلحاء في أنفسهم بأن يتصفوا بصفات خمسة، هي: ألف ـ البر. ب ـ والتقوى. ج ـ والبصيرة. د ـ وسماع أوامره تعالى. هـ ـ والطاعة له سبحانه.

وهذه الصفات الخمس تجاه الخالق سبحانه.

١٧ و١٨ ـ (ولأوليائك محبين ومناصحين).

١٩ و٢٠ ـ (ولجميع أعدائك معاندين ومبغضين).

وكذلك من صلاح أنفسهم: أداء واجباتهم تجاه أعداء الله، ومرجعها جميعاً لى أمرين، هما: المعاندة لهم وبغضهم؛ إذ لا يمكن العمل بالحقّ إلّا بترك الباطل، لا يمكن محبة أولياء الله إلّا ببغض أعداء الله، ولا يمكن الجمع في الحبّ بينهما.

فهذه النقاط العشرون تقوّم الشخصية الصالحة في المجتمع الإسلامي، يمكن حصرها في ثلاث مجموعات، منها: ما يتعلق بالسلوك الشخصي من لواجبات تجاه النفس وتجاه الله سبحانه وتجاه اولياته واعدائه، فكما قيل: العقل لسليم في الجسم السليم؛ فإن سلامة الجسم يستلزم سلامة الفكر، وسلامة الفكر يستلزم اداء الواجبات تجاه الخلق والخالق.

[٢/٢٥ ـ إصلاح الولد]:

أللّهُمَّ اشْدُدْ بِهِمْ عَضُدِي[(١)]، وَأَقِمْ بِهِمْ[(٢)] أَوَدِي[(٣)]، وَكَثِّرْ[(٤)] بِهِمْ عَدَدِي، وَزَيِّنْ بِهِمْ مَحْضَرِي، وَأَحْيِ بِهِمْ ذِكْرِي، وَاكْفِنِي بِهِمْ

---

(١) في (س): «العضد: الساعد، وهو من المرفق إلى الكتف، وعضدته أعضده: أعنته، والمعاضدة: المعاونة». (حاشية ابن إدريس: ١٩٩).

(٢) في (د): «به»، وفي حاشية (د): «بهم ـ س».

(٣) في (س): «أوِد الشيء يأوِد ـ بالكسر ـ أوداً: أي اعوجّ، وتأوّد: تعوّج، وأودني الحمل يؤدوني أوداً: أي أثقلني». (حاشية ابن إدريس: ١٩٩)، وفي حاشية (د)ما نصه: «الأود بفتحتين: العوج، وهو هنا مستعارة لاختلال الحال وخروجها عن حدّ الاستقامة، أي: وأصلح بهم اختلال حالي، والظاهر أنّ طلبه لذلك عليه السّلام إنّما هو على تقدير وقوعه، فكأنّه قال: إن وقع في شيء من أحوالي أود واعوجاج فأقمه بهم، وقد علمت أنّه لا يلزم من صدق الشرطيّة صدق كلّ واحد من جزئيها، فلا يلزم من صدق كلامه عليه السّلام وقوع الاعوجاج حتّى يحتاج إلى إقامته بهم. والرواية في أكثر النسخ: «وأقم به أودي» بإفراد الضمير، وهو باعتبار إرجاعه إلى الشدّ المفهوم من قوله عليه السّلام: اشدد، نحو قوله تعالى: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ﴾ (سورة المائدة ٥: ٨). وقيل: أو إلى «العضد» ولو على وجه الاستخدام. والعدد: الكميّة المتألفة من الوحدان، أو المراد به هنا كميّة جماعته من أهله وعترته، لما في كثرتهم من عزّة الجانب وحماية الحوزة. من الشرح ملخصا». (رياض السالكين ٤: ١٠٤).

(٤) في (ش): «وأكثر».

في غَيْبَتِي، وَأَعِنِّي بِهِمْ عَلَى حَاجَتِي، وَاجْعَلْهُمْ لِي مُحِبِّينَ، وَعَلَيَّ حَدِبِينَ[١] مُقْبِلِينَ، مُسْتَقِيمِينَ لِي، مُطِيعِينَ[٢] غَيْرَ عَاصِينَ وَلَا عَاقِّينَ وَلَا مُخَالِفِينَ وَلَا خَاطِئِينَ[٣].

وَأَعِنِّي عَلَى تَرْبِيَتِهِمْ وَتَأْدِيبِهِمْ[٤] وَبِرِّهِمْ، وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ مَعَهُمْ أَوْلَاداً ذُكُوراً، وَاجْعَلْ ذلِكَ خَيْراً لِي، وَاجْعَلْهُمْ لِي عَوْناً[٥] عَلَى ما سَأَلْتُكَ[٦].

وفي المقطع الثاني يستعرض الإمام اهم النقاط ممّا يفتقر إليها إصلاح الأولاد، وهي في جانبين: ايجابي وسلبي، فإن كل حركة إصلاحية يجب فيهما تقليل مادة الفساد وتكثير أسباب الصلاح حتى لا يفتقر المجتمع إلى الفاسد، ولا فرق في ذلك في الحركات الإسلامية الفكرية أو الاجتماعية أو السياسية، فمثلا السرقة لا يمكن مقاومتها إلّا بتوفير الحاجات الضرورية ومعاقبة الجاني، ولا يكون الإصلاح حقيقياً ان بقيت دواعي الفساد حية مهما اشتدت المعاقبة، كما لا يتحقق الأمن من دون العقوبة، وان كانت الدواعي معدومة فإن الإصلاح يتوقف عليهما معاً كالمريض المفتقر إلى العلاج والوقاية معاً.

---

(١) في (س): «يقال: حدب عليه وتحدّب عليه أي تعطّف عليه». (حاشية ابن إدريس: ١٩٩).

(٢) في (ش) (ق) العبارة هكذا: «مُسْتَقيمينَ، ولي مُطيعينَ».

(٣) في ملحق (ك): «مخاطِئينَ».

(٤) لم ترد في (ش): «وَتَأْديبِهِمْ».

(٥) لم ترد في (د): «عونا»، والعبارة في (ك) (ت) هكذا: «وَاجعلهم لي عونك».

(٦) في حاشية (د) ما نصه: «قوله عليه السّلام: «واجعلهم لي [عونا] على ما سألتك» أي: على النحو الذي سألتك إيّاه في الأولاد الذين وهبتهم لي سابقا، من المنّة عليّ ببقائهم وإصلاحهم إلى قوله: «وأعنّي على تربيتهم وتأديبهم وبرّهم». وفي نسخة: «واجعلهم عونا لي على ما سألتك»، فيجوز تعلّق «على» بقوله: «عونا» فيكون ما سأله عليه السّلام: سؤالا تقدّم منه لا ذكر له هنا، ويجوز أن يكون متعلّقا بمحذوف هو صفة لقوله: «عونا»، أي: كائنا على النحو الذي سألتك في الأولاد الموجودين، من شدّ عضدي وإقامة أودي بهم، إلى غير ذلك ممّا سبق سؤاله. من الشرح ملخصا». (رياض السالكين ٤ : ١٠٨).

واجبات الإصلاح:

والإمام يذكر في هذا المقطع اهم نقاط الإصلاح، وهي:

١ ـ (اللهم اشدد بهم عضدي)، فإن من النقاط الهامة أن يكون الوالد موفّقاً ي اداء دوره باعداد الأولاد اصحاب مسؤولية تجاه الاسرة، ورأس الاسرة وهو لوالد بأن يشدّوا عضده ويساعدوه.

٢ ـ (واقم بهم أودي)؛ والأود: العوج، فمهما كان الإنسان اكبر عمراً وذا خبرة في الحياة فإنه لا يخلو من نقص وعوج يفتقر إلى عناصر شابّه تعينه في تقويم لعوج؛ فإن من مسؤولية الاب هو تربية الولد ليقوم بهذا الدور.

٣ ـ (وكثّر بهم عددي)؛ فإن الكثرة في العدد تقوية للاسرة، وكما أن الأُسرة لا تكون كاملة مع وجود النقص في المال فكذلك النقص في الأولاد؛ فمن مسؤولية الاب إصلاح الأولاد باكثارهم عدداً.

٤ ـ (وزيّن بهم محضري)؛ فإن ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[1]، فهم زينة لمحضر الوالد، وهذه الزينة تعود إليهم أنفسهم، فهو إصلاح لهم لئلا يشعروا بالنقص.

٥ ـ (وأحسن بهم ذكري)، فإن الأولاد امتداد لحياة الوالدين واحياء لذكرهما، وتربيتهم لهذه المسؤولية إصلاح لهم، حيث يحملون ذكرى حسنة لأنفسهم تعكس طهارة آبائهم.

٦ ـ (واكفني بهم في غيبتي)، فانّ اعداد الأولاد للقيام بالمسؤولية الملقاة عليهم في حالة غياب الوالدين إصلاح لهم للقيام بدور المسؤولية، فهم يؤدّون بعض حقوق الأُبوّة بذلك.

٧ ـ (واعنّي بهم على حاجتي)، فإن إعانة المسلم لأخيه المسلم مسؤولية

---

(١) القرآن الكريم، سورة الكهف ١٨: ٤٦.

اخلاقية، فتربية الأولاد على هذه المسؤولية إصلاح لهم، ومن هو اولى من الأب في أداء هذه المسؤولية؟

٨ ـ (واجعلهم لي من المحبّين، وعليّ:

ألف: حدبين. ب: مقبلين. ج: مستقيمين لي. د: مطيعين. هـ: غير عاصين. و: ولا عاقين. ز: ولا مخالفين. ح: ولا خاطئين).

فان من اهم واجبات الآباء هو اعداد الأولاد لأداء واجباتهم تجاه الاب، وهنا ذكر الإمام ثمانية اوصاف، كما يلي:

فالمسؤول أوّلا: الحب، ولا يتحقق إلّا بالشعور بأداء المسؤولية، ومن لوزام حبّهم في الصغر أداء واجب الحب في الكبر، ويتمثل بما يلي:

ألف ـ الحدب، وهو العطف الذي لا يكون إلّا بالحدب عليهم في الصغر.

ب ـ الاقبال والاعتناء بالأمور على ما ينبغي، والذي لا يكون إلّا بالاقبال عليهم في الصغر.

ج ـ الاستقامة من دون اعوجاج وتنصّل عن المسؤولية، والذي لا يكون إلّا بالاستقامة في التربية في الصغر، وهو تنفيذ المطالب ولو لم تكن اوامر، فهي صفة تظهر بممارسته معهم في الصغر.

د ـ الطاعة للأوامر الصادرة عن حكمة ومصلحة.

هـ ـ غير عاصين للأوامر الصادرة عن حكمة ومصلحة، ولا يكون ذلك إلّا بممارسة مثله معهم في الصغر.

و ـ لا عاقين، وذلك بالعصيان عن عمد، ولا يكون إلّا بمثله في الصغر.

ز ـ ولا مخالفين للرغبات الشخصية المعقولة، ولا يكون إلّا بمثله في الصغر.

ح ـ ولا خاطئين، وهو العصيان من دون عمد، ولا يكون إلّا بمثله في الصغر.

وهذه الصفات ـ كما تقدم ويأتي ـ إصلاح للأولاد في تربيتهم على أداء دورهم تجاه الوالد الذي أدّى دوره تجاههم.

وفي قوله عليه السلام: (واعنيّ على تربيتهم وتأديبهم وبرّهم) تذكير بثلاث نقاط، هي:

١٧ ـ التربية من الولادة إلى السابعة من العمر، لإعدادهم اصحاء في الجسم.

١٨ ـ التأديب من الثامنة حتى الرابعة عشر من العمر، بالتعليم بالنظم الابتدائي.

١٩ ـ البر من الخامسة عشرة إلى سن الحادي والعشرين من العمر، بتدريبهم على السلوك الصحيح.

وقد جمع هذه الثلاثة الحديث الشريف: «لاعب ابنك سبعاً، وأدّبه سبعاً، وصاحبه سبعاً، ثم اترك له الحبل على الغارب»[١] فإنّ الإنسان البالغ من العمر (٢١ سنة) ينبغي ان يكون عضواً صالحاً ومستقّلا في المجتمع.

٢٠ ـ (وهب لي من لدنك معهم أولاداً ذكوراً) وهذه الجملة تدعوا حسب حاجة العصر والمجتمع إلى مثال يحتذى به في الأُسرة، وهو على الاغلب في مجتمع الإمام عليه السلام الولد الذكر؛ فإن للولد الأكبر الأثر البلغ على الأولاد الصغار؛ فإنهم ينظرون اليه كمثال يقتدى به، فمن إصلاح الأولاد ان يكون لهم هكذا فرد في الاسرة.

٢١ ـ (واجعل ذلك خيراً لي) فإن القيام بإصلاح الأولاد واعدادهم للمسؤوليات المذكورة قد تكون من دون عائدة على الوالدين، فلابد من الدعاء ان يكون ذلك خيراً وعائداً إلى الوالدين.

٢٢ ـ (واجعلهم لي عوناً على ما سألتك) ويختم الإمام مسؤوليات الاب لاعداد الولد المسؤول وإصلاحه بأن يجعل الأولاد عوناً في تحقيق الأهداف من الإصلاح والمسؤولية، فلولا عونه تعالى على تحقيق هذه الأمور لا يتم شيء منها، وهو المستعان.

---

(١) شرح رسالة الحقوق: ٥٨٦.

[٣/٢٥ ـ دور الوقاية]:

وَأَعِذْنِي وَذُرِّيَتِي[(١)] مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ، فَإِنَّكَ خَلَقْتَنا وَأَمَرْتَنا وَنَهيْتَنَا، وَرَغَّبْتَنَا فِي ثَوابِ مَا أَمَرْتَنَا [بِهِ][(٢)]، وَرَهَّبْتَنا عِقابَهُ، وَجَعَلْتَ لَنا عَدُوّاً يَكِيدُنا، [وَ][(٣)] سَلَّطْتَهُ مِنّا عَلَى مَا لَمْ تُسَلِّطْنَا عَلَيْهِ مِنْهُ، [وَ][(٤)] أَسْكَنْتَهُ صُدُورَنا، وَأَجْرَيْتَهُ مَجَارِيَ[(٥)] دِمَآئِنا، لا يَغْفُلُ إِنْ غَفَلْنَا، وَلا يَنْسى إِنْ نَسِينَا، يُؤْمِنُنَا عِقابَكَ، وَيُخَوِّفُنا بِغَيْرِكَ[(٦)]، إِنْ هَمَمْنَا بِفَاحِشَةٍ شَجَّعَنا عَلَيْها، وَإِنْ هَمَمْنَا بِعَمَلٍ صالِحٍ ثَبَّطَنَا عَنْهُ، يَتَعَرَّضُ لَنَا بِالشَّهَواتِ، وَيَنْصِبُ لَنا بِالشُّبُهاتِ[(٧)]، إِنْ وَعَدَنَا كَذَبَنا، وَإِنْ مَنّانَا أَخْلَفَنا[(٨)]، وَإِلّا تَصْرِفْ عَنَّا كَيْدَهُ يُضِلَّنَا[(٩)]، وَإِلّا تَقِنَا خَبالَهُ[(١٠)] يَسْتَزِلَّنَا[(١١)].

أَللَّهُمَّ فَاقْهَرْ سُلْطانَهُ عَنّا بِسُلْطانِكَ، حَتّى تَحْبِسَهُ عَنّا

---

(١) في (ق) (ت) وملحق (ك): «وأعذني وزوجتي»، وفي (س): «ذرية الرجل: ولده». (حاشية ابن إدريس: ٢٠٠).

(٢) ما بين المعقوفتين من (ق).

(٣) ما بين المعقوفتين من (ق) (ت) وملحق (ك).

(٤) ما بين المعقوفتين من (ق) (ج) (ت) وملحق (ك).

(٥) في (ش): «مجرى».

(٦) في (ش): «تغييرك».

(٧) في (ت): «الشبهات».

(٨) في (ق): «خالفنا».

(٩) في ملحق (ك): «يضللنا».

(١٠) في (ت): «تقينا حبائله»، وفي (س): «يقال: فلان خبال على أهله: أي عناء، والخبال أيضاً: الفساد». (حاشية ابن إدريس: ٢٠٠).

(١١) في (ش) العبارة هكذا: «وَإِلّا تَقِنا خَبالَهُ يَسْتَزِللنا»، وفي ملحق (ك) العبارة هكذا: «وَإِلّا تَقِينا حَبائلَهُ يَسْتَزِلَّنا».

بِكَثْرَةِ(١) الدُّعَاءِ لَكَ، فَنُصْبِحَ(٢) مِنْ كَيْدِهِ فِي الْمَعْصُومِينَ بِكَ(٣).

وكلما ذكر من واجبات الصلاح والإصلاح لا تكفي وحدها من دون دور الوقاية من الاعراض الّتي تعرض الإنسان بصورة عامة ومنهم الأولاد في اعدادهم كنواة في المجتمع الصالح، وأساس الشرّ في الأعراض كلها هو غواية الشيطان الرجيم، فاستعاذ الإمام منه باستعراض دوره وبيان أنواع كيده للضلالة؛ امتحاناً للإنسان باختيار طريق الهداية على طريق الضلالة.

واستهل عليه السلام هذا الدور بالاستعاذة للنفس والأولاد من (الشيطان)، وإنّما سمي بذلك لانه مأخوذ من الشطن، بمعنى البعد؛ لبعده عن الحق، وهو الرجيم المرفوض بطبيعته المخالفة للحق، والسبب في هذه الاستعاذة انه العدوّ للحق الذي يجب على المخلوق تحقيقه لكمال الحياة الإنسانية منذ ان خلقنا الله تعالى؛ فإن الهدف من الخلق انما هو ذلك (منذ ان خلقنا الله) ووجّهنا في الحياة بأمور فيها صلاحنا، ولها لوازم تقتضيه العدالة الإلهيّة، وأهمها:

الف ـ (امرتنا)، فالاوامر لمصلحة الإنسان في نفسه ومجتمعه.

ب ـ (ونهيتنا) عمّا يضّر بالإنسان والاسرة والمجتمع.

ج ـ (ورغّبتنا في ثواب ما أمرتنا)؛ إذ العدالة تقتضي الثواب على الطاعة.

د ـ (ورهّبتنا عقابه)؛ إذ العدالة تقتضي عقاب العاصي.

ومعرفة دور هذا العدوّ ضروري لاجتياز مرحلة الامتحان بنجاح، الذي يجب ان تمر به النفس الإنسانية واعية لمسؤولياتها، فقال عليه السلام: (وجعلت لنا عدوّا يكيدنا) وقد (سلّطته منّا) باقرب ما يمكن أن يتصوّر، وهو:

---

(١) في (ش) (ت): «بكثير».

(٢) في (ش): «ونكون» بدل «فنصبح».

(٣) في (ق) (ت) وملحق (ك) العبارة هكذا: «حَتّى تَحْبِسَهُ عَنّا بِكَثير الدُّعآءِ، فَنُصْبِحُ فِي الْمَعْصُومينَ مِنْ كَيْدِهِ بِكَ».

أولاً ـ (اسكنته صدورنا).

وثانياً ـ (أجريته مجاري دمائنا).

فهو بهذه الدرجة من القرب منا، فيجب علينا أن نكون واعين وحذرين في نفس الوقت من أحابيل هذا العدوّ، وهو أيضاً يتصف بصفات فارقة أخرى، هي:

١ ـ (لا يغفل إن غفلنا)، فالعدوّ لا يؤمّن، وبحكم عدائه يجب أن لا يغفل عن خططه.

٢ ـ (لا ينسى ان نسينا)، فالعدوّ متعمّد في خططه الهدّامة ولا ينساها.

٣ ـ (يؤمننا عقابك)؛ لأن العدوّ طريقه دائماً ضدّ الحقّ، فهو دائماً يستخدم أسلوب التضليل.

٤ ـ (ويخوّفنا بغيرك)، فهو يحاول صرف الإنسان عمّا يستحقّ من الإيمان والخوف من الله سبحانه.

٥ ـ (إن هممنا بفاحشة شجّعنا عليها)؛ فإنه يحاول التشجيع على ممارسة الباطل ضدّ الحقّ بمختلف الوسائل المتاحة.

٦ ـ (وإن هممنا بعمل صالح ثبّطنا عنه)، وكذلك فهو يمارس التخذيل عن العمل الصالح بمختلف الوسائل والدعايات المضادّة.

٧ ـ (يتعرّض لنا بالشهوات) أي بمختلف المغريات الماديّة وغيرها.

٨ ـ (وينصب لنا بالشبهات) بمختلف الشبهات المانعة عن تحقيق الحقّ والوصول إلى الهدف المنشود.

٩ ـ (إن وعدنا كذبنا)، والشيطان ديدنه الكذب، والكذب مفتاح كل شرّ، كما في الحديث[1].

---

(١) في عيون الحكم والمواعظ ـ لعلي بن محمد الليثي الواسطي ـ ص٢٩٤، ما نصه: «شر الشيم الكذب». وفي شرح نهج البلاغة ـ لابن ميثم البحراني ـ ج٢ ـ ص٢٧١، ما نصه: «الكذب وظاهر كونه شرّ القول وأنّه مفسدة مطلقة في الدين والدنيا أمّا الدين فللمنقول =

١٠ ـ (وإن منّانا أخلفنا)، وخلف الوعد كذب عملي يترتّب عليه آثار كثيرة، أهمها انعدام الثقة.

١١ ـ (وإلّا تصرف عنّا كيده يضلّنا) والإضلال يكون بوسائله المتكثرة لمؤثرة، ولكن الله تعالى قادر على أن يصرف كيده عن الإنسان.

١٢ ـ (وإلّا تقنا خباله يستزلّنا)؛ فإن الشيطان بأساليبة يحاول أن يستزل لإنسان ان لم يعصمه الله سبحانه من الخبال ـ أي الفساد ـ الذي يدعوا الشيطان ليه بمختلف الوسائل.

ويختم عليه السلام بالدعاء الذي هو سلاح المؤمن لقهر سلطنة الشيطان بقدرته عالى العليا وحبسه عن الشرّ (بكثرة الدعاء) فيحصل للإنسان العصمة من كيده قدرة الله تعالى الذي هو على كل شيء قدير.

٤/٢٥ ـ الإصلاح الشامل]:

أللّهُمَّ أَعْطِنَي كُلَّ سُؤْلِي، وَاقْضِ لِي حَوآئِجِي[١]، وَلا تَمْنَعْنِي لإجَابَةَ[٢] وَقَدْ ضَمِنْتَها لِي، وَلا تَحْجُبْ دُعآئِي عَنْكَ وَقَدْ أَمَرتَنِي بِهِ. وَامننْ عَلَيَّ بِكُلِّ مَا يُصْلِحُنِي فِي دُنيَايَ وآخِرَتِي[٣]،

والمعقول أمّا المنقول فقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلَّم: الكذب رأس النفاق. وأمّا المعقول فلأنّ الوجدان شاهد بأنّ الكذب ممّا يسوّد لوح النفس ويمنعه أن ينتقش بصور الحقّ والصدق ويفسد المنامات والإلهامات، وأمّا الدنيا فلأنّه سبب عظيم لخراب البلاد وقتل النفوس وسفك الدماء وأنواع الظلم ولذلك اتّفق أهل العالم من أرباب الملل وغيرهم على تحريمه وادّعى المعتزلة قبحه بالضرورة وهو رذيلة مقابلة للصدق داخلة تحت رذيلة الفجور». وعن الإمام الباقر عليه السلام: إن الله عز وجل جعل للشر أقفالا، وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب، والكذب شر من الشراب. وعن الإمام العسكري عليه السلام: جعلت الخبائث في بيت وجعل مفتاحه الكذب.

(١) في (ش): «وَاقْضِ لِي جميع».

(٢) في ملحق (ك): «بالإجابَةِ».

(٣) في (ش) (ق) (ت) العبارة هكذا: «وَامْنُنْ عَلَيَّ بِكُلِّ ما يُصْلِحُني في آخِرَتي ودنياي»، وفي ملحق (ك) العبارة هكذا: «وَامْنُنْ عَلَيَّ بِكُلِّ ما يُصْلِحُني في الآخِرةِ».

[وَ](١) مَا ذَكَرْتُ مِنْهُ وَمَا نَسيتُ، أو أظْهَرْتُ، أو أخْفَيتُ(٢)، أو أعْلَنْتُ، أو أسْرَرْتُ(٣). وَاجْعَلْني فِي جَمِيعِ ذلِكَ مِنَ الْمُصلِحِينَ(٤) بِسُؤالي(٥) إيّاكَ، اَلْمُنْجِحِينَ بِالطَّلَبِ إلَيْكَ، غَيرِ(٦) الْمَمْنُوعِينَ(٧) بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْكَ، اَلْمُعَوَّذِينَ(٨) بِالتَّعَوُّذ بِكَ، الرّابِحينَ فِي التِّجارَةِ عَلَيْكَ، اَلْمُجارينَ بِعِزِّكَ(٩)، الْمُوسَعِ(١٠) عَلَيْهِمُ الرِّزْقُ الْحَلالُ مِنْ فَضْلِكَ، الْواسِعِ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ، الْمُعَزِّينَ(١١) مِنَ الذُّلِّ بِكَ، وَ(١٢) الْمُجارينَ(١٣) مِنَ الظُّلْمِ(١٤) بِعَدْلِكَ، وَالْمُعافينَ مِنَ الْبَلآءِ

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ق).

(٢) في (ت) وملحق (ك): «وأظْهَرْتُ وأخْفَيتُ».

(٣) في ملحق (ك): «وأعْلَنْتُ وأسْرَرْتُ».

(٤) في (ش) (ق) (ت) وملحق (ك): «مِنَ الْمُفلِحِينَ»، وفي حاشية (ج) (د): «من المفلحين ـ س».

(٥) وفي (س): «السؤال: ما يسأله الإنسان». (حاشية ابن إدريس: ٢٠٠).

(٦) لم ترد في (ش) (ق) (ت) وملحق (ك): «غير»، وفي حاشية (ج) كتب على كلمة: «غير» علامة: «س».

(٧) في (ش): «والممنوعين».

(٨) في (ت): «وَالْمُعَوَّذِينَ»، وفي (ش) وملحق (ك) (س): «وَالْمُعَوَّدِينَ»، وفي حاشية (ج) وضع على كلمة: «وَالْمُعَوَّذِينَ» ما نصه: «اللفظ لـ «س»».

(٩) في (ش): «الرّابِحينَ بالنجاةِ عَلَيْكَ، اَلْمُحادينَ بِعِزِّكَ».

(١٠) في (ش) وملحق (ك): «الموسَّع»، وفي حاشية (ج)وضع على كلمة: «الْمُوَسَّع» علامة: «س».

(١١) في (ش): «المعززين».

(١٢) لم ترد في (ش): «و».

(١٣) الكلمة غير واضحة في (ق) ولعلها: «المجازين»، وفي حاشية (ج) (د): «والمجازين ـ س»، وفي هامش (س) ما نصه: «في نسخة ابن إدريس (والمجازين) بفتح الزاء المعجمة جمع مجازي، اسم مفعول من جازاه مجازاة، بمعنى: كافأه. (لوامع الأنوار العرشية ٣: ٥٧٩)».

(١٤) لم يرد في (ق): «من الظلم».

بِرَحْمَتِكَ، وَ(١) الْمُغْنَيْنَ(٢) مِنَ الْفَقْرِ بِغِناكَ، وَالْمَعْصُومِينَ مِنَ الذُّنُوبِ وَالزَّلَلِ وَالْخَطَأِ بِتَقْواكَ، وَالْمُوَفَّقِينَ(٣) لِلْخَيْرِ وَالرُّشْدِ وَالصَّوابِ بِطاعَتِكَ، وَالْمُحَالِ(٤) بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الذُّنُوبِ بِقُدْرَتِكَ، التّارِكِينَ لِكُلِّ مَعْصِيَتِكَ، السّاكِنِينَ في جَوارِكَ.

وحيث لا يتم تربية الأولاد بإصلاح جانب واحد من جوانب الحياة فقط، أشار الإمام عليه السلام إلى ضرورة الإصلاح الشامل للاسرة ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً، ولا يمكن ذلك للإنسان بمفرده، بل يفتقر إلى مدد إلهي في درجات، اولها: الدعاء، فبعد ان وعد الله (بقضاء الحوائج) حيث قال تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾(٥) طلب الإمام عليه السلام منه الإصلاح الشامل في نقاط:

١ ـ (امنن عليّ بكل ما يصلحني في دنياي وآخرتي)؛ فلا يكفي الجانب الثقافي فقط، بل بنفس المستوى لابد من إصلاح الجانب الدنيوي، من إصلاح المعاش الاقتصادي وتهيئة العلاقات الاجتماعية السليمة مع الأقران، وهذه جوانب واضحة لربّ الاسرة، وطبيعيّ ان تكون هناك عوامل اخرى ظاهرة ومنسية وخافية ومعلنة، وأسرار لا يعرفها إلّا أهل الاختصاص، فلابدّ من الإصلاح الشامل لكل جوانب الحياة.

٢ ـ (واجعلني في جميع ذلك من المصلحين) فدور الاب وربّ العائلة لابد

---

(١) لم ترد في (ش): «و».

(٢) في (ق) (ت): «والمعوّذين».

(٣) في (ش) العبارة هكذا: «وَالْمَعْصُومينَ مِنَ الذُّنُوبِ وَالزَّلَلِ وَالْخَطايا، وَالْمُوَفَّقينَ»، وفي ملحق (ك) العبارة هكذا: «وَالْمَعْصُومينَ مِنَ الذُّنُوبِ وَالزَّلَلِ وَالْخَطَأِ بِتَقْواكَ، وَالْمُوافقينَ».

(٤) في (ت) (د) وملحق (ك): «المحالِ»، وفي حاشية (ج) (د): «والمحول ـ س»، وفي هامش (س) ما نصه: «في نسخة ابن إدريس: (والمحول) على وزن مقول، وهو الموافق للمشهور الذي عليه التنزيل، قال سبحانه: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ (سورة الأنفال ٨: ٢٤)، أي الذين حيل بينهم وبين الذنوب بقدرتك. (لوامع الأنوار العرشية ٣: ٥٨١)».

(٥) القرآن الكريم، سورة غافر٤٠: ٦٠.

وان يكون دور المصلح، وليس دور المعنّف المسيطر الذي يقود الاسرة بدكتاتورية مطلقة من دون شورى عائلية، ومع مشاورة أهل الاختصاص.

٣ ـ (غير الممنوعين بالتوكل عليك) فلا تكون قيادة الاسرة سليمة من دون التوكل على الله تعالى، فمهما طالت ادوار ربّ العائلة واهل الاختصاص وآراءهم، فإنها لا تنفع ان لم يكن للتوكل على الله دوره الهام.

٤ ـ (الرابحين في التجارة عليك) حيث تتم بالثقافة الإسلامية الّتي تغذّي الروح المعنوية، وتعد من مقومات الحياة الأسرية السليمة.

٥ ـ (المجارين بعزّك)؛ فقد قال السجاد عليه السلام: «من أراد عزّاً بلا عشيرة؛ وغنىً بلا مال، وهيبة بلا سلطان، فلينتقل من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعته»[1].

٦ ـ (الموسّع عليهم الرزق الحلال) حيث يعتبر الركن الاقتصادي الصائن للأسرة والذي يضمن أهم حاجات الاسرة.

٧ ـ (المجارين بعدلك)؛ فإن العدل بين الاسرة ضمان لسلامتها.

٨ ـ (المعافين من البلاء)، أي الامتحان، فإن كل فرد وأُسرة وامة تمرّ بالامتحان، ويُحاول الأعداء هزّ كيانها، وكذا الحسّاد والمغرضين الذين لا يريدون السلامة والراحة للآخرين.

٩ ـ (المغنين من الفقر بغناك)؛ فإن الفقر الحقيقي هو عبادة الماديات الزائلة، والغنى الحقيقي هو بالتخلص منها، كما قال سيد الموحدّين: «الناس في الفقر مخافة الفقر»[2].

١٠ ـ (المعصومين من الذنوب والزلل والخطأ بتقواك)؛ فإن للذنوب آثاراً تنعكس على الإنسان نفسه، وقد شرحتها في «شرح دعاء كميل»، فراجع المعجم.

وختام هذه النقاط هي: (الموفّقين للخير والرشد والصواب بطاعتك) فإن في

---

(١) الخصال: ١٦٩.

(٢) جواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب: ١٦٨.

طاعة الله سبحانه في الخطوط العريضة للتربية ضمان للتوفيق وللخير والرشد والصواب.

[٥/٢٥ ـ ثمرة الإصلاح]:

أللّهُمَّ أَعْطِنا جَميعَ ذلِكَ بِتَوْفيقِكَ وَرَحْمَتِكَ، وَأَعْذِنَا مِنْ عَذابِ السَّعيرِ، وَأَعْطِ جَمِيعَ[١] الْمُسْلِمينَ وَالْمُسلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ مِثْلَ الَّذي سَأَلْتُكَ لِنَفْسي وَلِوُلْدِي[٢] في عاجِلِ الدُّنْيا وَآجِلِ الآخِرَةِ، إِنَّكَ قَريبٌ مُجيبٌ، سَميعٌ، عَليمٌ، عَفُوٌّ، غَفُورٌ، رَؤُوفٌ، رَحيمٌ[٣]، وَآتِنَا فِي الدُّنيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذابَ النّارِ[٤].

وبما أنّ لكل فعل ردّ فعل، فالإصلاح الذي يقوم به الوالد والآباء بصورة عامة تترتب عليه ثلاث نتائج رتبها الإمام عليه السلام كالآتي:

١ ـ للوالدين في الدنيا والآخرة؛ ففي الدنيا يكون لهما ـ بتوفيق الله ورحمته ـ (جميع ذلك) وذلك لما قاما به من الإصلاح للولد؛ فإنهما يجتنيان ثمرة ما قاما به له في الصغر.

وفي الآخرة: (الأمن من عذاب السعير)، لأنهما أدّيا واجباتهما الأبوية ولم يهملاه كي يستحقّا العذاب.

---

(١) في (ش) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ اَعْطِني جِميعَ ذلِكَ بِتَوْفيقِكَ وَأجرني برَحْمَتِكَ مِنْ عَذابِ السَّعيرِ، إله الحق ربّ العالمين، أللّهُمَّ أَعْطِ جميع».

(٢) في (ج): «ولولدي»، وفي (س) وحاشية (ج): «ولِوُلْدِي ـ س»، وتقدم سابقا ما في هامش (س) من قوله: الولد قد يكون واحداً وجمعاً، وكذا الوُلد ـ بالضم ـ، وقد يكون الوُلد جمع وَلَد، كأُسد وأَسَد، والوِلد ـ بالكسر ـ لغة في الولد.

(٣) في (ش) العبارة هكذا: «اِنَّه قَريبٌ مُجيبٌ، عَليمٌ، عَفُوٌّ، غَفُورٌ، رَحيمٌ، أللّهُمَّ».

(٤) اقتباس من القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ٢٠١، وفي (ش) زيادة العبارة التالية: «برحمتك يا أَرْحَمَ الراحمين».

٣ ـ للمجتمع الإسلامي (من المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات)؛ وذلك لإعداده عضواً صالحاً لهذا المجتمع، فيعود ثمرة الإصلاح إلى المجتمع كله؛ لأن هذا العضو الصالح سوف يؤدّي دوره في إسعاد المجتمع.

٤ ـ للأولاد أنفسهم؛ فإنهم ينتفعون بهذا الدور الإصلاحي للوالدين في الدنيا والآخرة، أمّا في الدنيا فإنهم سوف يجدون في أنفسهم الكفاءة الّتي تجعلهم في مستوى المسؤولية لأداء دورهم، ولولا ما قام به الوالدان من إصلاح لما امكن للأولاد ذلك.

وأما ثمرة الإصلاح في الآخرة، فهو الفوز بما أعدّ الله للصلحاء من الثواب الإلهي والأمن من العقاب.

وهذا كله لا يكون إلّا بالتوفيق والرحمة من الله تعالى، ومن توفيقاته (أنه قريب مجيب سميع، عليم، عفوّ، غفور، رؤوف، رحيم) وهي صفات يجب أن يستلهم العبد منها في دوره في إصلاح الأولاد، ويترتب على ذلك في الدنيا الحسنة، وفي الآخرة الوقاية من عذاب النار.

انتهى المجلد الأوّل، ويليه المجلد الثاني، وأوله:

[الدُّعاءُ السادس والعشرون]

الفهرس

